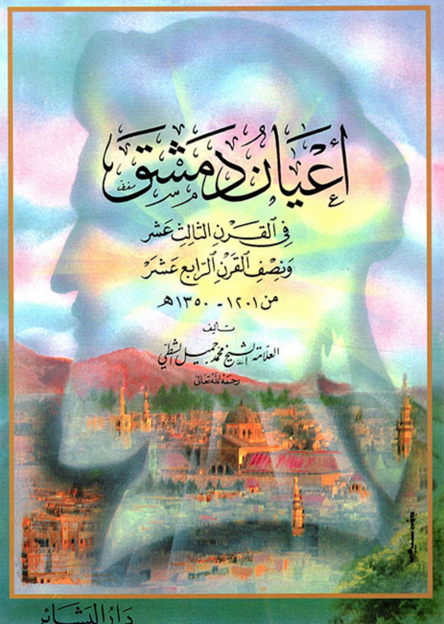


دار البشائر
للطباعة والنشر والتوزيع


أعيان دمشق

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



أعيان دمشق

في القرن الثالث عشر
ونصف القرن الرابع عشر
من ١٢٠١ - ١٣٥٠هـ

تأليف

العلامة الشيخ محمد جميل الشطي

رحمه الله تعالى

دار البشائر



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ

مقدمة الطبعة الثالثة[١]

بقلم الأستاذ عز الدين البدوي النجار

١ـ كلمة مجملة في الكتاب :

هذا كتاب[٢] قريب المُتَنَاول ، بعيد المَنْزِعِ والغاية ، يَتَأَدَّى إليك من مادته أكثر بكثير مما يؤديه إليك ظاهر عنوانه .

فأنت[٣] إذا قرأت عنوانه قدَّرته كتاباً في محض التراجم ، وسبق إلى وَهْمِكَ أنه ليس فيه من مادة العلم إلا خالصُ أحوال المُترجَمين ، فإذا نظرت في الكتاب نفسه وقفت منه على صور من الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية لمجتمع القرن الثالث عشر الهجري عامة ، ثم لمجتمع دمشق خاصة ، لم تكن تخطر منك على بال .

ولعل في قرّاء الكتاب الآن من أدرك بقايا هذه الصور ، ووقف عليها بنفسه

---

(١) وهي الطبعة الأولى لدار البشائر ، تقدمتها ثِنْتَان : واحدة في حياة المؤلف ، والأخرى بعد وفاته .

(٢) أكثرنا في هذه المقدمة من وصف هذا المطبوع بأنه « كتاب » ، على سبيل الاتساع والتغليب والتسمّح في استعمال الألفاظ ، مع ما أنه في نفس الأمر كتابان اثنان مختلفان وضعاً ومنهجاً . وإنما يجمعهما غرض المؤلف الواحد ، وهو الترجمة لـ« أعيان دمشق » في حقبة زمنية بعينها مقدارها خمسون ومائة عام (١٢٠١هـ ـ ١٣٥٠هـ) . وسيأتيك إن شاء الله فضل بيان لهذا فيما يستقبل .

(٣) المخاطب بهذا هو القارئ المُحْدَثُ خصوصاً ، وإلا فإن من وقف على هذا الضرب من التصنيف في الثقافة العربية عرف ما ينطوي عليه من غِنًى وثروة وجمال .

واقعاً يعاش قبل أن تنقلب إلى تاريخ يكتب ، أو أنه أدرك من أدركوها ، وحصَّلها روايةً تُرْوَى وخبراً يُؤْثَر . وهذا بعينه ، عند من يقف عليه ، وجه من وجوه جاذبية الكتاب وإمتاعه وجماله .

بل أنت واجدٌ فيه ، إلى ذلك ، أطرافاً من التاريخ العام ، من قِبَل أن بعض رجال الكتاب هم من أعيان هذا التاريخ ، أو أن اقتصاص أشياء مما اتفق لهم في أطوار حياتهم متصلٌ بالتاريخ العام ، مُلْتَبِسٌ به ، داخلٌ في نسيجه .

وأنت واجدٌ فيه أيضاً جوانبَ مما يتعلق بالناحية العمرانية والأثرية لمدينة دمشق ، لايُعْيي الباحثَ الخبيرَ أن يميزها من جمهور مادة الكتاب ، وأن يلتقط منها غيرَ قليلٍ ، يضمه إليه ، وينتفع به في دراساته ومباحثه .

ومن الطريف البارع الذي يقف عليه الباحث المتتبع من وجوه الفائدة العلمية في هذا الكتاب أن بعض نقوله عن مصادره المدونة المكتوبة[1] لايوجد في المطبوع من هذه المصادر ، على قرب العهد بها ، وعلى الغرابة الغريبة في أن يسقط من مادتها شيء لايقع في وهمك أن يسقط مثله في مثل سياق طباعته ونشره . تجد غير شاهد على هذا في بعض نقوله من كتاب العلامة البيطار[2] : « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » فإنك إذا التمستها في المطبوع من هذا الكتاب لم تقف منها على أثر ولا عِثْيَرَ .

---

(١) سمَّى المؤلف مصادره المكتوبة ، وجعلها في خاتمة الطبعة الأولى من كتابه « روض البشر » الموقوف على رجال القرن الثالث عشر ص ٢٦٦ وفي آخر القسم الأول من الطبعة الثانية ص ٣٠٢ .

(٢) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم (١٢٥٣هـ ـ ١٣٣٥هـ) أحد أعلام العلماء في بلاد الشام في القرنين (١٣ـ١٤) . أكثر المصنف من النقل من كتابه « الحِلْية » ، ثم ذكره في وَفَيات (١٣٣٥هـ) فيمن ذكر أسماءهم وسِنِي وَفَياتهم وأمهات أحوالهم من رجال الربع الثاني من القرن الرابع عشر . قال في حقه : « عالم ، أديب ، مؤرخ » . ولو شاء لذكر من حاله وأمره ومبلغ علمه أكثر مما ذكر ، إذ كانت مادة ذلك حاضرة عنده بلا ريب ، لكنه طواه كما طوى غيره من أحوال المترجَمِين من رجال ربع القرن هذا خاصة ، وبنى تراجمه لهم على الإجمال الشديد لسبب لا نعرفه . وانظر ماسيأتي بعدُ .

ويدخل في هذا ويَقْرُبُ منه ، وهو جدير بأن ينوه به ، أن في مصادر الكتاب المدونة ما لم يطبع بعد ، وأنك لاتدري أقريب ميعاد نشره أم بعيد[١] .

وآخر ما يذكر في وجوه امتياز الكتاب ، وقد كان ينبغي أن يكون أول ما يذكر من ذلك - إذا كان هو الأَجَلَّ أبداً فيما يذكر من مظاهر الأصالة في عالم الكتب والكتّاب - أن قدراً غير قليل من مادته وقفٌ على مصنفه ، وأنك ما كنت لتقف عليه لولا أنه أفضى به ، وأثبته في كتابه ، وأَوْجَدَكَ السبيلَ إلى تَعَرُّفِهِ وتحصيله .

٢ـ العلامة الشطي :

ومصنف الكتاب سليل أحد البيوتات الدمشقية المعروفة . وقد تهيأ له - بسعة العلاقات الإنسانية والعلمية التي أتاحها له انتسابه إلى هذا البيت ، ثم بالوظائف التي كانت قد أسندت إليه - أن يُغْنِيَ كتابَهُ بما لعله كان صعباً على غيره ، أو متعذراً ، أن يقف عليه .

والمصنف هو نفسه ، وبالاعتبارات كلها ، أحد الرجال الذين أخذ نَفْسَهُ بأن يؤرخ لهم ، ممن كان في المئة الثالثة عشرة ، والربعين الأول والثاني من المئة التي تليها[٢] .

وفي تاريخ حياته من المغزى والفائدة نَحْوٌ مما اتفق لرجاله الذين ترجم لهم

---

(١) ولعلك لاتدري أموجود هو أصلاً أم لا .

(٢) لو أنه ، رحمه الله تعالى ، ارتفع شيئاً فترجم لرجال الربع الثالث من المائة الرابعة عشرة ، وهم معاصروه من لِداته ورُصَفَائه وأقرانه ، ممن طالت مخالطته لهم ، ووقف على غير قليل من خصائصهم ودقائق أحوالهم = لقد جاءت من ذلك إذن مادةٌ عَجَبٌ ، موفورةُ الغِنَى ، جمةُ المحاسن ، غاية في الإفادة والإمتاع .
وما نظنه رحمه الله تعالى كان يفعل ، للذي يَغْلِبُ على من كان في مثل سَمْتِهِ ونَحْوِهِ وطريقته من التَّوَقّي والاحتجاز : أن يَعْرِضَ للرجل من الأحياء بضرب من الصفة لعلها لا تقع منه موقعاً ، أو أن يجذبه إلى الغُلوّ في الثناء عليه هَوَى ، فيكون قد أَوْبَقَ نَفْسَه ، وغَرَّرَ بقارئه .

من ذلك . وعلى أنك تجد قَدْراً منه منثوراً في تضاعيف الكتاب ، حمل عليه ما يَعْرِضُ في الكتاب نفسه من دواعي التأليف وأسبابه .

وقد تهيأ للمؤلف من الخِلال مالم يكن له منه بُدٌّ في مثل مشروعه الذي انْتَدَبَ للنهوض به . وذلك أنه كان مطبوعاً على الأدب ، محبباً إليه فن التراجم منذ عَقَل ، منجذباً إلى مايلابس ذلك من معاني التاريخ[1] . وهو واضح الدلالة جداً على غريزته العلمية والفنية أن أول كتاب ألفه على الإطلاق كان كتاباً في التراجم ، وهو كتابه « الضياء الموفور في تراجم بني فرفور »[2] ، ألفه في

(١) يشبه أن تكون النزعتان التاريخية والرياضية ملمحاً ثابتاً في هذه الأسرة ، فإن الدكتور أحمد شوكت الشطي (١٩٠٠-١٩٧٩م) وهو أخو المصنف لأبيه=أحدُ أكابر من أرخوا للطب العربي في عصرنا هذا . عُنِيَ به دَهْرَه كُلَّه ، وصنف فيه التصانيف الحسان . اتصل كاتب هذه السطور فيما غَبرَ بآثاره ، في بعض ماكان يعالجه من هذا الشأن .
وأيضاً فإن غير واحد من أفراد الأسرة كانوا حُسَّاباً وفَرَضِيينَ ، مرجوعاً إليهم في مشكلات هذا الفن .

(٢) طُبِع الكتابُ بعد دهر طويل من تأليفه (ط : ١ : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) ، طبعه عميد الأسرة الفرفورية في عصره العلامة الشيخ محمد صالح الفرفور رحمه الله تعالى (١٣١٨هـ - ١٤٠٧هـ) (١٩٠١م - ١٩٨٦م) . وكان من عمله فيه أنه قدم له : فذكر ما كان من سبب تأليفه ، وترجم لمصنفه ، وتمّم تراجمه ، وكتب حواشيه المختصرة والمطولة مضمناً إياها أصناف الفوائد ، وجعل ذلك كله مادة كتاب سماه « الدر المنثور على الضياء الموفور » . ثم ذَيَّلَ عليه بكلمة في تحقيق تاريخ أسرة الشطي جيدةٍ نافعة ، استخرج بعض مادتها من دواوين التاريخ ، وبتراجم لبعض من عاصرهم من رجال هذه الأسرة ، ولاسيما ترجمة لِدَتِهِ ورفيقه في خَتْم القرآن الكريم الدكتور أحمد شوكت الشطي .
وأنت إذا اعتبرت غير قليل من مادة « الدر المنثور » وجدتها قطعاً من التاريخ أصولاً في بابها ، إذ كان المرجع فيها هو مدوّنها نفسه رحمه الله تعالى . ولولا أن الله شرح صدره لإثباتها لقد كنا عَدِمْنا إذن جانباً من تاريخنا القريب لاسبيل إلى استدراكه أبداً .
وانظر إن شئت في الصفحة (١٤) من « الدرّ المنثور » سبب تأليف « الضياء الموفور » فهو قطعة تاريخية بالغة الطرافة والجمال . ثم انظر في الصفحة (٤٦) من « الزاهر » للدكتور عبد اللطيف صالح الفرفور ما هو من تمام حديث الكتاب .
وآخر مايذكر هنا على سبيل الإشارة والإيماء ، مما يتعلق بأحوال من كتبنا هذه الصحائف من أجله ، أن دار آل الفرفور الكبرى ، قبل انتقالهم منها فيما بعد ، كانت قريبة من =

غضارة السن ورَيِّق الشباب حين كان له من العمر سبعة عشر عاماً ! أعانه على ذلك جِدٌّ صارم صارم عُرف به إلى آخر أيام حياته :

وما الحداثةُ من حِلْمٍ بمانعة قد يوجدُ الحِلْمُ في الشبانِ والشِيَبِ

وطَبَعَ أول ديوان جامعٍ لمنظوماته وهو في الثانية والعشرين[1]

وفي السنة التي تليها ، وحين كان في الثالثة والعشرين ، شرع في جمع مادة كتابه هذا ، ليكون من بعدُ من أبرز آثاره ، وأَعْوَدِها بالنفع على قراء العربية ودارسيها . عكف عليه دهراً طويلاً يجمع مادته من مظانها ، ويحررها ، ويؤلف بينها . وكان في نيته أن يجعله شاملاً لأعيان القرن كله ، على اختلاف مواطنهم وبلادهم ، لا في أعيان دمشق وحدها . فجمع لهذا الغرض قَدْراً هائلاً تجاوز به ماتهيأ لِسَلَفِهِ المرادي ، مؤرخ القرن الثاني عشر[2] واستوى تحت يده ما يزيد على ألف ترجمة . ثم بدا له ، فاقتصر من ذلك كله على أعيان مدينة دمشق من بلاد الشام خاصة جارياً في ذلك على مصطلح تقدمه إليه مؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن) (٤٩٩هـ - ٥٧١هـ) وذلك حين وسَّعَ من دائرة مصطلحه ليشمل به من كان من أهل دمشق أنفسهم ، أو أنه طرأ عليها ،

= دار آل الشطي ، وكانت في محلة « العمارة الجوانية » قريبة من « المدرسة البادرائية » و« حمام أسامة » ، المسمى الآن « حمام سامي » . (مكانه اليوم مطبعة قائمة في مبنى الحمام نفسه) .

وفي عصر الشطي ، وفيما قبل عصره ، كانت « محلة العمارة » هذه تسمى « محلة الأزهر » ، لكثرة من كان فيها من الأسر العلمية ، ولكثرة من أخرجت من أكابر العلماء . وقد تغير الرسم الآن ، وخلت الديار ، وما بقي ممن أشرنا إليهم في منازلهم كبير أحد .

(١) طَبَعَ القطعة الثانية من منظوماته سنة (١٣٢٩هـ) . وبقي مخطوطاً عنده ديوان شعره الأخير ، وتاريخه (١٣٤٠هـ) .

وقد كان رحمه الله تعالى حَفِيّاً بالشعر عُمُرَهُ كلَّه ، وإن كان بالقياس إليه أيسر فنونه ، يقبل عليه ، ويسائل أهله . وله في ذلك أخبار نرجو أن تستقل بها أو ببعضها ، ترجمة أخرى له مبسوطة مستوفاة .

(٢) كتابه مطبوع مشهور ، واسمه :« سلك الدرر في أعيان القرن الثالث عشر » .

أو دخلها مجتازاً بها ، أو توفي فيها[1] . فاتسعت بذلك دائرة الاختيار ، ودخل في المادة المنتخبة غيرُ قليل من أعيان القرن ، لم يكن حتماً أن تستقل بمواليدهم دمشقُ وحدها دون سائر البلاد .

وكان من سبيله رحمه الله تعالى في جمع مادة الكتاب ما كان به سابقاً متقدماً بالقياس إلى معاصريه . وذلك أنه عمد في ترجمة نفر ممن كان يريد أن يترجم لهم في كتابه إلى الثقات من ذوي قرباهم ، فاستكتبهم تراجمَ هؤلاء النفر ، وجعل ملخص ماكتبوه ، أو جعله هو نَفْسَهُ بحروفه في كتابه ، مَعْزّواً إلى من كتبه منهم ، مذكوراً معه الوجهُ الذي أثبته به : هل اختصره من كلام كاتبه ، أم أنه أثبته بكماله .

تجد هذا في ترجمته لأمين الجندي[2] ، وترجمته لعثمان مردم بك[3] وعلي مردم بك[4] فإنه عول في هذه التراجم الثلاث على العلامة اللغوي المؤرخ سليم الجندي (١٨٨٠ـ١٩٥٥) وعلى الشاعر الكبير ومؤرخ الأدب خليل مردم بك (١٨٩٥ـ١٩٥٩)[5] ، وكانا كلاهما من أركان النهضة اللغوية والأدبية الحديثة في سوريا خاصة وفي العالم العربي كله عامة ، وصار ثانيهما(خليل مردم بك) رئيساً للمجمع العلمي في دمشق[6] .

---

(١) بل إن هذا النحو في اجتباء المادة التاريخية متقدم حتى على ابن عساكر . ومن أشهر أمثلته « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي علي بن ثابت ، المتوفى سنة (٤٦٣هـ) .

(٢) ص : ٦٨ .

(٣) ص : ٣١٦ .

(٤) ص : ٣٢٦ .

(٥) لم يكونا عنده ، حين استكتبهما تراجم بعض رجال أسرتهما ، إلاّ سليم أفندي الجندي ، وخليل أفندي مردم بك !! وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على معرفته بأقدار الرجال ، وعلى صحة تمييزه لـ(مصادر) مادته .
هذا وإن مما يذكر في هذا المقام أن لخليل مردم بك نفسه كتاباً « في أعيان القرن الثالث عشر » مطبوعاً متداولاً .

(٦) خلف محمد كرد علي على رئاسة المجمع منذ وفاته سنة (١٩٥٣م) إلى أن توفي هو نفسه رحمه الله تعالى سنة (١٩٥٩م) .

لاجرم كان هذا من فعله رحمه الله تعالى وجهاً من وجوه الأصالة في كتابه : في المادة العلمية نفسها ، وفي أسلوب تقييدها على حد سواء[1] .

بل كان ربما أثبت ترجمة من يترجم له مكتوبة بقلم المترجَم نفسه ، كالذي صنعه في ترجمة محمود حمزة[2] .

ودون هذين وثاقةً ، في أسلوب التقييد لا في نفس المادة المقيدة ، أنه يستخبر الرجلَ عنده عِلْمٌ ممن يريد أن يترجم له ، قريباً أو غيره ، فيخبره ، فيكتب في كتابه ماأخبره به[3] .

٣ـ حِلْيَتُهُ ، وشيء من ملامح صورته الباطنة :

كان رحمه الله تعالى مرهوفَ البدن ، معتدلَ القامة ، إلى الطول أقرب . بَهِيَّ الطلعة ، مُنَوَّرَ الشيبة ، نبيلَ الملامح والقَسَمات ، يأخذ نظرَك منها ويملأ نفسَك مزيجٌ غريب من السماحة والمهابة . رَضِيُّ النفس ، فاض معنى الرضى على وجهه ، حتى لتلقاه وهو صامت فكأنما هو يَتَبَسَّمُ إليك . رقيقَ القلب ، صادقَ الحضور ، إذا صَعِدَ المنبر ليخطب غلبته معاني خطبته ، فترقرق الدمع في عينيه ، وبكى صوته ، وخشعت جوارحه . رفيقاً بمن يخاطبه ، وئيدَ النبرة وقُورَها ، سَمْتُهُ في ذلك سَمْتُ طبقته من سَرَوات أهل العلم . جاداً في أمره كله جِداً لامدخل للعبث فيه ، إذا رأى الرأيَ هو عنده صوابٌ لم يزحزحه عنه شيء ، ولم يخرج عنه لأحد ، إلا أن يُغْلَبَ عليه بصواب أكبر منه ، نزيه النفس إلى ذلك ، موضوعي الرأي ، يأخذ نَفْسَهُ وأهْلَهُ ومن قَرُبَ منه كما يأخذ غيرهم : بقانون واحد ، فلا يطمع قريب منه في أن يُحَطَّ في هواه ، كما لايخاف بعيدٌ عنه أن يَهتَضِمَهُ حَقَّه . كتب الخط الفارسيَّ الرهيفَ المتقن . ثم حين عَلَتْ سِنُّه ،

(١) من حسنات كتابه تخفُّفُهُ من كثير من سجع المتأخرين من كتّاب التراجم ، مما لاغَنَاءَ فيه ولا طائل وراءه ، فَخَفَّ لذلك محمله ، وكثرت فائدته .

(٢) ص : ٣١٨ .

(٣) من أمثلته تعويله في ترجمة الشيخ سعيد بن مصطفى البرهاني على حفيده وسميه رحمه الله تعالى . ص ٣٠٩ .

وضَعُفَتْ بعض الضعف يَدُه ، لم يَزِدْ ذلك خَطَّهُ إلا حسناً ، فجمع إلى الرهافة الفخامة والجلالة .

والخط مع الشعر مظهرُ الفن في نفسه الرقيقة المرهفة . ولو جمعت إلى ذلك أناقةَ ملبسه[1] وجمال شارته - مع ما تقدم من جليل خصاله - تصورت لك صورةُ أحد الأفراد من كَمَلَةِ الرجال .

٤ـ ذكرى الرجل :

كرَّمت الدولة المؤلف فسمت باسمه مدرسة[2] في الحي الذي كان يعيش فيه[3] ، وهذا فوق أن جادة في ذلك الحي تحمل اسم الأسرة منذ عشرات السنين .

٥ـ وتذكرةٌ بمن ذكره من المعاصرين :

كفى المؤلفُ رحمه الله تعالى من يجيء بعده من مصنف أو مؤرخ أو باحث مؤونةَ ترجمته ، فكتبها بنفسه ، وجعلها في أخر كتابه « روض البشر »[4] كما تقدمت الإشارة إليه .

ثم تعاقب على ترجمته والتنويه به نفر من فضلاء المعاصرين ، نذكر منهم الأستاذ المصنف المكثر عمر رضا كحالة رحمه الله تعالى في كتابه « معجم المؤلفين »[5] ، والدكتور عبد اللطيف صالح الفرفور في كتابه « علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري »[6] ، والأستاذين مطيع الحافظ ونزار أباظة في

---

(١) كان أكثر ألوان جِبَابه السواد ، وهذا في الحقبة الأخيرة من حياته على الأقل . ولعله لم يكن يلبس منها إلا ماكان بهذا اللون .

(٢) ثانوية جميل الشطي للبنين .

(٣) حي القيمرية .

(٤) ص : ٢٦٧ـ٢٦٩ ، من طبعته الأولى ، وص : ٣٠٣ـ٣٠٥ ، من طبعته الثانية ، وص : ٤٣٣ من طبعته هذه . .

(٥) ٩/ ١٦١ .

(٦) ٢٥٣ـ٢٥٥ .

كتابهما « تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر »[1] . وعلى أنك تجد في هذه المواضع الثلاثة إحالاتٍ إلى موادَّ أخرى ، هي من تمام العلم بالرجل بالقياس إلى الدارس المتسع المتتبع .

ولا تَعْدَمُ ، إلى ذلك ، أن تجد ذكراً له في آثار من كتب ذكرياته من معاصريه ، ممن عرفه عن كثب ، وجلا من ملامحه الإنسانية ما لعله لايوجد في مكان .

ومن طريف المفارقات فيما يتعلق بترجمته ، أنه ، وهو أحد البارزين ممن أخرجتهم دمشق من المصنفين « الأعلام » قد أَخَلَّ بترجمته معجم الزركلي « الأعلام » ! . وما ينبغي أن يكون هذا من الزركلي رحمه الله تعالى إلا ذهولاً لا إغفالاً ، إذ كان كتابنا هذا الذي بين يديك ، أو جزؤه الأول « روض البشر » من مراجعه في « أعلامه » ، وإذ كان قد ترجم لجدّي المؤلف « عبد السلام بن عبد الرحمن » و « حسن بن عمر » .

ولعل لتأخر وفاة الشطي (١٣٠٠هـ ـ ١٣٧٨هـ) (١٨٨٢م ـ ١٩٥٩م) بالقياس إلى طبعة « الأعلام » الثانية خاصة (١٩٥٩م) ـ أثراً في ذلك .

٦ـ هذه الطبعة :

تجد في جزءي هذا الكتاب بطبعته الراهنة مادتين مختلفتين وضعاً وأسلوباً :

١ـ تجد في الجزء الأول تراجم رجال القرن الثالث عشر[2] من الدمشقيين بالمعنى الذي سلف بيانه ، مرتبةً أسماؤهم على الحروف . ومادة هذا الجزء هي المادة التي استقل بها كتاب المصنف المطبوع في حياته (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) واسمه الذي سماه صاحبه به : « روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » .

(١) ٢/ ٧٠٤ .
(٢) (١٢٠١هـ ـ ١٣٠٠هـ)

٢ـ وتجد في الجزء الثاني منتخباً من تراجم رجال الربعين الأول والثاني من القرن الرابع عشر (١٣٠١هـ ـ ١٣٥٠هـ) ، إلا أن مادة تراجم رجال الربع الأول مفصلة ، ومادة تراجم رجال الربع الثاني مجملة ، اجتُزِىءَ فيها بذكر اسم المترجَم ، وذكر الوصف الغالب عليه في حياته من علم أو عمل ، وذكر سنة وفاته . وتراجم رجال هذين الربعين جميعاً مرتبة على سِنِي وَفَياتِ المترجَمين لا على أسمائهم مرتبةً على الحروف . يُذكر في كل سنة من توفي فيها من الأعيان ، ابتداء من السنة الأولى من هذا القرن (١٣٠١هـ) إلى السنة الخمسين منه (١٣٥٠هـ) .

ومادة هذا الجزء الثاني ضمت إلى الكتاب الأصلِ (روض البشر) وطبعت بعد وفاة مؤلفه ، وهي الطبعة الثانية منه ، الصادرة في سنة (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م[1]) .

---

(١) جرينا في كتابة هذا الموضع على مايقتضيه ظاهر الحال ، وعلى مايقتضيه إخراج الكتاب في طبعته الثانية مُخرَجَ الكتاب الواحد ، الموضوع وضعاً واحداً . إذ كان خالياً بالمرة من أية إشارة إلى ماتُصُرِّفَ فيه : بالتفويض والنص ، أو بالاجتهاد . وذلك بإلغاء عنواني الكتابين ، وإدراجهما جميعاً في عنوان واحد مُحدَث ، ودون أي بيان ، مجمل أو مفصل ، بحقيقة ماتم من ذلك .
فأنت إذا رجعت إلى خاتمة الجزء الثاني وجدت فيه ذكراً صريحاً لتاريخ طبعه ، كتبه المؤلف نفسه ، شبيهاً ذلك منه بما فعله في خاتمة الجزء الأول ، بين التاريخين سنة أو نحوها (١٣٦٦هـ ، و : ١٣٦٧هـ) . ثم زاد فسمّى من عاونه في طبع هذا الجزء . وهذا يعني أننا بإزاء كتابين اثنين مطبوعين ، كل منهما تأليف على حياله .
يَعْضُدُ هذا ويُقوّيه ، وهو نص فيما نجلوه من أمر الكتاب ، ماقاله الأستاذ الشيخ العلامة محمد بهجة البيطار رحمه الله تعالى ، في تقديمه للطبعة الثانية منه ، نسوقه بحروفه : « أكتب هذه الكلمة الآن وأمامي مؤَلَّفان في تاريخ رجال دمشق ، أولهما « روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » ، والثاني : « تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري » (١٣٠١ـ١٣٥٠) ، وهو ذيل « روض البشر » ، وكلاهما من تآليف الأستاذ الجليل محمد جميل الشطي. . . » .
فهذا - كما تراه - واضح النص ، قاطع الدلالة على أن أصل هذا المطبوع الثاني كتابان اثنان مستقلان وضعاً وتاريخاً وعنواناً . وقد استبهم هذا من أمرهما ، حين جعلا كتاباً =

وقد كان من غرض المؤلف رحمه الله تعالى أن يترجم لرجال الربع الثاني من القرن الرابع عشر تراجم مفصلة مبسوطة مشروحة ، وأن يكون صنيعه فيها كصنيعه فيما تقدمها ، إن لم يتجاوزه ويُرْبِ عليه ، وينبغي أن يكون جمهور مادة هذه التراجم في حكم الحاضر عنده ، من قِبَلِ أنه كان معاصراً لأصحابها أو لمن عاصروهم ، إلا أنه - لسبب لا نعرفه[1] - لم يفعل ذلك ، وعدل عنه إلى هذا الثَبَتِ الموجز المقتضب . ولو أنه رحمه الله تعالى استرسل إلى قلمه في هذه القطعة خاصة من تاريخه لقد كان ذلك إذن - بالقياس إلى الباحث والمؤرخ - مصدراً غاية في الغنى والفائدة[2] .

وبعد ، فقد كان من المرجو لهذه الطبعة من الكتاب[3] وهو لاحقٌ بآثار المتقدمين ، مُندرِجٌ فيها أن يشتمل من وجوه الخدمة الصادقة على ماتشتمل عليه تلك الآثار ، التي يتولى إخراجَها الأثباتُ من المشتغلين في زماننا هذا ، مما يُمكِّنُ للنص نفسه ويُوَثِّقُهُ مرة ، ثم يُقَرِّبُهُ - بوجوه الشرح والتعليق - من طائفة من

= واحداً ، يحمل عنواناً واحداً ، وتطرد صفحاته كلها برقم متسلسل واحد .
ولولا احتفاظ الطبعة الثانية بالتاريخين اللذين أشرنا إليهما آنفاً ، لم يكن إلى حَزْرِ ما نجلوه الآن من سبيل ، ولكان مربكاً للغاية- بالقياس إلى القارئ العام - أن يخرج من مادة الطبعة الثانية : عنواناً ومقدماتٍ وخواتيم ، بشيء واحد متصل ، له مبتدأ ونسق وغاية .
وقد أعضل بنا الساعةَ أن ننفذ إلى ماوراءَ هذا الأمر بصورته الراهنة ، وأن نخرجَ من غُمَّة التَظنُّنِ إلى مُنْبَلَجِ اليقين ، على الرغم مما بذلناه في سبيله ، وعلى الرغم من التماسنا إياه من طرقه ومظانّه . وللأمور مقادير ، ولكل شيء إبّان ، وقد ينكشف لك بغتة - وبلا قصد منك - ماكنت ترى أنه ليس إلى كشفه من سبيل .

(١) ولم يعرفه أيضاً من سألناهم ممن هم مَظِنَّةُ معرفته .

(٢) بعض من أجمل تراجمهم من لانشك لحظة في وفور موادها عنده ، بدلالة ماجاء في هذه التراجم المجملة نفسها . فإن منهم من هو من أهله وأسرته ، وهو أولى الناس بترجمته ، كالشيخ عمر الشطي . ومنهم من تهيأ له الوقوف على ترجمته في كتاب مفرد كالشيخ طاهر الجزائري . ومنهم من دل وصفه له على تحققه بمعرفته كالشيخ عبد الحكيم الأفغاني .

(٣) الطبعة الثالثة .

قرائه من المعاصرين مرة أخرى ، لولا ما هو معروف مألوف في الأحوال الإنسانية المعتادة ، من حيلولة ظروف العمل ، دون كثير من الأمل .

وعلى أنه تهيأ له في طبعته هذه ، من أسباب الضبط والتحقيق ، مافارق به طبعتيه الأُوْلَيَين مفارقةً ظاهرة ، تولى ذلك منه - بصمت - نفر من خيار المشتغلين بالتراث ، المتحققين بغير قليل من علومه وفنونه ، وهم **الأستاذ مأمون الصاغَرْجي ، والأستاذ عدنان عبد ربه ، والأستاذ محمد أديب الجادر** . جزاهم الله كل خير ، وأحسن إليهم كِفاءَ ما أنفقوه من الوقت والجهد في الضبط والمراجعة والتصحيح .

وههنا ، أخيراً ، شيء لابأس في بيانه ، وهو أنه وقع في بعض أشعار الكتاب مالا يستقيم على أساليب العربية ، ومالا يصح لك معناه إلا بتأوّل كثير ، تتجاوز به اللفظ إلى ماوراء اللفظ ، مما عسى أن يكون من غرض القائل حين قال ، تستعين عليه بالزَّكَن والخبرة والسياق جميعاً .

وإنما ذلك للذي غلب على المتأخرين ، أو على طوائف منهم ، من ضعف الأساليب ، ضعفاً كادت تلامس به العامية ، لولا أن هذه ملحونةٌ ، وتلك مُعْرَبة . وهذا فوق أن غير قليل مَن أشعار الكتاب قالها علماء أو أشباه علماء ، لا شعراءُ صناعتهم الشعر ، ومبالغ قُدَرِهم إتقانُهُ والتحققُ بوسائله وأدواته .

فما وقع في الكتاب من هذا الباب خاصة من شيء فهذا وجهه . وعلى أنه ليس بممتنع ، لاعقلاً ، ولا واقعاً وحساً ، أن تغلب المادةُ من يقوم عليها ، حتى لَيَعْزُبُ عنه ويَذْهَبُ عليه مالا يكاد يخفى على أحد ، تحقيقاً لمعنى البشرية ، وتوكيداً للظاهر القاهر من ضعف الجِبِلَّةِ الإنسانية .

وقد كان من صنيع من قاموا على الكتاب حفظهم الله ، فوق ما وفَّروه على متنه مما أشرت إليه آنفاً ، أن ضموا إليه مستدركاً :

١ـ فيه أقباس من الحواشي ، كان من حقها أن تكون في مواضعها من ذيل كل صفحة ، مع متن الكتاب نفسه ، لولا أن ظروف الطبع حالت دون ذلك .

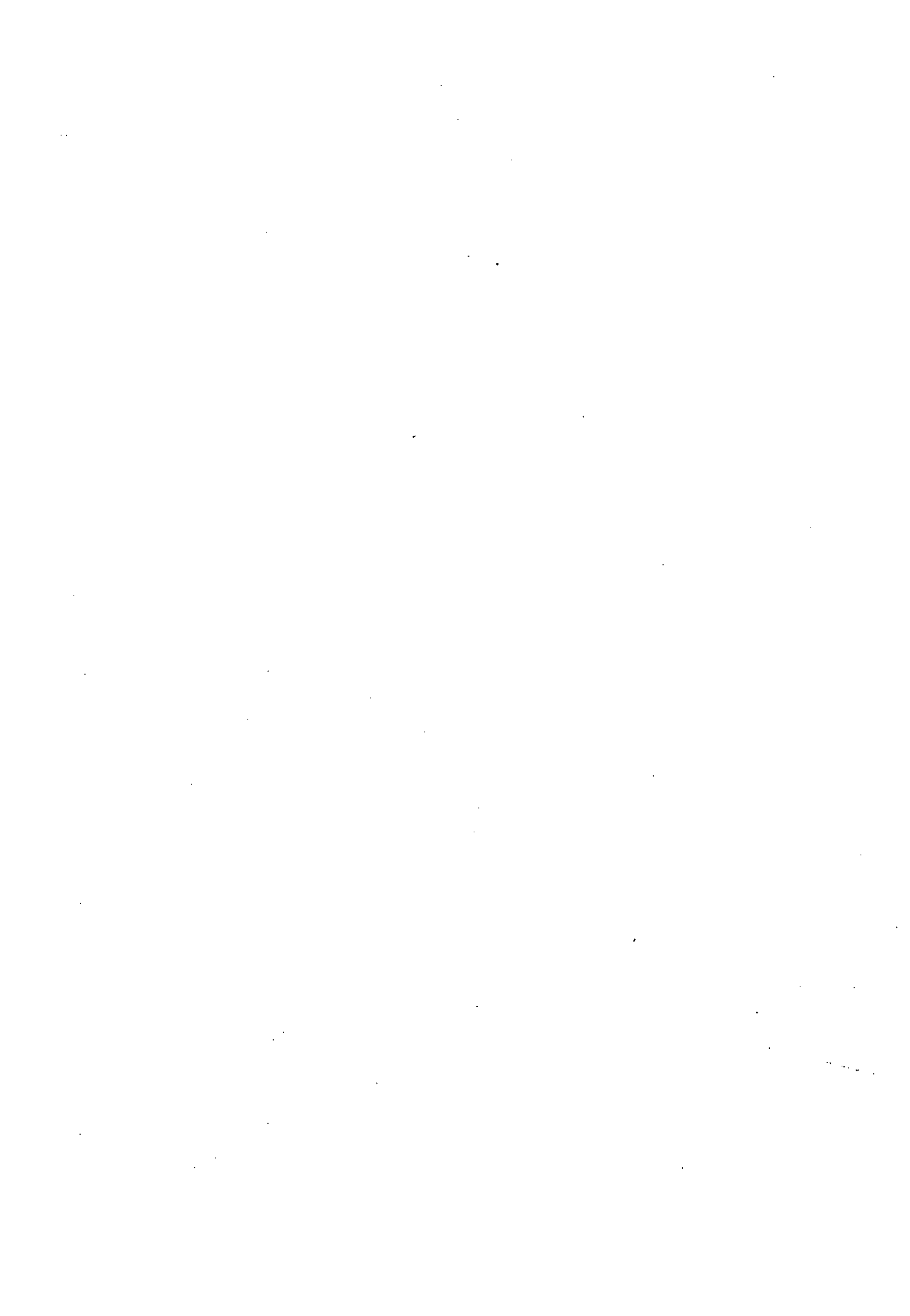
٢ـ وفيه أيضاً إشارات إلى أشياء مما وقع في الشعر ، مما لايتهيأ إصلاحه إلا بتغييره ، على حين أنه لايملك مسؤول عن إخراج نصٍ أن يفعل ذلك أبداً .

٣ـ وفيه فهرس جامع لأسماء الأعلام المترجَمين في جُزْءَي الكتاب ، تقريباً لمادة الكتاب من طالبها ، من قارىء عام أو باحث مشتغل .

ولقد كان من الأمنيَّةِ أن يكون للكتاب فهرس جامع لأصناف فوائده ، يلتمس طالبُها طريقَها منه ، فلا يُعْنِتُهُ ذلك ولا يَشُقُّ عليه . وعسى أن يكون ذلك في طبعة تالية للكتاب .

دمشق : ٢ صفر الخير ١٤١٣هـ
٢١ تموز ١٩٩٣م

كتبه عز الدين البدوي النجار



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيم

التقديم

بقلم الأستاذ الشيخ محمد بهجت البيطار

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصَّمَد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفُواً أحد ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، مَنْ أُرسل رحمةً للعالمين ، سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ، ومنْ تبِعَه في هديه وإحسانه وإصلاحه إلى يوم الدِّين .

وبعد فإنَّ من حكمته تعالى ورحمته أن خلق العالَمَ من عهد أبوينا آدم وحوّاء ، وجعلهم ذكوراً وإناثاً ، وقدَّر بينهم التوالد والتناسل ، إلى أن يحينَ زمَنُ الانتهاء ، والمثول أمام ربِّ الأرض والسماء ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذينَ أساؤوا بما عَمِلوا ، ويَجْزيَ الذين أحسَنوا بالحُسْنى ﴾ [النجم :٣١] ، وقال سبحانه : ﴿ يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى ، وجَعَلْناكم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفوا ، إنَّ أكْرَمَكم عِنْدَ الله أتْقاكُم ، إنَّ الله عَليمٌ خَبير ﴾ [الحجرات :١٣] ، لم يقلْ تعالى أغناكم ولا أقواكم ، فعُلم من الآية الكريمة أن الأكرمَ عند ربه هو الأتقى والأنقى .

روى ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ خطب الناسَ يوم فتح مكة وهو على راحلته ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « أيها الناس ، إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[1] الجاهلية وتعظُّمها بآبائها ، فالناسُ

---

(١) بضم العين وكسرها وتشديد الباء : الكبر والفخر والنخوة.

رجلان : رجلٌ بَرٌّ تقيٌّ كريم على الله ، ورجلٌ فاجرٌ شقيٌّ هَيِّنٌ على الله تعالى ، إنَّ الله عز وجل يقول ﴿ يا أيُّها الناس إنّا خلَقْناكُم من ذكرٍ وأُنثى ، وجعَلْناكم شُعوباً وقبائلَ لتَعارَفوا ، إنَّ أكْرَمَكُمْ عند الله أتْقاكُم ﴾ - ثم قال - أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم. » وختام الآية الكريمة : ﴿ إنَّ الله عليمٌ خبير ﴾ أي عليمٌ بكم وبأعمالكم ، خبيرٌ بباطنِ أحوالكم ، فاجعلوا التقوى زادَكم ، لَدَى معادِكم.

أكتب هذه الكلمة الآن وأمامي مؤلَّفان في تاريخ رجال دمشق ، أولهما « روض البشَر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » ، ١٢٠١ - ١٣٠٠هـ ، والثاني « تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري » ١٣٠١ - ١٣٥٠هـ ، وهو ذيل « روض البشر » وكلاهما من تآليف الأستاذ الجليل **الشيخ محمد جميل الشطي** مُفتي الحنابلة بدمشق رحمه الله تعالى ، مع الإمامةِ في الجامع الأموي ، والخطبةِ في المدرسة البادرائيَّة القريبة من الجامع الأموي. وقد بلغ عددُ التراجم في الجزء الأول (٢٦٤) ترجمة ، وعددُ صفحاته (٢٧٠) صفحة ، مرتَّباً الأسماء على حروف الهجاء ، وقد بدأها بترجمة الشيخ إبراهيم البيطار ، وهو جَدُّ الشيخ عبد الرزاق البيطار جَدِّي لوالدتي ، وشقيق جَدِّي لوالدي الشيخ عبد الغني ، وآخرُ ترجمة فيه للشيخ يوسف التغلبي المتوفى سنة ١٢٩٥هـ ، وقد انتهى من تبييضه سنة ١٣٦٤هـ وسنة ١٩٤٥م. وتسهيلاً على القارئ جَعَل في أوله فهرسين للتراجم ، أولهما باعتبار الوفاة ، والثاني باعتبار الأسماء .

ومن مزاياه في الفهرس أن يذكر بعد اسم المترجم وسنة الوفاة ، ميزته عن غيره فيقول : فقيه . مرشد . معتقد . عالم . عالم كبير . والي . طبيب . قاضي الشام . مفتي الشام . شيخ قراء . محدث كبير . شيخ الشام . فقيه الشام . محدث . نقيب . فاتح . مفتي . أمين فتوى . إمام . خطيب . مرشد كبير . مؤرخ . فلكي . عالم شاعر . أديب شاعر . نقشبندي . مولوي . صوفي . مجذوب . خطاط . رئيس مؤذنين .

وقد ختم الجزءَ الأول بذكر المواد التي جمع منها كتابه عدا ما حرره بقلمه

أو نقله عن ذويه ، والمواد هي : أسماء التواريخ التي استمد منها ، أو نقل عنها ، ومنها : « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » ، والثلث الأول من القرن الرابع عشر للأستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار ، وقد تفضَّل الصديق المؤلف الشيخ محمد جميل فقال : « هذا ولا بدَّ لنا الآن ، من تقديم واجبِ الشكر والامتنان لفضيلة الأخ الكريم ، .. محمد بهجة البيطار ، فقد أباح لنا- حفِظَه الله - مطالعةَ تاريخ جَدِّه المنوَّه به ، جزءاً بعد جزء ، وهو لم يزل مخطوطاً محفوظاً في مكتبته » ، أقول إنَّ هذا التقديم لـ « حلية البشر » وإيقافي لصديقنا المؤرخ على أجزائه الثلاثة هو من باب الأخوَّة الصادقة ، والتعاون على البرِّ والتقوى .

وإنَّ تـراجـمَ أعيـانِ دمشـق في نصـف القـرن الـرابـع عشر الهجـري ١٣٠١ - ١٣٥٠هـ ، وهو ذيلٌ للجزء الأول من « رَوْضِ البشَر » عددُ تراجمه في الربع الأول (١١٥) وعدد موجز التراجم في الربع الثاني (١٥٣) . ولتسهيل المطالعة والمراجعة جعل المؤلف ، رحمه الله ، له في أوله فهرسين للمترجَمين ، فالأول باعتبار الوفاة ، والثاني باعتبار الأسماء ، فأما الربع الأول المشتمل على (١١٥) مترجماً ، فتراجمهم موجودة فيه. وأما الربع الثاني الذي يحوي على (١٥٣) اسماً ، فقد اكتفى فيه بذكر أسمائهم وسِنيِّ وفاتهم ، وكلمات معدودة من أحوالهم كما جاء في مقدمته رحمه الله تعالى . وقد استغرقت صفحات الربع الأول (١٤٦) صفحة ، وأما صفحات الربع الثاني فلم تَزِدْ على ست صفحات ونصف صفحة ، وفي آخر الكتاب ، وهاك صورة من أولهم (سنة ١٣٢٦) .

الشيخ عبد الحكيم الأفغاني : عالم محقق وزاهد من الطراز الأول .

الشيخ سعيد الحبال : عابد . معتَقد . بلغ المئة .

مراد أفندي القوتلي : عضو إدارة . حَسَن السيرة .

وهكذا إلى آخر هذه التراجم .

والظاهر أن وقته لم يَتَّسِع لإيضاح تراجمهم ، فاكتفى بذكرِ أشهر ما وُصف به كلُّ واحدٍ منهم .

هذا وإني أختم هذه المقدمة التي أحبَّ نجلُ المؤلف الفاضل أن أقدم بها هذا التاريخ الجليل لوالده العلاّمة الأستاذ الشيخ محمد جميل تغمَّده المولى برحمته وجمعنا جميعاً في دار كرامته ، بمنّه تعالى وكرمه . ولي كلمتان لا تخرجان عن الموضوع :

(١) أما « حلية البشر » الذي نوّه به المؤلف في « روض البشر » فقد تفضل بطبعه مجمعُنا العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) وبعد ذكر اسم الكتاب ومؤلِّفه كَتَب : حققه ونسَّقه وعلق عليه حفيده (أي حفيد الشيخ عبد الرزاق) محمد بهجة البيطار ، وقد طبع في ثلاثة أجزاء بلغت (١٦٩١)صفحة .

(٢) في ترجمة الأستاذ المؤلف الشطي التي كتبها بقلمه (ص ٢٦٧) من تاريخه « روض البشر » وحضرتُ دروس الأستاذ صاحب التآليف الشيخ جمال الدين القاسمي ، وغيره من علماء دمشق . قلت : إن محمد جميل ، هو أخونا في الطلب والتحصيل على أستاذنا الجمال القاسمي ، وكان معنا الشيخ حامد التقي رحمه الله تعالى وغيره من الإخوان ، وهذه شذيرة من حياة شيخنا القاسمي علقتُها على ترجمته في تاريخ جَدّي « حلية البشر »[1] وهي تدعو إلى المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل : كان علامة الشام القاسمي- تغمَّده المولى برحمته ورضوانه - يُجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ومدوَّنات السُّنَّة وشروحها ، ومؤلفات أصول الدين ، وأمَّهات الفقه وأصوله ، ومطوَّلات التاريخ والأدب ، وكتب المقالات والنِّحل ، وقد كان يُمعن النظر في هذه العلوم والفنون ، ويستخرج منها حقائقَ يبذلُ لها من نفيس وقته ، وقوَّة عقله وقلبه ما يشهد له به كلُّ من وقف على مصنفاته ورسائله التي كانت تتهاداها المجلات الكبرى في مصر والشام ولبنان ، كالمنار والمقتَبس والعرفان ، فكان ينشرها على صفحاتها إيماناً واحتساباً . وكنتُ قلت في مقدمتي لكتابه « قواعد التحديث » الذي أُعيدَ طبعُه : إنَّ مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالى هو كونه خلف أكثر من مئة مصنَّف ولم يبلغ الخمسين من عمره ، وندر جِداً أن ترى كتاباً مخطوطاً أو

---

(١) ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

مطبوعاً في خزانته الواسعة خالياً من التعليقات الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة ، فلو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا ، ومن نفاسة تآليفه فوق ما شاهدنا ، وإنما كتبنا هذا شحذاً للهمم والعزائم في طلب العلم ، والله هو الموفق والمعين .

دمشق : **محمد بهجت البيطار**

٥/ ٦/ ١٣٩٢هـ

١٦/ ٧/ ١٩٧٢م

★ ★ ★

بسم الله الرحمٰن الرحيم

نحمدك يا من أبدع هذا الإنسان ، وحلّاهُ بحلية البيان ، وميَّزهُ بأنواع المعارف ، وزيَّنهُ بصنوف المجد التالد والطارف ، ونصلّي ونسلّم على نبيِّك المصطفى ، ورسولك المرتضى الذي جمع المفاخر ، وفاق الأوائل والأواخر ، وعلى آله أولي المراتب العليَّة ، وأصحابه ذوي المناقب الجلية ، ما لَمَع بارق ، وسطَعَ شارق.

أما بعد: فيقول أفقر الطلاب ، وأحقر الكتَّاب ، **محمد جميل ابن العالم الفاضل عمر أفندي ابن العلامة الشيخ محمد أفندي ، ابن العلامة الكبير الشيخ حسن الشطِّي الحنبلي الدمشقي** : لايخفى أنَّ علم التاريخ معوَّل بين المِلل والنِّحل عليه ، ومندوبٌ في القديم والحديث إليه ، وأنَّ مشارب المؤرِّخين مختلفة ، ومقاصد الناس شتى ، وقد سبقَنا المؤرخون الدمشقيُّون إلى تلك القرون الخالية ، والأمم الماضية ، فترجموا مَنْ كان من الأعيان ، ذوي المزايا الحسان ، حفظاً لتلك الأحساب الزاهرة ، والأنساب الطاهرة ، والمنظومات الرقيقة والمنشورات الدقيقة ، والآثار الفائقة ، والأخبار الرائقة ، كـ « الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة »، لشيخ الإسلام نجم الدين الغزِّي ، و« خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للعلامة السيد محمد أمين المحبي ، و« سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثاني عشر » للمولى الفاضل خليل أفندي المرادي مفتي دمشق الشام. فحَمَلَتْني الغيرة الوطنية ، ودعتني الحميَّة الإنسانية ، إلى جمع تاريخ يُضاهي تواريخ هؤلاء في أعيان القرن الثالث عشر ، فإنَّ لكلِّ زمانٍ رجالاً ، ولكلِّ مقامٍ مقالاً.

وقد شرعتُ منذ سنة ١٣٢٣ بجمع ما تيسَّر من تراجم أُولئك الأعيان ، ناسجاً على منوال من تقدَّمَ ذكرُهم بقدر الإمكان ، معتمداً في ذلك على النقول الصريحة والأقوال الصحيحة ، ثم بيَّضْتُ ما جمعتُه وقتئذ في مجموعٍ يضمُّ بين دفتيه

نحو ثلاثمائة ترجمة لمشاهير العلماء والأدباء والأمراء والوجهاء ، وفيهم كثيرٌ من أعيان دمشق ومصر ونابلس وحمص ، وقليل من رجال اليمن والحجاز والعراق وحلب وحماه وطرابلس . ثم إني أعلنت سنة ١٣٦٠ عزمي على إتمام هذا المشروع العظيم فتيسَّر لي والحمد لله الاطلاعُ على مخطوطات لم أطلع عليها قبلاً ، ومطبوعات أخيرة كثيرة أتممت بها ما فاتني من تراجم رجال الأقطارِ المذكورة ، فاجتمع لديَّ ما يزيد على ألف ترجمة مما أناف على تاريخ السيد المرادي . ولقد عاقني عن تبييض ما سوَّدتُه ونشر ما طويتُه ضيقُ الوقت وصعوبةُ العمل . فرأيتُ أن أقتدي بمن اقتصر من رجالِ قرنه على أعيان قطرِه ، كمؤرِّخي اليمن والعراق ومصر وحلب. فاقتصرت من هذا التيه الواسع على أعيانِ مدينتنا دمشق ومن دخلها من حُكّام وغيرهم . ومن المؤسف أنه تعسَّر علي الوصولُ إلى تراجم كافية لبعضِ أعيانِ مدينتنا المذكورة ، ممن اشتهر ذكرُهم وخفي حالُهم . حتى على بنيهم وذويهم مما حملني على الاكتفاء بما عندي . فأرجو عن إثبات تراجمهم وإكمالها عذراً كريماً . على أني متى ظفرت بتلك التراجم مكمَّلةً أُلحقها بسائر التراجم التي أهملتُها الآن ، حتى إذا يسَّر الله الأسباب جمعتُ الجميع في سفرٍ كبير يَصِحُّ أن يُسَمّى تاريخ القرن الثالث عشر إن شاء الله تعالى . أما هذا المجموع فالأحرى أن يُسَمّى « **روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر** » وأرجو أن لا أكون من المتزلِّفين بالإطراء والمدح ، ولا من المتهوِّرين بالطعن والقدح ، على أني في الأكثر مختصِر أو ناقل ، فالعهدة في ذلك على القائل.

هذا والله المسؤول أن يجعلَهُ أثراً مبروراً وسعياً مشكوراً ، وهو ولي التوفيق والهداية ، وبه العون في البداية والنهاية.

في ١٨/ صفر سنة ١٣٦٣هـ

المؤلف

حرف الألف

الشيخ إبراهيم البيطار

ترجَمَهُ حفيده العلامة الشيخ عبد الرَّزاق البيطار في تاريخه ، قال ما خلاصته : هو إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي الشافعي ، كان عالماً فاضلاً تقيّاً صالحاً عزيزَ النفس ، عاليَ الهِمَّة ، سديدَ الرأي ، حسنَ العشرة . لازَمَ العلامة الشيخ الكُزْبري الملازمة التامة . وكان مشتغلاً بالتجارة ، وله ثروة كبيرة ، فنكبه الجزَّارُ أيام ولايته على الشام حتى تأخَّر حاله .

ولد في منتصف رجب سنة ١١٥١ ، وتوفي في غرة ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ، رحمه الله .

الشيخ إبراهيم الخلاصي

قال العلامة البيطار في تاريخه ما خلاصته : إبراهيم بن محمد درويش الشهير بالخلاصي الحلبي الأصل الدمشقي المنشأ والموطن ، الطبيب النجيب ، انتهت إليه رياسة الطب في عصره ، وكان الخاصُّ والعامُّ معترفاً بعلمه وقدره ، قد انفرد بمعرفة الداء من النَّبْض والقارورة ، وللناس عنه حكايات معروفة مشهورة ، وله مشاركة في بعض العلوم ، وشعرٌ في سلك اللطافة منظوم .

توفي في اليوم السادس من شوال سنة خمس وخمسين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من مقام السيدة سَكينة ، رحمه الله تعالى .

الشيخ إبراهيم الدمشقي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : هو أبو إسحاق برهان الدين القطب الشهير ، والفرد الذي أطبق على ولايته الجمُّ الغفير ، صاحب الكشف

والكرامات والإخبار عن المغيبات[١] ، مناقبه ظاهرة وواقعاته باهرة ، وكان عفيفاً زاهداً ، صالحاً عابداً .

مات رحمه الله بعد سنة مئتين وألف ، ودفن بالمغارة المعروفة به في سفح جبل قاسيون من صالحية دمشق وقبره يزار ويُتَبَرَّك به ويقال: إنَّ الدعاء عند قبره مستجاب ، وهو مُعتَقَدٌ عند أهل دمشق ، ومحلُّه في غاية الحسن والنُّزهة ، قدَّس الله سرَّه .

الشيخ إبراهيم الرحيباني

قال الأستاذ البيطار في تاريخه : هو إبراهيم بن مصطفى أبو الصلاح الرُّحَيباني ، ثم الحَرّاني ، ثم الدمشقي ، الشافعي ، الخطيب ، والإمام ، والمدرس بجامع الدقاق في ميدان الحَصَى بدمشق . ولد سنة ١١٤٠ وبعد أن بلغ رُشْدَه ، وملك أشُدَّه ، قرأ في دمشق الشام على بعض العلماء العظام ، ثم تشوَّفَتْ نفسه إلى الانقطاع ، ليتمَّ له الانتفاع ، فسافر إلى الديار المصرية ، وجاور في بقعتها الأزهرية ، وقرأ هناك على السادة الكرام ، وأخذ عن العلماء الأعلام ، فأجازوه بجميع ما تجوز لهم روايته ، وتُنسب إليهم درايته ، منهم الشيخ أحمد ابن عبد الفتاح المَلَوِي ، والشيخ محمد بن سالم الحفني ، والشيخ عبد الله بن إبراهيم الشرقاوي ، والشيخ محمد الصبَّان ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ سليمان الجَمَل ، والشيخ سليمان البُجَيرَمي ، والشيخ أحمد العروسي ، والشيخ نُعيلب الفشني ، والشيخ علي الصَّعِيدي . ومن شيوخه بدمشق الشيخ أحمد العطَّار ، والشيخ محمد الكزبري ، والشيخ حسين الميداني ، والشيخ محمد المواهبي الحنبلي ، والشيخ محمد الكاملي ، والشيخ عثمان الشمعة ، وغيرهم من العلماء العاملين ، والفضلاء الكاملين . وقد كان المترجَم من أهل العزلة والانفراد عن الناس متقشِّفاً متعبِّداً ، وفي آخر عمره غلب عليه الجذب .

---

(١) هذا لا يتأتى أن يكون لنبي إلا إذا أطلعه الله عليه فكيف يتم ذلك لغيره؟! ، ثم إن قوله في الترجمة: « وقبره يزار ويتبرك به . . » هو من البدع المستنكرة المستهجنة.

وكانت وفاته يوم الجمعة السادس عشر من شوال سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف ودفن في مقبرة باب الله ، قرب قبر الشيخ تقي الدين الحِصْني ، رحمهما الله تعالى .

الشيخ إبراهيم السعدي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه ، قال ما خلاصته : هو إبراهيم بن مصطفى ابن إبراهيم السَّعدي الميداني ابن السيد برهان الدين ابن السيد مصطفى ابن السيد سعدالدين الأصغر ابن السيد حسين ابن السيد حسن ابن السيد محمد ابن السيد أبي بكر ابن السيد علي الأكحل ابن السيد سعد الدين الجباوي قدَّس الله سرَّه .

ولد المترجَم في دمشق سنة ١٢١٧ ونشأ في حِجْرِ والده وتعلم القرآن العزيز ثم اجتهد في طلب العلوم على الأستاذ الشيخ حسن البيطار حتى صار له ملكة تامة ، ثم إنه أخذ الطريق عن والده ، ولم يزل يجتهد في السلوك والطاعة إلى أن توفي والده المذكور ، فآلَتْ إليه مشيخةُ السَّجَّادة السعديَّة ، فرفع منارها وأقام أذكارها . قال: وقد اتصلتُ بابنة المترجَم ورزقني الله منها ولدي الشيخ سعدي .

ولم يزل صاحب الترجمة على حالته المرضيَّة حتى تُوفي فجأة في أواخر رجب سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف ، ودُفن بمدفن السادة السعدية في تربة باب الله .

إبراهيم أفندي العِمادي

قال الأستاذ البيطار : هو إبراهيم بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي ، أحدُ الأعيان الأفاضل . تولى إمامة الحنفية مع الخطبة في جامع بني أمية . وكان عابداً زاهداً عفيفاً لطيفاً . توفي نهارَ الأحد الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

الشيخ إبراهيم الكفيري

ذكره العم مراد أفندي في مسوَّدَة طبقات الحنابلة قال : هو إبراهيم بن عبد الله الكفيري الحنبلي الدمشقي العالم الفاضل الأوحد الفقيه الفَرَضي . تفقَّه على الشيخ مصطفى السُّيوطي ، والشيخ غنَّام النَّجْدي ، وقرأ على غيرهما ، وكان يحفظ « المنتهى » عن ظهر قلبه ويقرِّره للطلبة مع شرحه ، بحيث كانتِ الطلبةُ تصحِّح نسخَ « المنتهى » من حفظه . وكان صالحاً تقياً ناسكاً زاهداً ملازماً بيته بمحَلَّة القَيْمَرِيَّة . وكان العلامة الجد يُعَظِّمه ، وإذا جاءه بعضُ الطلبة لقراءة الفقه أرسله إليه ، ولم ينتصب لإقراء الفقه إلا بعد وفاته .

وقد توفي عام ثلاثة وستين ومئتين وألف تقريباً ، ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان ، رحمه الله تعالى . وممن أخذ عنه الشيخ محمد خطيب دوما ، والشيخ أحمد القدومي ، وولده الشيخ صالح الكفيري الآتية ترجمته في حرفه ، انتهى .

قلت : وقد ترجمه العلامةُ البيطار في تاريخه بنحو ما ذُكر أعلاه .

الشيخ إبراهيم النابلسي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : هو إبراهيم بن إسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي عالم زمانه وجِهْبِذُ أوانه . ولد في شهر رجب سنة ١١٣٨ ، ونشأ في حجْر والده ، وكان ورعاً زاهداً متقشِّفاً عابداً .

توفي في شعبان سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة أسلافه ، رحمه الله تعالى .

الشيخ إبراهيم النَّجْدي

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي مفتي الشافعية بدمشق في « ذيل طبقات العلامة العليمي » وهو الذي وضَعْنا عليه ذيلاً وطبعَناه بدمشق سنة ١٣٣٩ ، قال : هو إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن أبي يوسف

النَّجْديّ الأصل والشهرة ، الأُشَيْقريّ نزيلُ دمشق . الشيخ الفاضل الفقيه الفَرَضي اللبيب المُحَصِّل ، بقيَّةُ السَّلَف الصالح ، أبو إسحاق برهان الدين ، ولد في بلدة أُشيقر - بالتصغير - في منتصف جمادى الآخرة سنة ١١٤٦ ، وقرأ القرآن الكريم على الشمس محمد بن أحمد بن سيف ، وأحمد بن سليمان النجديَّيْن ، وأخذ في طلب العلم ، فقرأ في مبادئ الفقه كـ« دليل الطالب » على خاله الشيخ عثمان بن عبد الله ، وحج من بلادهم ثلاث مرات ، وفي المرَّة الأخيرة قدِم دمشق صحبة الركب الشامي ، فدخلها في صفر سنة ١١٨١ ، واستقام بها لطلب العلم ، فأخذَ الفقه وأصولَه عن شيخنا الشهاب أحمد بن عبد الله البَعْلي ، والمصلح محمد بن مصطفى اللبدي ، والعربية عن شيخنا القطب عمر بن عبد الجليل البغدادي ، وحضر في الصحيحَين على شيخنا الشهاب أحمد بن عبيد الله العطار ، وأخذ الفرائض عن البرهان إبراهيم بن علي الكردي ، وحضر في دروس شيخنا المحقق علاء الدين علي بن صادق الطاغستاني . ونَبُلَ قدرُه وعلا ذِكره ، ودرّس في الجامع الأموي بعد وفاة شيوخنا ، وأقبلت عليه الحنابلة وانتفعوا به ، وصار مرجعاً في مسائل المذهب ودقائقه ، وتزوَّج في آخر عمره ، وصار له عدة أولاد ، وكان فقيراً صابراً ، عليه سيما العلم والصلاح والتقوى . وكنت كثيراً ما أراجعُه في مسائلَ تُشكل عليَّ من مذهب الإمام أحمد . وكان مشتغلاً غالب أوقاته بتلاوة القرآن العظيم ، متقلِّلاً من الدنيا ، معرضاً عن زخارفها ، لا يتردَّد إلى أحدٍ من أبنائها ، مثابراً على صلاةِ الجماعة في الجامع الأموي ، مصون اللسان عن اللَّغو .

وبالجملة فهو آخرُ فقهاء الحنابلة موتاً بدمشق ، ولم يزل على هذه الحالة حتى توفي مطعوناً شهيداً ، طعن ليلةَ الأربعاء سادسَ عشرَ شوال سنة خمس أو ست ومئتين وألف وتوفي بعد عصر اليوم المذكور وصُلي عليه في مسجد الشيخ عبد الله المنكلاني بمحلة القَيْمَريَّة ، ودفن قبيل الغروب في الجبانة الرسلانية تجاه السور الدمشقي ، وكثر الأسف عليه رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

إبراهيم باشا المصري

قال الأستاذ البيطار في تاريخه ما مختصره: غشوم ظالم ، وظلوم غاشم ، خليفة الحَجَّاج في أحواله ، وتذكرة السفَّاح في أقواله وأفعاله... فإنَّ هذا المترجَم لما اشتد أزرُه وقوي أمرُه ، تولّى قيادة العساكر المصرية ، ثم وجهه والده محمد علي باشا صاحبُ مصر إلى الأراضي الشامية ، ليضمَّها إلى الحكومة المصرية بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين الدولة العثمانية ، فلم يزلِ المترجَم يسير بعساكره متقلداً سيفَ طُغيانه ومناكره ، حتى حلَّ في عكَّة... فلما كانت ليلة ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ ، اقتحموا سورَها ودخلوا أبراجَها فاستولوا عليها ، وقبضوا على واليها عبد الله باشا ، ووقع من القتل والنَّهْب بين الفريقين ما لا يُعدُّ ولا يُحصى ، ويقال: إنَّ جملة من قُتل من عسكر إبراهيم باشا اثنا عشر ألفاً ، ومن عسكر عكَّة نحو خمسة آلاف ، وكان ابتدأ حصاره لها في ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٤٧ ، فكانت مُدَّةُ الحصار ستة أشهر .

ثم أرسل إبراهيمُ باشا عبد الله باشا إلى الإسكندرية بحراً ، فلما علم محمد علي باشا بوصوله ، أرسل إليه يؤمِّنُه ، ووصَلهُ بأنواع الإكرام ثم وجَّهه إلى الآستانه ، وغِبَّ وصوله وجَّهت عليه الدولةُ رياسةَ الحرم الشريف النبوي ، وكان عالماً صالحاً محباً لأهل العلم والصلاح .

وفي ٣ محرم سنة ١٢٤٨ أرسل إبراهيم باشا إلى أعيان دمشق يطلب منهم أن يمكِّنوه من دخولها فلم يرسلوا إليه جواباً ، ثم طلب ذلك ثانياً ، فأرسلوا إليه : إنا لا نمكِّنُك من الدخول أصلاً . وفي ٨ محرم جاء الخبر بأنَّ عسكره وصلوا إلى جسر بنات يعقوب ، فاستعدَّ أهلُ دمشق لقتاله ، واجتمع رؤساؤهم وتعاقدوا على ذلك ، وحصل لأهل البلد والقرى انزعاجٌ شديد . ثم شرع أهلُ الأطراف في نقل أمتعتهم إلى داخل السور ، وأرسل إبراهيم باشا إلى بعض أعيان دمشق كتاباً يهدِّدُهم فيه . وفي ١٤ محرم وصل بعضُ جيوشه إلى قرب قرية داريا ، فخرج إلى لقائهم خلقٌ كثيرٌ من أهل دمشق ، وقاتلوهم قتالاً يسيراً ، ثم رجعوا مظهرين

الانكسارَ والعَجْز ، وباتوا تلك الليلة في كَرْب عظيم ، وصار أهلُ كلِّ محلَّة يحفظون محلَّتهم .

وفي ليلة الخميس ١٥ محرم ، هرب وزيرُ الشام علي باشا وعسكرُه والقاضي والمفتي المرادي والنقيب العجلاني ومحمد آغا الشربجي الديراني ، وغالب وجوه الشام وجميعُ الأتراك الموظفين مسافرين إلى حمص والقريتين ، وأصبحت البلدةُ خاليةً من الرؤساء والأعيان ، فأرسل إبراهيم باشا إلى أحمد بك الدالاتي فأقامه متسلِّماً في البلد ، وأمر منادياً ينادي بالأمان ، وفي ضحوة النهار دخل العسكرُ السّرايَ والمَرْجَة ، ثم دخل إبراهيم باشا قُبيل الظهر ، وطلب أن يستلم القلعة من رئيسها علي آغا عرمان ، فأجابه بالامتثال ، وفتح له الباب ، فأدخل ذخيرته وعسكره إليها .

وقد لطف المولى سبحانه برفع القتال ، وبالإذعان والتسليم من دون ضرب ولا سفك دماء ، ثم كتب إبراهيم باشا إلى الهاربين أن يرجعوا إلى أوطانهم ، فرجع من ذهب إلى القريتين وهم المفتي والنقيب ورشيد آغا الشملي وكيلارأميني ، وأبى الرجوعَ مَنْ ذهب إلى حمص وهم الباشا والقاضي والديراني ورؤساء المغاربة والأكراد ، فعزم إبراهيم باشا على قتالهم ، وشرع في جمع الذخائر والعساكر ، وورد إليه من مصر عساكرُ كثيرة ، واجتمع عند أخيه عباس باشا الذي جاء لمعونته جموعٌ كثيرةٌ أيضاً .

ثم خرج إبراهيم باشا من دمشق متوجِّهاً إلى حمص ومعه رؤساء المحلات كرهينة ، وأقام مقامه الدالاتي المقدَّم ذكره ، ونصب القلالق في المحلات .

ثم في ١٢ صفر جاء الخبر بأنه حصل القتال بينه وبين العسكر السلطاني بحمص في ٩ منه ، وأن إبراهيم باشا قتل منهم نحو خمسة آلاف ، وأسر نحو أربعة آلاف ، وفرَّ باقي العساكر والباشوات ، وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وأنه أخذ مدافعهم وذخائرهم ، واستلم قلعة حمص ممن كان فيها . ثم توجه إلى حماه ، فأقام فيها رشيد آغا المذكور متسلِّماً .

ثم بلغه أن حسين باشا السردار ، الذي كان عيَّنه السلطانُ والياً على مصر وخرج من الآستانة بعساكرَ عظيمة - قد وصل إلى حلب ، وأن الباشوات الهاربين من حمص ، قد وصلوا إليها أيضاً - فلحقهم إبراهيم باشا ونزل على نحو أربع ساعات من حلب ، فطلب حسين باشا من الحلبيِّين أن يخرجوا معه لقتال إبراهيم باشا ، فقالوا له : نحن لا نقاتل معك ولا معه ، بل نحن رعيَّةٌ لمن غلب ، فخرج حسين باشا من حلب هارباً هو وبقية الباشوات والعساكر ، وهناك خرج أعيانُ حلب إلى إبراهيم باشا يستقبلونه ويأخذون أمانَه ، فدخلها ليلة الثلاثاء ١٩ صفر سنة ١٢٤٨ بلا قتالٍ أصلاً ، ثم خرج منها في ٢٧ منه إلى أنطاكية وعنتاب واللاذقية .

ثم ورد الخبر بأنه استولى على حصن إسكندرونة وغيره ، وأنه حصلتْ هناك مقتلةٌ عظيمةٌ بين عسكره وعسكر حسين باشا - وأنه هرب حسين باشا ومن معه من الوزراء والضباط والعساكر الكثيرة ، وقد شاع أنهم مئة وخمسون ألفاً ، تاركين جميع مدافعِهم وذخائرهم ومهماتِهم .

ثم سافر إبراهيم باشا إلى أضَنَه فدخلها في غُرَّة ربيع الثاني من غير قتال ، وأقام بها شهراً .

ثم حاصر بركله ودخلها في غرة جمادى الأولى بعد قتال بينه وبين رشيد باشا .

وفي أواخر جمادى الثانية قدِم إلى دمشق رشيد بك أميراً عليها من قبل محمد علي باشا .

ثم جاء الخبر في ٥ رجب بأن إبراهيم باشا دخل قونية وفيها أربعة عشر وزيراً ، فلما سمعوا بوصوله هربوا ، فدخلها بلا حرب ولا قتال . ثم جاء الخبر في آخر شعبان ١٢٤٨ أن الصدرَ الأعظم قد جاء إلى قريبٍ من قُونية ، وأنه خرج إليه إبراهيم باشا فأسره وفرَّق جمعه ، كما أسر من عساكره نحو سبعةِ آلاف ، ثم ورد أمرُه إلى دمشق بإقامة الزينة ، فأقيمت ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً . وقد نظم

الشاعر الشهير الشيخ أمين الجندي - سامحه الله - هذه القصيدة مادحاً بها إبراهيم باشا ومتعرِّضاً للوقائع المتقدم ذكرُها قال:

نحن الأسود الكاسرَة — نحن السيوفُ الباترة
من أرضِ مصرَ القاهره — سِرْنا وقد نلْنا المنى
باروذُنا شرارُهُ — تشوي الوجوهَ نارُهُ
وعزمُنا بتارُهُ — من العِدا أمكننا
نحن بنو الحربِ فلا — نخشى غباراً إنْ علا
ولم نضِق عند البلا — صدراً إذا الموت دنا

ومنها:

عاداتُنا أخذ الرجالْ — بالبِيض والسُّمْرِ العَوَالْ
ونارنا بالاشْتعال — لهيبها يُبدي السَّنا
جهادُنا لا يُنكَرُ — في كلِّ قُطرٍ يُذكَرُ
وسيفنا إذ يُشْهَرُ — للنصر يُبدي مُعْلِنا

ومنها:

أبو خليلٍ في الحروبْ — لازال كشَّاف الكُروبْ
وحين يُدعىٰ للركوب — بالبِيض يغزو والقَنا
لما غزونا عكّا — بالطُّوبِ دُكَّتْ دكّا
وللأعادي أبكى — هجومُنا وأَخْذُنا
صبحاً علَوْنا سورَها — وقد هدَمْنا دورَها
أما ترى قصورَها — قد حلَّها هَدْمُ البِنا

ومنها:

ويوم حمص لو تَرَى — على العداةِ ما جَرَى
وقد علا فوق الثرى — صرعى يُقاسُون الفنا
هناك أضْحَوْا هالكينْ — وفي دِماهُمْ غارقينْ

وانحـــلَّ عقـــدُ الظـــالمينْ   وحـــل بـــالبـــاغـــي العَنَـــا
ولحمـــــاةِ مـــــع حلـــبْ   سِرْنـــا وجـــدَّينـــا الطلـــبْ
ولم نجـــد ممـــن هـــربْ   إلا طـــريحـــاً في ضَنَـــى

إلى أن قال:

وقـــد أطَلْنـــا قهـــرَهـــم   لمّـــا أسَرنـــا صَـــدْرَهـــم
ومـــذ وَلِينـــا أمـــرَهـــم   بـــالـــذُّلِّ مـــالـــوا نحـــوَنـــا
هـــذا وهـــذا كلُّـــه   عـــزيـــزُ مصر أصلُـــهُ
وليـــس يخفَـــى فضلُـــهُ   دومـــاً على أهـــلِ الثَّنَـــا
فنســـــــألُ الله المُعينْ   بحـــرمـــةِ الهـــادي الأمينْ
يـــديمُـــهُ للمسلمينْ   مـــولىً مغيثـــاً مُحسِنـــا

ولما قُرِئت هذه القصيدة المزدوجة على إبراهيم باشا ، أمر لناظمها بمئة دينار ، فدُفعت له في الحال . . .

وفي غُرَّة رمضان سنة ١٢٤٨ ، أمر والي الشام شريف بك (كذا) بجمع المفتي والنقيب وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ليلاً فقال لهم : إنَّ أفندينا محمد علي باشا ، كتب إلى البلاد بأنَّ مَنْ أراد الحج فليحضر إلى دمشق ، ولم يحضر إلا أفرادٌ من الناس ، وهذا ما يدعو إلى عدم خروج الحاجّ في هذا العام!

ثم إنَّ إبراهيم باشا لما زاد في عُتوِّه ، عارضَتْه الأجانب ، وتعصَّب الإنكليز ، في الظاهر ، للدولة العثمانية التي كانت وقتئذٍ في تعَبٍ شديد ، فقهروا معاً محمد علي باشا ، ولم يسمح الإنكليز للدولة ، بالاستيلاء التامِّ على مصر لمقاصد له ، فأرادَ أن تبقى مصر على شبهِ استقلال ، ليضعُفَ كل من الجهتين ، فبقي محمد علي باشا والياً على مصر بشروطٍ معلومة ، وجاء خبر الصُّلح إلى الشام في ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٤٨ .

وكان إبراهيم باشا قد تمكَّن من البلاد الشامية ، وقهر الناس ، واستباح الحرام ، وفعل جميع الموبقات والآثام ، وفرض على كلِّ فرد بالغ من أهل المدن

والقرى مالاً أقله (١٥) قرشاً، وأكثره (٥٠٠) قرش تؤخذ في كلِّ سنة، واستولى عسكرُه على المساجد والمدارس والتكايا، فلم يُمَكِّنوا المصلين من دخولها، بل جعلوها لسكناهم ولدوابِّهم وذلك سنة ١٢٤٩. وقد قدَّم العيسويَّة على المحمديَّة! وأذلَّ أهلَ العلم والشرف والاحترام، وأعزَّ الأسافل والطغاة واللئام... وفي سنة ١٢٥٠ شرع بإدخال من وقع في قبضته في العسكريَّة، فهرب الناس، وتشتَّتَ أمرُهم، وعظُم الكرْب، وتعطلت الأشغال. وخرج أهل نابلس عن طاعته، وحصروه في القدس نحو شهرين، واجتمع منهم خلقٌ كثير بقيادة الشيخ قاسم الأحمد. ثم خرج من الحصار بحيلةٍ عظيمة، واشتغل بالقتل والنهب. ودار على أهلِ الساحل ففعل بأهله مثل هذه الرذائل، ولم يزل يتتبَّع آثار الشيخ قاسم المذكور، حتى قبض عليه، وقتله بدمشق، وأمر بجمع السلاح من سائر البلدان.

ولم يزل في ظلم وعناد وقبح وفساد، وسفك وسلب، وقتل وضرب، حتى دخلت سنة ١٢٥٣، وفيها طَلب من جبل الدروز الشرقي مئة وثمانين نفراً للعسكرية، فحضر مشايخ الدروز، وطلبوا استبدال ذلك بالمال، فلم يرض إلا بإحضار الرجال، ولما علم بخروجهم عن الطاعة، وجه إليهم عساكرَ كثيرة، وكان أميرهم علي آغا البصيلي كبير طائفة الصعايدة، ومعه عبد القادر آغا أبو جيب الدمشقي، متسلم جبل حَوْران والدروز، فعقدا مع كبراء الدروز مجلساً للمشاورة، فأصر الدروز على الامتناع من دفع الأنفار، وفي تلك الليلة كبست الدروز العساكر وأذاقَتْهم كؤوسَ المَنون إلا النادر، ومن جملة من قُتل معهم عبد القادر آغا المذكور، وسلم من القتل علي آغا ومعه خمسة عشر نفراً، ولما وصل الخبر إلى إبراهيم باشا صعُب عليه الأمر، فابتدر العساكر، وجمع المهمات والذخائر، ووجههم للقتال وأوصاهم بالاستئصال، ولما علم الدروز بذلك، جمعوا متاعهم ودخلوا اللَّجاة، وهو محلُّ الأمن والنجاة، فعقب وصول العسكر إليهم، قامت الحرب على ساق، فكُتب الفناءُ على عسكر إبراهيم باشا، وكان أول من قُتل من رؤسائهم محمد باشا ويعقوب بيك، فقُتلا أقبحَ قِتلة، وامتدَّ

القتل إلى البقية من غير مُهْلة ، ولم تزل يد الصغار تستطيل عليه ، وجيوش التأخير تُوَجَّهُ إليه إلى سنة ١٢٥٥ .

وفيها توفي السلطان محمود رحمه الله تعالى ، وجلس على كرسي السلطنة ولده السلطان عبد المجيد . وورد الأمر من محمد علي باشا إلى ولده ، بقتل علي آغا بن محمد آغا خزنة كاتبي ، ثم صدر الأمر بخروج إبراهيم باشا وعساكره من الأراضي الشامية إلى الأقطار المصرية ، فأجاب الأمر بالسمع والطاعة ، وجمع عساكره وذخائره ومتاعه ، وخرج بهم بعد شهرين إلى سهل القدم . وذلك في اليوم السادس من ذي القعدة سنة ١٢٥٦ . وأخذ معه جميع الحبوب والمواشي ، من غير خوف ولا تحاشي! ولما وصل إلى مصر ، امتدحه محمد شهاب الدين المصري بقوله ، وإن كان قوله في غير محله:

سمْهرِيٌّ ينثني أمْ غصنُ بانْ ... أم قـوامٌ دونـه صبريَ بـانْ
يـامليـك الحسـنِ رفقـاً بشـجٍ ... كلمـا حـاول كتـم الشجـوِ بـانْ
مـرج البحـريـن فيضـاً دمعُـه ... إذْ رأى جفنَيْـهِ لا يلتقيـانْ
ربَّ سـاقٍ وهـو قـاسٍ قلبـه ... عطفُـه منـذُ أدارَ الكـأسَ لانْ
أهيـفٌ إنْ مـاسَ تيهـاً ورنـا ... رحـتُ منـه بين سيـفٍ وسِنـانْ
كسر القلـبَ ومـا كـان التقـى ... فيـه مـن حينِ هـواهُ سـاكنـانْ

ومنها:

ياانديمي قُمْ وبادرْها وطبْ ... هـذه الجنَّـةُ والحـورُ الحسـانْ
وأدِرْ لي بنـتَ كـرم عُتِّقَـتْ ... نورها الباهر يحكي البهرمانْ
بـالنُّهـى قـد فعلَـتْ كـاساتُها ... فعـل إبـراهيـمَ سلطـانِ الـزمـانْ
أسَدِ الهيجاءِ ضِرغامِ الوغى ... قاصمِ الأعداءِ من قاصٍ ودانْ

ومنها

يـاعـزيـزاً لا يُضـاهـى أبـداً ... عِزُّه يكسو العِدا ثوبَ الهوانْ
كم حروبٍ كشفَتْ عن ساقها ... خاضها طَرْفُك مِطْواعَ العِنانْ

بجيوشٍ شمَّرَتْ عن ساعدٍ مالـه يومَ نـزالٍ مـن تَـوانْ

وآخرها:

هـاك مني بنتَ فكرٍ تنجلي في حُليٍّ مـن بـديـعٍ وبيـانْ
قد بَدَتْ من خِدْرِها قائلةً إنَّ وصلي للحبيـب الآنَ آنْ
وبـودِّي لـو ألاقـي حظـوةً منه تكسوني جلابيبَ امتنانْ
فـدُنـوِّي منـه غـايـاتُ المُنـى وقَبـولي عنـدَهُ أقصـى الأمـانْ

وكانت وفاةُ المترجَم حال حياةِ والده ، في ختام ذي الحجة سنة ١٢٦٤ (أو سنة ١٢٦٥) ودفن في جامعه الذي أنشأه في قلعة الجبل . انتهى كلام البيطار .

وترجمه صاحب « قاموس الأعلام » بما تعريبه:

هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشاالشهير . ولد صاحبُ الترجمة في (قواله) سنة أربع ومئتين وألف ، وجاء به والدُه إلى مصر وهو صغير ، ولما كان عمره ١٦ سنة ، أرسله والده إلى الصعيد ، لتأديب عربانها وإعادة الأمن إليها ، فساق إليها العسكر وكان موفَّقاً في مهمته . ولما أحيل من الدولة العثمانية إلى محمد علي باشا ، التنكيلُ بالوهابيين وتأديبهم - وكان قد توفي حينئذ والي جُدَّة طوسون باشا ابن محمد علي باشا - وُجِّهَتْ إلى أخيه المترجَم ولايةُ جُدَّة مع رتبةِ الوزارة ، وفُوِّض إليه تأديبُ الوهابيين ، وبعد أن أخذ عسكرَه بالنظام والانتظام ، حاربَ الوهابيين في وادي القَصِيم ، فهزم رئيسَهم عبدَ الله بن سعود ، وقتل كثيراً منهم ، ثم دخل الدرعيَّة مركزَهم ، فحاصرها واستولى عليها في آخر سنة ١٢٣٣ ، وقبض على عبد الله المذكور ، وأولاد محمد بن عبد الوهاب ، ورؤساء الوهابيين ، وأرسلهم جميعاً إلى مصر ، وبذلك طهَّر البلاد العربية من شرِّهم ، وأمَّن الحرَمَين الشريفين - رحمة الله عليه[1] - ثم عاد إلى

(١) ذكر هذه الواقعة صاحب عنوان المجد ونقل قول أحد شعراء نجد:

عامٌ به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الأعـادي فيـه ما نالوا
قال الأخلاء أرخـه فقلـت لهـم: أرخت قالوا بماذا قلت (غربال)
١٢٣٣

مصر ، فأرسله والده إلى النَّوبة والسودان وسنار وكردفان فضبطها ، ووسَّع حدود المملكة المصرية ، وكان أهل السودان قد نهبوا وأحرقوا دار أخيه إسماعيل باشا(كذا) في السودان ، واختل الأمن في مورة ، فوُجِّهت ولايةُ مورة إلى صاحب الترجمة ، فجهَّز العساكر المصرية والعثمانية للقضاء على ذلك الاختلال ، ثم سار بالجيش إلى مورة ، وبدأ يعاملهم بالرفق ويحرِّضُهم على الطاعة ، فلما تمرَّدوا استعمل القوة والشدة عليهم ، فقضى على تمرُّدِهم وعصيانهم ، كما قضى على الاختلال الذي ظهر في كريد ، غير أن دول انكلترا وفرنسا وروسيا كانتْ أرسلتْ بالاتفاق أسطولاً بحرياً أحرق أسطول العثمانيين والمصريين ، فاضطر صاحب الترجمة إلى الرجوع إلى مصر ، وهناك اهتمَّ محمد علي باشا بتنظيم عساكره وترتيبها بمعاونة ولده المترجَم ، فتمَّ له ذلك مع إنشاء الأسطول مجدَّداً في مدةٍ قصيرة . وإلى هذا الوقت كان محمد علي باشا وولدُه صاحبُ الترجمة ، يقومان بخدم جليلة نحو الدولة العثمانية . ولما كانا يبذلان جهودَهما في تنظيم وتوسيع قُوى مصر البرِّية والبحرية ، صوَّر الصدرُ خسرو باشا لحضرةِ السلطان محمود ، ما ذُكر من الجهود بمعنًى آخر ، وبمقصد سيِّىء ، فكان ذلك سبباً لسلب الثقة بين الطرفين ، فطلب محمد علي باشا تأميناً لمستقبله ، إضافةَ قطعةِ سوريةَ إلى ولايته ، ولما لم يُجِبِ السلطانُ طلبه ، اتخذ خلافه مع والي عكة عبد الله باشا وسيلة ، فحاصر بولده المترجَم إبراهيم باشا مدينة عكة سنة ١٢٤٧ واستولى على غزَّةَ ويافا وحيفا ، وتصدّى للاستيلاءِ على جميع سورية ، فحكمت الدولةُ العثمانيةُ بعصيانه ، وأرسلت عسكراً لمحاربته ، ولكن لما كانتِ العساكر العثمانية غيرَ منظمة بالدرجة المطلوبة ، وكانت قواها المالية والحربية ضعيفةً ، بسبب الاختلال الذي وقع في اليونان وغيرها ، تغلب صاحب الترجمة على مشير الشام حسين باشا ، فاستولى على الشام ثم على حلب ، ثم أعاد الكرة حسين باشا فتغلَّب المترجَم عليه أيضاً ، ومن ثم قصد قطعة الأناطولي ، فهاجمه المشير رشيد باشا بستين ألف جندي ، ووقعت بين الفريقين محاربة كبرى في صحراء قونية ، فأخذ المترجَم رشيد باشا أسيراً ، ثم تقدم بجيشه إلى كوتاهيه ، وهنا تداخلت الدول

الأوربية ، فتوقَّف الجيشُ المصري ثمة . وفي ذي الحجة سنة ١٢٤٨ وضعت معاهدة كوتاهية على أن تضاف سوريةُ وأضنة إلى مصر ، ويكون المترجَم إبراهيم باشا والياً عليهما . وبعد ستة أعوام ، تجدَّد الحرب فانتصر المترجَم في محاربة نزيب ، فتداخلتْ دول أوربا أيضاً ، واستولى أسطول انكلترا على عكة وبيروت بقوة المدافع ، وبدأ يهدد الإسكندرية أيضاً ، وعندها سلَّم المترجَم إدارة سوريةَ وأضنةَ إلى الدولة العثمانية رأساً ، واضطر إلى الانسحاب إلى مصر ، وهناك تقرَّر جعلُه خلفاً لوالده محمد علي باشا ، ولكنْ لما كانت صحته مختلة بسبب المشاق السفرية التي كابدها في الحروب ، قام بسياحةٍ في أوربا لأجل التداوي ، فمرَّ بإيطاليا وفر نسا وانكلترا ، واستقبله لوي فيليب في باريس استقبالاً فخماً ، ولما عاد إلى مصر كان والده محمد علي باشا قد ظهر عليه الضعف والهرم والعَتْه ، فترك له إدارة الأمور في سنة ١٢٦٢ ، ثم إنه في سنة ١٢٦٥ ، حضر إلى الآستانة ففُوِّضت إليه ولايةُ مصرٍ رسمياً ، غير أنه على أثر عودته إلى مصر ، وقبل وفاةِ والده ببضعة أشهر ، تُوفِّي إلى رحمة الله تعالى .

وبالجملة فقد كان إبراهيم باشا من أكبر رجال الدنيا في فن الحرب وقيادة الجيش ، وكان هو السببَ البارزَ في توفيقات والده ، وكان لا مثيلَ له في جسارته وثبات عَزْمه ، وقد أثبت مهارته في الضبط والرَّبْط وحُسن الإدارة ، أيام استيلائه على سورية ، وكان لا يحبُّ الطنطنة والدبدبة ، إنما كانت عنايته بعمران البلاد ، وكان له ثلاثة أولاد أكبرهم أحمد رفعت باشا ، الذي توفي غريقاً ، والثاني إسماعيل باشا الخديوي السابق ، والثالث مصطفى فاضل باشا ، أحد وكلاء الدولة العثمانية . انتهى .

إبراهيم باشا الدالاتي

ذكره العلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق في مجموعة له قال ما مختصره: هو إبراهيم باشا الشهير بالدالاتي . كان والي طرابُلُس فوجِّهت إليه ولاية دمشق سنة ١٢٠١ فاستقام بها إلى أن توجَّه صحبة الحاجّ وعاد ، فلما كان

ثالثَ يوم من عودته تعدّى بعضُ عساكره على أهالي دمشق فاشتعلت نيران الفتن ، وآل الأمرُ إلى القتال فتَلِف من الطرفين أنفار ، حتى إذا اسودَّ جنحُ الليل خرج المترجَم بعساكره إلى محلَّة العسالي قبليَّ دمشق ، ومنها إلى قرية القطيفة ، وكان فيها مفتي دمشق خليل أفندي المرادي عائداً من القسطنطينية ، فلما بلغه ما حصل من الفتن مكث في محلِّه ، وكان أيضاً بعضُ الوجوه قد فرّوا إلى المحل المرقوم خوفاً مما تقدَّم ، ثم توجهوا جميعاً في معية الباشا المشار إليه إلى حماه ، وعرضوا ما وقع إلى السُدَّة السلطانية ، ومكثوا ينتظرون الجواب ، فورد الأمر بالتوجُّه إلى دمشق ، فتوجَّه الجميعُ الوالي والعساكر والوجوه إلى أن وصلوا إلى قرية بَرْزَة قربَ دمشق ، فكتبوا إلى الأهالي بالأمان أولاً وثانياً وثالثاً ليدخلوا دمشق ، فلم يمكِّنوهم من دخولها ، فرحل الباشا من وقته إلى جهة الميدان قِبْلِيِّ دمشق ، وصار القتال هناك وقتل من الفريقين خلقٌ كثير ، وأخذ الباشا محلَّةَ الميدان في ساعتين ودخلت عساكرُه دمشق وخرج هو إلى قرية القَدَم ، فلما عاين الدمشقيُّون دخولَ العساكر فرُّوا من وجوههم ، وكان إذ ذاك رئيس الأوجاق في الشام أحمد آغا الزَّعْفَرَنْجي ، فدخل القلعة وحوصر ، وفي اليوم الثاني دخل الوزير المُومى إليه ، وأرسل إلى الزعفرنجي يطلب تسليمَ القلعة فأبى ، فأحاط العسكرُ بالقلعة وحصل القتال ، ثم توسَّط في الأمر أحدُ الضباط المنلا إسماعيل فأخرج الزعفرنجيَّ من القلعة بكفالته ، واستلمها الباشا وأنعم على الزعفرنجي ، وفي اليوم الثاني أرسل خلفه ، فلما حضر أمر بقتل أشخاصٍ من أتباعه ، ثم أمر بقتله أيضاً ، فوصل الخبر إلى المنلا إسماعيل فجاء وأخذه جبراً عن الباشا المذكور ، وأرسله من دمشق مصحوباً بخيالة ، ثم إنَّ الباشا صاحب الترجمة نفى أيضاً البعضَ من رؤساء دمشق وبقي مستقراً في الحكومة إلى سنة ١٢٠٥ وفيها صدر الأمر بعَزْله فتوجه من دمشق في ربيع الأول من السنة المذكورة . انتهى

إبراهيم باشا الحلبي

ترجمه العلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي في مجموعة له قال ما خلاصته :
هو إبراهيم باشا المعروف بالحلبي . وُجِّه إليه منصب دمشق سنة ١٢١٣ ،

فدخلها في خامس ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وحصل لأهالي الشام في أيامه جَوْر وغدر ، بسبب محمد آغا أورفة أميني أحد خواصّ الباشا المومى إليه ، فإنه أظهر التعدِّي والمصادرة ، وكان في ذلك الوقت غلاء عظيم . وفي هذه الأثناء جاء الخبر بأنَّ الجيش الفرنساوي استولى على مصر . فصدر الأمر بتوجه الباشا المترجَم إلى جهة مصر ، فثارت الفتن في دمشق وخرج الباشا المذكور بعساكره إلى قبلي البلدة ، فاشتعلت نار الفتن بدمشق وأخرج الأهالي كلَّ تركي غريب ، واستمر الأمر غير منتظم والحكم غير مرتبط ، إلى عاشر شعبان سنة ١٢١٣ ، فحضر من جهة عكا رسولٌ من طرف أحمد باشا الجزار ، أعلن أن منصب دمشق قد توجه إلى سيده الجزار ، وأنه نصب من أهل دمشق قيمقاماً عنه ، فلزم كلُّ إنسان حدَّه ، واشتغل الناس بتعاطي أسباب المعاش ، لما يعهدونه من شدة بأس الجزار .

ولما مات الجزار سنة ١٢١٩ عاد الباشا المترجَم إلى دمشق وحكم فيها سنةً واحدة ، فصار في مدته اختِلال أيضاً في دمشق ونواحيها ، وخَرِبت قرى كثيرة لأنه كان مُسَبِّباً لعساكره ، ثم عُزل في منتصف ربيع الثاني سنة عِشرين ومئتين وألف . انتهى .

الملا أبو بكر الكردي

ترجمه العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه قال: هو أبو بكر بن أحمد بن داود الكلالي ، الكردي الأصل ، نزيل دمشق ، الشافعي ، أحد العلماء الأعلام المتقدمين في دمشق الشام ، كان ملازماً للإفادة العلمية والآداب العملية مع التقوى والعبادة والعفَّة والزهادة ، كثير السكوت عن فضول الكلام لا يتكلم إلا في ذِكْر أو درس أو حُكْم من الأحكام ، قرأ عليه الأجلاء من العلماء والكثير من الفضلاء ، كالمفتي السيد محمود الحمزاوي ، والعلامة الشيخ سليم العطار ، والشيخ إبراهيم العطار ، والشيخ أحمد عابدين وغيرهم ، وكان له مشاركة قوية في العلوم العقلية والنقلية ، أخذ عن مولانا خالد النقشبندي مجدِّد القرن الثالث

عشر وعن غيره ممن عُرف بالفضل واشتهر ، وقد تولّى التدريس والإمامة في جامع الوَرْد وكان مجاوراً فيه .

وله مؤلفات كثيرة ورسائل شهيرة ، منها تفسير على القرآن المجيد سماه « صفوة التفاسير » اخترَمَتْه المنيَّةُ قبل إتمامه ، وقد أجاد فيه وأفاد واعتنى به فوق المراد ، ومنها « تنبيه الغافلين في الرد على من خطأ أئمة الدين » وغير ذلك .

وكان معدوداً من ذوي النهاية ، معروفاً بالكشف والولاية ، قال: وقد حضرت بعضَ مجالسه واستفدتُ من بعض نفائسه ، وكان كثيراً ما يذاكرُني في المسائل العلمية والنوادر الأدبية .

مات سنة تسع وستين ومئتين وألف ، ودفن بالمقبرة الكائنة داخل محلة الشالق في سوق صاروجا بوصيةٍ منه رحمه الله تعالى .

أبو بكر بك ابن درويش باشا

ترجمه العلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي في مجموعةٍ له رحمه الله تعالى ، قال ما مختصره: هو أبو بكر بن درويش باشا ، المولى الهمام أحد أعيان دمشق الشام ، ولد بها سنة ١١٩٦ ، وكان مجبولاً على الرقة واللطافة وحُسن الشيم ، أديباً لَوْذعياً فاضلاً ألمعيّاً ، محباً للعلماء مكرماً للأدباء والشعراء ، تهرع إليه الأكابر من كلِّ جانب ، وتوافي ناديه من اللطفاء مواكب ، تعاطى الحكومة في أول أمره في بعض نواحي الشام . ثم ترك ذلك لما توفر عنده من السوداء . حتى إن كثيراً من الظرفاء كانوا يقصِدون معه النُّكْتة في تجسيم المواد التي لا حقيقة لها فيَعْظُم عنده أمرُها ويخشى أن يفاجئه شرُّها . . ويظهر منه الحركات العجيبة ، والتدابير الغريبة مع ما له من الفِطْنة التامة والذكاء المفرِط ، ولولا خشية الإطالة لأوردْنا من نُكَته كثيراً ، والحاصل أنه كان أعجوبة دهره .

وكانت وفاته بدمشق سنة سبع وأربعين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

أبو السعود أفندي الغَزِّي

أبو السعود بن إسماعيل بن عبد الغني بن محمد شريف بن الشمس محمد الغزِّي العامري الدمشقي الشافعي . أخبرنا عنه ولده صالح أفندي مفتي الشافعية بدمشق سنة ١٣٢٣ قال: كان عالماً فاضلاً تقياً صالحاً سخياً جواداً . ولد في ٢ ربيع الأول سنة ١٢٣١ - كما وجد بخط والده - وأخذ الفقه عن العلامة الفقيه الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي والحديث عن العلامة المحدِّث الشيخ عبد الرحمن الكزبري وقرأ بعضَ العلوم على العلامة الشيخ حسن الشَّطِّي والعلاّمتين الشيخ أحمد شنون الحجار والشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت نزيلِي المدرسة البادرائية بدمشق وغيرهم ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن العلامة العارف الشيخ خالد النقشبندي ، والطريقة القادرية عن السيد علي أفندي الكيلاني الحموي - وتولى المترجَم عضوية مجلس الشورى في الشام مدةً يسيرة واستقال منها سنة ١٢٦٢ .

وكانت وفاتُه بالريح الأصفر في شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف . انتهى .

وقد خلف ولديه صالح أفندي المومى إليه وعبد الرحمن أفندي المتوفى سنة ١٣١٧ وستأتي تراجم أخيه رضا أفندي وأبيهما وجدهما وأبي جدهما وأخي جدهما السيد كمال الدين وعمهما عمر أفندي وولده محمد أفندي في محالِّهم إن شاء الله .

الشيخ أحمد أبو الفتح

أحمد بن محمد أبي الفتح بن محمد بن خليل بن عبد الغني الشافعي الدمشقي الجعفري الشاذلي الشهير بأبي الفتح العجلوني . العلامة الفاضل والفهامة الكامل ، ولد بدمشق سنة ١١٧٠ ونشأ في حجر والده وعنه أخذ وبه انتفع ومنه تلقى الطريقة الشاذلية؛ وأخذ أيضاً عن علي أفندي الطاغستاني ، والشيخ علي السليمي ، والشيخ مصطفى العلواني ، والشيخ خليل الكاملي ، والشيخ محمد

الكزبري ، والشيخ أحمد العطار ، والشيخ محمد البخاري وغيرهم . وطار صيته وانتفع به خلائق كثيرة . وقد رأيتُ بخطه إجازةً منه للشيخ قاسم دقاق الدودة ، ذكر فيها من تقدَّم من مشايخه .

وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف . ودفن في تربة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، وسيأتي ذكر أخيه الشيخ صالح وولده الشيخ محمد في حرفيهما إن شاء الله . وقد ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وأثنى عليه ثناء حسناً .

الشيخ أحمد الخطيب الإربيلي

ترجمه العالم الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني في كتابه « الحدائق الوردية » قال ماجملته: هو العالم العامل المتفنن؛ والمرشد الكامل المتقن؛ والمنشئ الشاعر المحسن ، كان ذا كراماتٍ مشهودة ، ومقامات محمودة ، أحد خلفاء مولانا خالد قدس سره . أرسله مولانا المشار إليه من بغداد إلى دمشق ، فنشر بينهم أعلام الإرشاد ، وأخذوا عنه الطريق من حاضر وباد ، وامتلأت به دمشق نوراً ، وأصبح علم علمه وعمله منصوراً ، وبما فتح الباري عليه ، حبب لشيخه الشام والرحلة إليه فكانت إقامته قبل وفود الشيخ في جامع المُعَلَّق . ثم بعد وفوده صار خليفته في الياغوشية . ثم أفرده شيخه لإقامة ذكر الخواجكان في العداس مجمع الخلفاء والمريدين . ثم بعد وفاة مولانا عاد صحبة حرمه إلى العراق .

وتوفي سنة خمسين ومئتين وألف تقريباً في إربيل ، رحمه الله تعالى .

أحمد أفندي الإستانبولي

أحمد بن عمر بن أحمد الإستانبولي شهرةً ومحتداً ، الحنفي الدمشقي ، العالم الشهير والفقيه الكبير ، كان والده من أجِلَّة العلماء في إسلامبول ، ورد إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي . وقد ولد المترجَم بدمشق في حدود سنة ١٢٢٠ فنشأ في حجر والده المذكور ، وأخذ عن علماء دمشق وفقهائها ، كالشيخ سعيد

الحلبي ، والشيخ هاشم التاجي ، ومحمد أفندي الرومي . وبرع وفضل وصار من الفقهاء المنوه بهم في دمشق .

وأخذ عنه جماعة وانتفعوا به منهم الشيخ راغب السادات ،وراغب أفندي الأُسطواني ، والجد الشيخ عبد السلام الشطي ، والشيخ سليم المسوتي ، والشيخ صالح العش وغيرهم .

وله من المؤلفات « شرح الدرر » في الفقه الحنفي اشتراه من تَرِكته الجد المذكور ثم اشتراه منه والي دمشق رشدي باشا الشرواني ، وجعله في مكتبته التي أوقفها في مكة المكرمة . وله أيضاً مناسك مختصرة ومطوَّلة طُبع أحدها في دمشق سنة ١٣٠٣ وله غير ذلك .

وما زال على حالته إلى أن توفي بدمشق سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف ودفن على والده في المقبرة الذهبية وأرخ وفاته الجد المذكور بقوله :

زرْ ضريحاً ضمَّ حبراً عالماً   عاملاً في علمه دون مرا
شيخنا الإسلامبولي أحمدٌ   ألْفقيه ابن الفقيهِ عمرا
مذ دعاه الله قلنا لا تخفْ   فلك الغفّار أرِّخ غفرا

وكان للمترجَم مكتبة ثمينة بيعت في تَرِكته . وقد أعقب ولديه الفاضلين يحيى أفندي وأحمد أفندي .

وقد ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال: كان فيه حدَّةٌ وقساوة في الأمور وشدة ، وله خيرات منها أنه لما توفي السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولى أخوه السلطان عبد العزيز ، ذهب المترجَم إلى دار الخلافة فحصل على نيف وسبعين براءة سلطانية لخطباء جوامع دمشق؛ ثم جاء بها ووزعها عليهم دون أن يكلِّف أحداً منهم بشيء ، رحمه الله تعالى .

أحمد أفندي الأيوبي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال: هو أحمد شهاب الدين بن محمد

نجيب بن إبراهيم الأيوبي الأنصاري الحنفي الدمشقي . توقَّد في العلوم ذِهنُه ، وتوحَّد في الآداب حسنُه؛ وعلا مقامه وارتفع ، وأخذ عنه الخاص والعام وانتفع ، إلى أن طلع في سماء السيادة بدراً ، وعَرف الناسُ له جلالة وقدراً ، ولد في سنة ١١٣٢ .

وأخذ عن الشيخ إسماعيل العجلوني ، والشيخ إسماعيل النابلسي ، والشيخ محمد الغزِّي ، والشهاب أحمد المنيني ، والشيخ عبد القادر التغلبي ، والشيخ محمد التافلاتي مفتي القدس ، والشيخ علي كزبر ، والشيخ موسى المحاسني خطيب الجامع الأموي ، وحامد أفندي العمادي مفتي دمشق ، والشيخ صالح الجينيني ، وأعاد له الدرس ، وأخذ عن غيرهم من العلماء الأجلاء .

وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومئتين وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد البربير

جمعنا ترجمته من كلام صديقه العلامة السيد كمال الدين الغزِّي وغيره ، فهو أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد البربير الشافعي البيروتي . الشيخ العالم الفاضل الأديب الشاعر المُجيد المُفلق الناظم الناثر المتفنِّن الأوحد أبو الفيض . ولد كما أخبر الغزِّي المذكور في عاشر محرم سنة ١١٦٠ بدمياط ، وبها نشأ .

وقرأ القرآن الكريم على الشيخ قاسم بن داود تجويداً وحفظاً ، وأخذ الفقه والعربية عن جماعة كالشمس محمد الدنجيهي ، والشهاب أحمد البستاني والعز عبد السلام بن نصر والشيخ عبد الحي بن فتح الله البيروتي ، وأخذ عن السيد محمد مرتضى الزبيدي والشيخ صالح المغربي الفلاني والسيد عبد الرحمن العيدروس وغيرهم .

ورحل إلى بيروت وتوطنها سنة ١١٨٠ وحج سنة ١٢٠٣ وقدم دمشق قبلها وبعدها . وصار بينه وبين الغزِّي المقدم ذكره مساجلاتٌ ومكاتباتٌ كثيرة ، ومما كتبه المترجَم إليه قوله :

يا كمالاً فاقَ الشموسَ جمالا   أنت أكملتَ ديننا بكمالك
كلُّ عبدٍ كاتبتَه بنظامٍ   صار للدهرِ والعلى بك مالك

وكتب إلى المولى خليل أفندي المرادي مفتي دمشق:

قالوا نراك إلى خليـ   ـل المجد تصبو بازدياد
فأجبتُ لا يخفاكمُ   ميلُ المُريد إلى المراد

ومن شعر المترجَم قوله في نهر يزيد:

إذا كان نهر الصالحية غائضاً   فأبحُرُ مَنْ فيها عليَّ تجودُ
ولكنْ عَجِبْنا والعجائبُ جَمّةٌ   لِنقصانِ ذاك النهرِ وهو يزيدُ

وقوله مادحاً الشيخ سعد الدين بن طاهر النابلسي الصالحي:

يا قلبُ زُرْ بالصالحية صالحاً   فيه يقيني من عناي يقيني
هذا وإنْ يك سعدُ دنيايَ انزوى   عني فحسبي قربُ سعدِ الدينِ

وكتب إلى الجزار حاكم عكّا الشهير يشكو من والي بيروت وكان يلقب بالبخاري:

أميرنا ذو المعالي   أنعم به ثم أكرم
قد خصّنا بالبخاري   ياليته كان مسلم!

فلما قرأ الجزار البيتين أمر بجلب البخاري إلى عكا وقضى بقتله ونصب غيره والله أعلم.

وألف المترجَم كتباً ورسائل لطيفةً جداً منها رسالةٌ سمّاها « زهر الغيضة في ذكر الفيضة » ذكر فيها الطوفان الذي وقع في دمشق سنة ١٢٠٦ وفيها قوله:

فعلُ الإله تعالى كلُّه حسنٌ   وحُكم حكمته خالٍ من الخللِ
فربما كان في الإضرار منفعةٌ   وربما صحّتِ الأجسادُ بالعللِ

ومنها كتاب طبع في بيروت اسمه « القول الجلي في شرح بيتي الموصلي »

ومنها رسالة طبعت في دمشق وضعها في المفاخرة بين الماء والهواء ، ومن وقف على هذين المؤلفين علم ما لصاحب الترجمة من طول الباع في العلوم الأدبية . ونظمه كثير ونثره غزير ، وقد كان سكَنَ دمشق ، وتزوج من بني الشمعة .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف (أو سنة ١٢٢٦) .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته : ولد في ثغر دمياط حيث كان والده يتعاطى التجارة . ولما بلغ رشده حفظ القرآن العظيم وجملةً من أحاديث النبيِّ الكريم ، ونظم الشعر وهو ابن ثلاثة عشر عاماً . وحضر إلى بيروت وطنه الأصلي في سنة ١١٨٣ ، ثم توجَّه إلى دمشق الشام . ثم عاد إلى بيروت فأكرهه الأمير يوسف الشهابي على تولِّي القضاء بها ، فقام بأعبائه ثم استعفى منه لورعه ، ثم عاد إلى دمشق سنة ١١٩٥ وسكن بالصالحية . وأخذ عن العلامة الشيخ مصطفى الصلاحي ، وشرح له شيخه المرقوم بديعيته المشهورة . وألَّف المترجَم مؤلفاتٍ كثيرة منها كتاب في اقتباس آي القرآن الكريم ، ومنها مؤلف باسم « سليمان » ومنها شرح على قصيدة الشيخ الأكبر قدس سرُّه التي أولها :

توضأ بماء الغيب إنْ كنتَ ذا سِرٍّ وإلا تيمم بالصَّعيد وبالصَّخْر

له مقامة في نحو كُرّاس ، تخلَّص بها إلى مدح المولى عبد الرحمن أفندي المرادي مفتي دمشق هي « المفاخرة بين الماء والهواء » المقدَّم ذكرها ، وله ديوان شعر معروف .

وقد توفي بدمشق عقيماً ليلة الخميس ثامن عشري ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئتين وألف ودُفن بسفح قاسيون في مدفن بني الزكي ، رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

الشيخ أحمد البغال

ذكره بعض الفضلاء في كتاب جمعه في المزارات الدمشقية قال: هو أحمد بن بكري بن أحمد بن بكري بن علي الشافعي الدمشقي الشهير بالبغال ، الشيخ الإمام المربي المسلك العمدة القدوة بقية السلف . ولد بدمشق الشام سنة ١١٩٠ ونشأ بها وأخذ عن علمائها من أجلِّهم العلامة عبد الرحمن الكزبري وكان من أخص تلامذته ، ومنهم الشيخ صالح الدسوقي ، والشيخ عبد الله الكردي الحيدري وغيرهم .

وقد أذِنَ له شيخُه الكزبري بالتدريس والإمامة فتولّى إمامة وتدريس جامع المرحوم سنان باشا بالنيابة عن ولد صغير لشيخه الدسوقي الإمام والمدرس السابق في الجامع المذكور ، فاستمرَّ فيهما إلى أن توفي .

وكانت وفاته في ربيع الأول سنة سبعين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير قريباً من ضريح سيدنا بلال الحبشي ، وقبره معروف يزار . انتهى .

قلت :وقد أعقب المترجَم ولده الشيخ عبد الغني ، وهذا أعقب ولده الفاضل الكامل الشيخ بكري البغال المتوفى في حدود ١٣١٠ رحمهم الله تعالى .

الشيخ أحمد البقاعي

ذكره السيد كمال الدين الغزِّي في كتابه « المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي »، قال:هو أحمد بن مصطفى بن قرقماش بن محمد بن أبي بكر بن حيمور البقاعي الأصل والشهرة الدمشقي الحنفي ، شيخنا العالم الفقيه الصالح البركة القدوة أبو العباس شهاب الدين ، ولد بدمشق سنة ١١٢٣ ونشأ بها في حجر والده ، وكان والده ساكناً في دار الأستاذ بحجرة منها ملازماً لخدمته ، فاستجاز من الأستاذ لولده المترجَم ، فأجازه ولقنه الذكر ، وألبسه الخرقتين النقشبندية والقادرية ، وصار صاحبُ الترجمة من خواصِّ عباد الله الصالحين صارفاً أوقاته في العبادة ، تاركاً ما لا يعنيه مقبلاً على الله بكليته ، وكان

يؤم بالحنفية في محراب المقصورة من الجامع الأموي وبقي على ذلك مدة طويلة ، وكان له نَفَسٌ مبارك على من يتعلم منه أو يقرأ عليه .

وكانت وفاته بعد أن كُفَّ بصره في آخر عمره وذلك صبيحة يوم الجمعة رابع شهر ربيع الثاني سنة خمس ومئتين وألف ، ودفن بالتربة الذهبية من مرج الدحداح بالقرب من قبر العارف الشيخ أيوب الخلْوَتي رحمه الله تعالى .

السيد أحمد البكري

قال في حقه بعض الفضلاء في كتاب يشتمل على الزيارات الدمشقية: هو أحمد بن محمد بن سعدي الحنفي الدمشقي الشهير بالبكري الصديقي ، الشيخ العالم العامل ، الورع الزاهد ، ولد بدمشق في حدود سنة مئتين وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها ومن أجلِّهم الشيخ نجيب القلعي ، وأخذ الطريقة القادرية عن السيد الشريف عبد القادر الصمادي ، ولما توفي هذا ، تولى المترجَم مشيخة السجادة القادرية بدمشق ، واستمر بها إلى أن مات .

وكانت وفاته سنة ستين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من قبر شيخه الصمادي ، وقبره معروف يزار رحمه الله تعالى وأموات المسلمين .

ويقال: إنّ جدَّ المترجَم سعدي أفندي تولى فتوى دمشق وتوفي سنة ١٢٢٥ والله أعلم .

الشيخ أحمد بيبرس

ترجمه الفاضل المذكور في الكتاب المسطور قال: هو أحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد العجلوني الشافعي الشهير ببيبرس . ولد في عجلون سنة ١١٧٤ وقدم دمشق وأخذ بالسماع والقراءة والإجازة عن الشمس محمد الكزبري والشهاب أحمد العطار ، والشيخ يوسف شمس ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ شاكر العقاد العمري وغيرهم .

وكانت وفاته يوم الخميس رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين ومئتين

وألف ، ودفن بتربة الباب الصغير بالقرب من الشيخ الحصني وقبره معروف يُزار ، انتهى .

وذكره الأستاذ البيطار في تاريخه وقال ما خلاصته: هو العالم النحرير والشافعي الصغير ، تسامَتْ منذ زمنِ شيوخه رتبتُه ، وعمَّت في قلوب الناس محبته ، برع في المعقول والمنقول ، وتبحَّر في الفروع والأصول ، وقد درس في أول أمره في المدرسة الفتحية بمحلة القيمرية ، فلما توفي الشيخ إسماعيل العجلوني إمام جامع منجك في ميدان الحصى ، ألحَّ عليه بعض الوجوه في الميدان بالانتقال إلى محلتهم المذكورة والقيام بوظائف الجامع المذكور فأجابهم إلى ذلك ، وقام بما عُهد إليه خير قيام . قال: وكان بينه وبين والدي محبةٌ كلِّية ولهما في كلِّ أسبوع أوقات ، يتذاكران فيها بعض الفنون والآلات ، ولم يزل المترجَم مواظباً على وظائف الجامع المنوَّه به إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

السيد أحمد التكريتي

ترجمه السيد الشريف الشيخ أديب أفندي تقي الدين في تاريخه المطبوع بدمشق قال ما خلاصته: هو أحمد بن داود بن حسين التكريتي الدمشقي الصالحي ، كان من أعيان صالحية دمشق ، انتهت إليه رياستُها ، وكان دَمِثَ الأخلاق ، رقيقَ الجانب ، ذا هيبة ووقار وجاهٍ واعتبار ، ذكره الشاعر البربير في رسالته التي وضعها في وصف طوفان دمشق الواقع في سنة ١٢٠٦ وأثنى على الجهود التي بذلها لتخفيف ألم المصابين ومساعدة الفقراء والمساكين ، وإصلاح نهر يزيد من مَقْسَمِه في الهامة ، إلى مقام الشيخ جابر في القابون ، وقال في حقه:

في الصالحية شهمٌ ... من حاتم الجود أحمَدْ
لا زلتُ أشكرُ منه ... فعل الجميل وأحْمَدْ

وكانت وفاة المترجَم سنة تسع وعشرين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

أحمد باشا الجزَّار

ذكره الجَبَرْتي في تاريخه المشهور قال ما خلاصته: هو الوزير الكبير والدستور الشهير أحمد باشا المعروف بالجزَّار البشناقي الأصل ، حضر إلى مصر في خدمة علي باشا حكيم أوغلي أيام ولايته الثانية سنة ١١٧١ ، واستأذن مخدومه إلى الحج فأذن له ، ولما رجع وجده قد انفصل عن ولاية مصر وسافر إلى الديار الرومية ، فاستمر المترجَم بمصر وتزَيَّا بِزيِّ المصريِّين ، وخدم علي بك (بلوط قبان) وتعلم الفروسية على طريقة الأجناد المصرية ، وقلَّده المذكور ولاية البحيرة ، وأرسله بتجريدة إلى عُربانها ، فذهب إليهم واحتال عليهم وجمعهم في مكانٍ وقتلهم ، وهم سبعون كبيراً ، وبذلك سُمِّي الجزَّار ، ورجع فأحبه علي بيك لنجابته وشجاعته . وتنقل عنده في الخدم والمناصب ، ثم قلده السنجقيَّة وصار من جملة أمرائه ثم كان ما كان بينه وبين مخدومه. . . فتنكَّر وخرج هارباً في صورة شخص جزائري ، وسار إلى الإسكندرية فالروم ثم رجع إلى البحيرة وتزوَّج هناك .

ثم سار إلى بلاد الشام فاستمرَّ فيها بين محاربات وتنقلات ، واشترى مماليك واجتمع لديه عصبة ، واشتهر أمره في تلك النواحي . ولم يزل على ذلك إلى أن مات الظاهر عمر في سنة ١١٨٩ ووصل حسن باشا الجزائري إلى عكا فطلب من يكون كفئاً للاقامة بحِصْنها فذكروا له المترجَم فاستدعاه وقلَّده الوزارة وأعطاه الاطواخ والبَيرق ، فأقام بحصن عكّا وعمَّر أسوارها وقلاعَها وأنشأ بها البستان والمسجد ، واتخذ له جنداً كثيفاً واستكثر من شراء المماليك ، وأغار على تلك النواحي ، وحارب جبل الدروز مراراً ، وغنم منهم أموالاً عظيمة ، ودخلوا في طاعته وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب ، وجُبيت إليه الأموال من كلِّ جهة حتى ملأ الخزائن وكنز الكنوز ، وصار يصانعُ أهل الدولة ورجال السلطنة ويتابع إرسالَ الهدايا والأموال إليهم فقلَّدوه ولاية الشام ، ووليَّ على البلاد نواباً وحكاماً من طرفه ، وطلع بالحج الشامي مراراً ، وأخاف النواحي وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل ، وقطع الآناف والآذان والأطراف ، ولم يغفر

زلّة عالم لعلمه أو ذي جاه لجاهه ، وسلب النِّعَم عن كثير من ذويها ، واستأصل أموالهم ، ومات في سجنه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطال حبسَه سنين حتى مات ، وكاد البلاد ، وقهر العباد ، ونصبتِ الدولةُ فخاخاً لصيده فلم يتمكنوا من ذلك ولم يسعهم إلا مسالمته ومسايرته ، وثبت قدمه وطار صيتُه في جميع الممالك والثغور ، وراسله ملوك النواحي وراسلهم ، وهادوه وهابوه ، وبنى عدة صهاريج وملأها بالزيت والسمن والعسل والشيرج والأرز وأنواع الغلة ، وزرع في بستانه سائر أصناف الفواكه . وبالجملة فقد كان المترجَم من غرائب الدهر ، وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ، ولا يسعف الفكر بتذكارها ، ولو لم يكن له من المناقب سوى استظهاره على الفرنساوية ، وثباته في محاربتهم أكثر من شهرين لكفاه ذلك! وكان يقول أنا المُنتظَر وأنا أحمد المذكور في الجفور ، ولم يزل على حاله حتى توفي على فراشه ، وذلك في أواخر سنة تسع عشرة ومئتين وألف . انتهى كلام الجبرتي .

وترجمه العلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي في مجموعة له فقال ما مختصره : صار المترجَم والياً بدمشق أربع مرات الأولى سنة ١١٩٨ وبقي سنتين ، ثم عُزل ، وتولى ثانياً سنة ١٢٠٥ واستقام خمس سنوات على حالٍ غير مستقيم من قتلٍ وسلْب وأجرام عظيمة ، ثم عُزل ، وتولى ثالثاً سنة ١٢١٣ وكانت العساكر الفرنساوية مستولية على مصر ، فوردت الأخبار بأنهم توجهوا إلى السواحل وأخذوا يافا وغَزَّة ، والجزَّار إذ ذاك في عَكّا ، فعقد الرؤساء والوجوه في دمشق مجلساً قرروا فيه جمع العساكر وإرسالها معونةً لأهل السواحل ، وكان إذْ ذاك غلاءٌ عظيم ، فجعلوا كلف الذخائر على تُجّار الصابون خاصَّة ، فبلغ المجموع من ذلك مقدار مئة وخمسين ألف قرش ، وفي اليوم الثالث توجهت العساكر من دمشق وقدرها أربعة آلاف وذلك في ٢٠ شوال من السنة المذكورة ، ثم لحقت بهم التيمارلية وبعض الغربية ، وانقسم الجميع إلى فرقتين ، فرقة توجَّهت إلى جهة صفد وفرقة توجهت إلى السكة نحو الجسر ، فقصَدَتْهم أناسٌ من العساكر الإفرنسية ، ففرُّوا بعد أن قُتل عدد منهم وعادوا إلى دمشق ، وصارت العساكر

الشمالية ترد على دمشق من جميع الأقطار ، حتى غلت الأسعار وكثر الجَوْر والفساد وخَرِبَتِ القُرى من سوء إدارة الرؤساء .

ثم وردت الأخبار بأن الجزَّار محصور ، وما زالت الأخبار تتجدد كل يوم بما وقع والعساكر ترد على الشام ، والمفاسد على ساق إلى أن ورد كتاب من قبل الجزَّار بأن الإفرنسيين جلَوْا عن عكا ، كما وردت الأخبار بأنَّ مصر استرجعت منهم قهراً ، وفي ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢١٤ وصل يوسف باشا الصدر الأعظم إلى دمشق فاستقصى أصحابَ المفاسد وأعدمهم الحياة ، وسعَّر الغِلال وغيرها ، ومهد الأمور . وفي أثناء ذلك ورد معروض من الجزَّار إلى الصدر المشار إليه يشعر باستقالته من ولاية دمشق ، فقبل استقالته .

ثم إن الجزَّار تولى دمشق رابعاً سنة ١٢١٨ وهو في عكَّا ، فأرسل إلى دمشق تعريفاً بذلك صحبة المفتي أسعد أفندي المحاسني ، وبعد تلاوته أخرجت الأوامر الصادرة منه فإذا أحدها بتعيين قائم المقام فجرى إيجابه ، وإذا أوامر أخرى بالقبض على عبد الرحمن أفندي المرادي المفتي السابق ، وجملةٍ من الرؤساء والوجوه ، فسجنوا في القلعة وفي غيرها ، وكتب للجزَّار بذلك فحضر الجواب بعد ليلتين بإعدامهم الحياة ، فقتلوا عبد الرحمن أفندي والدفتردار حسن أفندي ليلاً ، ثم قتلوا جملة ذوات معتبرين ، ولعل منهم المفتي أسعد أفندي المقدَّم ذكره كما هو مشهور ، وبادروا بسلب أموال الأهالي بدون حق وحمَّلوا التجار أغلبَ الأثقال فقد كانوا يهدِّدونهم بالضرب والتعذيب حتى يدفعوا المطلوب منهم ، وعظُم الأمر على أهالي الشام ، إذ أُرسل من عكَّا أشخاصٌ من الأكراد لتنويع العذاب على الأهالي بالنار والكعاب ، يضعونها في مصادغ مَنْ يريدون تعذيبه وهي محمية ومربوطة بالسلاسل ، وأمثال ذلك كثير ، واستمرَّ الحال على ذلك إلى افتتاح محرم الحرام سنة تسع عشرة ومئتين وألف ، وفيه وردت الأخبارُ بموت الجزَّار ، فتوجهت الناس إلى القلعة ، وأخرجوا الذين حبسوا من أجل المال ، ثم تتبعوا أعوان الجزَّار فقتلوهم ، وتفقَّدوا الأكراد الذين وُكِّلوا بعذاب الناس ، فعثروا عليهم في قرية التل ، فأحضروهم وعذَّبوهم بمثل الأنواع التي عذبوا بها

الناس ، ثم نتفوا لحاهم وقتلوهم شرَّ قِتلة . انتهى كلام السيد الحمزاوي .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه بما خلاصته: ولد المترجَم في بوسنه سنة ١١٣٥ ولما بلغ ١٦ عاماً ارتكب أمراً فظيعاً فهرب إلى القسطنطينيَّة ، وقضى بها مدَّة وهو في ذُل وفاقة ، إلى أن باع نفسه في سوق النِّخاسة ، وآلَ به الأمرُ إلى أن بِيع في مصر ، فدخل في سلك المماليك المصرية ، وساعده الحظ على المرام والأمنية ، حتى صار والي البحيرة وهناك لُقِّب بالجزَّار ، وكان مجبولاً على الفظاظة والقسوة ، مطبوعاً على الفسوق والآثام ، سفَّاكاً للدماء يفعل ما يشاء؛ قد اتخذ هواه هادياً ونصيراً ، وعتا في نفسه عُتوّاً كبيراً ، ثم ساءت سيرتُه في مصر ، فهرب إلى سورية ، ودخل دير القمر سنة ١١٨٥ ملتجئاً إلى الأمير يوسف الشهابي والي جبل لبنان حينئذ ، فرحَّب به الأمير وأكرمه ، ثم أرسله إلى بيروت ورتب له بعض الرسوم ، فأقام أياماً ، ثم أعرض عن ذلك وسار إلى دمشق . وفي سنة ١١٨٧ جعله الأمير المذكور متسلّماً من قبله على بيروت وجعل معه طائفة من المغاربة؛ ولم تمض مدةٌ حتى خان الأمير وعزم على مبارزته ، فشرع في ترميم الأسوار وهيأ الميرة وآلات الحرب للحصار ، ومنع أهل البلاد من دخول المدينة ولم يدعْ شيئاً يخرجُ منها ، فاستنجد الأمير يوسف بحسن باشا وهو قاصد القسطنطينيَّة فعاد وأخرج الجزَّار من بيروت ، فسار هذا بعسكره برّاً إلى صيدا ، وعددهم ستمئة ، فأرسل الأمير إليهم جماعة النكدية ، ولما التقى العسكران قتل أصحابُ الجزَّار أكثر النكدية وقبضوا على أعيانهم ، ثم سار الجزَّار إلى صيدا فبعلبك ، وعظُم أمره في تلك الأقطار ، ووقع الصلح بينه وبين الأمير المقدَّم ذكره .

ثم إن الجزَّار صاحبَ الترجمة خان الأمير ظاهر العمر بعد أن أنعم الأمير عليه بقيادة جيشه فقتله بيده ، ولما كان الأمير ظاهر عدواً للدولة العثمانية ، أنعمت الدولة على الجزَّار بولاية عكّا وصيدا معاً ، ثم منحته الوزارة وولاية دمشق وذلك سنة ١٢١٨ . فزاد في طغيانه من قتل الأنفس وسلْب الأموال ، حتى قتل خلقاً كثيراً من أعيان دمشق ، ومن أفضلهم عبد الرحمن أفندي المرادي

مفتي دمشق ، وأسعد أفندي المحاسني مفتيها أيضاً ، واصطنع للناس أنواعَ العذاب بآلات اخترعها له طائفةٌ من الأكراد أعانوه على ظُلم العباد ، وأقرُّوه على دعواه بأنه مجدِّد الوقت ، وكان رئيسُهم يدعي التصوف ويقول إن الشيخ الأكبر أخبر عنه في فتوحاته! وقد ادعَوْا أنَّ قتله الأنفس وسلْبَه الأموال ليس حراماً بل هو حلال ، حتى أكفروا علماءَ عصرهم المنكرين عليهم . وكان من أعوان الجزَّار رجلٌ اسمُه عبد الوهَّاب ، له اطلاع في بعض العلوم ، أرسله إلى دمشق على رأس طائفة من العساكر ، وكان إليه المشورة في أمورهم ، فصار يتغالى في قباحته وإساءته ويتلذَّذ بقتل الرجال وسلب الأموال؛ حتى كادت تخافه الأطفال ، وما زال هذا الضال يتغالى في ظلمه حتى تحرَّكت الدولة الفرنساوية ، لدخول البلاد الشامية ، فحاصرتْ عكا سنة ١٢١٤ ثم قَدِمت مراكب إنكليزية إلى عكا لرد الفرنساويين ، فلم تمض مدةٌ حتى رجع بونابرت بعساكره ، فصفا الوقت للجزار فعاد لظلم الناس وتعذيبهم بالقتل والقطع والسَّحْل والجَدْع ، إلى غير ذلك من الأفعال الفظيعة ، والأحوال الشنيعة ، حتى صار جَوْرُه مَثَلاً سائراً ، ولم يزل على حاله حتى هلك قبَّحه الله سنة ١٢١٩ في عكّا ودفن بها في الجامع المنسوب إليه ، وعادت دمشق إيالةً على حدة سنة ١٢٢٠ ، انتهى كلام البيطار .

قلت : ورأيت للعلامة السيد محمد أمين عابدين بيتين يؤرِّخُ بهما وفاة صاحب الترجمة وهما قوله :

هلك الجزَّارُ ولا عَجَبٌ ومضى بالخِزْي وبالإثم
وبِمَهْلِكِهِ الباري عنّا أَرِّخْ قد كفَّ يَدَ الظُّلْمِ
(١٢١٩)

أحمد أفندي الحَسِيبي

ترجمه العلامةُ البيطار في تاريخه وقال في وصفه : هو أحمد بن علي حسيب بن محمد العطار المعروف بالحسيبي الدمشقي الحنفي . أحد أعيان الشام ، وأوحد الأماجد العِظام . نبعة المفاخر وعمدة الأكابر ، وحاوي المجد كابراً عن كابر ،

ولد بدمشق سنة ١٢٠٦ ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، ثم ترقى في المناصب إلى أن صار عضواً في مجلس شورى الشام ، وكان مهيب الطلعة نافذ الكلمة .

ولما كانت حادثة النصارى سنة ١٢٧٦ نُفي المترجَم مع من نفي من علماء الشام وأعيانها إلى قلعة الماغوصة في قبرص .. وبعد مدة عُفي عنه فعاد إلى دمشق واستقرَّ على حالته الحسنة .

وفي سنة ١٢٩٣ توجه إلى الحجاز حاجّاً فتوفي بالمدائن ذهاباً ودفن عند القلعة ، وقبره ظاهر ، وقد كتب عليه أبيات من نظم أمين أفندي الجندي مفتي دمشق وهي قوله :

حلَّ في ذا الضريح عبدٌ تقيٌّ ... وحَسيبٌ من آلِ بيتِ محمدْ
عاش دهراً ومات قاصدَ حجٍّ ... فعلى الله أجرُهُ قد تأكَّدْ
هاتفُ الغيبِ قال بالبِشْر أرِّخْ ... قدِّسَتْ روحُ ساكنِ الرَّمْس أحمَدْ
(١٢٩٣)

انتهى . قلت: والمترجَم هو والد الوجيه الكبير أبي السعود أفندي الحَسِيبي نقيب الأشراف بدمشق سابقاً المتوفى في حدود سنة ١٣٣٥ رحمهما الله تعالى .

الشيخ أحمد الدسوقي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال: هو أحمد بن محمد الدسوقي الأصل الدمشقي المولد والمنشأ الشافعي . كان في دمشق الشام من ذوي الفضل التام ، يُعتمد في الصواب عليه ويُشار في تحقيق الجواب إليه ، وكان عالماً عاملاً وتقياً كاملاً ، ذا شمائلَ حسنة ، وفضائل مستحسنة ، قد دأب على العبادة والقناعة والزهادة ، إذا حل بنادٍ تهلَّل بالبشر والسرور ، وتحلَّى بأنواع الجمال والحبور .

توفي سنة سبعٍ وأربعين ومئتين وألف في المدينة المنورة ، ودُفن بالبقيع رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثواه .

★ ★ ★

الشيخ أحمد الطبَّاخ

ترجمه الأستاذ المذكور في تاريخه المسطور فقال: هوأحمد بن محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخَلْوَتي المعروف بالطبَّاخ ، الشيخ الصالح العابد الزاهد شيخ الطريقة الخلْوَتية بدمشق بعد والده الآتي ذكره . وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ودفن في مَرْج الدَّحْداح عند قبر والده رحمهما الله تعالى ، انتهى .

قلت : المترجَم هو والد الشيخ حسن المتوفى بعد سنة ١٣٠٠ عن ولديه السيد سعيد والسيد أبي الخير الباقيين الآن .

الشيخ أحمد العطَّار

إمامُ أئمة دمشق ، وأستاذ أساتذتها ، وحبر أحبارها ، وجِهْبِذ جهابذتها ، الذي شاع ذِكرُه في القرى والأمصار ، واشتهر كالشمس في رابعة النهار ، بركة الخاص والعام ، وحسنةُ الليالي والأيام ، محدِّث العصر وفقيهه ، وفَطِن الدهر ونبيهه ، إمام الشافعية في جامع بني أمية؛ ومدرِّس الحديث في التكية السليمانية ، شهاب الملة والدين أحمد بن عبيد الله بن عسكر بن أحمد الشهير بالعطَّار الحمصي الأصل ، الدمشقي المولد والسكن والوفاة الشافعي ، لخصنا ترجمته عن ثبته الذي جمعه له العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعن ثبت الفقيه الشيخ شاكر العقاد الذي جمعه له العلامة السيد محمد أمين عابدين ، فنقول:

كان مولده سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف ، وقرأ القرآن الكريم قراءة تدبُّرٍ وإتقان ، على مقرئ الديار الشامية ، الشريف ذيب بن خليل تلميذ سيدي أبي المواهب الحنبلي ، وأخذ الحديث والفقه عن كلٍّ من الشيخ علي كزبر ، والشيخ محمد الغزِّي مفتي الشافعية ، والمحدِّث الشيخ إسماعيل العجلوني ، وقرأ في المنقول والمعقول على كلٍّ من الشهاب أحمد المنيني ، وعلي أفندي الطاغستاني مدرس قبة النسر ، والشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكردي ، والشيخ عبد الله بن

زين الدين البصروي ، والشيخ موسى بن أسعد المحاسني ، والشيخ محمد بن محمد قولقسز ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد الصناديقي ، والمنلا عباس الكردي ، والشيخ محمد الديري ، والشيخ أحمد البَعْلي مفتي الحنابلة ، والشيخ عوَّاد الكوري ، والشيخ محمد التدمري ، والشيخ محمد سعيد الجعفري ، وأجازه كلٌّ من الشيخ محمد بن سليمان الكردي ثم المدني ، والشيخ محمد التافلاتي مفتي القدس ، والشيخ محمد بن أحمد البخاري الخليلي لمّا وردوا إلى دمشق ، وكاتبه بالإجازة من الحجاز الشيخ محمد الفتني ، ومن القاهرة الشهابان الجوهري والمَلَوي ، والشمس محمد الحفني ، وأخوه الجمال يوسف ، والشيخ عطية الأجهوري .

وقد استفاد المترجَم وأفاد ، وبذل الجهد في نفع العباد ، وقرأ بين العشاءين في الجامع الأموي كتباً عديدة منها « الجامع الصغير »، و« الجامع الصحيح » للإمام البخاري ، و« إحياء علوم الدين » للغزالي مرتين ، وشرع في الثالثة ، وقرأ « الدر المنثور » للسيوطي بعد الظهر في محراب الشافعية وغير ذلك ، ووجهت إليه وظيفة تدريس السليمانية ، فقرأ فيها صحيح البخاري ، وكان مثابراً على أنواع الطاعات والعبادات والبر والخيرات ، وحجَّ أربع مرات ، المرة الأولى سنة ١١٧٦ والثانية سنة ١١٩٦ والثالثة سنة ١٢٠٣ والرابعة سنة ١٢٠٧ ، وارتحل إلى بلاد الروم ومصر ، وكان غالب جلوسه في الجامع الأموي في محراب الشافعية ، وقلما رئي إلا وهو يدرِّس أو يقرأ القرآن الكريم أو يصلّي أو يسبِّح ، وكان أمّاراً بالمعروف ، نهّاءً عن المنكر ، صوّاماً قوّاماً ، قضّاء لحوائج الناس ، ذا بشاشة وهيبة ووقار ، تعلو وجهه نضارة أهلِ الحديث .

ولما تغلَّب الإفرنسيون على مصر وحاصروا عكّا ووصلوا إلى صفد وبلاد نابلس سنة ١٢١٤ شمَّر المترجَم عن ساق الاجتهاد ، ودعا الناس إلى الجهاد ، وخرج مع عسكر دمشق مجاهداً بنفسه وماله وأولاده ، حتى التقى الجمعان وكان هو في أول الصفوف يشجِّعُ النّاس ، ويحرِّضهم على القتال ، ويبين ما لهم من ثواب الملك المتعال .

وكانت وفاته رحم الله روحه ، ونوَّر مرقده وضريحه ، مع غروب الشمس من نهار الخميس من شهر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة ومئتين وألف في دارٍ سكنها قبل وفاته بأشهر ، خارج باب السلام ، وصلي عليه ضحوةَ نهارِ الجمعة في مسجد الأقصاب وتقدَّم للصلاة عليه العلامة الشيخ محمد الكزبري ، ودفن بتربة مرج الدَّحْداح في مشهدٍ حافل ، ورثاه العالم الأديب السيد أحمد البربير البيروتي بقصيدة مطلعها:

صاح عدِّدْ فاليوم مات البخاري   مـــذ رزئنـــا بشيخِنـــا العطَّـــارِ

ورثاه السيد محمد أمين عابدين بقصيدة أولها:

.ليقدحِ الجهلُ في البلدانِ بالشررِ   ولْيسكنِ العلمُ في كُتبٍ وفي سَطَرِ

قلت : وقد انعقدت مشيخةُ دمشق في رأس هذا القرن على المترجَم والعلامة محمد الكزبري المذكور ، فكان المترجَم شهابها والكزبري شمسها ، ولا غرو فهما في العلم توأمان ، وفي التقى رضيعا لبان ، فإنَّ ولادة المترجَم سنة ١١٣٨ ووفاته سنة ١٢١٨ عن ثمانين سنة ، وولادة الكزبري سنة ١١٤٠ ووفاته سنة ١٢٢١ عن إحدى وثمانين سنة ، وقد اشتركا في أكثر مشايخهما ، وكذلك اتفق لولديهما الشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، فإن ولادة الأول سنة ١١٨٦ وولادة الثاني سنة ١١٨٤ وكلاهما كأبيه ، كان صدراً في الشام ينتفع به الخاص والعام ، وقد حجا معاً ، فتوفي الأول في القطرانة سنة ١٢٦٣ إياباً ، والثاني في مكة سنة ١٢٦٢ ذهاباً ، وهذا من غريب الاتفاق ، وستأتي ترجمةُ كلٍّ منهم في حرفه إن شاء الله تعالى ١٣٢٤ .

أحمد أفندي العجلاني

أحمد بن سعيد بن حمزة بن علي بن إسماعيل الشهير كأسلافه بالعجلاني الحنفي الدمشقي ، نقيب الأشراف بدمشق ، وأحد رؤسائها الأجلاء ، ولد بدمشق في بيت أبيه وجدِّه بيت العزِّ والسيادة؛ ونبل قدره ، وعظم أمره ، وولي

نقابة الاشراف بعد وفاةِ عمه محسن أفندي ، وأخيه راغب أفندي .

ولما كانت حادثة النصارى بدمشق سنة ١٢٧٦ نُفي المترجَم في جملة من نفي إلى جزيرة قبرص ، ثم توفي هناك في رمضان سنة سبع وسبعين ومئتين وألف ، ودُفن في تكية الأستاذ مراد .

وكان سخيَّ الكفّ ، كريم الطبع ، ولم يُعقب ذكراً ، وقد وُجِّهت النقابة بعده إلى المحدِّث الشيخ أحمد مسلم الكزبري ، ثم إلى أحمد أفندي مَنْجَك العجلاني ، ثم إلى السيد صالح أفندي تقي الدين ، ثم أعيدت إلى سلفه العجلاني ، ثم انتقلت إلى أبي السعودأفندي الحَسِيبي ، ثم إلى السيد أديب أفندي تقي الدين الموجود الآن (١٣٣٤) فسبحان محوِّل الأحوال .

وقد أثنى العلامة البيطار في تاريخه على صاحب الترجمة؛ وقال في وصفه: أحد صدور دمشق الشام ، وقمر سماء ذوي الاحترام ، من سما في المعارف والأدب ، ورقي بكمالاته أسنى الرتب ، وكان له في الكرم كف ، لاتعرف القبض والكف ، وما زال يتقلَّب على فُرش الهناء ، محفوظاً من كلِّ كربٍ وعناء ، حتى كان ما كان من حادثة النصارى ، ونُفي مع من نفي إلى قبرص ، فمات عقيماً غريباً مظلوماً رحمه الله تعالى ، انتهى .

الشيخ أحمد العُمَري

ترجمه العلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق في مجموعة له قال: هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد العمري الصحيحُ نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما هو مشهور بدمشق الشام ، وقد كان شافعي المذهب خلْوَتيَّ المشرب ، دمشقيَّ المولد والمنشأ . ولد سنة تسع وتسعين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده فقرأ القرآن الكريم وجوَّده ، وأخذ في طلب العلم ، وخدم والده الخدمة اللائقة ، فأجازه وخلَّفه وألبسه الخِرْقة وسلكه في الطريقة الخلْوَتية .

وارتحل المترجَم بإذن والده إلى الديار الرومية ، فأقام في القسطنطينية خمس

سنوات في زاويةٍ بناها هناك ، ولازم الأذكار والأوراد ، وصار معتَقَد العباد ، وأخذ عنه الجمُّ الغفير من تلك البلاد؛ ثم ارتحل إلى جهة الحجاز حاجاً ، وتوجه منها إلى جهة الغرب فوافى تونس ، وطاب له فيها المقام فمكث بها خمسة أعوام ، وهو يقطف من نوارها ، ويستضيء بأنوارها ، ثم حنَّتْ نفسه إلى الوطن ، فتوجه إلى دمشق ، ولازم خدمة والده إلى أن توفَّاه الله فصار الخليفة من بعده ، وعقد المجالس وأقام الأذكار ، ولم يزل مستقيماً على حالته إلى أن تُوفِّيَ .

وكانت وفاته في محرم الحرام سنة ١٢٥٢ رحمه الله تعالى . انتهى .

قلت : ومن أحفاده الفاضل أحمد أفندي المتوفى نحو ١٣٥٥ .

الشيخ أحمد القَلْعي

ذكره الأستاذ البيطار في تاريخه فقال: هو أحمد ابن الشيخ نجيب بن أحمد الشهير بقنبازو القلعي الدمشقي الحنفي ، ولد بدمشق وبها نشأ وتفقه على والده الشهير ، وقرأ على غيره من علماء عصره ، وبرع وفاق ، واشتهر في الآفاق .

توفي في خامس عشر شوال سنة ست وخمسين ومئتين وألف ودُفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : وبنو القلعي أسرةٌ معروفة في دمشق ، ومنهم المولى الفاضل عبد القادر أفندي رئيس الكتاب بمحكمة الباب المتوفى بعد سنة ١٢٦٠ ، وولده أحمد أفندي الذي صار نائباً في بعض محاكم دمشق وتوفي في حدود سنة ١٢٩٠ ، ومن أفضلهم وأكملهم الشيخ رشيد المتوفى سنة ١٣٠٢ وولده الشيخ يحيى أفندي مفتي الجيش العثماني المتوفى بعد سنة ١٣٤٠ وستأتي ترجمة والد المترجَم في حرفه إن شاء الله تعالى .

الشيخ أحمد مُسَلَّم الكُزْبَري

هو أحمد مسلم بن عبد الرحمن بن الشمس محمد بن عبد الرحمن الكزبري الشافعي الدمشقي ، العالم الفاضل التقي النقي ، مدرس الحديث تحت قبة

النسر ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١٢٤١ ، وأخذ عن والده محدِّث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعن الجد شيخ الحنابلة بدمشق الشيخ حسن الشطي ، وعن العلامة الشيخ قاسم الحلاق ، ولازمه الملازمة التامة وأخذ عن غيرهم ، وكان المترجَم محدثاً فقيهاً تولى تدريس البخاري تحت القبة من الجامع الأموي في الأشهر الثلاثة بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ ، واستمرَّ فيه إلى أن توفي ، ودرس أيضاً بالمدرسة السليمانية وكان مشهوداً له بحُسْن الإلقاء وجَوْدة التقرير ، وفي ذلك يقول الشيخ يوسف المغربي في قصيدته الشهيرة:

أما ابن شيخي إذا ما السنُّ أخره فحسن إلقائه في الدرس يكفيهِ

وتولى المترجَم نقابة الأشراف بدمشق بعد أن نُفي السيد أحمد العجلاني في حادثة النصارى ، ثم فُصل عنها فأُعيدت إلى بني العجلاني .

وكانت وفاة المترجَم بدمشق في الحادي والعشرين من المحرم سنة تسع وتسعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، وأرخ وفاته الشاعر الشهير الشيخ محمد الهلالي الحموي ثم الدمشقي بقوله:

على الدنيا ظلامُ الحزنِ خيَّمْ لفقد الكزبري الشيخِ المُسلَّمْ
مضى الراوي المحدِّث عن نبيٍّ عليه ربنا صلى وسلَّمْ
ألا أنعِمْ بذي عملٍ وعلم له المولى بدارِ الخُلْدِ أنعَمْ
لقد نعتِ البلادَ دمشقُ لمَا دعا بنقيبها القَدَرُ المحتَّمْ
وصبحُ الفضل بعد النشر أرّخ طواهُ القبرُ في الشهر المحرَّمْ
(١٢٩٩)

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه ، وقال في وصفه : هو من بيت عمرتْ بالعلم ربوعه ، وزُيِّنت بالفضل أصولُه وفروعُه ، ورفعت العبادةُ مقامه ، ونشرت السيادةُ أعلامه ، وكان المترجَم على طريقة آبائه الكرام ، وأصوله الأعلام؛ ولد سنة ١٢٣٦ (كذا) وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل .

قال: وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار مدة في الحديث وغيره، واستجازه فأجازه، وكان للمترجم عزٌّ وجاه إلى أن صار مقصوداً في النوائب، وأقبل عليه الناس من كل جانب، وأحبه الولاةُ والحكام، ورفعوا قدره على كاهل الاحترام، ولذلك كان جاهُه لعلمه ساتراً ولتقدُّمه على أقرانه ناصراً، انتهى.

الشيخ أحمد كشوره الأصبحي

ترجمه الشيخ البيطار في تاريخه فقال: أحمد بن عبد الغني الأصبحي المشهور بكشوره الدمشقي الميداني الشافعي القادري، علم العلماء، وتاج الفضلاء، صاحب الصفات العالية، والشمائل السامية. قال: قرأ على والدي مدة حياته، ولم يزل دائباً على الطلب إلى مماته، وكان له مشاركة في الفنون العربية، وقدم راسخ في العلوم الشرعية، رحل إلى القدس الشريف بقصد الزيارة فتوفي هناك في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ومئتين وألف، وقد أمر والي القدس إذ ذاك حسن بك ابن موسى باشا بتجهيزه ودفنه، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى.

أحمد أفندي المالكي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه: هو أحمد بن سليمان بن يوسف بن محمد بن شمس الدين محمد بن يحيى بن أحمد الدمشقي الحنفي المشهور كأسلافه بالمالكي المغربي الأصل. صدر الشام، وعين أعيانها الفخام، ولد بدمشق سنة ١٢٠٨ ونشأ في حجر والده واشتغل في طلب العلم مدة، ثم صار من الكتاب في محكمة الباب، ثم ولي بعض النيابات في محاكم دمشق، ثم رقي إلى نظارة أوقاف الشام، فنظارة النفوس بها وغير ذلك، وأخيراً عين عضواً في مجلس الشورى الكبير، وتقدم فيه على غيره لمهارته في الأمور، وازداد في القدر والاحترام، على مرور الأيام، وكثر ماله واتسعت أملاكه. ولما استولى على الشام الوزير إبراهيم باشا المصري

قرَّبه إليه ، واعتمد في المهمات عليه ، وكان المترجَم موفور الحرمة ، مقبولَ الرجاء ، ذا مروءة ، يحبُّ قضاء حوائج الناس .

وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف ودُفن في المقبرة الذهبية من مرج الدَّحْداح رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين .

الشيخ أحمد المخللاتي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه؛ وقال في وصفه: برع وفاق ، وملأت شهرته الآفاق ، ولد بدمشق في جمادى الأولى سنة ١١٧٦ وقرأ على المشايخ إلى أن برع ، وطلع بدره في أفق المعارف ولمع ، وشهدت له السادة بالعلم والفضل والتقوى والعبادة ، وكان مع مشاركته في العلوم ، وتحقيقه في المنطوق والمفهوم ، قد انفرد في علمي الفرائض والحساب ، وصار فيهما من الأئمة الأنجاب .

وكانت وفاته سنة سبع وأربعين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، انتهى . وستأتي ترجمة والده محمد في حرفه إن شاء الله .

أحمد أفندي المنيني

ترجمه بعض الفضلاء في مجموعة له قال: هو أحمد بن إسماعيل بن الشهاب أحمد بن علي العثماني الطرابلسي الأصل ، الدمشقي الحنفي الشهير بالمنيني . الشيخ الإمام العالم الهمام ، ولد بدمشق في النصف الثاني من جمادى الثانية سنة ١١٧٦ ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم له انتفاعاً والدُه مفتي دمشق ، وابن عمه العلامة محمد أفندي ، والعلامة شمس الدين محمد الكزبري ، والعلامة الشيخ شاكر العقاد ، والعلامة الشيخ نجيب قنبازو القلعي وغيرهم ، ولما توفي ابن عمه المذكور وجه إليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة في الثلاثة الأشهر ، فقرأ درساً واحداً ، وكان منحرف الصحة ، فوكّل عنه العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وكان فرداً من أفراد العالم ، وله اليد

الطولى عند الحكام ، انتهى .

قلت ورأيت من شعر المترجَم في بعض مجاميع صاحبه السيد كمال الدين الغزِّي قوله مضمناً:

أيـــا مليـــكَ جمـــالٍ قـــد شـــدَّ للفتْـــك أزْرا
لم لامُ صُـــدْغَيْـــكَ جـــرَّت إلى فـــــؤاديَ كَسْرا
وميـــم ثغـــرك تحـــوي راحـــاً وروحـــاً وعِطـــرا
يـــامـــن تملَّـــكَ مصر الْـ ـفـــؤادِ منـــيَ دَهْـــرا
إليـــك روحـــي ومـــالي فـــاغْنَـــمْ ثنـــاءً وشكـــرا
أجـــاب إني غنـــيٌّ (أليـــس لي ملـــك مصرا)

وكانت وفاة المترجَم في حادي عشري المحرم سنة ست وخمسين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدَّحْداح ، وكان والده إسماعيل أفندي مفتياً بدمشق وجده الشهاب أحمد من علمائها الأعلام ، ترجمهما المرادي في تاريخه ، وقد خلف المترجَم ولده العلامة محمد أفندي مفتي دمشق المتوفى في سلخ رجب سنة ١٣١٦ رحمهم الله تعالى .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال في وصفه: كان ذا همة علية ، وسخاوة حاتمية ، فصيح المقال ، مستقيم الأحوال ، تبسَّم في دمشق ثغرُ إقباله ، وأشرق فيها بدر إجلاله ، وخطبَتْه المناصب ، وأجلسته على منصة المراتب ، إلى آخر ترجمته تغمده الله برحمته .

أحمد عزت باشا والي الشام

ذكره الأستاذ البيطار في تاريخه ، وسرد حادثة النصارى التي كانت في عهده فقال ما مختصره: هو الوزير الكبير ، والوالي المشير ، مَنْ بهر الألباب بحسن تدبيره واهتمامه ، وظهر في الناس ظهور البدر في تمامه ، ونهج منهج العبادة ، ونال من الكمال الحسنى وزيادة ، ٧ ودخل دمشق سنة ١٢٧٥ والياً على القطعة السورية ، ومشيراً على الفرقة العسكرية ، فكانت له السيرة الحسنة ، والأوصاف

المستحسنة؛ أخذ الطريقة الخَلْوَتية عن الشيخ المهدي المغربي نزيل الخُضيريَّة ، وكان قبل ذلك بين ريحان وراح؛ وإخوان لجلب المسرات والأفراح؛ وقد ركب في أقواله وأفعاله هواه ، وأعطى نفسَه ما تحبه وتهواه ، ثم ضرب صفحاً عن جميع هفواته ، ومحا ماضيَ سيئاته بحاضر حسناته ، إلى أن سلبَتْه جلاوةُ الطاعة الإقبال على دنياه ، وساقته إلى ما ينفعُه في أخراه ، فأهمل النظر في أمور السياسة ، حتى وقعت فتنةٌ بين الدروز والنصارى في جبل لبنان ، وبغتِ الأولى على الثانية بالضرب والقتل ، واغتالوا البنين والبنات ، وخرَّبوا القرى ، وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال ، وليس لهم في ذلك معارض ولا منازع . ودام هذا الأمر إلى أول ذي الحجة سنة ١٢٧٦ وقد هرب كثير من النصارى إلى دمشق ظناً منهم أن الحكومة تحميهم من الدروز ، وصارت الدروز تدخل دمشق بأنواع السلاح ، وتحرِّض الأشقياء على قتل النصارى ونهب أموالهم ، والوالي المترجَم ساكتٌ عن هذا كله! حتى ظنَّ بعضُهم أن ما وقع إنما كان بأمر سلطاني:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسَناً ما ليس بالحَسنِ

وما زالت الأشقياء تتطاول أعناقهم ، والدروز يجدِّدون هممهم إلى تاريخ ٣ ذي الحجة ١٢٧٦ ويومئذ ذهب بعض النصارى إلى الوالي ، طالبين إنقاذهم من هذه الفتنة ، فأمر الوالي بالقبض على بعض الأولاد وتأديبهم ، فأخذ رجال الحكومة جملة من الأولاد وقيدوهم بالحديد ، وهنا قامت عصبةٌ من الجهلة في باب البريد ، ونادَوا بأعلى صوتهم (ياغيرة الله) فتلاحقت الأشقياء إلى حارة النصارى وأقبلت عليهم الدروز أفواجاً أفواجاً ، واشتغلوا بالحَرْق والقتل والسلب والنهب ، قال البيطار : فأنشأتُ في الحال خطبة وألقيتها في جامع كريم الدين (الدقاق) بتحريم هذه الأفعال ، وأنها موجبة للنكال ، فانكفَّ أهل الميدان عن سفك الدماء . واجتلبوا من أمكنهم جلبه من الرجال والنساء ، لحمايتهم من الأشقياء

صانوا الحريمَ مع الأطفال واحتسبوا على الغريم بربٍّ للورى فَطَرا
هم الكرام لهم في كلِّ حادثةٍ غوثُ الصريخِ وبذلٌ وافرٌ وقِرَى

والوالي مازال على عهد الإهمال ، وإنما عيَّنَ للمحافظة أربعة من الأعيان ، اثنين من المدينة واثنين من الميدان ، وبذل حضرةُ الأمير عبد القادر الجزائري كلَّ همته في ذلك ، فأنفق أمواله ، وبثَّ رجاله لتخليص من قدَرَ عليه . هذا وقد بقيت النارُ تضطرم في حارة النصارى سبعة أيام ، والناس فوضى كأنه ليس لهم إمام ، ولما حضر بعضُ النصارى إلى الميدان وقد امتلأت بهم البيوت ، أخذنا نطوف عليهم ونهنِّئُهم بالسلامة ، ونطيِّبُ قلوبهم ، وكنا لانرى منهم غير دمع سائل وقلبٍ واجف ، ورجاء قليل وبال كاسف ، هذه تقول : ولدي ، وهذه تقول : مالي ، والرجالُ منهم حَيَارَى ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، فيالها من مصيبة ما أعظَمها ونكبةٍ ما أجسمَها . . . ثم ذهبنا جملة كبرى من أهل الميدان إلى حارة النصارى لعلنا نجد حياً نُنْقذُه من القتل ، فلم نجدْ غير من قضى عليه الحسام ، ونفذ فيه جَوْر الأيام ، وما من مغيث ، غير كلب عقور وشقي خبيث ، وبات المساكين وصبحُ جمالهم عاتم ، ومحلاتهم قامت عليها المآتم ، صرعى على وجه الأرض ، قد افترشوا التراب ، وتضرَّجوا بالدماء . والنار تلعبُ ألسنتها في تلك القصور ، بعد زينتها بالولدان والحور ! وقدِم دروز الجبل الشرقي إلى أرض القدم ، فطلبوا من أهل الميدان تسليم النصارى الذين دخلوا في حمايتهم ، فناصبوهم العِداء ، وأبَوا أن يسلِّموهم أحداً من أولئك البؤساء ، ثم تنازل الدروز عن العِناد إلى الوداد . وحسم الله مادة الشر .

وما زال أهل الميدان في الليل والنهار ، يحرسون النصارى من الأشقياء الأشرار ، إلى أن دخل الشام محمد معمر باشا بأربعة آلاف جندي ، وكان في ختام ذي الحجة سنة ١٢٧٦ قد سافر الوالي المترجَم إلى بيروت ثم إلى الآسِتانة . ثم في حادي عشر المحرم دخل الشام ناظرُ الخارجية فؤاد باشا ، مرخَّصاً من قبل الدولة العثمانية وغيرها بأن يفعل ما شاء ، ومعه بدلاً من صاحب الترجمة عبد الحليم باشا والياً ومشيراً ، وعددٌ عظيم من الجنود ، فاجتمع بالشام من العساكر السابقة واللاحقة نحو ثلاثين ألفاً ، ثم بعد ثلاثة أيام أمر بعقد مجلس عام قرر فيه إعادة مأخوذات النصارى ومسلوباتهم .

فلما كان صباحُ الجمعة ١٦ محرم وجد الناس أثمان الشام قد امتلأتْ من العساكر ، وأبوابَ البلد مغلقة ، فدخل عليهم من الهم والكدر شيءٌ عظيم ، ثم أرسلت الحكومة لكلِّ ثُمن مأموراً يجمع المأخوذَ والمسلوب ، وأعلنت أن من عنده شيء فليأت به ، فبادر النّاس بالإحضار؛ وصار بعضهم من الخوف والوهم يلقون ما عندهم في الطريق ليلاً ، وقبضت الحكومة على بعض الناس وحبَسَتْهم في التكية ، واستدام جمع المسلوبات إلى ٢٢ محرم ، ثم شكت النصارى للحكومة على بعض الناس ، هذا يقول : قتل ولدي ، وهذا يقول : قتل والدي ، وهذا يقول : أخذ مالي ، وهذا يقول ، فقدتُ أطفالي . والعساكر تقبض على كل من يُتَّهم بشيء سواء من الأنصاف أو من الأشراف ، حتى اجتمع في التكية نحو ثلاثة آلاف .

ثم في غرة صفر سنة ١٢٧٧ أُعيد صاحب الترجمة أحمد باشا من الآستانة إلى الشام ، معزولاً من منصبه ومفوَّضاً أمرُه إلى فؤاد باشا ، فوُضع في الحبس كغيره ، ولم يدر عاقبة أمره .

ثم في ٢ صفر عقد فؤاد باشا مجلساً خاصاً سرياً جمع فيه العلماء والأعيان ولم يعلم أحد عنه شيئاً ، سوى أن الباشا قسم أصحاب الجنايات إلى ثلاثة أقسام ، سالب ومهيِّج وقاتل .

فلما أصبح الناس يوم الاثنين في ٣ صفر وجدوا سبعين رجلاً من أهل الشام قد صلبوا مفرقين في أنحاء البلد وأكثرهم من الوجهاء .

وفي ٥ صفر تعاظم الشر وتفاقم الضر ، حيث أُخذ عالم الشام الشيخ عبد الله الحلبي وحُبس في دار البلطجية ، ومفتي الشافعية عمر أفندي الغزِّي وحبس في التكية ، ومفتي دمشق طاهر أفندي ، ونقيب الأشراف أحمد أفندي العجلاني ، وأحمد أفندي الحَسِيبي ، وعبد الله بك العظم ، وسعيد بك شمدين ، وعبد الهادي أفندي العمري ، وصالح آغا المهايني وغيرهم من الأعيان ، كلٌّ واحد منهم بمكان ، لايدخل عليه إنسان ، وكانت الحكومة تستنطقهم كلَّ يوم .

وفي ٧ صفر أمر فؤاد باشا بإخلاء بعض البيوت لإسكان النصارى

المصابين ، فأُخلي لهم ما يكفيهم من بيوت القيمرية والقنوات والشاغور وباب توما .

وفي ٩ صفر عادت العساكر إلى الأثمان طالبين منهم أربعةَ أسنان لإدخالها في العسكر السلطاني ، فجمعوا عدداً وافياً ، وكتبوا على مشايخ الحارات سنداتٍ بتقديم الباقي .

وفي ٢١ صفر وزعت أوراق رسمية على بعض الناس بأحد الأمرين إما تقديم أولادهم للعسكرية ، أو دفع بدل عن كلٍّ واحد مئتي ليرة عثمانية .

وفي ٢٢ صفر حكم فؤاد باشا بالإعدام على المترجَم أحمد باشا وعلى جملةٍ من أمراء العسكرية ، فأخذوهم إلى القشلة القريبة من المولوية ، فاستسلم أحمد باشا وكان صائماً وفي يده دلائل الخيرات . وأبى أن يشربَ الماء قبل إزهاق روحه . وقال : لاأفطر إلا في الجنة ، فصفوهم وجعلوهم هدفاً للرصاص ، وأعدموهم ولاتَ حين مناص ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي ٢٣ صفر سافر فؤاد باشا إلى بيروت وصحبته جملةٌ من المحبوسين ، فمنهم من نفاه ومنهم من أدخله في الخدمة العسكرية .

وفي ٤ ربيع الأول صلبت الحكومة اثني عشر رجلاً من دروز ومسلمين . وفي ١٠ ربيع الأول قبضوا على سعيد بك جنبلاط في بيروت وصحبته بعض دروز الجبل الغربي .

وفي ٢٢ منه فرضوا على أهل دمشق خمسة آلاف فراش وخمسة آلاف لحاف وخمسة آلاف وسادة .

وفي ٢٤ منه رجع فؤاد باشا إلى الشام .

وفي ٢٦ منه أمر بحبس ترجمانه إبراهيم بك كرامه ، فأهانه ثم نفاه .

ولما انتقل النصارى إلى البيوت التي أخليت لهم عين الباشا لكلٍّ منهم ما يكفيه من المال .

وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ أنزلوا البَدَل العسكري من مئتي ليرة إلى مئة ليرة .

وفي ٤ منه أحضروا علي بك ابن عبد الله بك العظم ومحمد صالح أفندي ابن الشيخ عبد الله الحلبي ووضعوهما في دائرة الحبس .

وفي ٥ منه نهار السبت عند طلوع الشمس نَفوا الذواتِ المقدَّم ذكرُهم أولاً إلى قلعة الماغوصة .

وفي اليوم التالي ٦ منه سافر فؤاد باشا وصحِبَتْه جميع العساكر الجديدة .

وفي ٨ منه جعلوا في كلٍّ ثُمن مجلساً لجمع السلاح من أهل دمشق فجمعوه ثم نقلوه إلى القلعة . وفي ١٣ منه أخذوا سعيد بك ابن شمدين آغا المقدَّم ذكره وأحمد باشا كيخيا السر عسكر والشيخ عبد الرزاق القوادري وشيخ قرية دوما وغيرهم إلى بيروت تحت الحفظ .

وفي ١٧ منه فصل معمر باشا عن ولاية الشام وولي مكانه بالوكالة رشدي أفندي الشرواني مفتي مجلس فؤاد باشا .

وفي ٢١ منه طرحت الحكومة المال القديم على الأهالي مقسَّطاً على ثلاثة أقساط في كل شهر قسط يساوي كامل الترابية .

وفي ٢٥ منه يوم الجمعة وجهت فتوى دمشق إلى محمد أمين أفندي الجندي بدلاً من طاهر أفندي المنفي .

وفي ٢٦ منه نشر الباشا على العموم بياناً خلاصته: (قد عرف الناس أجمعون أنَّ الحادثة المؤلمة التي وقعت في دمشق كانت جنايةً عظيمةً مخالفة للشرع الشريف والقانون المنيف ، ولما كان إجراءُ مقتضيات الشريعة العادلة منوطاً بالسلطة السنية ، فقد صار مجازاة من تحقق اشتراكُهم بالجناية المذكورة على درجات مختلفة ، وكذلك الذين تفلتوا من الجزاء الدنيوي سيعيشون بالخوف والرِّعْدة تحت طائلة الجزاء الذي ناله رفقاؤهم ، منتظرين ما يستحقون من

حضرة الله العزيز الجبار ، ولما كان أهالي المحلات سبباً لهذه الحادثة فقد نالوا جزاءهم بتحميلهم أضرار الأهالي المصابين ، بواسطة الضريبة التي قرَّ القرار على تحصيلها الآن ، ولذلك أغلق من الآن فصاعداً باب المحاكمات والتفتيش على التهم ، وبما أن الرعية المصابين يُظهرون عدم رغبتهم في الانتقام الشخصي؛ فيجب والحالة هذه على كلِّ إنسان أن يثابر على وظيفته الرعوية والإنسانية بتمامها ، متوقِّياً كلَّ التوقِّي من الحركات المخالفة للرضاء العالي ، وليعلم الجميع من الآن فصاعداً أن كل من وقع منه أدنى معاملة سيئة بحق غيره بأية صورة كانت فبحسب المنحة السنية المعطاة لنا لا نتأخر أصلاً عن مجازاته القانونية وبناء عليه أصدرنا هذا البيان) .

وفي ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٧ حضر إلى الشام معتمَدون من الدول الأجنبية ، لينظروا ماذا حصل على النصارى ، وماذا كان جزاءُ المعتدين عليهم . ثم إن فؤاد باشا عيَّنَ في كل ثُمن من أثمان دمشق مجلساً لجمع الأشخاص والدوابّ اللازمة لتعزيل حارة النصارى كي يتيسَّر عمارتها وإعادتها ، كما عين مثل ذلك في القرى المجاورة لدمشق . . وأرسلت الحكومة مأموراً لقطع الأخشاب المناسبة للعمارة وإحضارها إلى محلة النصارى .

وفي غرة جمادى الثانية صدر الأمر بإحصاء النفوس ، فأُحصيت وتمَّت دفاترُها في أربعة أشهر .

وفي ١٧ منه أرسلت الحكومة فريقاً من العساكر إلى أربع قرى درزية حول الشام وهي: صحنايا والأشرفية وجرمانا والدرخبية ، فقبضوا على نحو مئة شخص من سكانها وأحرقوا جرماناً ووضعوا الأشخاص في الحبس .

وفي ١٨ منه دخل الشام واليها الجديد أمين باشا .

وفي يوم الأربعاء ثاني رمضان سنة١٢٧٧ توفي عمر أفندي الغزِّي في قلعة الماغوصة .

وفي ٢٠ منه وجهت النقابة إلى الشيخ أحمد مسلم الكزبري .

وفي ٣٠ منه توفي النقيب السابق أحمد أفندي العجلاني في رودس .

وفي ٢٦ شوال جمع فؤاد باشا فريقاً من أهل البلدة وتلا عليهم ما فرضه على الأهالي من الأموال لعمارة حارة النصارى؛ وأنه سينشر لها قانوناً مفصلاً .

وفي ٣٠ منه سافر المشار إليه إلى بيروت ومعه حرمه .

وفي ٢٠ ذي القعدة أرسل القانون الموعود به وسماه « قرار الضريبة والإعانة المطروحة على أهالي الشام » فأرسلته الحكومة إلى مجالس الأثمان ورؤساء النواحي ليعملوا بمقتضاه ويبذلوا الهمة في تنفيذه ، وهو مؤلف من إحدى وعشرين مادة . . . فلما علم الناس بذلك ضاق أمرهم وصاروا يبيعون أمتعتهم وأثاث بيوتهم من أجل هذه المصيبة التي كانت سماً قاتلاً على النصارى والمسلمين جميعاً نسأل الله العافية. ثم بعد تمام هذه الأحوال ، وترتيبها على هذا المنوال ، وجهت الصدارة العظمى إلى فؤاد باشا ، وطُلب إلى الآستانة دار السلطنة العثمانية ، فأعلن البيان الآتي ، مخاطباً به أهل سورية عموماً وخصوصاً وهو قوله مختصراً :

ياأهل سورية إنني سأفارقكم بالنظر لتوجيه خدمة الصدارة إلي إحساناً من حضرة مولانا السلطان المعظم؛ وبما أن الوقائع المؤلمة التي أنشبت أظفارها بهذه الجهات في العام الماضي قد زالت آثارها بظل التوفيقات السلطانية ولله الحمد؛ واستقرت راحة المملكة وأمنيتها ، فسترونني الآن عائداً إلى دار السلطنة؛ وأملي الوحيد أن أشاهدكم في وقت قريب بحالة سعيدة تنسيكم الحالة التعيسة التي أصابتكم قبلاً . وبما أن المأمورية التي أحيلت إلى عهدتي هي نشر آثار الشفقة السلطانية نحو كافة التبعة العثمانية بدون استثناء ، فإني حال مباشرتي لذلك سأعتني خصوصاً بهذه الجهات ، لأني أعتبر ذاتي بعد الآن سورياً قلبياً ، وحسب الأمر الملوكاني قد أحيلت محافظة المملكة وإصلاح أحوال الرعية لعهدة مشير الجيش السوري السلطاني صاحب الدولة عبد الحليم باشا ، وإنَّ صفات المشار إليه تضمن للجميع أن يكونوا مستريحي البال ، فيجب في مقابلة ذلك أن تكون حركات جميع الأهالي موافقة لرضاء الحضرة السلطانية ، ويكون كلُّ صنف من

التبعة متمسكاً بقاعدة الاتحاد وحب الوطن وخدمته والقيام بأوامر الدولة على التمام ، كما هو المأمول من حميتهم . وبما أن حضرة المشير المشار إليه مأذون بإجراء التأديبات السريعة بحق الذين يتجاسرون على إيقاع أدنى حركة مغايرة للرضاء العالي اقتضى نشر هذا البيان من مقام الصدارة العظمى ليحيط الجميع به علماً . انتهى .

ثم إنه بعد ذلك استقامت الأحوال وانتظمت الأعمال ، إلى أن أعاد الله المحبة القديمة ، والراحة العميمة ، بين أهل الوطن ، وحقَّت كلمة العذاب على مثيري الفتن ، فالحمد لله على راحة الأنام ، وعود المحبة والسلام .

الشيخ أرسلان التقي

ترجمه لنا حفيده صديقنا الفاضل الشيخ حامد أفندي: فهو أرسلان بن حامد بن إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل الشهير بالتقي الحنفي الدمشقي ، الشيخ العالم الفقيه الفرضي الحاسب الكاتب . ولد سنة ١٢٤١ ونشأ في حجر والده ، وطلب العلم فلازم كلاً من الشيخ عبد الغني السادات ، والجد الشيخ حسن الشطي ، والشيخ قاسم الحلاق في الفقه والفرائض والحساب وغير ذلك؛ وانتفع بهم واستجازهم فأجازوه ، وكان كثير الكتابة مضبوط الخط ماهراً في الأعمال الحسابية ، ولِيَ كتابة الأوقاف بدمشق ، ثم في الجامع الأموي ، ثم في جامع السنانية واستمر بها إلى وفاته ، وكان خطيباً في جامع الصابونية ، ومعلماً في بعض المدارس الرسمية ، وتلقى الطريق الخَلْوَتي وكثيراً من الأوراد والأحزاب عن والده الأستاذ وغيره .

وكانت وفاته في المحرم سنة ثلاثمئة وألف ، ودفن بتربة الباب الصغير ، رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

أسعد أفندي المحاسني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال: هو أسعد بن سعيد بن محمد (كذا ولعله أسعد ابن الشيخ موسى المترجَم في تاريخ المرادي) المحاسني الحنفي؛ المولى العالم المِفضال، المتحلي بحلية الرياسة والكمال، والمتصدِّي لإفادة ذي الاستفادة، والمتردِّي برداء المجد والسيادة، حتى صار يشار في الفضائل إليه، ويُعَوَّل في المشكلات عليه. ولد بدمشق الشام، ونشأ منشأ العلماء الأعلام، وتولى الخطابة في جامع بني أمية، وصار مفتياً بدمشق مدة جزئية، إلى أن توفي مخنوقاً في قلعة دمشق.

وقال في موضع آخر: منفياً في عكّا، ودفن في مقبرة الباب الصغير. وذلك سنة ثمان عشرة ومئتين وألف، رحمه الله تعالى، انتهى.

قلت: من المعروف المشهور أن الجزار الشهير هو الذي قتل صاحب الترجمة في القلعة أو في عكا. كما قتل قبله عبد الرحمن أفندي المرادي المفتي السابق، والسبب مازال مجهولاً، وعلى كل فالمقتولان مظلومان والقاتل ظالم، ويرحم الله القائل:

إلى ديَّانِ يوم الحقِّ نمضي وعند الله تجتمعُ الخصومُ

السيد أسعد المُنَير

ذكره بعض المؤرخين في مجموع له قال:

هو أسعد بن عبد الرحيم بن أسعد بن إسحاق بن محمد بن علي الشهير بالمنير الشافعي الدمشقي، ولد بدمشق في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومئة وألف، ونشأ بها وأخذ عن علمائها، وكان أوحد عصره في الفنون العقلية والعلوم النقلية مع عفة وزهادة وتقوى وعبادة.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين

وألف ، انتهى .

قلت : وكان المترجَم من العلماء المنوَّه بهم ، ومن مشايخه الشهاب العطار ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ يوسف شمس ، والشيخ خليل الكاملي الدمشقيون ، والشيخ أحمد العروسي ، والشيخ محمد الأمير المصريان ، والشيخ إبراهيم الهلالي الدرعزاني ، والشيخ إسماعيل المواهبي الحلبيان ، وغيرهم . وممن أخذ عن المترجَم الشيخ قاسم دقاق الدودة وله منه إجازة اطلعت عليها رحمه الله وإيانا .

الشيخ إسماعيل الأناراني

ترجمه العالم الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » قال ما زبدته : هو صفوة العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء الكاملين ، وهو أول قائمي مقام مولانا خالد في الإرشاد ، وأول الأوصياء على ثلث المال والأنجال الأمجاد ، خدم حضرة مولانا ولازمه ملازمةً حسنة ، ولم يعص له أمراً خمسَ عشرةَ سنة ، وخلَّفَهُ خلافةً مطلقة ، وأذن له بالإرشاد ، فسلك في ذلك سبيل الرشاد ، وفوَّض إليه تربية الناس ، في جامع العدَّاس ، فكان يبحث عن أحوال السالكين فرداً فرداً ، ثم يحصيها ويعدها لحضرة مولانا عداً ، ولا يذكر من عنده أمراً ، حتى يحدث له منه ذكراً ، ولما توفي حضرة الشيخ قُدس سرُّه ، غاض دمعه وفاض صبره ، وكان أثبت إخوانه قلباً ، وأضخم أصحابه لباً ، فجمع كلمتهم وجدَّد همتهم ، وقبض بسطهم ، وبسط قبضهم ، وقبض على زمام الإرشاد من بعده ، وأبقى الأمر على ما كان عليه في عهده ، ولم يتم هذا الشروع ، حتى طُعن بعد نحو أسبوع .

وتوفي في أوائل ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف ، ودفن خلف مقام مولانا خالد في السفح القاسيوني . وأعقب ولداً سماه عبد الله ، وكان قبل وفاته بأربعة أيام ، أوصى بثلث ماله لفقراء الإسلام ، وأقام مقامه في الإرشاد العام مولانا الشيخ عبد الله الهروي . بإشارة السيد إسماعيل أفندي الغزِّي .

رحمهم الله تعالى .

الشيخ إسماعيل الجراعي

ترجمه العالم المؤرخ السيد كمال الدين الغزِّي في كتابه النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، فقال ما مختصره: هو إسماعيل بن عبد الكريم بن محيي الدين بن سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الهادي بن علي بن محمد بن زيد الشهير بالجراعي الدمشقي . الشريف لأمه ، النابلسي الأصل . مفتي السادة الحنابلة بدمشق ، الشيخ العالم الفاضل الأديب الفقيه الفرضي المحصل البارع المتفوق .

ولد بدمشق في خامس ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومئة وألف ، ونشأ بها في كنف والده ، وتلا القرآن العظيم وختمه على الشيخ إسماعيل اللبدي الحنبلي ، وأخذ علم القراءات عن الشيخ إبراهيم الحافظ شيخ الإقراء بدمشق ، وعن الشيخ عبد الرحمن القاهري مقرئ الديار المصرية حين قدم دمشق ، وأخذ عقائد تقي الدين أحمد بن تيمية وموفق الدين بن قُدامة الصالحي وشمس الدين محمد البلباني والفقه والفرائض والحساب عن والده المقدَّم ذكره ، وأخذ النحو والمنطق والأصلين عن الشيخ أسعد المجلِّد السليمي ، والجد الشمس محمد الغزِّي ، والشهاب أحمد المنيني ، والجمال عبد الله البصروي ، والشرف موسى المحاسني ، والعماد إسماعيل العجلوني ، والعلامة علي الطاغستاني ، وأخذ الفقه أيضاً عن الشيخ عوَّاد الكوري ، والشيخ مصطفى اللبدي ، والشيخ إسماعيل اللبدي المذكور ، وأخذ علم الحديث عن الشيخ مصطفى العلواني نزيل دمشق وعن الشيخ صالح الجينيني ، وعن الجد والعجلوني المقدَّم ذكرهما ، وحضر عند الأخير في مجالس الحديث تحت القُبَّة من الجامع الأموي ، ونَبُلَ قدرُ المترجَم وغَزُر فضله ، وارتحل إلى قسطنطينية مراراً ، وحظي ببعض الوظائف السلطانية من العثامنة والتداريس بدمشق ، واجتمع بأفاضل الروم وصدورها .

وفي سنة ١١٩٥ وُجِّهَتْ له فتوى الحنابلة بدمشق بعد أن عُزل عنها الشيخ

محمد بن أحمد البعلي الدمشقي ، ثم عُزل عنها ووجهت للبعلي المرقوم ، ولم يزل كلٌّ منهما يعزل صاحبه حتى استقرَّ أمرها لصاحب الترجمة وبقيت إليه إلى وفاته ، ودرَّس في الجامع الشريف الأموي بعد وفاة الشيخ محمداللبدي ، وأقبلت عليه الطلبة من الحنابلة وغيرهم ، وتولى وظيفة التكلُّم على أوقاف الجامع المظفَّري بصالحية دمشق ، وكان كثير المخالطة لأمور الناس ، وألَّف مؤلفات نافعة ، فمنها شرح على « دليل الطالب » في مجلدين قرَّظه له العلماء من أهل المذهب وغيرهم ، وشرح على « غاية المنتهى » لم يكمله؛ وشرح على قصيدة أبي عوانة الشاعر الجاهلي التي مطلعها:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت   وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاك بشرا

وله عدة مقامات أنشأها في وقائع مخصوصة أوقفني على بعضها فرأيتُه في غاية النفاسة ، وكان بيني وبينه من المحبة والمودة ما لا مزيد عليه ، وكان طويل القامة بشوشاً متواضعاً ، لطيف المحاضرة ، حلو المذاكرة ، بديع النكتة والنادرة ، ذا همة علية في قضاء حوائج الناس ، وله شعر لطيف منه قوله مخمساً بيتين للناصح الأرجاني:

إني اتخذتُك للشدائد راتقا   وعهدتُ عهدك لايكون عائقا
لكنني لما أتيتك طارقا
ووعدتني وعداً حسِبْتُك صادقا   فجعلتُ من طمعي أجيءُ وأذهبُ

* * *

وتعلُّني رشفاً بطيِّب أكؤسِ   وتظنه حسناً وليس بكيِّسِ
وتجودُ جودة بارقٍ متبجِّس
حتى اجتمعتُ أنا وأنت بمجلسٍ   قالوا مسيلمةٌ وهذا أشعبُ

ومنه قوله:

بروحيَ لحظٌ ظلَّ يفعلُ بالحشا   على ضعفه فعلَ المدامةِ باللُّبِّ
إذا راش منه الريمُ سهماً فلا ترى   له غرضاً يُلْفَى سوى مهجةِ الصبِّ

فيـا منكـري مـا في حشـاي إليكـم عن الحكم فيما عنكم غاب في الحُجْبِ
ولا تنكـروا صـدعَ الفـؤاد فـإنني سمعـتُ بـأذني رنَّـةَ السهـم في قلبـي

وكانت وفاة المترجَم بعيد ظهر يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين ومئتين وألف في داره بزقاق الشالق بمحلة سوق صاروجا ، وصُلي عليه بجامع التوبة في محلة العُقيبة بعيد العصر ، ودفن بتربة مرج الدحداح قرب قبورنا رحمه الله تعالى رحمة واسعة . انتهى كلام الغزِّي .

إسماعيل أفندي حمزة

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال: هو السيد إسماعيل بن السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم الشهير بابن حمزة ، العالم الحسيب والفاضل النسيب ، فخر العلماء وصدر الفضلاء ، أحد السادة الأعيان ، وأوحد ذوي القدر والشان ، ولد بدمشق سنة ثلاث وثمانين ومئة وألف ، واشتغل بطلب العلوم على علماء عصره ، ثم وجهت إليه أمانة الفتوى بزمن حسين أفندي المرادي مفتي دمشق ، وكان عارفاً بتخريج المسائل ، مقبلاً بكليته على السائل .

توفي في شهر جمادى الثانية سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف ، ودفن عند أسلافه في مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت: وستأتي ترجمة والده نقيب دمشق وولده كمال أفندي وجملة من أقربائه في محالهم إنْ شاء الله .

إسماعيل أفندي الغزِّي

ترجمه لنا حفيده الوجيه الفاضل صالح أفندي الغزِّي مفتي الشافعية بدمشق حالاً (١٣٢٣) ، فهو إسماعيل بن عبد الغني بن محمد شريف بن الشمس محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا بن بدر الدين بن رضي الدين بن رضي الدين أيضاً ابن شهاب الدين أحمد الغزِّي العامري الشافعي الدمشقي ، العالم الفاضل الأديب الشاعر الوجيه النبيه .

ولد سنة سبع ومئتين وألف ، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ خالد النقشبندي وغيرهم . وكان الأخير أقامه في جملة الأوصياء على أولاده والخلفاء على سجّادة الإرشاد من بعده ، وقد اتصل الشيخ خالد المذكور بأخت المترجَم ولم يُعقب منها سوى بنت كانت تحت العلامة الشيخ محمد أفندي ابن محمد الخاني الدمشقي ، ومن شعر صاحب الترجمة قوله في فوارة يمدح شيخه النقشبندي:

يا حُسنَ فوَّارةٍ تبدي لنا عجباً ... حكتْ قوامَ فتاةٍ صيغ من بردِ
ناشدتها بالذي قد زان طلعتَها ... وقد كسا جسمها درعاً من الزرَدِ
ما بالك تنهمي منكوسةً أبداً ... لا ترفعي الرأس أو تصغي إلى أحدِ
فأنشدتْ بلسان الحال قائلةً: ... هذا خضوعي لذي العرفانِ والمدَدِ

وله قصيدة نظم بها أسماء مجدِّدي القرون الثلاثة عشر وختمهم بشيخه المنوَّه به ، فقال عند ذكره:

وبعدهم من قد رقي المراقي ... محدِّث الشام كذا العراقِ
ومرشد الخلق لدين الحق ... بالفيض والإرشاد والترقي
أعني ضياءَ الدين وهو خالدُ ... غوثُ الورى أبو البهاءِ الماجدُ
بارك لنا يا ربنا في مُدَدِهْ ... واقسم لنا من نَفَحاتِ مَددِه

وللمترجَم رسالة في حق شيخه المنوَّه به سماها « حصول الأُنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس » .

وكانت وفاته حاجاً بين الحرمين سنة سبع وأربعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى .

إسماعيل أفندي كاتب زاده

ترجمه العلامة السيد محمد أمين عابدين في مشيخة أستاذه السيد محمد شاكر العقاد ، قال ما خلاصته: هو الإمام المحقق والهمام المدقق ، العالم الفقيه

واللوذعي النبيه ، الحافظ إسماعيل بن محمد بن محمد الأماسيوي مولداً ، القسطنطيني موطناً الحنفي ، الشهير بكاتب زاده القاضي بدمشق الشام . ولد سنة ١١٣٠ وكان فاضلاً نبيهاً ولي قضاء دمشق سنة ١١٩٨ وكان تغلِبُ عليه الديانة ، لم يُر له نظير في قضاة زمانه ، ثم ولي قضاء المدينة المنورة سنة ١٢٠١ .

ومن مشايخه كما ذكره في إجازته للسيد محمد شاكر المذكور: الشيخ محمد بن حسن بن همات الحنفي الشامي مولداً والإسلامبولي موطناً ، والشيخ عمر بن أحمد باعلوي البصري مولداً والمكي موطناً .

وكانت وفاة المترجَم في المدينة المنورة وهو قاض بها سنة إحدى ومئتين وألف وصُلي عليه في الحرم النبوي ودفن بالبقيع ، رحمه الله تعالى .

أمين أفندي الجندي

أمين بن محمد الجندي العباسي المعري ثم الدمشقي مفتي الحنفية بدمشق المحمية وأحد صدورها الفضلاء ورؤسائها النبلاء . ترجمه لنا قريبه الفاضل سليم أفندي الجندي قال: ولد رحمه الله بمعرة النعمان سنة ١٢٢٩ ونشأ في حجر والده المذكور وتلقى عنه العلوم العقلية والنقلية ، والطريقة الخلْوَتية واللغة التركية ، وما زال يتغذى بلبان الآداب ويجتني ثمار المعالي حتى وطئ هامة الدهر ، وملك أعنة النظم والنثر .

نزل الشهباء وأخذ العلم بها عن جماعة؛ من أجلِّهم العلامة الشيخ عبد الرحمن المدرس المفتي بها يومئذ ، وأخذ الحديث عن الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أفندي المرعشي ، ثم قفل راجعاً إلى المعرَّة ، وولي القضاء بها في حياة أبيه المفتي بها إذ ذاك ، ثم ولي الإفتاء بها بعد موته ، إلى أن استدعاه محمد أمين باشا مشير الجيش الخامس السلطاني للكتابة العربية في الجيش المذكور ، فاستقال منها ثلاث مرات ، ثم ما لبث أن فجر الله ينابيع الحكمة في قلبه ، فولي الإفتاء العام في دمشق الشام سنة ١٢٧٧ ، ثم فُصل عنه سنة ١٢٨٤ ، وانتخب عضواً في مجلس شورى الدولة العثمانية ، فسلك فيه خير مسلك؛ وصار من أعضاء جمعية المجلة الشرعية ،

ووجهت إليه رتبة الحرمين الشريفين ، ثم ولي رياسة مجلس تشكيل ولاية اليمن ، مع قومسيرية إصلاحها ، وعاد إلى الآستانة بعد تقويم أودها وإخماد ثورتها ، ولم يلبث أن ولي رياسة ديوان التمييز في مدينة دمشق ، فبقي بها إلى أن اخترَمَتْه المنية ، وله من المؤلفات النظمية والنثرية ، باللغتين العربية والتركية ، ما لم يزاحمه في ميدانه سابق ، ولا يَشُقُّ غبارَه لاحق؛ منها كتاب تركي في فضل الشام ، وتعريب كتاب علم الحال نظماً ونثراً ، ومنظومة في أسماء أهل بدر الكرام ، وديوان فائق ، فيه من كل شعر رائق؛ ومن شعره قوله مضمناً:

قالوا عِذارُ الحبيب غطّى ديباجةَ الخدِّ قلتُ حسبي
قد كف فيه العذول عني وإن (هذا من فضلِ ربي)

وله من المواليا:

من قصتي سُطرت بين الورى أوراقْ ولم أجد في الهوى من عادل أو راق
غَنَّت على الغصن في جُنح الدجى أوراق فأذكرتني ليالي كنتُ ناسيها
وما تكدر من عيشي بها أو راق

وقال متوسلاً بجده العباس رضي الله عنه وكان قد أصابه حادث فنشط منه:

جداه جداه ياعباس أنت لها ياعمدتي في زمان الضيقِ ياسندي
إن أنت أهملتَ أمري مَنْ يقومُ به من أشفق الناس من جدٍّ على ولد؟[1]

وبالجملة فقد كان المترجَم عالماً أديباً أريباً صدراً محترماً ذا فتوة ومروءة ، انعقدت على فضله الخناصر وسارت بحديثه الركبان ، فهو المشار إليه بالأنامل ، والمعول عليه في المحافل .

وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وتسعين ومئتين وألف ودفن في مقبرة

---

(١) الاستغاثة بغير الله محرمة في دين الإسلام أياً كان المستغاث به ، كما بيَّن ذلك الأئمة والعلماء في تآليفهم التي تطرقت لهذا الموضوع .

الدحداح تغمده الله برحمته . وقد رثاه العلامة الشيخ طاهر الجزائري بقصيدة قال في مطلعها:

كفى عبرةً من حادث الدهر ما طوى — وسوف نرى طيَّ الرواسي ولو طُوى
وهل أبصرت عيناي في الناس سيداً — وذا صولة في دهره ثم ما ثوى
ولو كان يدري المستهام عواقب الـ — ـغرام لما أبصرته في الهوى هوى

إلى أن قال:

وهل ينفع الإنسانَ مالٌ موفَّرٌ — إذا ما ثوى في حفرة مالها كُوَى
وهل ينفع الإنسانَ قومٌ ومعشرٌ — إذا احتار رأس للأسى ما درى الدَّوا
وهل ينفع الإنسانَ إبداعُ منطق — إذا الدهر عنه طيبَ العيش قد لَوىَ
ولو كان ينجي المجدُ أنجى من الردى — أمينَ العلا الجندي الذي الفضل قد حَوى
هُمامٌ غدا في عصره متفرِّداً — روى عن معالي مجده كلٌّ من روىَ
أتاه النِّدا من عالم الغيب داعياً — فلبَّى الذي يجزي بما المرء قد نوىَ
فقال الرجا للعفوِ والبشر أرِّخوا — هناء أمين المجد في جنَّةٍ ثَوى
١٢٩٥

أمين أفندي مَنْجَك العجلاني

السيد أمين بن السيد حسين بن السيد عمر بن السيد إبراهيم ابن الشريف حسين ابن الشريف زين العابدين بن محمد شمس الدين بن كمال الدين بن محمد شمس الدين بن محمد كمال الدين بن محمد بدر الدين بن تاج الدين بن أحمد الشهابي ابن محمد شرف الملك ابن الشريف علي بن أبي البشائر محمد العجلان بن علي بن محمد ابن جعفر بن حسن الشجاع بن العباس بن حسن بن العباس بن حسن بن حسين ابن أبي الجن (المدفون بمحكمة الباب بدمشق) ابن علي بن محمد بن عليّ بن إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن فاطمة الزهراء ٣٤ بنت سيدنا رسول الله ﷺ .

ترجمه مولانا السيد الشريف أسعد أفندي الحمزاوي في حاشية نسبه فقال:

هو السيد الشريف الحسيب النسيب العالم العامل الفاضل الكامل التقي الصالح شيخ المشايخ بدمشق ، ولد فيها سنة ثمان عشرة ومئتين وألف . وحفظ القرآن الكريم ، وكان يتلوه دائماً ، ويلازم الجماعات ويحضر الدروس في الجامع الأموي ، وللناس فيه اعتقاد عظيم .

وكانت وفاته ليلة السبت سابع رمضان سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مدفنهم المعروف بدمشق رحمه الله تعالى .

وقال العلامة البيطار في تاريخه بعد أن ساق نسبَ صاحبِ الترجمة كما ذكر: إنَّ هذه السلسلة هي عين السلسلة الموجودة عندهم؛ غير أن بني عجلان عموماً ينكرون شرفهم وكونهم من بني عجلان؛ كما سمعت ذلك منهم في عدة مجالس ، ويقولون إن هذه الطائفة هي من سلالة الأمير مَنْجَك باشا؛ وإنما تزوج بعضهم من بني عجلان فحازوا على هذه النسبة ، فشرفهم من جهة النساء فقط . ونحن نقول بأنهم على كل حال لهم شرف عظيم وفضل جسيم ، انتهى .

قلت:وقد خلَّف المترجَم ولديه الوجيه الفاضل أحمد أفندي نقيب الأشراف بدمشق المتوفى سنة ١٣١٣ ، والمولى الفاضل عطا أفندي المتوفى بعد سنة ١٣٥٠ ، وستأتي ترجمة أخيه درويش أفندي في حرفه إن شاء الله تعالى .

أمين أفندي الأُسطواني

محمد أمين بن سعيد بن علي الأُسطواني الحنفي الدمشقي ، الشاب الفاضل والنبيل النبيه ، ولد بدمشق وبها نشأ وأخذ في طلب العلم فحصل وتفوق وظهر فضله .

توفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين وألف وهو في ربيع الشباب . وقد أعقب ولديه إبراهيم أفندي وكان مباركاً ، وسعيد أفندي وكان عالماً فقيهاً ، صدراً محترماً تولى القضاء في دمشق سنة ١٢٨٦ ، وتوفي سنة ١٣٠٥ ولو لم يكن للمترجم من الفضل غير هذا الصدر لكفى رحمهما الله تعالى .

الشيخ أنيس الحمصي

ترجمه الأستاذ البيطار وغيره فهو أنيس بن سليم الشهير بالحمصي الدمشقي الشافعي ، الشيخ الفاضل التقي النقي ، كان له في العلوم معرفة كافية ، قرأ على الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، وأخذ عن غيرهم ، وتصدر للتدريس والوعظ في جامع بني أمية ، وهو رئيس المؤذنين فيه ، وكان لا يخلو من خفَّة ، ولذلك كان يأتيه بعض الأعيان ، فيسألونه عن أمور لا يتصوَّر وقوعها ، فيحنق منهم ويصيح فيضحكون منه ، وربما جاءه بعض النساء ففعلن مثل ذلك ، وكان يعظهن ويعلِّمهن كل يوم في مشهد الحسين ، وله في وعظه نُكَتٌ ظريفة وحكايات لطيفة ، لم تزل تحكى عنه في المجالس .

ومن نوادره أنه بينما كان يمشي يوماً في أحد أزقة دمشق إذ فاجأه من خلفه نادرة زمانه زاهد أفندي الألشي فقبَّل يد المترجَم فلما رآه خجل وطلب أن يقبل يده فامتنع الألشي ، فحلف المترجَم بالطلاق ليقبلن يده ، ففر الألشي فتبعه المترجَم حتى أدركه في أحد الأسواق الكبيرة ، فعندها أعطاه الألشي يده فقبلها المترجَم وهو يخجل من الناس ، وبالجملة فقد كان صاحب الترجمة من الفضلاء الظرفاء .

وكانت وفاته في ثالث عشري شوال سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

قلت:ومن أولاد المترجَم الفاضل الألمعي أبو الخير أفندي نزيل الآستانة .

أنيس أفندي السفرجلاني

أنيس بن محمد علي بن عبد الرزاق السفرجلاني الشافعي الدمشقي ، الفاضل الهمام الكاتب النحرير ، ولد بدمشق سنة ١٢١٩ ، ونشأ في بيت أبيه بيت الفضل والمجد ، وصار كاتباً في محكمة الباب مدةً طويلة ، وأخيراً صار نائباً

لناحية جبل قلمون من غوطة دمشق ، وكان حسَنَ العشرة سخيَّ الكف .

وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الدحداح ، وهو والد كلٍّ من عطا أفندي الكاتب في المحكمة المذكورة أيضاً المتوفى سنة ١٣٢٣ والأستاذ المربي الشيخ عيد أفندي المتوفى سنة ١٣٥٠ ، وبنو السفرجلاني كانوا وما زالوا من سادات دمشق وفضلائها ، وفي تاريخَيِ المحبّي والمرادي وتاريخنا هذا جماعةٌ منهم رحم الله سلفهم وحفظ خَلَفهم ، آمين .

الشيخ أنيس الطرابلسي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه: هو أنيس بن حسن بن مصطفى الطرابلسي الأصل والشهرة ، الدمشقي المولد والمنشأ ، الحنفي؛ أحد أمناء الفتوى بدمشق الشام في عهد مفتيها العلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي . كان على تقوى وعبادة وصلاح وزهادة ، وعلم وعمل من غير ملل ولا كسل .

مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس وتسعين ومئتين وألف ، ودفن قرب تربة بني حمزة من مرج الدحداح رحمه الله تعالى .



حرف الباء

الشيخ بلبل الواعظ

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما مختصره: هو الشيخ بلبل أفندي ابن الشيخ عاشر أفندي ، الواعظ في جامع بني أمية بدمشق ، عالم عامل وفاضل كامل ، كثير الخشوع ، كأنه على العبادة مطبوع ، وكان له في الوعظ أسلوب ، تتأثر منه القلوب .

توفي رحمه الله في خامس عشر المحرم سنة إحدى وستين ومئتين وألف .



حرف التاء

السيد تقي الدين الحِصْني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما خلاصته: هو تقي الدين بن حسن بن مصطفى بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن محب الدين بن شمس الدين الشهير بتقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي الشريف الحسيني . ولد بدمشق الشام وأخذ عن علمائها الأعلام ، منهم الشيخ محمد الكزبري والشيخ نجيب القلعي وغيرهما من الشيوخ الدمشقيين؛ وكان صالحاً عابداً تقياً زاهداً ، نير الوجه كريم الأخلاق؛ بين اسمه ومعناه حسن الطباق .

مات سنة عشرين ومئتين وألف ودفن في تربة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت:وستأتي ترجمة ولده حسن أفندي في حرفه إن شاء الله تعالى .



حرف الجيم

جعفر أفندي الجعفري

هو جعفر بن إسماعيل بن عبد الفتاح بن سعيد الجعفري الشافعي الدمشقي ، الفاضل الكامل ، ولد بدمشق ونشأ بها وقرأ على بعض شيوخها . ومنهم الشيخ محيي الدين الإدلبي الذي تولى قضاء الشافعية بعد عم المترجَم الشيخ محمد سعيد الجعفري ، ثم صار صاحبُ الترجمة من الكتاب بمحكمة الباب مدةً طويلة ، وتولى النظر على أوقاف أسلافه .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ، وقد أعقب ولدَهُ السيد عبد الفتاح أفندي المتوفى سنة ١٣١٧ وهذا أعقب صديقَنا المولى الفاضل إسماعيل أفندي الموجود الآن (سنة ١٣٦٣) . وبنو الجعفري بدمشق من الفضلاء البارزين والوجهاء المعروفين ، وجدهم الأعلى الشيخ سعيد ترجمه المرادي في تاريخه وأثنى عليه ، رحمهم الله وإيانا آمين .



حرف الحاء

الشيخ حامد العطار

هو أحد علماء دمشق الأعلام ، المنتصبين لنفع الخاص والعام ، العالم العلامة والحبر الفهامة ، كان إماماً عالماً ، مفسراً محدثاً ، فقيهاً صوفياً ، عابداً ناسكاً ، ترجمه بعض الفضلاء في مجموعة له قال:

هو حامد بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عسكر الدمشقي الشافعي الشهير بالعطار ، ولد بدمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومئة وألف كما رُئِيَ بخطه ، وأخذ عن علماء دمشق ومن أجلِّهم والده الشهاب المقدَّمة ترجمته ، والشمس محمد الكزبري ، والشيخ نجيب القلعي ، والشيخ مصطفى الرحمتي الأيوبي ، وبالمكاتبة عن السيد محمد مرتضى الزبيدي ، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ طه الكردي ، وأخذ عن غيرهم ، وتولى التدريس في تكية السلطان سليمان ، في أيام الخميس من رجب وشعبان ، وذلك منذ سنة ١٢١٥ عن فراغ والده له قبل وفاته بثلاث سنين لعجزه وهرمه . ولما توفي والده سنة ١٢١٨ جلس مكانه في الدروس الخاصة والعامة ، فنفع وأفاد وأحسن وأجاد ، وتردَّدت إليه الطلاب ، وانتفع به الجمُّ الغفير ، ولم يزل على حالته القويمة ، وطريقته المستقيمة إلى أن حجَّ سنة ١٢٦٢ هو والعلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، فتوفي هذا في ذي الحجة من السنة المذكورة في مكة؛ وتوفي المترجَم في صفر سنة ١٢٦٣ في القطرانة قافلاً من الحج ، ودفن هناك وقبره ظاهر يزار ، انتهى بتصرُّف .

وبالجملة فقد كان المترجَم من صدور علماء دمشق الذين يُرجع في الأمر والنهي إليهم ، ويُعوَّل في الحل والعقد عليهم ، وكان هو والعلامتان الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي طبقةً واحدة ، مولداً ووفاة ،

ومذهباً وتصدُّراً في العلم رحمهم الله تعالى ، وقد أعقب المترجَم أولادَهُ الخمسة وهم : الشيخ ياسين ، والشيخ سعيد ، والشيخ محمد ، والشيخ إبراهيم ، وأصغرهم شيخنا العلامة الشيخ بكري أفندي . فالشيخ ياسين أعقب ولديه العلامة الشيخ سليم أفندي ، والعالم الشيخ محمد أفندي المتوفَّيَيْن سنة ١٣٠٧، والشيخ سعيد توفي عن ولديه العالمين الفاضلين الشيخ مصطفى والشيخ نجيب ، والشيخ محمد أعقب ولده الشيخ عبد الرزاق المتوفى سنة ١٣١٥ ، والشيخ إبراهيم توفي عن ولده الشيخ عبد الرحمن ، والشيخ بكري أعقب ولده الفاضل النبيل الشيخ أديب أفندي المتوفى في حياته سنة ١٣١٧ ، وقد تولى تدريس التكية السليمانية بعد صاحب الترجمة حفيده الشيخ سليم المقدم ذكره في حياة والده وأعمامه لعدم تأهلهم وقتئذ مع اقتداره ولياقته ، وكان لجده عليه نظر خاص فاستمر في التدريس من وفاة جده المترجَم سنة ١٢٦٣ إلى وفاته سنة ١٣٠٧ ، ثم تولاه بعده الأستاذ الشيخ بكري الموما إليه نيابة إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٢٠ فتولاه الفاضل أحمد فهمي أفندي ابن المرحوم الشيخ سليم المنوه به ، ولم يزل مدرساً حتى الآن (١٣٢٣) .

الشيخ حامد النابلسي

ترجمه العلامة السيد كمال الدين الغزِّي في طبقات الحنابلة الذي جعله ذيلاً على طبقات العليمي قال :

هو حامد بن مصطفى بن عبد الحق اللُّدِّي الأصل ، النابلسي الشهرة ، الدمشقي المولد والوفاة ، الحنبلي الخلْوَتي شيخ السجَّادة الطبَّاخية بدمشق بعد شيخنا البدر حسن بن محمد المرجاني الشهير بالطباخ ، الشيخ الصالح البركة ، الديِّن الورع ، السالك الأوحد ، أبو الفلاح بهجة الدين ، كان مولده بدمشق سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف كما أخبرني بذلك من لفظه ، ونشأ بها ، وتلا القرآن العظيم على الشيخ الصالح سعيد بن محمد الجعفري ، وأخذ الفقه عن شيخنا الشهاب أحمد بن عبد الله البَعْلي ، وبه انتفع ، وعانى صنعة تجليد

الكتب ، فكان يأكل من كسب يده ، ثم تزوج بابنة شيخنا البدر المرجاني ، ولازمه وخدم الطريق الخلْوَتي مدة ، ثم لما كان يوم الجمعة من جمادى الثانية سنة ١١٩٣ دعا البدر المذكور شيخ الإسلام والدي ، وجماعة من علماء دمشق إلى حجرته الغربية في الخانقاه السميساطية ، فعمل حلقةَ الذكر بعد صلاة الجمعة على عادتهم وبايع صاحب الترجمة ، وأقامه خليفةً عنه ، وأشهد من حضر على ذلك ، وكان ذلك قبل موت البدر بسنة واحدة ، فإنه توفي في غرة رجب سنة ١١٩٤ ولم يُعقِبْ ذكراً ، وكان صاحب الترجمة رجلاً صالحاً ذا شيبة منورة ، ووجه وضيء ، بشوشاً له تودد للناس ، ملازماً خويصة نفسه ، ولم يزل على طريقته المثلى وحالته الحسنى ، حتى توفاه الله .

وكانت وفاته قبل ظهر يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة خمس ومئتين وألف ، وصلي عليه وقت صلاة العصر في الجامع الأموي ودفن بتربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

الشيخ حسن الشطِّي

ترجمه حفيده سيدي العم محمد مراد أفندي بما خلاصته: هو أحد شيوخ دمشق الأعلام المتصدِّرين لنفع الخاص والعام ، شيخُ الحنابلة ومرجعُهم ، وإمام الفَرَضِيِّين ومسندهم ، العلامة المحقق ، المتضلع المتفنن ، الفقيه النحوي ، الفرَضي الحيسوبي ، التقي النقي ، المسند الرحلة ، صاحب التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، حسن بن عمر بن معروف بن عبد الله بن مصطفى الشطي ، الحنبلي الدمشقي مولداً ووفاة ، البغدادي أصلاً .

ولد قدس الله روحه بدمشق في صفر سنة خمس ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده على صيانة وديانة ، وأخذ في طلب العلم ، فأدرك الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، وحضر دروسهما وشملته إجازتهما ، وأخذ الفقه عن كل من الشيخ مصطفى السيوطي ، والشيخ غنام النجدي ، وحضر في الفرائض والنحو على الشيخ عبد الله الكردي الحيدري ، وقرأ على كلٍّ من الشيخ

عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ خليل الخشَّه ، والشيخ يحيى المصالحي ، وملا علي السويدي نزيلي دمشق ، والشيخ محمود المرعشي ، والشيخ أحمد أبي الفتح ، والشيخ صالح أبي الفتح ، وأخذ حديث الأولية عن الشيخ عمر المجتهد .

ولما رحل إلى بغداد سنة ١٢٢٦ ، أخذ عن مشايخ من أجلِّهم العارفان الشهيران الشيخ محمد البكيري والشيخ أحمد ملا أويس ، وتشرف بالأقطار الحجازية سنة ١٢٣٢ فأخذ عن شيوخ من أجلِّهم الشيخ محمد طاهر الكوراني ، واستجاز الأستاذ الشيخ خالد النقشبندي نزيل دمشق .

ثم إن المترجَم تصدَّر للإقراء والإفادة في داره قرب باب السلام ، وفي محراب الحنابلة من الجامع الأموي ، فكان غالب من نبغوا من علماء دمشق وجهاتها قد أخذوا عنه وانتفعوا به ، كما انتفع به خلائق كثيرون في مختلف الفنون ، وقد كان رحمه الله تعالى متبحِّراً في العلوم ، متحلياً بالمنطوق منها والمفهوم ، انفرد بالفقه الحنبلي في عصره ، حتى رحل إليه الطالبون من الديار النابلسية والبلادالنجدية ودوما والرحيبة وضمير وغيرها ، فأخذوا عنه الفقه رواية ودراية وتلقَّوه خلَفاً بعد سلف ، كما انفرد بعلم الفرائض ، دون أن يشتغل بأعمال الفرضيين ، حتى نَدَبَ لذلك بعضَ تلامذته فأخذوا عنه الفرائض والحساب والمساحة ، واشتغلوا بها علماً وعملاً ، فانتشرت هذه الفنون بدمشق وغيرها ، وكان شأنه العلم والعبادة ، وكسبه كأسلافه من التجارة الخالصة ، ولم يعهد له مداخلةٌ قطُّ في أمور الحكومة ، وكان عليه نظارة وتدريس المدرسة البادرائية ، وكان له في الدين والورع أمورٌ كثيرة شهيرة .

وقد ألف صاحبُ الترجمة المؤلفات النافعة منها في الفقه (منحة مولى الفتح في تجريد زوائد الغاية والشرح) أي غاية الشيخ مرعي وشرح الشيخ السيوطي (مجلد طبع منه ملزمة)[١] ، وفي النحو « النثار على الإظهار » (مجلد) ، وفي

---

(١) طبع بتمامه مع غاية الشيخ مرعي وشرح الشيخ السيوطي في ستة مجلدات كبار.

التوحيد « مختصر شرح عقيدة السفاريني » (مجلد مطبوع) و « بسط الراحة لتناول المساحة » (مجلد) و « شرح رسالة في أن المصدرية » ، و « شرح على الكافي في العروض والقوافي » ، و « شرح على حزب النووي » ، ومولد ، وثبت ، ومنسك (مطبوع) ومعراج (اختصر وطبع) و « رسالة في البسملة » ، وأخرى في « شروط فسخ النكاح » (مطبوعتان مع مبحث في التلفيق) وكان له نظم قليل ، فمنه قوله مقرّظاً بديعية خليل آغا الوكيل:

باهي البَهَا أبدا لنا غرّاً سمت ... تزهو بما قد زانها حسَّانُها
قد وُشِّحَت ببدائعٍ ونفائسٍ ... وظرائفٍ سُرَّتْ بها أخدانُها

إلى أن قال:

وفى بأنواع البديع نظامُها ... وبمدح طه زُيِّنَتْ تيجانُها
فخليلُنا أسدى لنا معروفَهُ ... مذ صاغها فتقاصرتْ أقرانُها
لازال يرتع في ميادين العُلى ... ما جدَّدا أيامنا مَلَوانها

وكتب إليه بعض الأدباء:

أيا حسناً تباعد عن محب ... وبالأوراق رقَّ له وأملى
وثقنا أنَّ حبل الودّ منكم ... مليٌّ من حبال الوصل أملى
فهل للهجر عندك من وصالٍ ... تجود به على المشتاق أم لا

فأجابه بقوله

أيا خِلاً حوى لطفاً وفضلا ... وأسدى كلَّ معروفٍ وأولى
لئن تنصف فقد صُوِّبتَ رأياً ... وإن تُسْمِحْ وتعذر فهو أولى
ففي الأيام ما يُدهي ويُلهي ... وهل يجديك قولي دَعْه أولى

وما زال صاحب الترجمة على طريقته المثلى إلى أن توفي .

وكانت وفاته ليلة السبت رابع عشر جمادى الثانية سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في السفح القاسيوني بتربة البغاذّة ، وأرَّخ وفاته تلميذُه العلامة

محمود أفندي الحمزاوي بقوله:

هـل كـوكـب العلـم استكَـنْ	تحـت الثـرى غـضّ الأديـمْ
أم تَخـــذَ القبرَ وطَـــنْ	لمـــا رأى أن لا نـــديـمْ
يـا فـاضـلاً في كـلِّ فَـنْ	مـن بعـده الفضـلُ عقيـمْ
كـم ذا لـه فينـا مِنَـنْ	مـازَتْ لنـا الفهـمَ السقيـمْ
قـد مـلا الـدنيـا حـزَنْ	بنـدبـه هـذا الكـريـمْ
حـرَّرتُ لمـا أن سكـنْ	في ظـلِّ مـولاهُ الـرحيـمْ
تـاريخـه الشطـي حسـن	يقـــرُّ في دار النعيـــمْ

وقد خلف المترجَم ولديه سيدي الجد صاحبَ التآليف الشيخ محمد الشطي ، ومفتي الحنابلة الشيخ أحمد الشطي ، توفي الأول سنة ١٣٠٧ وأعقب أولاده الأربعة: والدي العالم الفرضي عمر أفندي المتوفى سنة ١٣٣٧ ، والتقي معروف أفندي المتوفى سنة ١٣١٧ ، والمتفنن مراد أفندي المتوفى شاباً سنة ١٣١٤ ، والقاضي السابق حسن أفندي حرسه الله - وتوفي الثاني سنة١٣١٦ وأعقب أولاده الأربعة أيضاً: العالم الصوفي مصطفى أفندي ، المتوفى سنة ١٣٤٨ ، والنبيل طاهر أفندي المتوفى سنة ١٣٥٦ ، والذكي سعيد أفندي المتوفى شاباً سنة ١٣١٥ ، والوالي السابق عبد اللطيف أفندي حفظه الله تعالى .

الشيخ حسن البيطار

ترجمه ولده العلامة الأديب الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه قال ما خلاصته: هو الشيخ حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي الشافعي الأشعري النقشبندي ، العالم النِّحرير والمدقق الخبير ، شافعي زمانه والمعيُّ أوانه ، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية ، والمقتدي بالكتاب العزيز والسنة المحمدية ، بحر العلوم والمعارف ، الشارب من مناهل العرفان والغارف ، الآخذ بعزائم العبادة ، والجاعل التقوى إلى الآخرة زادَه ، من أطبق الناسُ على فضله ، واقتدى العموم بصدق قوله .

ولد رحمه الله سنة ست ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وأتقنه على الشيخ فتح الله أفندي ، وتفقه على الشيخ صالح الزجّاج ، والشيخ حسن العطار المصري نزيل دمشق ، والشيخ عبد الله الكردي وغيرهم ، وأخذ بقية العلوم الشرعية والآلية عن أجلّة العلماء منهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ خالد النقشبندي ، والشيخ نجيب القلعي ، والسيد محمد عابدين ، والشيخ عبد الرسول المكي ، والشيخ عمر المجتهد ، والشيخ عبد الغني السقطي وغيرهم ، وقد برع المترجَم وفاق ، وأشير بحل المشكلات إليه ، واعتمد في عويصات المسائل عليه ، واعترف له مشايخه بالإجادة ، وقدموه للتدريس والإفادة ، وفي سنة ١٢٣٦ طلبه أعيان الميدان للقيام بوظائف جامع كريم الدين (الدقاق) فانتقل إلى الميدان بعياله ومتاعه ، مأذوناً من قبل مشايخه وأسياده ، فأحبه الجليل والحقير ، واحترمه الكبير والصغير .

وفي رمضان سنة ١٢٦٢ طلبه القاضي في دمشق ، فلما دخل عليه عنَّفه القاضي ونسبه إلى فساد واستبداد ، وأمر بحبسه فحبس ، ولما كان العصر شاع الأمر وذاع ، فتحرك لذلك بعض الأعيان والعلماء ، وخرجت فرقة من أتباع المترجَم في أنواع السلاح ، وكادت أن تكون يومئذ فتنة عظيمة ، فلما رأى القاضي ذلك لجأ إلى بعض أكابر دمشق ليلمَّ شعث هذا الأمر ، معتذراً عن جهله بقدر الشيخ المترجَم ، فعندها اجتمع فريقٌ من العلماء والموالي وتوجهوا لإخراجه ، فخرجوا به معظماً مكرماً ، ثم ساروا جميعاً إلى دار نقيب الأشراف ، وهنا حضر القاضي فبادره بالترحيب والاعتذار وصافحه وعانقه ، ثم خرج المترجَم بمن معه من جماهير الناس الذين اجتمعوا لإخراجه ، وهم يطلقون البارود ويلعبون بالسيوف إلى أن وصلوا به إلى داره ، ولم يمض على ذلك مدةٌ من الأيام ، إلا وأدار الله على القاضي وأعوانه كؤوس الحمام .

وفي آخر شعبان سنة ١٢٦٣ حضر من الدولة العلية مرسوم سلطاني بدعوة كل من صاحب الترجمة والعلامة الشيخ عبد الرحمن الطيبي إلى الآستانة لحضور

الختان السلطاني ، وكان الوالي وقتئذ صفوت باشا ، فأخبرهما بما كان ، وأن السفر تعين في ثامن رمضان ، فتوجها ودخلا القسطنطينية دار المملكة العثمانية ، وكان للمترجَم عند شيخ الإسلام إذ ذاك عارف حكمت بيك العالم المشهور القبول التام ، فكان يقع بينهما أبحاث علمية ومحاورات أدبية ، واستجاز كل منهما الآخر وأخذ عنه وسمع حديث الرحمة المسلسل بالأولية منه ، وامتدح شيخ الإسلام المشار إليه صاحب الترجمة بهذه الأبيات:

ياقلبُ أبشِرْ بما ترجوهُ من مننٍ ... فقد حظيت بشهم كاملٍ فطنِ
حليف علم إمام سيد ثقةَ ... أخلاقه الشمُّ قد جاءت علَى سننِ
وقلت للقلب هذا ما تؤمِّلُه ... فقد بلغت المنى والأنس من حسنَ

فأجابه سيدي الوالد بقصيدة مطلعها:

شمس المعارف تُغنينا عن السرجِ ... ومنهج الفضل لا يخفى لمن يلج*
وطالع السعد لا تعروه كاسفة ... وعارف الدهر مقصورٌ على الفلجِ
شيخ الأنام الذي طابت مآثره ... بحر الكمالات ذو الأمواج واللججِ
فرع النبوة وصف الحسن لابسُه ... فنوره ظاهر في وجهه البهجِ
طود من العلم والعرفان جمّله ... حلمٌ به قد سما الأسمى من الدَّرَجِ

ومنها

ياسائلي عن دليل الصدق في خبري ... شواهد الفضل لا تحتاج للحججِ
فيمِّمِ الركبَ وانزلْ روضَ ساحته ... واشمم شذا طيبِه الفياحِ بالأرجِ

وآخرها

فالله يحفظه من كل نازلة ... ممتعاً بسرور عنه لم يَعُجِ

وكان الاحتفال بالختان السلطاني بعد تمام رمضان فقامت الأفراح حينئذ على قدم وساق ، وكان الفراغ من موكبه العظيم نهار الجمعة حادي عشر شوال سنة ١٢٦٣ ، ثم أقيمت حفلات التبريك في الحضور السلطاني ، فتكرر للمترجم

الاجتماع بحضرة ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ، وعرضت عليه رجال الدولة إجراء معاش جزيل ، فقال لهم : لم يبق من العمر إلا القليل . ولم يزل في الآستانة مع من كان من علماء الممالك العثمانية ، إلى أن حصل لهم الإذن بالعود إلى الوطن ، مقلَّدين بقلائد الفضل والمنن ، فعاد هو والشيخ الطيبي المقدَّم ذكره ، وكان يوم دخولهما إلى الشام يوماً مشهوداً ، خرج لاستقبالهما الأعيان والعلماء وغيرهم ، وذلك في ثامن محرم سنة ١٢٦٤ فكانت الرحلة أربعة أشهر تماماً .

وكان للمترجَم عبادة وطاعة وأوراد وأحزاب ، يتلوها في الصباح والمساء وبعد الصلوات ، وكان كثير الزيارة لمشاهد السادات ، حسن الخلق يغلب عليه الزهد ، وكان إذا تصعب أمر بين الناس ينقضي بمجرد حضوره وتكلمه فيه . وفي سنة ١٢٦٧ توجهت معه إلى الحجاز ، وهي الحجة الثالثة له فرأيت منه ما يدل على علو درجته ، وجرى له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية .

وفي ثاني عشري شعبان سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف مرض المترجَم بذات الجَنْب ، فلما كانت ليلة رمضان سأل عن الشهر فأخبرناه بإثباته ، فشرب في السَّحَر ونوى ، وأصبح يعالج سكراتِ الموت ، ثم مات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف ، وقد حضر جنازته عدد عظيم ودفن في تربة باب الله بجانب قبر الشيخ تقي الدين الحصني من جهة الشمال وقبره ظاهر مشهور رحمه الله رحمة واسعة ، انتهى .

ورثي المترجَم بجملة مراثي منها مرثية ولده الأستاذ الموما إليه وهي طويلة مطلعها :

غاب بدر العلوم تحت الترابِ	وتوارتْ شمسُ العُلا في الحجابِ
ونعاه الناعون من كل فجٍّ	مات قطب الشآم عالي الجنابِ
قل لمغترٍّ بالحياة تنبَّهْ	لرحيلٍ فالعمر لمعُ سرابِ

وآخرها :

أحســن الله عنــك صبر المعــالي وعــزاء الأتــراب والأصحــابِ
وسقــى روضــةً أويــتَ إليهــا هــاطـلٌ مـن مـراحـم الـوهَّـابِ

حسن أفندي الأُسطواني

هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن الأسطواني الحنفي الدمشقي الفاضل الكامل الأديب الشاعر البارع الماهر ، ولد بدمشق في حجر والده وأخذ عن علماء عصره ونظم ونثر وجمع ديوان شعره ، وفيه بدائع الشعر وروائعه ، ولما رحل المولى خليل أفندي المرادي مفتي دمشق إلى حلب سنة ١٢٠٥ صحب المترجَم وغيره ، وحصل لهم من مفتي حلب حسن أفندي الكواكبي وغيره من العلماء والوجهاء غاية الإكرام ، ومن شعر المترجَم قوله من قصيدة:

كالبدر أقبل بالهالات يحتجبُ غصـنٌ إذا مـا رآني هـزَّه الطـربُ
فقمـتُ ألثـم أقـدامـاً أريـد بـه ردَّ السـلام وهـذا بعض مـا يجـبُ

ومنها:

أنعـم بهـا ليلـةً جـاد الـزمـانُ بهـا مـا زلـتُ مـن ثغره أدنـو ويقتربُ
حتى هوى النجمُ من شمسِ الضحى فَرَقاً وثـار في أضلعـي خـوف النـوى لهـب

وقال من قصيدة مضمناً:

يــا يــوســف الحســن يــامــن يُطـــاع نهيـــاً وأمـــرا
إن القلـــــــوب كمصر مُلــــكٌ لحسنـــك أَسْرى
فــارفــق بهــا وتحنــن واكفُــفْ سهــامــاً وسُمــرا
أجــابنــي بــابتســامِ (أليــس لي ملــك مصرا)

وقال رحمه الله:

ألستَ مقاطعي من غير ذنبٍ وقد أحكمتَ بي جرحاً أمضّا
ألم تــذكُــرْ تــدانينــا بــوادٍ وسيــمٍ قــد حلَلْنـا منـه روضـا

تعاطينا دواعي اللهوِ فيه   وكانت أعين الرقباء غُمْضا
وطفنا نمتطي ذلل التصابي   جوانب أرضه طولاً وعَرْضا

ثم قال:

وتعلم عفّتي وصفاء ودي   وأني بالدنيَّةِ لست أَرْضى
وتعلمني إذا أغضيتَ عني   ملالاً كنتُ منك أشدَّ إغْضا
ولم أعبأ وحقِّك في صدودٍ   له في القلب هاجرةٌ ورَمْضا
ولي قلبٌ على البلوى صبورٌ   بصدرٍ واسعِ الأكناف أفْضى
ولي همٌّ تُناطُ بها الثريّا   وعزمٌ من سيوف الهند أمْضى
وكم خِلٍّ صرفتُ الودَّ عنه   وصنتُ بهجره مالاً وعِرْضا
ولم تأسف على قلبي ضلوعي   إذا ما القلبُ ناض ينوض نوضا[1]
وأعلم رفعَ مقدورٍ محالاً   وما يقضيه ربُّ الناس يُقضى
ومن يعلم بأنَّ الكل منه   أراح النفسَ من همٍّ وإنْضا

وما زال المترجَم على حاله وقاله إلى أن توفي .

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف رحمه الله تعالى ، وستأتي في هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الله أفندي وجملة من بني عمه إن شاء الله تعالى .

الشيخ حسن الموقع

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال: هو الفاضل الذي لايُبارَى ، والكامل الذي في ميدان السبق لا يجارى ، وولد في دمشق الشام وحضر دروسَ السادة الأعلام ، وقد انفرد بعلم الفرائض ، فكان عليه بها مدار الفتوى ، وأحبه العموم لما جُبل عليه من الديانة والتقوى ، ولم يزل كذلك إلى أن دعاه داعي الإياب ، إلى الجنة دار الثواب .

وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الدحداح رحمه الله.

---

(١) ناض : عدَلَ ونجا هارباً.

حسن أفندي البكري

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي في تذكرته قال ما خلاصته: هو السيد الجليل أحد صدور دمشق وأعيانها ، كان كريم الأخلاق والصفات ، محباً للعلماء مكرماً للفقهاء .

توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف رحمه الله تعالى ، وقد رثاه العلامة الشيخ خليل بن عبد السلام الكاملي بأبيات منها قوله:

حسَنُ الاسم جديرٌ بامتداحٍ وثناءِ
قد حوى حسنَ صفاتٍ مع لطفٍ وصفاءِ
ولدارِ الخلدِ نودي فسعى طبقَ النداءِ

حسن أفندي تقي الدين

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته: هو السيد حسن بن السيد تقي الدين (المتقدمة ترجمته) ابن السيد حسن الشهير بتقي الدين الحِصْني الشافعي (كذا) الدمشقي ، صدر الصدور ، وزينة الأزمنة والدهور ، كان جسوراً مهيباً ، فصيح المقال ، تعرَّض لمنصب الإفتاء بدمشق ، فعزلت الحكومة المفتي حسين أفندي المرادي ، ووجِّهت الفتوى إلى صاحب الترجمة ، فجعل للمنصب المذكور قدراً عظيماً ، ومقاماً كبيراً ، حتى إذا أراد التوجه إلى دار الحكومة يجعل في ركابه أربعين رجلاً من الشجعان ، فيستقبله رئيس جند الحكومة بالاحترام ، وإذا جلس تصدَّى للنظر في الأمور ، بعقل وافر وسعي مشكور ، وقد بقي مفتياً ستة أشهر وأياماً ، ثم عُزل عن الفتوى فأعيدت إلى المرادي ، ولما بلغه ذلك اعتزل في داره إلى أن توفي سنة أربعٍ وستين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وقد تأسَّف عليه كثير من الناس لما كان يتحلَّى به من الشهامة العربية ، والنصرة لكلِّ قاصد . انتهى .

وترجمه قريبه السيد الفاضل أديب أفندي في تاريخه المطبوع سنة ١٣٤٦ وزاد

على ما تقدم بأن المترجَم نشأ في حجر والده بدارهم الكائنة بمحلة مئذنة الشحم ، ولازم العلامة الشيخ نجيب القلعي ، وظهر شأنه ، وعلا قدره ، وتفرَّد في الوجاهة ، وكان مقبول الشفاعة عند الحكام ، محترماً عند الخاص والعام ، تولى منصب الافتاء بدمشق مدة ، ونقابة الأشراف بها زمناً يسيراً ، وكان يمشي إلى الحكومة وفي ركابه أربعون فارساً في صدورهم السلاح وبيدهم الرماح ، ثم أُخذت عنه النقابة إلى بني عجلان ، وأعيدت الفتوى إلى المفتي المرادي ، وصار المترجَم بعد ذلك عضواً في المجلس الكبير إلى أن توفي سنة ست وأربعين ومئتين وألف (تأمل) رحمه الله تعالى .

الشيخ حسن الهابط

قال العلامة البيطار في تاريخه ما خلاصته: هو المجذوب لله ، المنقطع عما سواه صاحب الكرامات الظاهرة ، والخوارق الباهرة ، ولد سنة عشرين ومئتين وألف ونشأ في حجر والده ، وتعلم على يده صنعة الحياكة ، ثم غلب عليه الجذب والسكون ، فترك الحياكة ، ولزم الساحة المعروفة في محلة الميدان ، لايخرج منها أبداً ، حتى إنه في أيام الشتاء كان ينزل عليه المطر الغزير ، والثلج الكثير ، فلا يتظلل ولا ينتقل من محلِّه ، وكان لايلبس على جسمه سوى قميص وبوظية من الصوف ، وكان مطرقَ الرأس ينظر إلى الأرض دائماً ، ويدور ويتردَّد في موضعه كالمحتار في أمره . وكان كثيراً ما تقصده المجاذيب ليلاً فيجلسون عنده ويتذاكرون معه ، وإذا مر بهم أحد سكتوا إلى أن يبعد عنهم ، ومع ذلك كان المترجَم جمالي المشرب ، يأنس به من يراه ، ولم يكن له حالةٌ منكرة ، وكان لا يكلِّم أحداً حتى يكون السرورُ غالباً عليه ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في عاشر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومئتين وألف ودفن في مقبرة باب الله .

الشيخ حسين التدمري

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال: هو حسين بن محمد التدمري أصلاً وشهرة الدمشقي الميداني الشافعي . عالم فاق أهلَ زمانه وترقَّى في الكمال على

أقرانه ، اعتصم بحبل الوفاء ، وتحلى بحلية القناعة ، واشتهر في الناس فضله ، حضر مجالس السادات ، وأخذ عنهم أنواع العلوم والآلات ، ثم درس وأفاد ، وانتفع به الكثير واستفاد ، وكان مقيماً في الميدان يتعاطى وظائف جامع كريم الدين (الدقاق) من إمامة وخطابة وتدريس ، وكان معتمداً على مولاه ، لايشغله عنه سواه ، فهو بقية السلف ، وزينة الخلف .

توفي بعد خدمة الجامع المذكور أربعين سنة ، عن نحو ثمانين عاماً ، وذلك في سنة أربع عشرة ومئتين وألف ، ودفن في تربة باب الله ، وقبره مشهور تغمده الله برحمته والمسلمين .

الشيخ حسين السَّقَطي

قال الأستاذ البيطار في ترجمته: هو حسين بن عبد القادر السقطي الدمشقي الصالحي الشافعي ، بقية السلف وعمدة الخلف ، المقتدَى بأفعاله والمعمول بأقواله ، بركةُ الأنام ونخبة العلماء الأعلام ، ولد بصالحية دمشق سنة تسعين ومئة وألف ، ونشأ بها وقرأ على أخيه العلامة الشيخ عبد الغني وعلى العلامة الشيخ محمد شاكر العقاد ، ومات سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة أسلافه رحمه الله تعالى .

حسين أفندي حمزة

ترجمه الكمال الغزِّي رحمه الله في تذكرته قال: هو بدر الدين أبو اللطف السيد حسين ابن السيد يحيى ابن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم ابن السيد محمد ابن السيد كمال الدين ابن السيد محمد الحسيني الحنفي الدمشقي الشهير بابن حمزة ، أحد صدور دمشق وفضلائها كان عالماً فاضلاً ورعاً ، شاعراً أديباً ، له أشعار كثيرة جيدة ، أنشدني منها كثيراً ، ولد بدمشق سنة ١١٦١ ونشأ بها ، وقرأ العلوم على فضلائها ، وساد أهل زمانه ، وتولَّى نظارة الجامع الأموي ، وفي سنة ثلاث ومئتين وألف سافر إلى القسطنطينية ، وعند رجوعه توفي بمدينة حماه

في السنة المذكورة ودفن بمقبرة بني الكيلاني انتهى .

قال العم مراد أفندي في « كشكوله » بعد نقله ما ذُكر : ومن شعره قوله :

سما بفاتكِ طرفٍ والقوامِ وقَدْ ... تملَّكا مُهَجَ العشَّاق واقتسما
(وقْتَ سما)

حمى الرُّضاب بحدٍّ من لواحظِهِ ... فجاوز الحدَّ قلبي فيه واقتحما
(وقت حَمى)

وقوله أيضاً :

سرى فأودع في الأحشاء جمرَ غَضًى ... واغتال قلبي بغُنج اللَّحظ واقتسرا
(وقت سرى)

درى بأني به مضنى فعلَّلني ... بوصله بعدما قد عزَّ واقتدرا
(وقت درى)

ولما أنشد المترجَم الكمال الغزِّي هذه الأبيات أنشده المذكور في هذا الأسلوب قوله :

سنا محيَّاهُ رجراجٌ تحرَّك من ... لطفٍ وحنَّ للقيانا ومارسنا
(ومار سنا)

رنا فأرسل سهم الحاجبَيْن وكم ... تحكَّما في دمِ العشاق واقترنا
(وقت رنا)

انتهى ، قلت : وخلَّف المترجَم أولاده الثلاثة سعدي أفندي المتوفى سنة ١٢٣١ عقيماً ، ومحمد أفندي ونسيب أفندي الآتية ترجمته في حرفه ، وقد كان للمترجَم أخوان أحدهما السيد حسن المتوفى سنة ١٢١٨ ، وكان عالماً صالحاً محترماً ، والآخر السيد حمزة نقيب الأشراف بدمشق ، وستأتي ترجمته في محله قريباً رحمهم الله تعالى .

★ ★ ★

الشيخ حسين الكبيسي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته: هو حسين بن أحمد الشهير بالكبيسي البغدادي ثم الدمشقي ، أمين الفتوى بدمشق الشام ، العالم النِّحرير ، والفاضل الكبير ، اشتهر فضله في الآفاق ، وانعقد على كماله الاتفاق ، وكان للفتوى أجلَّ أمين ، لا يحيد عن الحق ولا يمين ، إلى أن دعته المنية للدار الأخروية ، وذلك في سابع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى وإيانا .

حسين أفندي المرادي

ترجمه أحد المؤرخين في مجموعة له قال: هو السيد حسين بن علي بن حسين بن محمد بن الشيخ مراد النقشبندي ، البخاري الأصل ، الحنفي الدمشقي ، الشهير بالمرادي ، مفتي دمشق الشام ، وأحدُ صدورها العظام ، ولد في دمشق سنة مئتين وألف وأخذ عن الشيخ شاكر مقدم سعد ، والشيخ نجيب القلعي وغيرهما .

وكانت وفاته سنة سبع وستين ومئتين وألف ، ودُفن في مدفن بني المرادي بدارهم في سوق صاروجة انتهى .

قلت : وقد اشتهر صاحب الترجمة بكرمه وسخائه ، بحيث كان منهلاً لكلٍّ وارد ، وملجأً لكلٍّ قاصد ، ولم يزل اسمه حتى الآن مذكوراً بالثناء ، مشكوراً عند العلماء والأدباء ، وكان يعتمدُ في أمانة الفتوى على فقهاء أجلاء ، كالسيد محمد عابدين ، والشيخ حسين الكبيسي ، والشيخ هاشم التاجي ، والشيخ سعدي العمري وغيرهم ، وانفصل عن الفتوى مرّات ، منها بسعيد أفندي العجلاني ، ومنها بحسن أفندي تقي الدين ، والأسباب إدارية طبعاً ، وأعقب المترجَم أولاده الثلاثة وهم : عبد الرحمن أفندي ، وعلي أفندي ، وأبو السعود أفندي ، أما الأول فكان فاضلاً نبيلاً جعله إبراهيم باشا لما احتلَّ دمشق في وظيفة

(بينباشي) هو وعبد الغني أفندي ابن عمر الغزِّي ، وكانا شابَّين نجيبَين ، ثم إنه توفي كل منهما في شبابه وفي حياة والده ، فالمرادي بالوباء سنة ١٢٦٤ وأبوه مفتي الحنفية ، والغزِّي في سنة ١٢٦١ وأبوه مفتي الشافعية وهو اتفاق غريب ، وأما الولد الثاني علي أفندي فهو آخر المفتين بدمشق من بني المرادي استقام في الفتوى أشهراً بعد أبيه صاحب الترجمة ثم استقال منها ، وأما الولد الثالث أبو السعود أفندي ، فهو والد موسى أفندي الذي تولَّى القضاء في بعض الجهات ، وتوفي سنة ١٣١٥ عن ولده الوجيه مراد أفندي الموجود الآن رحم الله السلف ، وبارك في الخلف . آمين .

الشيخ حسين العمري

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال: هو حسين بن عبد اللطيف العمري الدمشقي ، الشيخ الكبير ، والمؤرخ الشهير . ولد بدمشق الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومئة وألف ، وأخذ عن الشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي ، وعلي أفندي الطاغستاني ، والشهاب أحمد البعلي ، والشيخ محمد البخاري ، والشيخ مصطفى اللقيمي ، والشيخ علي السليمي الصالحي وغيرهم ، وله تاريخ سماه « المواهب الإحسانية في تراجم العمرية » .

توفي رحمه الله في أوائل هذا القرن . انتهى . وقال بعضهم سنة ست عشرة ومئتين وألف .

الشيخ حسين العطار المدرِّس

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما خلاصته: هو حسين بن حسين بن محمد الدمشقي الحنفي الشهير بالمدرِّس وبالعطار ، ولد بدمشق الشام في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف - وقيل سنة ١١٥١ - وكان عالماً أستاذاً ، وفاضلاً ملاذاً ، تتقاطر مياه التقوى من محيَّاه ، ويشرق النور من مشكاة هداه ، خاتمة السلف الصالحين ، والناهج منهج العلماء العاملين ، الفقيه النحوي والمفسر

المحدث اللغوي.. أخذ العلم عن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير، وعن الشيخ محمد بن سليمان المدني، والشيخ إبراهيم الحلبي، والشيخ صالح الجينيني، والشيخ علي السليمي، والشيخ عبد الرحمن بن حسن الكردي، والشيخ عبد الرحمن العيدروس وغيرهم، وأجازوه بما تجوزُ لهم روايتُه، وقد درَّس وأفاد، وأخذ عنه كثير من الفضلاء رووا عنه الحديث وغيره، وكان للناس به اعتقادٌ كبير، ولا ينبئك مثل خبير.

مات رحمه الله في غُرَّة شعبان سنة عشرين ومئتين وألف، ودفن في جبانة الباب الصغير، انتهى. قلت: والمترجَم هو جد العلامة الشيخ راغب السادات لأمه كما أخبرنا بذلك رحمه الله تعالى.

حسين أفندي قاضي دمشق

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال: هو حسين أفندي بن أحمد أفندي الاستامبولي الحنفي، ولد المترجَم في استانبول دار السلطنة العثمانية، وجدّ واجتهد في طلب العلوم الشرعية والأدبية، وفاح نشره، وعلا صيته وذكره، وكان متضلِّعاً في العلوم العقلية، مستحضراً للعلوم النقلية، متعبداً عفيفاً، متواضعاً مهيباً، قدم دمشق في أول شعبان سنة ١٢٤١ متولياً القضاء العام، فتعاطى الأحكام على أحسن ما يرام، وامتزج مع العلماء امتزاج الراح بالماء، ووجهت عليه مولوية مكة المكرمة، وذلك في أيام السلطان محمود خان العثماني، ولم يزل مقيماً على وظيفته، مثابراً على تقواه وعبادته، إلى أن دعته المنية إلى الدار الأخروية.

وكانت وفاته في ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف، ودفن في مقبرة الباب الصغير، قرب مقام سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه.

★ ★ ★

الشيخ حسين النابلسي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه: هو حسين بن إسماعيل بن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قُدِّس سرُّه ، الحنفي الدمشقي العالم الأستاذ والكامل الملاذ ، ولد سنة خمسين ومئة وألف ، وأخذ عن والده وعن العلامة الشيخ صالح الجينيني ، والشهاب أحمد المنيني ، والشيخ أسعد المجلد ، والعلامة محمد الحفني ، وكانت وفاته سنة إحدى عشرة ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة بني النابلسي رحمه الله تعالى وإيانا والمسلمين .

الشيخ حسين فشافش

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال: هو أحد مجاذيب دمشق ، كان له كرامات كثيرة ، وأخبار صادقة شهيرة ، وكثيراً ما تكلم بكلام لا يفهمه الناس في الحال ، ولكنه يقع بعد مدة ، فيفهم الناس مرادَه حينئذ . ومن ذلك أنه كان يقف عند باب البلطجية في دمشق ويقول : (ضربنا الخبر من هنا فوصل إلى استانبول ، وضربناه من هنا فوصل إلى مصر) ويعدِّد محلاتٍ كثيرة ، ثم صار المحل الذي كان يقف عنده مركزاً للتلغراف كما أخبر ، وهذه من جملة كراماته .

مات رحمه الله تعالى في دمشق سنة ثمانين ومئتين وألف . ودفن بمقبرة الباب الصغير .

حمزة أفندي حمزة

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال: هو السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم ، الشهير بابن حمزة ، الدمشقي الحنفي الحسيني ، أحد العلماء الأعلام ونقيب الأشراف بدمشق الشام ، إنسانُ عين الأعيان ، ولسانُ ذوي الفضل والشان ، ولد بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف ، ونشأ على التقوى والصيانة والعلم والديانة ، إلى أن اختاره الله للدار

الآخرة ، والجنة الفاخرة ،وذلك سنة سبع عشرة ومئتين وألف ، ودُفن في مرج الدحداح عند أسلافه رحمهم الله تعالى انتهى .

قلت : لم أقف للمترجم على أكبر من هذه المعلومات الضئيلة مع تردُّد اسمه على الألسنة مدة طويلة ، غير أن المفتي المرادي مؤرخ القرن الماضي ، ذكر في تاريخه أن المترجَم عُزل مرَّةً عن النقابة بالمولى علي أفندي العجلاني سنة ١١٧٢ ، كما ذكر السيد كمال الدين الغزِّي في « التذكرة الكمالية » أن نقابة الأشراف كانت وُجِّهت إلى السيد المرادي المشار إليه سنة ١٢٠٠ وأنه هنأه بها نظماً ، وعلى كلٍّ حال فالمحفوظ أنَّ السيد المترجَم مات وهو نقيب دمشق وأحد صدورها وبه سمي زقاقنا زقاق النَّقِيب رحمه الله تعالى .

حمزة أفندي العجلاني

السيد حمزة بن السيد علي بن السيد إسماعيل بن السيد حسن بن السيد حمزة بن السيد حسن المعروف كأسلافه بالعجلاني ، الحسيني الحنفي الدمشقي ، السيد الشريف الحسيب النسيب ، العالم الفاضل ، الصدر الرئيس الهمام الأوحد ، ولد بدمشق في بيت أبيه ، بيت المجد والسيادة ، وكان والده علي أفندي نقيبَ الأشراف بدمشق وصدر صدورِها توفي سنة ١١٨٣ ، وقد طلب المترجَم العلم فقرأ على بعض علماء دمشق وشيوخها ، وجَلَّ أمره ونبُلَ قدره ، وصار من الأعيان المنوَّه بهم والرؤساء المشار إليهم ، ووجهت إليه فتوى دمشق بعد المرادي والمحاسني مفتييها اللذين قتلهما أحمد باشا الجزار سنة ١٢١٨ .

وكانت وفاة المترجَم سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ودفن بترْبة أسلافه في الباب الصغير رحمه الله تعالى .

حَمُّود أفندي العمري

قال الأستاذ البيطار في تاريخه : هو حمود بن سعيد بن محمد بن عمر بن عبد اللطيف العمري الفاروقي الدمشقي الحنفي . ولد بدمشق ونشأ على منهج

الكمال ، مرتدياً برداء الحسن والجمال ، ممتزجاً مع العلماء كامتزاجه مع الأدباء ، محمود السيرة ، صافي السريرة .

وكانت وفاته نهار السبت الحادي عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح . انتهى .

قلت: يقول بعض أحفاد المترجَم : إنَّ جدهم المذكور كان يسمى محمد سعدي ، ثم غلب عليه اسم حُمود وإنه ابن محمد شاكر بن مصطفى لا ابنَ مَنْ ذُكر ، وإنَّ من أحفاده عبدَ الله أفندي المتوفى سنة ١٣١٣ رحمهم الله تعالى .



حرف الخاء

الشيخ خالد النقشبندي

ترجمه العالم الفاضل الشيخ محمد بن سليمان البغدادي في كتابه « الحديقة الندية ، في الطريقة النقشبندية ، والبهجة الخالدية »، ترجمة مذيلة بحاشية للأستاذ الشيخ أسعد أفندي الصاحب ابن أخي المترجَم ، فلخَّصنا منها ما يأتي:

قال صاحب « الحديقة الندية »: هو أبو البهاء ضياء الدين مولانا الشيخ خالد الشهرزوري ، السَّلَفي عقيدةً ، الشافعيُّ مذهباً ، النقشبنديُّ المجدِّديُّ طريقةً ومشرباً ، القادري السَّهْرَوَرْدِي الكبروي الجشتي إجازةً ، ابن أحمد بن حسين ، وينتهي نسبه إلى الخليفة الثالث سيدنا عثمانَ بن عفان الأمويِّ رضي الله عنه ، العالم العلامة والعَلَم الفهامة ، مالك أزِمَّة المنطوَق والمفهوم ، وذو اليد الطولى في كثير من العلوم ، من حديثٍ وفقهٍ وكلام وأصولٍ وتصوُّف ومنطق ووضع ونحو وصرف وعروض وبلاغة وبديع ومناظرة وحكمة وحساب وهندسة واصطرلاب وهيئة ، مربي المريدين ،ومرشد السالكين ، ومحطُّ رحال الوافدين .

ولد قدَّس الله سرَّه سنة ثلاث وتسعين ومئة وألف ، بقصبة قره طاغ من سناجق بابان ، ونشأ فيها وقرأ في مدارسها القرآن الكريم و « المحرر » للإمام الرافعي ، ومتن الزنجاني في الصرف ، وشيئاً من النحو ، وبرع في النظم والنثر وهو دون البلوغ ، مع تدريب نفسه على الزهد والعفَّة .

ثم رحل إلى نواحي وطنه لطلب العلم ، فقرأ في السليمانية على العالم العامل السيد عبد الكريم البرزنجي ، وعلى أخيه العالم المدقق السيد عبد الرحيم البرزنجي ، وعلى العالم المحقق الملا صالح ، وعلى كلٍّ من العالمين الفاضلَين الملا إبراهيم البياري والشيخ عبد الله الخرباتي . ثم رحل إلى نواحي كوي ، فقرأ شرح

الجلال على العالم الذكي الملا عبد الرحيم الزيادي ، وأخذ عن غير هؤلاء ، ثم رحل إلى سنندج ونواحيها ، فقرأ فيها العلوم الحسابية والهندسية والاصطرلابية والفلكية ، على العالم المدقق ، جغميني عصره ، وقوشجي مصره الشيخ محمد قسيم السنندجي ، وكمل عليه المادة على العادة ، وبعد ذلك رجع إلى الأوطان ، وقد قضى الأوطار ، فولي تدريسَ مدرسة أجلِّ أشياخه السيد عبد الكريم البرزنجي بعد وفاته بالطاعون الواقع في السليمانية سنة ١٢١٣ فشرع يدرس العلوم وينشر المنطوق منها والمفهوم ، مقبلاً على الله تعالى لا يتردد إلى الحكام ولا يحابي أحداً من الأنام ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهو نافذ الكلمة محمود السيرة ، مع الصبر على الفقر ، واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعات ، إلى أن جذبه الشوق إلى حج بيت الله الحرام ، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام ، فخرج من بيته إلى الديار الحجازية سنة ١٢٢٠ وصحب في الشام مدرس الحديث الشيخ محمد الكزبري ، فسمع منه وأخذ عنه الأسناد العالية والإجازات المسلسلة ، وصحب أيضاً تلميذه الشيخ مصطفى الكردي ، فأجازه كشيخه بأشياء منها الطريقة القادرية ، ثم بعد قضاء المناسك رجع إلى الشام ، واجتمع ثانياً بعلمائها الأعلام ، وسار منها إلى وطنه ، فباشر تدريسه على أحسن الأحوال ، وهو متشوق إلى مرشد من فحول الرجال ، فرحل إلى الديار الهندية سنة ١٢٢٤ ودخل بلاد إيران والأفغان ، واجتمع بعلماء هاتيك البلاد وحاوروه وحاورهم ، واعترفوا له بالفضل إلى أن وصل إلى العاصمة الهندية المعروفة بجهان آباد ، بمسيرة سنة كاملة ، وعندها أخذ الطريقة العلية النقشبندية ، بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها ، على شيخ مشايخ الديار الهندية ، ووارث المعارف والأسرار المجددية ، حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قُدِّس سرُّه ، واشتغل في زاويته بالمجاهدة ، فلم يمض عليه خمسة شهور ، حتى صار من أهل الحضور ، وشهد له شيخه بالوصول إلى كمال الولاية ، وتمام السلوك والدراية ، وأجازه بالإرشاد ونفع العباد ، وخلفه الخلافة العامة بالطرائق الخمسة ، النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية ، وأجازه بجميع ما تجوز له روايته من حديثٍ وتفسير وتصوُّفٍ وأوراد ، واجتمع بإشارة منه بالعالم

الصوفي المعمَّر الولي عبد العزيز الحنفي النقشبندي ، فأجازه برواية الصحاح الستة وبعض الأحزاب ، وكتب له إجازة لطيفة ، ثم أعاده شيخه الدهلوي إلى هذه الأقطار ليرشد المريدين ويربي السالكين ، وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال ، فسار صاحب الترجمة براً وبحراً نحو خمسين يوماً ، حتى خرج إلى شيراز ويزد وأصفهان ثم هَمَذان وسنندج ، فوصل السليمانية سنة ١٢٢٦ ، واستقبله أعيان وطنه معززاً مكرماً ، ورحل في تلك السنة إلى بغداد ، فنزل في زاوية الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلي قُدِّس سرُّه ، ومكث هناك في إرشاد الناس نحو خمسة أشهر ، ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية .

ولما كانت سنة الله في الذين خلَوْا من قبل ، أن يجعل حُسَّاداً لكلٍّ من تفرَّد بالفضل ، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه ، ووشَوْا عليه عند حاكم كردستان ، فخلاهم وشأنهم في السليمانية ، وعاد إلى بغداد سنة ١٢٢٨ فألَّف فيه الشيخ معروف البرزنجي رسالةً أرسلها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرِّضه فيها على إهانته وإخراجه من بغداد ، وضلَّله فيها وكفَّره ، فانتدب الوالي السيد محمد أمين أفندي مفتي الحلة سابقاً للردِّ على البرزنجي المذكور ، فألَّف هذا رسالةً ردَّ بها على الرسالة الأولى ، ومهرَتها علماءُ بغداد ، ثم أرسلتْ إلى المنكرين فسلقَتْهم بألسنةٍ حِداد ، ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية ، فبنى له أمير الأمراء محمود باشا ابن عبد الرحمن باشا زاويةً ومسجداً ، يأوي إليهما الفقهاء والفقراء ، وربط عليهما وقفاً ، وقد انتفع به خلقٌ كثيرون من الأكراد وأهل إربل وكركوك والموصل والعمادية والجزيرة وعينتاب وحلب والشام والروم والمدينة المنورة ومكة المكرمة والبصرة وبغداد ، وقد كان رحمه الله كريمَ النفس ، حميدَ الأخلاق ، باذلَ الندَى ، حامل الأذى ، حلوَ المفاكهة والمحاضرة ، رقيقَ الحاشية والمسامرة ، ثَبْتَ الجَنان ، بديع البيان ، طلق اللسان ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وله من المؤلفات شرحٌ لطيف على مقامات الحريري غير كامل ، وشرح على حديث جبريل سماه « فرائد الفوائد » ، جمع فيه عقائد الإسلام باللغة الفارسية ، ورسالة سماها « العقد الجوهري في الفرق بين كسب الماتريدي والأشعري » ،

وشرح على « أطواق الذهب » لجار الله الزمخشري مع ترجمته للغة الفارسية ، ورسالة في إثبات الرابطة ، ورسالة في آداب الذكر في الطريقة النقشبندية ، ورسالة في آداب المريد مع شيخه ، طبعت في بلاد الروس ، وشرح على « العقائد العضدية » ، وله مكاتبات محتوية على أسرار بليغة ، وحواش شتى على هوامش كتبه شاهدة بطول باعه . وأكثر شعره فارسي ، وله ديوان نظمٍ بديع ، ونثر يفوق زهر الربيع :

ومن بعد هذا ما تجلُّ صفاته وما كَتْمُه أحظى لديَّ وأجملُ

قال الشيخ أسعد أفندي الموما إليه : ولم يزل على ذلك في بغداد إلى سنة ١٢٣٨ ، ثم إنه أراد الرحيل إلى البلاد الشامية ، فأقام مقامه على سجادة الإرشاد في السليمانية شقيقه العالم العامل الشيخ محمود الصاحب ، وفي الطويلة الشيخ عثمان سراج الدين ، وفي بغداد كلاّ من المرشد الشيخ محمد الجديد ، والكامل الشيخ موسى الجبوري والولي السيد عبد الغفور وغيرهم ، وكذلك في بقية البلاد العراقية والكردية ، ثم خرج من مدينة السلام وتبعه الناس أفواجاً ، فودَّعهم وسار لجهة دمشق الشام ، وصحبه كثيرٌ من العلماء والخلفاء والمريدين ، منهم العلامة المرشد السيد عبيد الله الحيدري مفتي بغداد السابق ، والعالم العارف الشيخ إسماعيل الأناراني ، والإمام الفاضل الشيخ عبد القادر الديملاني ، والعلامة المحقق السيد إسماعيل البرزنجي والكامل الشيخ عيسى الكردي ، والفاضل ملا بكر ، والنحرير الشيخ محمد الفراقي ، والشيخ عبد الفتاح العقري ، والشيخ عبد الله الهراتي ، والشيخ محمد الصالح ، والشيخ محمد الناصح ، والعلامة الشيخ عمر ، والسيد أحمد الكردي المكي ، والشيخ إسماعيل الزلزلي وغيرهم .)فوصل إلى دمشق الشام بموكبه الحافل ، واستقبله كثير من أهلها بالإعزاز والترحيب .

وكان نزوله أولاً في الجامع المعلَّق ، فهُرِع لزيارته الخاصُّ والعام من أكابر العلماء والأمراء والحكام ، وأقام ينشر العلومَ الشرعية ، ويشيد دعائم الطريقة النقشبندية ، يرشد السالكين ، ويربي المريدين ، ثم بعد برهة اشترى داراً رفيعة

بمحلة القنوات ، جعل قسماً منها مسجد تقام فيه الصلوات ، ولم يزل آخذاً بزمام الإرشاد حتى صار عين جلق ، وبدرَها المتألّق ، ورحل إليه الأعلام من بلاد الإسلام ، وخلف الخلفاء وأجاز العلماء ثم رحل بموكبه إلى زيارة بيت المقدس ، وعاد إلى دمشق فحطَّ رحاله فيها وفي سنة ١٢٤١ حج بيتَ الله الحرام ، وزار النبيَّ عليه السلام للمرة الثانية ، ورجع إلى دمشق فلم يزل باذلاً جهده في نفع الطلاب ، حتى غدا قطب الأقطاب. . .

وهو يرسل إلى كل قُطر قَطراً وإلى كل أفق بدراً ، ويدرِّس العلوم البهية ، ويؤلف التآليف الشهية ، وقد شاع صيته وذاع ، وعم النواحي والبقاع ، إلى أن وقع الطاعون بدمشق سنة ١٢٤٢ ، ففي شوال من السنة المذكورة ، توفي بالطاعون لصاحب الترجمة ولدان نجيبان ، أحدهما عبد الرحمن وكان سنه ست سنوات ، والثاني بهاء الدين وكان سنه خمس سنوات ، ودفنا في تل موات من سفح جبل قاسيون ، فصبر واحتسب وكان هو المسلي لمن يعزِّيه ، ثم طلب إليه السيد إسماعيل أفندي الغزِّي شقيق حرمه ، وأشهده أنه أقام خليفة من بعده على سجادة الإرشاد الشيخ الأناراني ، وبعده الشيخ محمد الناصح ، ومن بعده الشيخ عبد الفتاح العقري ، ثم هو من بعدهم وأوصى بأملاكه التي في كردستان إلى أخيه الشيخ محمود الصاحب ، ثم جمع جميع خلفائه وأعاد عليهم الوصية ، وأمرهم باتباع السنة والتمسك بالطريقة والاتفاق والاتحاد ، ثم إنه طعن ليلة الأربعاء حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف ، ولما كانت ليلة الجمعة ثالث عشر الشهر المذكور ، انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه وعفوه وغفرانه ، فارتجت الناس لفقده وحزنوا على فراقه وبُعده ، لما كان عليه من العلم والعبادة والنفع والإفادة ، واضطرب لذلك خلفاؤه ومريدوه واشتد عليهم الأمر ، وقرأوا عليه القرآن والأذكار إلى الفجر ، ثم خرجت جنازته حافلة بالخاص والعام ، وساروا به إلى جامع يلبغا ، وحضرت الناس للصلاة عليه أفواجاً ، فأمَّ الناس العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، ثم ساروا به إلى ذلك التل من السفح القاسيوني ، فأعيدت الصلاة عليه مرة ثانية ، وأمَّ بالحاضرين

العلامة السيد محمد عابدين ، ثم أودعوه جدثه المبارك ، وانثنَوْا عنه بأنفسٍ آسفة ، وقلوبٍ واجفة . ولم يُعقب صاحب الترجمة سوى حملٍ في البطن من زوجته الأولى ، وهو الشيخ نجم الدين المتوفى سنة ١٢٧٠ وبنتٍ ولدتْ له قبلَ وفاته بسنة من زوجته الثانية شقيقةِ إسماعيل أفندي المومإ إليه ثم إنه في سنة ١٢٦٢ سعى أحد خلفاء المترجَم الشيخ محمد الفراقي في عمل تكية وقبة على ضريحه ، فصدر أمرُ الدولة العليَّة بذلك ، وكان هو تربدارها إلى أن توفي سنة ١٢٨٢ ، وقد مُدح المترجَم في حياته وبعد وفاته بعدَّة قصائد ، منها بالفارسية ومنها بالعربية وهو شيء كثير ، تغمَّده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه في فسيح جنانه ، انتهى .

قلت : ومن أراد المزيد من أوصاف صاحب الترجمة ، فلْيرجعْ إلى كتاب العلامة الأديب الشيخ عثمان بن سند الذي سماه (أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد) فإنه كتاب أدب يقضى منه بالعجب ، وهو مطبوع مشهور وعلى هامشه الحديقة الندية ، مذيلة بحاشية ابن أخي المترجَم المومإ إليه ، وقد وضع هذا في ترجمة عمه كتابين ، كما وضع غيره كتباً أخرى ، وبالجملة فقد كان المترجَم علامة فاضلاً ومرشداً كاملاً ، قلما أتى الدهر بمثاله أو نسج ناسجٌ على منواله ، انتفع به جمع كثير ، وأخذ عنه جمٌّ غفير ، ورثاه السيد محمد عابدين المتقدِّم ذكره بقصيدة بديعة ذيَّل بها رسالته التي انتصر فيها لصاحب الترجمة مع من انتصر له ، حين ردَّ عليه من رد ، وقد سماها(سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي) قال:

أي ركن من الشريعة مالا	فرأيناه قد أمال الجبالا
مذ رُزِئنا بأوحدِ العصر علماً	وبهاءً وبهجةً وكمالا
واجتهاداً وطاعةً وصفاءً	وسخاءً وعفَّةً ونوالا
هو بحرُ العلوم شرقاً وغرباً	ويميناً وقبلةً وشمالا
فإذا عنَّ مشكِلٌ كَلَّ عنه	كلُّ شهمٍ يحلُّ عنه الشكالا
مذ تجلَّى سناهُ فينا أرانا	كلَّ بدرٍ وقتَ الكمالِ هلالا

وسقى أهلَ عصرِه كأسَ قُربٍ   وحساهم منه الرحيقَ الزُّلالا
هو قطبٌ عليه دارَتْ رحى العر   فانِ وهو الفريدُ قالاً وحالا
هو شيخ السلوك من نال هَدْياً   من سناه فقد تزكّى فعالا
ولعثمانَ ذي الحياءِ وذي النو   رَيْن أضحى انتسابُه إجلالا
وبه ازدانَ ديننا وطريق الـ   ـنَّقْشَبَنْدِيّ زادَ منه جمالا
ما رأينا كعلمِهِ وتقاه   ولجدواه ما رأينا مثالا
دمِثُ الخُلْق لم يكدِّرْ صفاهُ   جاهلٌ رام منه شيئاً محالا
كثرتْ حاسدوه فازداد هَدْياً   مذ أشاعوا الردى وزادوا ضلالا
ورمَوْهُ بالإفك ظلماً وراموا   ذُلَّهُ مُذْ رأوْهُ فاق خصالا
فتغاضى عن القبيح وأبدى   ما به زاد رفعةً وجلالا
أيظنُّ الحسودُ يطفىء نوراً   قد أراد الإلهُ أنْ يتلالا
دأبه نشرُ حكمةٍ وعلوم   كم به مُبْعَدٌ تقرَّبَ حالا
كعداد النجوم أتباعُه في   كلِّ قطرٍ به صفَوْا أعمالا
كم له من خليفةٍ زاد قُرباً   وامتطى في التقى مقاماً تعالى
كم به مسجدٌ أُعيد سناهُ   واكتسى من جماله سِرْبالا
ولكم عال عاجزاً وفقيراً   فقضى من نواله آمالا
ولكم شاد سنة قد تداعت   وشفى باللسان داءً عضالا
ولكم حاز خصلة قد تسامت   دونها النجم في علاه منالا
ومزايا إذا أردتَ عدادَ الْـ   ـقُلِّ منها فلستَ تُحصي الرمالا
قد أجاب الإلهُ لمّا دعاهُ   ولدارِ النعيم رامَ انتقالا
فبكَتْهُ العيونُ دمعاً غزيراً   فكأنَّ العيون أضحت ثكالى
خالدُ القُطب إنْ يزُلْ فهداهُ   خالدٌ في الأنام ليس مُزَالا
فعليه من المهيمن رُحْمى   كلَّ حين على ثراهُ توالى
ما سرى في الضمير ذكرٌ خفيٌّ   وارتضاه سبحانه وتعالى

★ ★ ★

الشيخ خليل الكاملي

خليل بن عبد السلام بن محمد بن علي بن محمد الكاملي الشافعي الدمشقي ، الإمام العالم المحدِّث الفقيه ، أحد شيوخ دمشق المشهورين علماً وفضلاً وأباً وجداً . انتفع به وتخرج عليه خلائقُ كثيرون ، ذكره أحد المؤرخين في مجموعة له بعبارة قاصرة وإشارةٍ فاترة ، لم نعثر على غيرها قال:

ولد سنة ست وأربعين ومئة وألف وأخذ عن والده وعن العلامة علي بن أحمد كزبر وغيرهما ، وكانت وفاته سنة سبع ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير . انتهى .

قلت : وممن أخذ عن المترجَم العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري كما ذكره في ثبته ، والمفتي خليل أفندي المرادي والشيخ خليل الخشة الآتية ترجمتهم وغيرهم ، وقد وقفت له على فتوى فلكية بخطه تدلُّ على رسوخه في هذا الفن ، والله تعالى أعلم .

خليل أفندي المرادي

هو صدر الدين أبو الفضل خليل بن علي بن محمد بن مراد النقشبندي الشهير بالمرادي ، الحسيني الحنفي البخاري الأصل الدمشقي ، مفتي الحنفية بدمشق وابن مفتيها ، وصدرها وابن صدرِها ، عين الأعيان وفارسُ الميدان ، وحيد الدهر وفريد العصر ، المتحلي بفنون الأدب ، والجامع لأخبار العجم والعرب ، فخر البلاد الشامية ، وبدر العصابة النبوية ، ترجمه العلامة الجَبَرْتي في تاريخه فقال:

هو من بيت العلم والسيادة والرياسة والسعادة ، كان شامةَ الشام وغُرَّة الليالي والأيام ، نشأ بدمشق والدهر أبيض أزهر ، وقد أورق عودُه وأثمر ، وطالع في العلوم والآداب والإنشاء والتوقيع واللغة التركية ، واجتمعتْ فيه

المحاسن الحسية والمزايا المعنوية ، مع حسنِ خُلقٍ يسعى اللطف لينظر إليه ، ورقيق طبع يقف الكمال متحيراً لديه ، وأنَا وإنْ لم يقع لي عليه نظرٌ بالعين ، فسماع الأخبار إحدى الروايتين ، ولما توفي والده نصب مكانه مفتياً للحنفية ، ونقيباً للأشراف في الديار الشامية ، فزين بمآثره العلوم العقلية والنقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهرَها السنية ، فكانت تتيه به على سائر البلاد دمشق الشام ، ويفتخر به عصره على جميع الليالي والأيام ، ونور فضله باد ، وموائده ممدودة لكل حاضر وباد ، كما قيل:

كالشمس في أُفق السماء وضوؤها يغشى البلادَ مشارقاً ومغاربا

وكان رحمه الله مغرماً بصيد الشوارد وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين على طريقة المؤرخين ، راسل فضلاء البلدان البعيدة ، وواصلهم بالهدايا العديدة ، والتمس من كلٍّ منهم جمع تراجم أعيان القرن الثاني عشر من أهل بلاده ، بحسَب وسع همته واجتهاده ، وكان هو السببَ الأعظم الداعي لجمع هذا التاريخ (تاريخ الجَبَرْتي) فإنه كان راسلَ شيخنا السيد محمد مرتضى ، والتمس منه نحو ذلك ، فأجاب طلبه ووعده بأمنيَّته ، فعند ذلك تابعه المترجَم بالمراسلات ، وأتحفه بالصلات المترادفات ، وشرع شيخُنا في جمع المطلوب بمعونة الفقير ، وجمع الحقير أيضاً ما تيسر جمعه ، وذهبت به يوماً فأطلعته عليه فسرَّ بذلك كثيراً . ثم لم يلبث السيد إلا قليلاً حتى أجاب الداعي ، وتنوسي هذا الأمر شهوراً ، ووصل نعي السيد والصورة الواقعة إلى المترجَم ، فأرسل إلي كتاباً وقرَنَه بهديَّة ، يستدعي تحصيل ما جمعه شيخنا السيد ، وضمَّ ما جمعه الفقير وإرساله ، ولما ظفِرتُ بالأوراق التي جمعها المرحوم شيخنا وهي نحو عشرة كراريس رتبها على حروف التهجِّي ، إلا أنَّ الكراريس المذكورة لم تكمل . . فلما رأيت ذلك وتحققت رغبة الطالب ، جمعتُ ما كنتُ سوَّدته ، وزدت فيه ، وهو تراجم فقط دون الأخبار والوقائع ، وفي أثناء ذلك ورد علينا نعي صاحب الترجمة ، ففترت الهمة وبقيت الأوراق في زوايا الإهمال مدة طويلة ، حتى كادت تتناثر وتضيع ، إلى أن حصل عندي باعث في نفسي على جمعها ، مع ضم الوقائع

والحوادث والمتجددات.. وما أدري ما فعل الدهر بتاريخه المذكور ، لأنه انتقل بعد ذلك من دمشق إلى حلب ، كما ذكر لي ذلك في مراسلاته سنة ١٢٠٥ ، وهناك عصفت رياح المنية بروضه الخَصِيب ، وهصرت يد الردى يانع غُصنه الرَّطِيب ، فاحتُضر وأحضر بأمر الملك المقتدر ، لازال جدثه روضةً من رياض الجنان ، تنهلُّ عليه دِيَم الرحمة والرضوان ، وذلك في أواخر صفر سنة ست ومئتين وألف .

انتهى كلام الشيخ الجَبَرْتي ملخَّصاً .

قلت : ومن هذه القصة الغريبة يُعلم أن صاحب الترجمة قدَّس الله روحه ، أراد أن يكمل تاريخه بما حمل عليه الجبرتي ، فاخترمَتْهُ المنية قبل بلوغ الأمنيَّة ، وبقي في تاريخه نقصٌ ما ، فلْيُنْتبَهْ لذلك! هذا وقد كانت ولادة السيد المترجَم في سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف .

ومن مشايخه العلامة الشيخ خليل الكاملي ، والسيد كمال الدين البكري ، والشيخ مصطفى العلواني ، وألف مؤلفات أدبية تاريخية ، منها « عَرْف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام » ، وقد رأيتُه فوجدته يشبه نفحة المحبي ، ومنها رسالةٌ ترجم بها بعضَ علماء حلب ، نقل عنها الأستاذ البيطار في تاريخه ، ومنها معجم ترجم به من لقيه من العلماء ، ومنها كتاب سماه (إتحاف الأخلاف بأوصاف الأسلاف) ، أما تاريخه الذي نوَّه به العلامة الجَبَرْتي ، وهو « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » ، فقد طُبع واشتهر ، وشُهد لمؤلفه بطول الباع وسعة الاطلاع ، وحلاوة العبارة ، ولطافة الإشارة ، ومن وقف على ما له من المقال في كل مقام ، عرف تفنُّنه في أساليب الكلام ، فرحمه الله رحمةً واسعة على مرِّ الأيام ، وجزاه عن الناس خيراً كثيراً . ولما طبع تاريخه المذكور في استانبول اتُّفق أنَّ الجدَّ العالم الأديب الشيخ عبد السلام الشطي كان هناك فقال مقرِّظاً ومؤرخاً :

يـــاحُسْنَـةُ سلـــك الـــدُّرَرْ	قـــد رقَّ طبعـــاً واشتهَـــرْ
إبـــنُ المـــرادي صـــاغَـــهُ	يـــروي بـــه حســـنَ الخبرْ

عـن حـالِ سـاداتٍ مضَـوْا　　في قـرنِـهِ الثـاني عَشَـرْ
جـزاه ربيِّ جنَّـة　　وسعيَـهُ المـولى شكَـرْ
ومـذ تنـاهـى طبعُـهُ　　أرِّخ بـه قُلنـا ظهَـرْ
١٢٩٣

ثم إن المترجَم تولى نظارة الجامع الأموي سنة ١١٩١ وفتوى الحنفية بدمشق سنة ١١٩٢ وجاء تاريخ فتواه (أفتى الخليل) ونقابة الأشراف بها سنة ١٢٠٠ ، وصار بدمشق صدر الصدور ، إليه ترجع مهمات الأمور ، وسنُّه إذ ذاك ٢٧ فتأمل! ولما وجهت له الفتوى امتُدح بقصائد تزيد على ثلاثين قصيدة ، رفعها لجنابه فضلاءُ دمشق وشعراؤها ، كما رأيتها في كتابه « عَرْف البَشَام » ، وقد اشتمل تاريخه وتاريخنا على بعض مدائحه ، فمنها قصيدة صديقه السيد كمال الدين الغزِّي مفتي الشافعية بدمشق ومطلعها:

الحمـد لله أعطى القوسَ باريها　　وحلَّ في الدار حاميها وبانيها
وألسـنُ الحمد فاهتْ في محافلنا　　تثـني على الله شكـراً في تهـانيهـا
وعاد عيدُ المنى والعيشُ في رغد　　وفي ربوع العلا قد حلَّ مفتيها

ومهما أوردنا من تلك المدائح ، فإنَّ المجال واسع جداً ، وحسبنا أن نحيل المطالع على ذلك التاريخ الذي احتوى على قدرٍ وافرٍ من هذا الباب . وأما شعره فقد اشتمل تاريخُه المذكور على بعضه ، ولا بأس بذكر شيء منه فمن محاسنه قوله:

ما ضرَّ عيني غيرُ منظرِ حسنِهِ　　وجمالِهِ والقصدُ ليس سواهما
وتقـاتـل العينـانِ فيـه صبـابـة　　حتى على الأخرى سطَتْ إحداهما

وقوله مرتجلاً:

مـا بنـاه الـدهـر يُتلفُـهُ　　حـادثُ الأيـام والنُّـوَبِ
فـاتـركِ الـدنيـا وزُخْـرُفَهـا　　واستقـمْ فيهـا بَـلا تعَـبِ
وارضَ بـالـرزق القليـلِ وكـنْ　　رافضـاً للمـال والنشَـبِ

وقوله مخمساً:

أيا غوثَ الورى والكائناتِ ويـاذا الفضـلِ عند النائبـاتِ
أرومُ العفوَ منك لدى المماتِ
أتيتك بالذنوبِ الموبقاتِ ومـا أسلَفْتُـه مـن سيئـاتي

* * *

لقد عـمَّ العـوالمَ منك فضـلُ ومنك لنا رِضًى أبداً وعَدْلُ
وعبدُكَ ساءَ منه اليومَ فعلُ
فإنْ تعفو فأنتَ لذاك أهلُ وإلا مَنْ سواك له التفاتي

وقوله مشطِّراً:

(أعلى الصراط أرومُ منك مودَّةً) يـامفـرَدَ الأيـام والأزمـانِ
هل أنت في رَمْسي تكونُ مساعدي (أم في المعاد تجودُ بالغفرانِ)
(لنوائب الدنيا اتخذتُكَ ملجأً) وجعلتُ ذاتك مطمحي وعِيانِي
فالأمرُ في الدنيا إليك رجاؤه (والأمر في الأخرى إلى الرحمنِ)

* * *

ولنختِمْ هذه الترجمة بما وصف به المترجَمُ نفسَه في كتابه المقدَّم ذكره ، قال رحمه الله متلطِّفاً:

لا مزية فتذكر ، ولا محمدة فتشكر ، ولا فضل فيقال ، وليست عثرة واحدة فتقال . . ولا علم ولا أدب ، ينسل إليه من كلِّ حدَب ، ولاسماحة بيان ولا حماسة جنان ، ولا لطافةَ بيان ، ولا عذوبة لسان ، تتشنَّف بسماعها الأذهان ، ويرويها فم كلِّ زمان ، وقد اقترفتُ الذنوب ، وملأت منها الذَّنُوب ، واغترفتُ الإساءة ، واعترفت بالبطالة ، ورفضتُ الأصدقاء ، وجانبتُ الأوِدَّاء ، وخبطت خبط عشواء ، وكنتُ كالحاطب في الليلة الظلماء ، وصنَّفْتُ فما أنصفت ، وأطلت الكلام فما أفدت ، وجنَحْتُ للأماني ، وتبعت في الأفعال زماني ، وجهلت الرفيع ، وعرفت الوضيع ، وجبت الجهل ، وسلكت حَزْنَهُ والسهل ، وصرفت أوقاتي في الإضاعة ، فقلَّتِ البضاعة ، لا أُمَيِّزُ الخسيفَ من

الشريف ، ولا الربيع من الخريف ، ولا الفاضل من المفضول ، ولا الناقل من المنقول ، ولا الأفيال من الأقيال ، ولا الجهد من الجهر ، ولا الحمر من الخمر ، ولا القضاء من الفضاء ، ولا العلاء من الغلاء ، ولا النهار من البهار ، ولا الأشجار من الأسحار ، ولا الصبا من الصباح ، ولا الريا من الرياح ، ولا النوى من النواح ، ولا الفلا من الفلاح ، ولا الخد من الحد ، ولا الجِد من الجَد ، ولا الوجد من الوخد ، ولا الشمع من السمع ، ولا قابوس من فانوس ، ولا الحامد من الجامد ، ولا الصائغ من الصانع ، ولا الزاهي من الزاهر ، ولا الوافي من الوافر ، ولا الشاكي من الشاكر ، فكيف أُترجَم ، ويذكر حالي المعجم ، وأُنعت بمقال وكلام ، وتجري بخصوصي مياه الأقلام ، ويقال عني مادح نفسه يقرئك السلام! وأصف نفسي بشيء يمحضه التكذيب ، وأنشيء مقالاً يصير هدفاً للتأنيب ، ولا يخفى أن الجهل شلل في يد الرآسة ، آفةٌ في رجل الرجولية ، صمَمٌ في سمع الأريحية ، قذى في عين المروَّة ، بَخرٌ في فم الفتوَّة ، فلَجٌ في سن السيادة ، لُكْنَةٌ في لسان الشهامة ، بَهَقٌ في وجه السعادة ، صُداعٌ في رأس الكياسة ، عِلَّة في جسم المعالي ، مرَضٌ في قلب المجد . وإنَّ الفضل قوَّة قلب السيادة ، متانة في يد الفتوة ، ابتسام في فم الشهامة ، جلاءٌ في عين المعالي ، وضاءةٌ في وجه الكياسة ، فصاحة في لسان السعادة ، صحة في جسم الدولة ، ونعمة مغبوطة ، ومنحة بها المفاخر مربوطة ، فياليتني ارعوَيت ، وما تصدَّيت وادَّعيت ، ولكني وإن كنت الموصوف بهذه الأوصاف المذكورة ، والنعوت غير المحمودة والمشكورة ، فأفتخر بجدي وأبي ، وبنجاري ونسبي ، لا بأدبي ونشبي ، فرونق الأخلاف بالأسلاف ، وإن طابت تربة الكَرْم تحلُ السُّلاف ، والذنب اختلاجه بسلامة الراس ، والبناء لا يقوم إلا بالأساس ، والأفق الصافي لا يطلع إلا زهرا ، والتربة الطيبة لا تنبت إلا زهرا ، وبصحو الجو يصحو النهار ، ومتى عذبت العيون تصفو الأنهار :

نسَبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلَقِ الصباح عمودا

وناهيك بهذا البيت السُّلاف الخالي من لو النقائص واللَّيت ، فقد خرج منه

رجال وأي رجال ، يضيق عن حصر أوصافهم كلُّ مجال ، أضاء بدرُ علاهم وأشرق ، ولمع نجم هداهم وتألَّق ، فمآثرهم حسناتٌ ظاهرة ، وأنفاسهم زكية طاهرة ، فكم سفْرٍ أودعوه حكَماً نبوية ، وكم علم حقَّقوا دقائقه اللفظية والمعنوية ، رجال لا تلهيهم تجارة ، ولا تفي بوصف محاسنهم عبارة ، أحاطوا بالفضل إحاطة الهالة بالبدر ، وافتخر بهم المجد افتخارَ الليالي بليلة القدر :

قوم إذا ذُكروا لم تلقَ بينهم إلا هُماماً تردَّى المجدَ وأتزَرا
صِيدٌ غطارفةٌ غرٌّ لِبَابهُمُ تأوي الصناديدُ والحكام والوُزَرا

(إلى أن قال): وأما إيضاح حالي في إقامتي وترحالي ، وذكر شيوخي والأساتذة ، ومن تخرجت عليه من الجهابذة ، وتقلُّباتي مع الدهر ، في كلِّ آنٍ وشهر ، وذكر تلاعب الأيام بي ، وصرفي لرَدْع بوائقها اجتهادي وتعبي ، وذكر ما وُلِّيت من المناصب العالية ، والرتب الشامخة السامية ، وما حباني الله به من النعمة والدولة والحشمة والجاه والصولة ، ومؤلفاتي ، وآثاري ، ونظامي ونثاري ، وذكر من نظمتني وإياه أيدي الأقدار ، من الأجلَّاء أولي الفضل والمقدار ، وما وقع لي بالإرادة الإلـٰهية ، والحكمة الأزلية ، فقد يطول ذكره هنا ويتعذَّر ، ويصعب بيانه وشرحه ويتعسَّر ، وقد ذكرتُ جميعَ ذلك في سفر مطوَّل ، وأوضحتُ أمري به فهو عليه المعوَّل ، ولما عُزل ابن العم السيد عبد الله من فتوى دمشق ، وبقيتِ البلدةُ خاليةً ممن يصونها ، مفتقرة لمن يحرس رباعها وحصونها ، ويتولى أمرها ، ويطفىء من البوائق جمرها ، وينقح مسائلها ، وينشىء رسائلها ، ويتصدَّر في دَسْتها السامي الأركان ، ويتصدَّى لحل مشكلاتها حسَب الإمكان ، كنتُ في قسطنطينية فولِّيت هذا المنصب بعده ، برأي رجالها ورؤساء الدولة فيها ، وكان مفتيها الحُلاحِل الغِطْريف ، شيخ الإسلام محمد شريف ، وهو البحر الزَّخَّار ، وطَوْد الفضائل والفَخَار ، لا برح السَّعْدُ يراوح ناديه ، وتُزاحم القلانسُ والتيجانُ على لثم أياديه ، فقد أحلَّني مكان بنيه ، ومن يحنو عليه ويدنيه :

وألبسني ثوبَ المكارمِ معلماً وتوَّجني من فضله وكساني

وكانت توليتي للمنصب المذكور من طرف الدولة في اليوم السابع من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومئة وألف ، وأنا حينئذ في البلدة المذكورة قسطنطينية ، دار السلطنة العلية ، صانها الله من كل آفة وبلية ، وقد قدِمتُ مفتياً لبلدتي دمشق ذات النيربين والشرَف ، التي أكرمها الله تعالى بالبركة والشرف ، وأنخت ببقاعها من المسير المطايا ، وأنا متوكل على مُجزِل العطايا ، وغافر الذنوب والخطايا ، ورجوته ودعوته أن يوفِّقني في هذا الأمر لما يرضاه ، ويداركني باللطف فيما قدره وقضاه ، لأني لستُ من أهل هذه الحمائم ، ولامن أصحاب تلك الكمائم ، ولكنني أقول متمثِّلاً بقول من يقول:

لعمـر أبيـك مـا نُسـبَ المعلى ... إلى كـرم وفي الـدنيـا كـريـمُ
ولكـنَّ البـلادَ إذا اضمحلَّـتْ ... وصـوَّح نبتُهـا رُعـي الهشيـمُ

وقد أُثبت هنا من أشعاري ، التي نسجَتْها يد أفكاري نبذةً حريَّةً بالمحو ، لا يسترُ عُوارها إلا الإغضاء والعفو ، عاريةً عن الجزالة والحلاوة ، خاليةً من البلاغة والطلاوة ، فمن ذلك قولي:

أدرْ ذكرَهُ إنَّ الفؤادَ لذو ضنًى ... وإنَّ لـه ذكـر الـرسـولِ شفـاءُ
وروِّحْ نفـوسَ العـاشقين بنعتِـهِ ... ففيـه لـداءِ العـاشقين دواءُ

وقولي:

يـارِبّ إنَّ ذنـوبي ... كثيرةٌ ليـس تُحصَـرْ
وفيـك كـلُّ يقينـي ... بـأنَّ عفـوَك أكثَـرْ

انتهى باختصار . وبالجملة فقد كان المترجَم في دمشق صدرَها الوحيد ورئيسها الفريد ، وبيتُه كعبةُ القاصدين وحرَمُ اللاجئين ، ثغور العلم بوجوده بواسم ، وأيامه أعياد ومواسم ، لبس من العزِّ بُرودا ، ومن الكرم عِقداً فريداً ، مدَحَهُ أكثر أهل عصره وبالغوا في حمده وشُكْره ، فهو أعجوبةُ القرنَين ، والجامع بين الشرَفين ، قدَّس الله روحه الزكيَّة آمين .

خليل أفندي الرومي

ترجمه السيد كمال الدين أفندي الغزِّي في تذكرته فقال: هو خليل بن مصطفى بن أحمد الرومي الأصل، الدمشقي المولد، الحنفي، صاحبنا السيد الشريف الفاضل الأديب الشاعر العالم الكامل الكاتب، ولد بدمشق سنة ثلاث وثلاثين ومئة وألف، ونشأ بها، وكان والده من الجُند في بلدة جانيك تابع أرزن الروم، قدم البلاد الشامية وصار في صفَد أحد السباهية، أرباب التيمارات، والإقطاعات السلطانية، ثم صار هناك رئيسَهم المعبر عنه بالآي بيك.

ثم قدم دمشق وتوطَّنها، وصار له زعامة بها، فبعد وفاته تولى المترجَم التيمار المذكور مكان والده، واشتغل بطلب العلم، فقرأ على عبد الرحمن بن محمد الكفرسوسي، ولازم في الاستفادة شيخنا علاء الدين علي بن صادق الطاغستاني نزيل دمشق، وتخصص به مدَّةً تزيد على عشرين سنة، وأخذ عنه العلوم العقلية والنقلية، وتفرَّغ عن تيماره وتخلص من ربقة ذلك، وانعكف على أخذ العلم والاستفادة والإفادة، وحضر دروسَ الشهاب أحمد المنيني، وكان دأبه الاشتغال بالعبادة والمطالعة في الكتب العلمية والأدبية، ورفض التشاغل بالأمور الدنيوية، ولازم ذلك معتزلاً بحُجرةٍ في مدرسة فتح الله الفلاقنسي، وقصدَتْهُ الطلبةُ للأخذ عنه، وصارت له الملكة التامة في العلوم، وقد ضرب من ذلك بالنصيب الوافر، وله شعر بليغٌ رقيق ومنه قوله:

كــــفَّ المــــلامــــةَ إني ... أحسنــــتُ بــــالله ظنِّــــي
إليــــك يــــارب أشكــــو ... بَثِّــــي وفقــــري وحُــــزْني
فــارحــمْ خضــوعــي وذلي ... وحقِّــــقِ الظــــنَّ منــــي
واغفــــرْ ذنــــوبي جميعــــاً ... وعــــافنــــي واعــــفُ عنــــي
تعطــــي وتمنــــعُ تحيــــي ... تميــــتُ تبعــــدُ تُــــدْني
منــــزَّهٌ عــــن شبيــــهٍ ... وعــــن شريــــكٍ وخِــــدْنِ
أغــثْ أغــثْ يــا إلٰهــي ... مــــن لي إذا لم تغثنــــي

إليــك فــوَّضــتُ أمــري فللســــوى لاتكِلْنــــي

وقوله مادحاً ومستنهضاً المولى العالم الكبير مفتي دمشق السيد علي أفندي المرادي الحسيني النقشبندي في حادثة نزلتْ به:

مــولاي يــامــن فضلــه لم تحصِــه الأفكــارُ عــدًّا
قلَّــدْتَ يــا مــولاي مــن حسنـاك جيـدَ الـدهـر عِقْـدا
وسمــوتَ حتــى لم نخَــلْ لــك في ذُرى العليــاء نِــدًّا
لا تعجبــن مــن السحــا ب فــإنَّ كفَّــك منــه أنْــدَى
بــأبي وأمــي مــاجــدٌ فــاق الأنــام أبــاً وجَــدًّا
وزهَــتْ دمشــقُ بــه وقــد نــالــت بــه شرفــاً ومجــدا
يفْــدي أسيرَ النــائبــا تِ ويشتري بــالجــودِ حمــدا
نــاهيــك عــن عــزم لــه أضحــى يقــدُّ الصخــر قــدًّا
يــا أيهــا المــولى الــذي أمسى الـزمـان لـديـه عبـدا
إنِ الــزمــان أهــانــني وسَطَــا عليَّ وقــد تعــدَّى
ومعــاشرٌ جــاروا علــيَّ وجــاوزوا في الجَــوْر حــدًّا
فــأغِــثْ بلطفــك ضــارعــاً يــزدادُ في الأحشــاء وَقْــدا
قــد مــدَّ ممــا نــابــه كــفَّ الــرجــاء إليــك مــدًّا
إنْ لم تُغــث عبــداً أتــا ك فمـا عسـاه ينـالُ قصـدا
واقبــل هــديــة شــاعــرٍ لمــديــح غيرك مــا تصــدَّى
واسلــم ودم فلَســوف تَسْـ ـمَعُ كلَّ معنًى فيك يُهدى

وقوله في الشيخ صلاح الدين الصفدي:

إنَّ الصــلاح لشيــخٌ ذو فطنــةٍ فــاعلمنَّــهْ
أنعِــمْ بــه مــن أديــبٍ مُفَنَّــنٍ بَيْــدَ أنَّــهْ

وقوله في عقد المسلسل بالأولية:

كنْ محسناً ما دمتَ حياً في الورى فكــلُّ مــن أســاء ســوف ينــدمُ

وارحم جميعَ الخلق واعلم أنه		لايرحمُ الرحمنُ من لايرحمُ

وقوله:

أجب إن كنت ذا علم		إذا استُفتيت عن أمرِ
ودع ما لستَ تحسنه		فنصفُ العلم لا أدري

وقوله على لسان أعور:

لا تنكروا ياسادتي		عَوَري ففيه فائدَهْ
سلِمَتْ لي الأخرى لأنْـ		ـظركم بعينٍ واحدَهْ

وقوله فيمن يدعي النسب كاذباً:

إن كنت ممن يدعي أنَّهُ		من نسل طه المصطفى يكذبُ
ما فيك من دعواك شيءٌ سوى		أنك لَا تقرَا ولا تكتُبُ

قال الغزِّي: وأنشدني لنفسه في متنزَّهٍ بباب توما بدمشق يوم الأربعاء سابع شعبان سنة ١٢٠٤:

ترفق بنا أيُّهذا الرشا		فمكنونُ سرِّ الهوى قد فشا
أرقتُ دموعي وأرَّقتني		وأضرمتَ نار الهوى في الحشا
وشَوْا بي إليك فصدَّقتهم		فلا سامح الله تلك الوُشا
ولا كان ساعٍ سعى بيننا		بِزُورٍ ولا كان واشٍ وشَى
غزالٌ غدا القلبُ مثوى له		فما أوحشَ القلبَ إذْ أوْحَشا
كبدرٍ تمام إذا ما بدَا		وغصن خلاف إذا ما مشى
تصدَّى لقتلي فقلت اتركوهُ		فمولاَي يفعلُ بي ما يشا

انتهى كلام الغزِّي ولم يؤرخ وفاة المترجَم، وقد توفي طبعاً في أوائل هذا القرن رحمه الله تعالى.

★ ★ ★

الشيخ خليل الخشَّة

خليل بن محمد بن خليل بن عمر بن سعيد الشهير بالخشَّة الشافعي الدمشقي العلامة المحقق الفهامة المدقق ، العمدة الكبير القدوة الشهير ، كان عالماً جليلاً أديباً شاعراً متفنناً ، له اليد الطولى في العلوم ولا سيما في الفقه الشافعي .

ولد بدمشق سنة تسع وسبعين ومئة وألف كما رأيته بخطه ، ونشأ بها وأخذ عن العلامة الشيخ محمد خليل بن عبد السلام الكاملي ، وعلي أفندي الطاغستاني ، والشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن الكردي ، والشيخ يوسف شمس ، والشيخ علي السليمي ، والشيخ محمد البخاري الأثري ، والشيخ منصور البكري ، وكمال الدين البكري ، والشيخ مصطفى الكردي ، والشيخ إبراهيم النابلسي ، كما ذكرهم في إجازته لتلميذه الشيخ قاسم دقاق الدودة التي أجاز فيها أهل عصره ، وقد اطلعت عليها بخطه .

وتصدر المترجَم للتدريس والإفادة في الجامع الأموي وفي المدرسة الصادرية ، وكان فيها مسكنه ، فأخذ عنه الكثير من أهل زمانه ، منهم صهرُه الشيخ عبد القادر الخطيب ، والجد الكبير الشيخ حسن الشطي ، وغيرهما من شيوخ دمشق ، ولما ذهب إلى الحجاز استجازه كثيرٌ من الحجازيين والمصريين والبيروتيين . وكان عليه نظر وتدريس المدرسة البادرائية التي تولاها بعده الجد المذكور ، ولم تزل في يدنا نظراً وتدريساً إلى الآن (سنة ١٣٢٥) وهي بحمد الله من أعمر مدارس دمشق وأنورها . وقد وقفت على بعض منظوماته ومنها قصيدة لطيفة تشتمل على واقعة حال ولغز في (قطن) قال في مطلعها :

حمداً لمن قد أمر الكُتّابا ... أن يكتبوا بين الورى الصوابا
وما لهم جرَى من العقودِ ... وحضَّهم طُرّاً على الشهودِ
ثم صلاة وسلاماً للذي ... قد اشترى مؤجّلاً كي نحتذي
محمد خير نبي أُرسلا ... والآل والصحب ومن لهم تلا

وبعدُ فالداعي إلى تحرير ما سطّر في ذا الصَّكِّ مما ارتقما
أنَّ النبيلَ ابنَ الوطيد المحترمْ عينُ ذوي المجدِ وأرباب العِظَمْ
الحلبي مصطفى الرشيدي ابن الشريف الحلبي الفريد
قد اشترى لنفسه دون الورى بماله من الهُمام ذي القرى
السيد الندب الجواد الكاملِ واللَّسِنِ الليثِ الأريبِ الفاضلِ
والماجد المولى الأديب الألمعيَ والحاذقَ الشهم الجليل اللوذعي
محمد المعروف بابن شطِّي لأنه عذبٌ فراتٌ مُعطي
كلاهما بأكمل الأوصاف من كل ما الشرع يراه وافي
فباعه نوعاً من اللباسِ من حسنه يعجب كلُّ الناسِ

ومنها:

شاب وما انتهى عن الرضاعه إذ إنه الأروج في البضاعه
أخرس إلا أنه إذا انقلَبْ ينطِقُ بالكلام من غير تعَبْ
يعظم في عينيك إن نفَّشْتَهُ ثم يعودُ خاضعاً إن هنتَهُ

ومنها:

ثلثاه آيتان في القرآنِ وأثقلُ الأشياء في الميزانِ
وهو ثلاثيٌّ وقد زادَ على عشرٍ فقلبُ ثلثه فاق الملا

وآخرها:

وغِبَّ ما قد صدر العقد رقم ومثلما صحَّ لديهم قد رسم
حرِّرَ في خمسٍ وعشرين مضَتْ باليُمن من جُمادى الاولى من سنَتْ
إحدى وعشرين ومئتين مَعْ ألفٍ مضَتْ من هجرة الذي جَمَعْ
جميعَ ما للرسل من إكرام عليه صلى الله ذو الإنعام
ما كتبت وثائق العقودِ وما وفى المدين بالعهود

ورأيت للمترجم بخط سيدي الجد المشار إليه مجلساً لطيفاً في رواية

البخاري ، وقد كانت وفاته بدمشق مطعوناً في ثالث عشري ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الدحداح وقبره معروف .

وأخبرنا سبطه العلامة الشيخ أبو النصر الخطيب بأنَّ جدَّه المترجَم توفي عن ولده الشيخ محمد ، وكان هذا بسيطاً في العلم وغيره ، مات عن ولده الشيخ سليم ، فكان هذا الأخير عالماً فاضلاً درس في الجامع الأموي وتوفي في حدود سنة ١٢٨٠ وأنه لم يزل للمترجم ذرية معروفة في محلة الشاغور بدمشق .

وقد ترجم صاحب الترجمة العلامة البيطار في تاريخه وأثنى عليه ، تغمده الله برحمته ورضوانه آمين .

خليل أفندي السفرجلاني

خليل بن عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق السفرجلاني الدمشقي الشافعي ، الشيخ الفاضل والمرشد الكامل ، شيخ الطريقة السفرجلانية الخَلْوتية بدمشق .

ولد سنة خمس ومئتين وألف تقريباً ، ونشأ في بيت أبيه وجدِّه بيت العلم والمجد ، ولما توفي عمه الأستاذ الشيخ صالح السفرجلاني شيخ الطريقة المنوَّه بها صار خليفة في مكانه ، وكان المترجَم مشتغلاً بالتجارة يغلب عليه الصلاح ، وكان عارفاً بالموسيقى كما هو شأن بعض شيوخ الطرق ، وجيهاً لدى الحكومة ، ولما توفي ولده محمد حلبي الآتية ترجمته جزع لوفاته كثيراً ، ولم تطل مدته بعده فتوفي المترجَم في حادي عشر شوال سنة خمس وسبعين ومئتين وألف ، في داره قرب باب السلام ودفن في تربة الباب الصغير عند قبور أسلافه رحمهم الله تعالى .

الشيخ خليل السعدي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو الشيخ خليل السعدي الجباوي الشافعي الدمشقي الميداني ، شيخ الطريقة السعدية بدمشق ، الأستاذ الصالح المعتقد البركة القدوة الورع الزاهد العابد ، قطب الواردين وملاذ القاصدين ، كان مواظباً على إقامة الأذكار في زاويتهم المعروفة في ميدان الحصى ، وكان حاتمي

المشرب نير الوجه مهيباً ، أخذ الطريق عن ابن عمه الشيخ الصالح أسعد بن محمد بن مصطفى السعدي ، وقد لقنه الذكر وسلكه وأرشده ، ثم أذن له في إعطاء الطريق لمن تأهل له .

مات رحمه الله سنة أربع وستين ومئتين وألف ، ودفن في مدفنهم المشهور في تربة باب الله .

خليل أفندي المحاسني

هو خليل بن سليمان بن أحمد المحاسني الحنفي الدمشقي ، الأصيل النبيل الكاتب الماهر ، تولى الكتابة في محكمة الباب مدة طويلة ، وكان والده سليمان أفندي خطيباً وإماماً في الجامع الأموي بدمشق ، ترجمه المرادي في تاريخه .

وقد توفي المترجَم في حدود سنة خمسين ومئتين وألف ، وأعقب ولديه رشيد أفندي وعلي أفندي .

فنشأ الأول في طلب العلم وخدمة المحاكم وتولى الخطابة في الجامع المنوه به كأسلافه ، وصار رئيس الكتاب في محكمة القسَّام وتوفي سنة ١٢٨٦ ، فانتقلت الخطابة بعده إلى بني الخطيب ، وهو والد عبد القادر أفندي أحد أفاضل الكتَّاب بمحكمة الباب المذكورة المتوفى سنة ١٣٣٠ .

ونشأ الولد الثاني للمترجم في خدمة المحاكم الشرعية أيضاً إلى أن تولى رياسة الكتَّاب في محكمة الباب ، فجال فيها مدة طويلة وعُزل منها سنة ١٢٩٣ ، فقصد الآستانة وتولى القضاء في عكار ثم في غزة ، وفيها توفي سنة ١٢٩٦ ، وهو والد الفاضل محمد أفندي المحاسني الذي تولى القضاء في دمشق سنة ١٣٣٧ وتوفي سنة ١٣٤٣ رحمهم الله تعالى وعفا عنهم آمين .



حرف الدال

درويش أفندي حمزة

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو السيد درويش ابن السيد محمد ابن السيد حسين ابن السيد يحيى ابن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم الدمشقي الحنفي الشهير بابن حمزة ، العالم الأمجد والسيد الأوحد ، فريد العصر ونخبة الدهر ، بدر أفق المعالي ، وحسنة الأيام والليالي .

ولد بدمشق في شوال سنة مئتين وألف ، ونشأ بها في الأدب والصيانة ، وكان شهيراً بالعفة والأمانة .

مات بدمشق سنة تسع وأربعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح في تربة أسلافه . رحمه الله تعالى . انتهى .

قلت : وقد تولى المترجَم نِقابة الأشراف بدمشق ، وهو آخر النقباء من بني حمزة ، كما ذكره ابن عمه المولى أسعد أفندي في كتاب نَسبِه ، تغمدهما الله برحمته .

درويش أفندي العجلاني

ترجمه مولانا المرحوم أسعد أفندي الحمزاوي في كتاب نسبِه قال مانصه : هو السيد درويش ابن السيد حسين العجلاني الحنفي الدمشقي الحسيني ، العالم الفاضل الفرضي الحَيْسُوبي ، أتقن فنَّ الفرائض وتقسيم المواريث على العلامة الشهير الشيخ حسن أفندي الشطِّي ، وقرأ في الفقه وغيره على علماء دمشق ، وكان مقدَّماً لدى الخاصِّ والعام ، وكانت ولادته بدمشق سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ، وتوفي يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وتسعين

ومئتين وألف ، ودفن في مدفنهم المعروف في سوق الغنم ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه بما خلاصته : إنه نشأ في دمشق وقرأ على علمائها كالشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ حسن الشطي وغيرهم ، وبرع في علمَي الفرائض والحساب واشتغل بتقسيم شجراتِ الأوقاف والمناسخات زمناً طويلاً . ولما كانت حادثة النصارى سنة ١٢٧٦ دخل في دائرة الحكومة ، وولي رياسة البلدية مدة طويلة ، ونِقابة الأشراف زمناً يسيراً ، وصار من الأعيان المشار إليهم ، ثم عُزل عن النقابة بابن أخيه أحمد أفندي ، فاعتزل في بيته إلى أن توفي . انتهى .

قلت : وقد خلَّف المترجَم أولاده الأربعة الوجهاء الأفاضل محمد أفندي ، ومحمد علي أفندي ، ومحمود أفندي ، وعبد القادر أفندي المتوفين أخيراً وترك لهم ثروةً باذخة وأوقافاً وافرة ، أدام الله علينا وعليهم النِّعَم آمين .



حرف الذال

الشيخ ذيب الحلبوني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو حلبونيٌّ المولد دمشقيٌّ الموطن ، صاحب الخوارق الباهرة والأحوال الغريبة الظاهرة ، والنوادر التي شاعت والكرامات التي ذاعت ، قدم دمشق سنة ١٢٥٠ وكان قليل الكلام كثير الغيبوبة والاصطلام ، يتناول من الطعام ما حضر وإذا لم يجد طوى وصبر ، وكان في أكثر أوقاته يلازمُ المدرسة السميصاتية ، شمالي جامع بني أمية . وكان مقصوداً للدعاء والتبرك والاستخارة والفأل الحسن ، مستقيماً على حالة حسنة ، لا تعتريه شائبة ، وقد حصل له شهرة عظيمة .

توفي بدمشق سنة ست وثمانين ومئتين وألف ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى .



حرف الراء

راغب أفندي الأُسطواني

راغب بن صالح بن سعيد الأُسطواني الدمشقي الحنفي ، العالم الفاضل الحبر الكامل ، ولد بدمشق سنة ست وأربعين ومئتين وألف ، وأخذ عن والده الآتية ترجمته ، وقرأ على غيره من علماء دمشق كالشيخ عبد الله الحلبي والجد الشيخ حسن الشطِّي والشيخ حسن البيطار ، وأحمد أفندي الإستانبولي ، وتولى النيابة في محكمة السنانية سنة ١٢٨٦ بزمن ابن عمه قاضي دمشق سعيد أفندي ، وبقي عليها إلى وفاته ، وتولى الخطابة في جامع دمشق الأموي ، نيابةً عن والده ، وأعاد درس القبة للعالم الفاضل محمد أفندي المنيني ، وهو صديقه وأخوه في الطلب ، وكان المترجَم فصيح اللهجة ، حسن السيرة لطيف العشرة ، وما زال على حالته الحسنة إلى أن توفي في حياة والده المقدَّم ذكره ، وذلك في رابع ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف ، وقد أعقب أولاده الثلاثة وهم أبو الخير أفندي ، وحسن أفندي ، ومحمد شكري أفندي ، وكلهم علماء أفاضل ، توفي الأول سنة ١٣٣٦ وتوفي الثاني سنة ١٣٤٩ ، أما الثالث فهو مفتينا العام الآن (سنة ١٣٦٣) متعنا الله بحياته ، والخطبة التي كانت في عهدة المترجَم لم تزل في ذريته حتى اليوم ، وبنو الأُسطواني في دمشق أسرة كبيرة قديمة عُرفت بالعلم والرياسة ، وهم أسباط بني مفلح المعروفين في طبقات الحنابلة ، رحم الله سلفهم وبارك في خلفهم ، آمين .

راغب أفندي العجلاني

أخبرنا عنه ولده الوجيه الفاضل عبد اللطيف أفندي ، فهو راغب بن سعيد بن حمزة بن علي بن إسماعيل بن حسن العجلاني الحسيني الحنفي الدمشقي ،

الأصيل النبيل الحسيب النسيب الذكي الألمعي ، ولد بدمشق سنة ست وثلاثين ومئتين وألف وأخذ عن العلامة الشيخ سعيد الحلبي وغيره ، ولما توفي عمه محسن أفندي نقيب الأشراف بدمشق سمي المترجَم للنقابة ، مع وجود أخيه الأكبر أحمد أفندي ولم تطل مدته فتوفي بالطاعون في رمضان سنة أربع وستين ومئتين وألف ، ولم يعقب سوى ولده الموما إليه ، وهو بقية هذا البيت الكريم وخاتمة ذلك الفضل الجسيم حفظه الله تعالى (سنة ١٣٣١) .

راغب أفندي تقي الدين

ترجمه قريبه الفاضل محمد أديب أفندي تقي الدين نقيب دمشق الأسبق في تاريخه ، قال ما خلاصته : هو راغب بن حسن تقي الدين الحصني الدمشقي ، ولد بدمشق ونشأ بها في حجر والده ، - المتقدمة ترجمته - وانتمى إلى مجالس الأدب ، وصار عضواً في مجلس الدعاوي ، وكان وجيهاً محبوباً عالي الهمة ، وله شعر جمعه ولده سليم أفندي في ديوان . ولما احتلَّ دمشق إبراهيم باشا المصري قرَّبه إليه وصار من جلسائه ، فلما عاد إلى مصر أخذه في معيَّته ، هو والشيخ أمين الجندي الحمصي ، وبعد أن مكث بها مدة رجع إلى دمشق . ثم طلبه مصطفى فاضل باشا ابن إبراهيم باشا المذكور ، فأخذه في صحبته إلى الآستانة ، ولم يزل ملازماً له حتى صار إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا المقدم ذكره خديوياً على مصر ، فعيَّنه في معيته .

وما زال المترجَم كذلك إلى أن توفاه الله سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، وتوفي ولده سليم أفندي المذكور بدمشق سنة ١٣١٧ رحمهما الله تعالى .

الشيخ رحمة الله النابلسي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو رحمة الله بن محيي الدين بن أحمد بن مصطفى بن إسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي ، فخر الأعيان ونخبة الزمان ، ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومئتين وألف ، وقرأ على الأفاضل

وتقدم في الجاه ، وكان حسن الهيئة مهيبَ الطلعة ، حافظاً للوِداد ، لا ينسى صديقه على طول البعاد ، وقد جمع مكتبةً عظيمة احتوت على أكثر مؤلفات جده المشار إليه .

توفي بدمشق في سادس عشري صفر سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في تربة الذهبية في مرج الدحداح ، وقبره معروف رحمه الله تعالى . انتهى .

قلت : إن المترجَم هو والد المولى الفاضل أمين أفندي أحد أعضاء محاكم الاستئناف بدمشق المتوفى سنة ١٣١٧ وهذا هو والد الوجيه النزيه محمد رضا أفندي رئيس كتاب المالية بدمشق المتوفى سنة ١٣٤٨ ، رحمهما الله تعالى .

رشدي باشا الشرواني

محمد رشدي بن إسماعيل الشرواني الطاغستاني ، والي دمشق الشام وأحد العلماء الأعلام ، كان والده من رجال العلم والطريق في أماسيه ، وعلى قبره قبة ومسجد توفي في حدود ١٢٧٥ ، وقد نشأ المترجَم في مهد الفضائل والكمالات وتنقل في بروج المعالي والسعادات ، حتى قدم إلى دمشق سنة ١٢٧٦ مفتياً من قبل الدولة العثمانية في حادثة النصارى المشؤومة ، صُحبَة ناظر الخارجية فؤاد باشا الشهير ، وكان هذا صديقاً له فكتب في حقه عروضاً إلى الآستانة ، يطلب بها ترفيع رتبته إلى مولوية مخرج ، ولم يكن عليه سوى رؤوس ، فلم يوجهها عليه شيخ الإسلام وقتئذ ، فلما عاد فؤاد باشا إلى دار السلطنة عَرَض سيرة المترجَم على الحضرة السلطانية منوِّهاً بفضله ودرايته ، وكمال عقله وحسن سياسته ، فصدرت الإرادة السنية بمنحه ولاية الشام مقرونةً بالوزارة ، فتولاها مدَّةً طويلة وأحسن إدارتها ، فحُمدت سيرته وصار لأهل الشام به الحُظْوَة التامة ، لأنه كان محباً للعلماء مخالطاً لهم ، وقد نالوا في أيامه عزاً وافراً وعيشاً زاهراً ، ثم فصل عنها فرحل إلى الآستانة ، وهناك ولي بعض النظارات ، ثم وجِّهت إليه الصدارة العظمى في الدولة العثمانية ، فقام بأعبائها حقَّ القيام ، ولم تطُلْ مدته فمُنح بعدها ولايةَ الحجاز ، ولم تطل مدته أيضاً ، وقد أنشأ في مكة المكرمة

مكتبته المعروفة باسمه .

وكانت وفاته بالطائف سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف . وقد رأيت بخط الجد الشيخ عبد السلام الشطي في أحد دواوينه أنه كتب له كتاباً يهنئه بالصدارة ، وفيه قوله مؤرخاً :

صدارة الملك قد صارت بدولتكم ميمونةً وبكم أضحى لها الظفَرُ
بشرى لنا معشرَ الإسلام مَنصِبُكم مبارَكٌ وبه أرَّخْتُ يفتَخِرُ
١٢٩٠

وامتُدِح المترجَم بغير ذلك ، وبالجملة فقد كان من أعيان الوزراء وأفاضل العلماء مفتناً بالعلوم والآداب ، نادراً في زمانه ، فائقاً على أقرانه ، تغمده الله برحمته ورضوانه ،

رِضَى أفندي الغَزِّي

رضى بن إسماعيل بن عبد الغني بن محمد شريف ابن الشمس محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا بن بدر الدين محمد الغزِّي الشافعي الدمشقي ، ولد بدمشق ليلة الأربعاء خامس محرم سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف كما رأيته بخط والده ، وقد نشأ في حجره وأخذ عنه وعن عمه العلامة عمر أفندي الغزِّي مفتي الشافعية ، وعن العلامة أبي حنيفةِ زمانه الشيخ سعيد الحلبي ، وعن العلامة محدِّث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعن العلامة شافعيِّ وقته الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي وعن العلامة الصوفي الشيخ حامد العطار وعن العلامة ابن حنبلِ عصره الجدِّ الشيخ حسن الشطي ، وعن العلامتين الشهيرَيْن الشيخ أحمد شنون الحجار والشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت ، نزيلَي المدرسة البادرائية ، وغيرهم ، وساد وفضَلَ ورأَسَ واشتهر ، وتولى نظارة الجامع الأموي بعد عزل سعيد أفندي السيوطي (١٢٦٤) وجددتْ عمارته في أيامه ، وكان له به الذكر الحسن والثناء الجميل ، ولما كانت حادثة النصارى بدمشق نال من الوزير فؤاد باشا الشهير منزلةً كبيرة ، وذلك لمساعدته النصارى حالَ نكبتهم

في تلك الفتنة العظيمة ، وكان تناط به المشكلات لحسن إدارته فيحلُّها حلاً مُرْضياً . وبالجملة فقد كان المترجَم من حسنات الدهر ، وقد أخذ عنه جماعةٌ من فضلاء دمشق .

وكانت وفاته فجأةً نهار الخميس خامس عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين ومئتين وألف ، ودُفن بمقبرة الذهبية ، وأرَّخ وفاتَه الجدُّ الشيخ عبد السلام الشطي الإمام الحنبلي في الجامع الأموي بقوله :

شمس المعارف راقدٌ تحت الثرى ... وثناؤه قد فاح منه عطورُ
هو من بني الغزِّيِّ أجَلِّ سلالةٍ ... هم أنجمٌ في شامنا وبدورُ
لله جاهدَ في عمارةِ مسجدٍ ... فيه النبيُّ وسيِّدٌ وحَصُورُ
لما مضى حَتْمُ القضا قلنا رِضا ... فله الإلٰه فأرِّخوهُ غفورُ
١٢٨٦

وقد أعقب المترجَم أولاده الثلاثة المولى الفاضل إسماعيل أفندي المتوفى سنة ١٣٢٦ ، وزاهد أفندي المتوفى سنة ١٣١١ ، وعيد أفندي الموجود الآن . وترك خيراً كثيراً ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة . آمين .

الشيخ رشيد الجعفري

رشيد بن سعيد بن عبد الفتاح بن سعيد بن محمد الجعفري الشافعي الدمشقي ، الشيخ الصالح المجذوب المبارك المعتقد ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وقرأ على بعض علمائها ، ثم حصلت له جَذْبَةٌ إلٰهية فصار يخلِّط في كلامه ويحدث عن أشياء غريبة فتقع كما أخبر ومنها حادثة النصارى المعروفة بدمشق ، وكان والده قاضياً شافعياً في محاكم دمشق ، ولم يزل المترجَم على حاله إلى أن توفي عقيماً سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الذهبية قريباً من الطريق ، وقبره معروف يزار ، رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

حرف السين

الشيخ سعدي التاجي

ترجمه بعض الفضلاء في مجموع وضعه في زيارات دمشق قال : هو محمد سعدي بن هاشم بن عبد الرحمن الحنفي الدمشقي الشهير بالتاجي الشيخ العالم الفقيه المحدث ، ولد بدمشق سنة ست وثلاثين ومئتين وألف ، وسمي محمد سعدي وفقاً لتاريخ مولده (٢٣٦) ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم له انتفاعاً والده العلامة .

وكانت وفاته في خامس ربيع الثاني سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من والده المذكور وقبره مشهور ، رحمه الله تعالى .

الشيخ سعدي السيوطي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : محمد سعدي بن مصطفى بن سعد الرُّحَيباني الشهير بالسيوطي مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد في دمشق سنة ست وتسعين ومئة وألف ، وأخذ عن الشيخ محمد الكزبري والشيخ شاكر مقدم سعد ، وتفقَّه على والده وعلى الشيخ غنام النجدي ، وأخذ عن غيرهم ، وكان عالماً عاملاً تقياً صالحاً له مقامٌ واحترام ، تولَّى الإفتاء الحنبلي ونظارة الجامع الأموي بعد وفاة والده سنة ١٢٤٣ ، وكان فائقاً في علمي الفرائض والحساب .

ولم يزل على حاله وكماله ، إلى أن توفي في خامس عشر شوال سنة ست وخمسين ومئتين وألف ؛ ودفن في المقبرة الذهبية تغمده الله برحمته ، وستأتي ترجمة والده في حرفه ، إن شاء الله .

★ ★ ★

الشيخ سعدي العمري

أخبرنا عنه حفيدُه الفاضل الشيخ مصطفى أفندي ، فهو سعدي بن محمد كمال بن عمر بن عبد اللطيف العمري الحنفي الدمشقي ، أحد العلماء الأعلام الذين زَهَت بهم دمشق الشام ، كان والده من الأفاضل توفي سنة ١٢٤٢ وجده من أهل العلم المنوَّه بهم توفي سنة ١٢٠٩ . وولد المترجَم بدمشق سنة خمس ومئتين وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، كالشيخ محمد بن مصطفى الرحمتي الأيوبي ، والعلامة الشيخ سعيد الحلبي وبه كان تخرُّجُه وانتفاعُه ، وتمكَّن في الفقه والفرائض حتى صار من الفقهاء الأجلاء والفرَضِيِّين الماهرين ، وبشَّره شيخه الحلبي بنيابة محكمة الباب وصحَّتِ البشرى ، فقد تولى المترجَم النيابة المذكورة واستمرَّ بها إلى سنة ١٢٦٣ ، وفيها تولى أمانة الفتوى بدمشق خلَفاً للشيخ هاشم التاجي ، فاستمرَّ بها في زمن المولى حسين أفندي المرادي ، فولده علي أفندي ، فطاهر أفندي الآمدي ، فأمين أفندي الجندي المفتين بدمشق إلى أن توفي ، وقد أخذ عنه جماعةٌ منهم : صالح أفندي المرادي ، والشيخ صالح القضماني وغيرهما .

وكانت وفاتُه في غُرَّة ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف بالريح الأصفر ، وأعقب ولديه هما العالمان الفاضلان الشيخ صادق الآتية ترجمته ، والشيخ رشيد المتوفى سنة ١٣٠٣ ، وبنو العمري لم يزالوا في دمشق من وجوهها الفضلاء وأعيانها النبلاء ، رحم الله سلفهم وحفظ خلفهم .

الشيخ سعيد الحلبي

جمعنا ترجمته من جملة مصادر موثوقة ، فهو سعيد بن حسن بن أحمد الدمشقي الحنفي الحلبي المولد والشهرة ، شيخ علماء الحنفية بدمشق وأحد صدورها الأجلاء ، العالم العلامة والحبر الفهامة ، فقيه زمانه وناسك أوانه ، مفيد الطالبين ومربي المريدين ، ولد في مدينة حلب سنة ثمان وثمانين ومئة وألف ، ونشأ بها وقرأ على جملة من علمائها ، منهم الشيخ إسماعيل بن محمد

المواهبي ، والشيخ محمد مكي القلعي ، ومحمد أفندي العقيلي ، ثم قدم دمشق واستوطنها سنة ١٢٠٧ ، وأخذ العلم عن محدِّث الديار الشامية الشمس محمد الكزبري ، والعلامة الشيخ شاكر العقاد ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ نجيب القلعي ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي ، وغيرهم من أكابر العلماء .

ثم تصدر للإقراء والتدريس مدة حياته ، في حُجرته المعروفة به شمالي جامع بني أمية ، فانتفع به وتخرج عليه من دمشق وغيرها من لايُعَدُّ ولا يُحصى ، سيما في الفقه الحنفي فقد انفرد به في عصره ، حتى أخذ عنه كثير من أهل طبقته ، وكان من أشهر تلامذته العلامة السيد محمد أمين عابدين ، وهو تلميذه من جهة ورفيقه في الطلب من جهة ، لأنهما اشتركا في قراءة « الدر المختار » على العلامة الشيخ شاكر المقدَّم ذكره ، وقد تولى المترجَم تدريس البخاري تحت قبة النسر في الجامع الأُموي ؛ نيابة عن أحمد أفندي ابن إسماعيل أفندي ابن الشهاب أحمد المنيني ، واستمرَّ فيه إلى أن توفي . وكان موقراً محترماً وله الكلمة النافذة في دمشق حلاً وعقداً ، أمراً ونهياً ، تُؤثر عنه آثارٌ حسنة ، منها ثباتُه أيام استيلاء إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام ، ومدافعته عن الأهلين بكلِّ اهتمام ، مما أثبت له عند الله أجراً ، وعند الناس حمداً وشكراً ، وبالجملة فقد كان المترجَم إماماً جليلاً مهيباً وقوراً عابداً زاهداً ، علمه على مرِّ الدهور منشور ، وفضله على كرِّ العصور مذكور .

ولم يزل على مقامه الأسنى وحالته الحسنى ، إلى أن توفي يوم الاثنين ثالث رمضان سنة تسع وخمسين ومئتين وألف ودفن في المقبرة الذهبية قريباً من شيخه العقاد ، وخلف الأستاذ المترجَم أولاده الثلاثة وهم العلامة الشيخ عبد الله الآتية ترجمته ، والفاضلان الشيخ محمد والشيخ عبد المحسن رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ، آمين .

★ ★ ★

الشيخ سعيد الحموي

ذكره تلميذُه العلامة السيد محمد أمين عابدين في ثَبَته قال :

هو سعيد بن إبراهيم الحموي ثم الدمشقي الشافعي . ولد سنة خمس وأربعين ومئة وألف في حماه ؛ وقدم دمشق واستوطنها سنة ١١٦٨ ، ومن أشياخه الشيخ حسن بن كديمة الحموي ، والشيخ منصور الحلبي الخلوتي ، وأبو الطيب المغربي المدني ، والشيخ صالح الجينيني ، والشيخ عبد الرحمن العيدروس ، والشيخ أحمد الملوي ، والشيخ محمد الحفني ، والشيخ أحمد الجوهري ؛ والشيخ عمر الزاهد الدمياطي ، والشيخ حسن الرشيدي ، والشيخ عبد الله الحوَّاط الحموي ، والشيخ فرج الحموي ، والشيخ يوسف الفقيه ، والشيخ عمر الكردي ، وعلي أفندي الداغستاني ، والشيخ محمد التافلاتي المغربي وغيرهم . وقد كان المترجَم عالماً جليلاً شيخ القراء بدمشق له اليد الطولى في علم القراءات وأوجهها وطرقها ، انتفع به جماعة من أهل عصره .

وكانت وفاته في خامس عشر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومئتين وألف عن إحدى وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

سعيد أفندي الأُسطواني

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين نقيب دمشق سابقاً في تاريخه قال : هو سعيد بن علي الشهير كأسلافه بالأُسطواني الدمشقي الحنفي . أخذ عن علماء عصره وصار من العلماء الأعلام . تولى القضاء في بغداد ، وألَّف رسالة في النحو ، شرحها له صديقه العلامة السيد محمد عابدين وهما في حداثة السن ، وأثنى عليه بقصيدة غراء .

وكانت وفاة صاحب الترجمة سنة ثلاثين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى .

سعيد أفندي الأيوبي

ترجمه حفيدُه وسميُّه فقال ما خلاصته : هو محمد سعيد بن أحمد بن محمد نجيب بن إبراهيم بن عبد المحسن بن جمال الدين يوسف الأيوبي المتصل نسبه بالصحابي الجليل أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، الحنفي الدمشقي ، المولى الهُمام ، محرر القضايا والأحكام ، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم له انتفاعاً والده الشهاب أحمد ، والشيخ الفقيه المحدِّث عبد الرحمن بن يوسف بن محمد السفاريني النابلسي الحنبلي وغيرهما .

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير في مدفن بني الأيوبي رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : وكان المترجَم من الكتَّاب في محكمة الباب بدمشق ، ثم صار رئيس الكتاب بها ، ومهر وبرَع وساد وفضل ، وهو والد عطاء الله أفندي المتوفى سنة ١٢٨٢ عن أولاده الأربعة السادة الوجهاء محمد علي أفندي ، وأحمد مهدي أفندي ، ومحمد سعيد أفندي ، وخليل أفندي . والأول هو والد عطا بك رئيس وزراء سورية الآن (سنة ١٣٦٠) .

سعيد أفندي العجلاني

أخبرنا عنه حفيده الوجيه الكبير عبد اللطيف أفندي فهو سعيد بن حمزة بن علي بن إسماعيل بن حسن الحسيني الدمشقي الحنفي ، المعروف كأسلافه بالعجلاني ، الفاضل الكامل الحسيب النسيب الصدر الرئيس الأجل الأوحد مفتي دمشق وابن مفتيها ورئيسها وابن رئيسها ، ولد بدمشق في حدود سنة سبعين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده وطلب العلم ، فأخذ عن العلامة الشيخ نجيب القَلْعي وغيره ، ويحكى أنه لما طلب من شيخه المذكور أن يكتب له إجازة ضنَّ عليه بها ، حتى رأى النبي ﷺ في المنام وهو معرِضٌ عنه ، وقال له : أجز ولدي سعيد . فاستيقظ الشيخ وهو مرتعش ، ولما أصبح ذهب إلى دار المترجَم ،

فكتب له إجازة ذكر فيها القصة ، وأيد بها للمترجم مزيتي العلم والشرف . ولما عُزل حسين أفندي المرادي عن فتوى دمشق ، وُجِّهت الفتوى إلى المترجَم ، فبقي فيها نحو سنة ، ثم أعيدت إلى المرادي .

وما زال المترجَم على جاهه وحرمته ، حتى توفي سنة خمسين ومئتين وألف تقريباً عن نيِّفٍ وثمانين سنة ، وكان قد انقطع عن الناس لكِبر سنه ، ودفن بمدفن أسلافه المعروف في سوق الغنم رحمه الله تعالى .

سعيد أفندي السيوطي

سعيد بن مصطفى بن أسعد الرُّحيباني الأصل الشهير بالسُّيوطي ، الفاضل الوجيه ، مفتي الحنابلة بدمشق بعد أخيه الشيخ سعدي المقدَّمة ترجمته ، ولد سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده وأخيه ، ثم أخذ في طلب العلم ، فقرأ الفقه على الجدِّ الشيخ حسن الشطي ، وعلى أخيه المقدَّم ذكره ، وحضر في الآلات على العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وولي نظارة الجامع الأموي إلى سنة ١٢٦٤ وفيها عزل من النظارة المذكورة ، وأُقيم في مكانه رِضا أفندي الغزِّي ، ثم رحل إلى الآسِتانة ووليِّ نيابة قضاء السَّلْط ، وكان عليه من أسلافه جملة وظائف منها نظارة جامع الحنابلة في صالحية دمشق .

فاستمرَّ بها وبالفتوى إلى أن توفي في ثامن عشري المحرم سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، ودفن على والده في مقبرة الذهبية رحمه الله تعالى .

قلت : تولى فتوى الحنابلة بعد المترجَم سيدي العم الشيخ أحمد الشطي إلى أن توفي سنة ١٣١٦ ، ولم تزل فتاواه محفوظةً عندنا مع فتاوَى أسلافه رحمهم الله . ثم أهملت الفتوى مدةً إلى أن تولاها ولد المترجَم الشيخ توفيق أفندي سنة ١٣٣٧ إلى وفاته سنة ١٣٤٤ ثم تولاها ابنُ العم الموما إليه الشيخ مصطفى أَفندي إلى أن توفي سنة ١٣٤٨ فانتقلت إلينا ، ولم تزل في عُهدتنا حتى الآن (سنة ١٣٦٣) وبالله التوفيق .

الشيخ سعيد الأحمدي المولوي

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو سعيد بن الأحمدي الدمشقي الصالحي ، شيخ المولوية بدمشق الشام . خدم هذا السلك بأمانةٍ وصدق ، ومكارم أخلاق ، وحافظ على أملاك التَّكِيَّة المولوية ، وكان يطبخُ الطعام في كلِّ يومٍ لمريديه من الدراويش القاطنين في تلك التكية .

وكانت وفاته سنة ١٢٨٦ ودفن في التكية المذكورة ، وهو جدُّ الشيخ سعيد أفندي شيخ المولوية السابق رحمهما الله تعالى .

الشيخ سعيد المَقْدِسي

ترجمه تلميذه السيد كمال الدين الغزِّي في تذكرته ، قال رحمه الله تعالى :

هو سعيد بن أحمد بن محمد بن طه المقدسي الأصل والشهرة الدمشقي الصالحي الشافعي ، الشيخ الفاضل الصالح الكامل العمدة شيخنا أبو الأسرار مجد الدين ، ولد بصالحية دمشق سنة تسع وثلاثين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده وتلا عليه القرآن العظيم ، وطلب العلم فقرأ عليه جملةً صالحة من الفقه والعربية ، وأخذ عن الشيخ أسعد بن عبد الرحمن السليمي الشهير بالمجلِّد ، وعن الشهاب أحمد بن علي المنيني ، وعن الجد الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزِّي العامري ، وعن مشايخنا الفقيه أبي الفتح محمد بن محمد العجلوني الجعفري ، والعلاءين : علي بن محمد السليمي الصالحي ، وعلي بن صادق الداغستاني نزيل دمشق وغيرهم ، وصار له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية ، وجدَّ واجتهد وخطب في التكية السليمانية ، وكان يحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب ، وأُعطي الصوتَ الحسن في القراءة والإنشاد ، وكان يصلي إماماً في جامع السليمية بصالحية دمشق ، جالستُهُ مراراً وسمعتُ من فوائده ونظامه ونثاره ، وله شعرٌ لطيف أنشدني منه يوم الأربعاء تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس ومئتين وألف قوله مضمناً :

يا سادةً سادوا الأنام بقربهم ... من جامع الكَلِم الشريفِ النافذِ
قد جئتُكم أبغي نداكم قائلاً ... (هـذا مقـام المَستجيرِ العـائـذِ)

انتهى . ولم يؤرخ الكمال وفاة المترجَم ، ولاشك أنه توفي في أوائل هذا القرن ، رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد الخالدي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو سعيد بن شاكر بن سعيد المتصل نسبه بالصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه ، الدمشقي الشافعي الشاذلي الترشيحي ، ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف ، ونشأ في طلب العلم فلازم العلامة أبا بكر الكُرْدي ، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار ، وحضر دروس الوالد الشيخ حسن البيطار مدة طويلة ، ولازم أخيراً الشيخ الطنطاوي وقرأ عليه أنواعاً من العلوم ، وصار له ملَكَةٌ عظيمة ، وكان حسنَ العشرة جميلَ المقال لا يُمَلُّ حديثه ، وله في الحكايات الأدبية حافظةٌ قوية ، وكان رقيقَ الحاشية ، فقيرَ الحال ، زاهداً في الجاه مائلاً عن المال ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، جسوراً في الجواب لا يخاف ولا يهاب ، لا يمشي إلى صاحب أو جليس إلا ومعه عدَّة كراريس ، لا يخلو مجلسُه من نصيحةٍ أو موعظة أو حكاية مستعذبة ، فاشتهر وفاق وانعقد على كماله الاتفاق .

ولم يزل مستقيماً على حاله حتى حضر إلى داريا قرب دمشق الشيخ أحمد البقاعي ، أحد خلفاء الشيخ علي ترشيحة اليشرطي الشاذلي ، فأخذ المترجَم عنه الطريق ، ثم ذهب إلى زيارة الشيخ علي المذكور في عكا ، وعاد من عنده وقد انعكست حالته ، وانقلبت إلى ضدها طاعته ، وعلاه طيشٌ ومجون ، ولاشك أن الجنون فنون ، فاستُثقل أمرُه وانخفض قدرُه ، وقد ترك الفقهَ والأصول ، وهجر المعقولَ والمنقول ، واستخفَّ بالعلماء ، وجحد فضيلة الفضلاء ، وأنكر العلم والعمل ، وترك كثيراً من التكاليف واعتزل ، وقال : هذه واجبة على المحجوبين ، لا على المحبوبين! وكان يتكلم بكلام لا يرتضيه من في قلبه ذرة من

الإسلام ، ولا يقول بواجب ولا مسنون ، بل يقول : إن التمسك بذلك محضُ جنون! وإن من دخل في الطريق وترقى في المقامات ، صارت ذاتُه عين الذات وصفاتُه عين الصفات! وهل يجب على الله صلاة أو صيام في حال! أو يقال في حقه حرام أو حلال! وأمثال ذلك كثير .

وقد وافقه على ذلك جماعةٌ تجاهروا بالآثام ، ولم يتقيدوا بحلالٍ أو حرام ، مع أنَّ شيخهم في عكا قد أنكر عليهم ، ووجَّه أشدَّ الملام إليهم ، وكتب ينهاهم عن ذلك ، ويزجرهم عن سلوك هذه المسالك ، وهم يؤوِّلون كلامه ، ويقولون أنتم لا تدرون ما قصَدَه الشيخ ورامَه ، وتبِعَهم على ذلك عصابةٌ قوية ، حتى صار لهم شوكةٌ وعصبية ، يمشون وفي يد كلٍّ منهم عكاز ، في أسفلها حربةٌ يتوكَّأُ عليها في المجاز ، وما زال يتفاقم أمرُهم ويكثُر جمعهم ، إلى أن نفى الحاكمُ أستاذهم المذكور إلى جزيرة قبرص ناسباً القصور إليه ، ومعه المترجَم وأنفارٌ يعتمدون عليه ، وكان المترجَم خطيباً في قرية كفرسوسية إحدى ضواحي دمشق ، فأقاموا وكيلاً عنه ، وكان الشيخ يقول لهم : ما صدر علينا هذا التضييق ، إلا من تكلمكم بما لايليق . ثم بعد مدة طويلة ، عفتِ الحكومةُ عنهم على أن لا يعودوا إلى أمثال هذه الرذيلة ، فعاد المترجَم إلى قريته وهو على حاله الأول ، وما عدل عن زيغه وما تحوَّل ، فأعرض عنه أهل البلد ، ونصبوا له شرك النكد ، إلى أن فصلوه عن وظيفته ، وقام تلميذه بمصلحته ، فعاد المترجَم بعياله إلى الشام ، وتزايد الاعتراضُ عليه والملام ، إلا أنه قد ضاقت يده ، وهبط سؤددُه ، فذهب إلى قرية داريا يقرئُ الأولاد ، ولا ينالُ من دنياه المراد .

قال البيطار : وكنت أنصحُه بالرجوع إلى المطلوب ، فيقول : أنت عن الحقيقة محجوب ! لو قطع رأسي وتفصلت أوصالي ، لا رجعتُ عن طريقي وحالي ! . . ويقول للائمين : أنتم أهل الرسوم ، المتمسِّكون بظاهر العلوم ، ونحن الصوفية أهل الطريقة ، والوجدان والحقيقة ، وما علم أن ذلك من أكبر الغلط ، ومن قال به فقد سلك مسلك الشطط .

وما زال المترجَم على حاله ، خائضاً في أوحاله ، إلى أن تمرض وتوفي في

اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى سنة أربعٍ وتسعين ومئتين وألف ، ودفن في جوار سيدنا بلال الحبشي ، فنسأل الله أن يكون رجع عما كان عليه ، وتاب إلى الله وآب إليه . انتهى .

قلت : المترجَم هو والد الفاضل الشيخ مسلم الخالدي إمام جامع زيد بن ثابت في باب السريجة المتوفى سنة ١٣٦٠ .

الشيخ سليمان الميداني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو سليمان بن سلامة الشافعي الدمشقي الميداني ، العالم العابد . ولد سنة إحدى عشرة ومئتين وألف ، وقرأ على الشيخ صالح الزجاج ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الله الكردي الحيدري ، وبقية الشيوخ الموجودين وقتئذ ، ولم يزل كذلك إلى أن انتقل والدي الشيخ حسن إلى الميدان فاقتصر عليه ، وحطَّ رحله بين يديه ، فقرأ في الفنون وأكثر ، إلى أن قرأ « التحفة » الفقهية لابن حجر ، وحين وصولهم إلى باب العتق اخترمت والدي المنية . وكان المترجَم ذا هيبة علمية ولطافة أدبية ، وكان عليه وظيفة التدريس والإمامة والخطابة في جامع الساحة بالميدان .

ولم يزل مواظباً على إفادته مقبلاً على عبادته ، إلى أن توفي في شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وسبعين ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة باب الله ، رضي الله عنه وأرضاه .

السيد سليم البكري

قال في حقه بعضُ الفضلاء ، في مجموعٍ وضعه في مزارات دمشق : هو سليم بن محمد بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين بن عبد القادر بن حسن بن بدر الدين محمد البكري الصديقي ، الحنفي الدمشقي ، الشيخ الإمام الزاهد الورع ، صاحب الكرامات العديدة والأحوال الفريدة .

توفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير ، بالقرب

من مقام سيدنا بلال الحبشي وقبره مشهور ، تغمده الله برحمته ، انتهى .

قلت : إنَّ صاحب الترجمة هو من أبناء عم خليل أفندي البكري مفتي دمشق المتوفى سنة ١١٧٣ ، يجتمع معه في السيد كمال الدين ، وهذا خليل أفندي هو جد خليل أفندي الثاني ، وهذا هو جد أسعد أفندي المتوفى سنة ١٣١٠ ، وهذا هو والد الوجيهين الكبيرين عطا باشا المتوفى سنة ١٣١٤ ، وخليل أفندي الثالث المتوفى سنة ١٣٤٤ ، ولم يزل من ذريتهما في دمشق رجال وجهاء وشبان أذكياء وقد كان أسلافهم من السادة البكرية في مصر وأول من قدم منهم إلى دمشق الشيخ بدر الدين محمد المقدَّم ذكره كما حكاه السيد المرادي في« تاريخه » .

الشيخ سليم الطيبي النحلاوي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو سليم بن حسين النحلاوي ، سبط العلامة الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، العالم الفاضل الفرضي الحيسوبي ، أمين فتوى الشافعية في دمشق المحمية ، ولد بدمشق ونشأ بها وحضر دروس علمائها ، وكان حسن العبارة لطيف الإشارة ، وله مؤلفات منها « الفيوضات الرحمانية في أحكام الفرائض القرآنية » وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : وكانت ولادة المترجَم في سنة ١٢٤١ ، ونشأ في حجر جده المقدم ذكره وبه اشتهر وعليه تخرَّج في الفقه وغيره ، وأخذ الفرائض والحساب عن العلامة الجد الشيخ حسن الشطي ، وحضر في بعض العلوم على عمر أفندي الغزِّي مفتي الشافعية وأجازه الأخير بما تجوز له روايته ، ثم إن المترجَم برع في عمل المناسخات الفرضية والشجرات الوقفية ، وتولى قضاء الشافعية بدمشق ، والنيابة الشرعية في الناصرة ، وحُمدت سيرته ، ولم يزل على حالته حتى توفي بالتاريخ المذكور ، كما أخبرنا بذلك حفيده وسميه الفاضل الشيخ سليم أفندي الطيبي الفرضي ، الموجود الآن (١٣٦٣)

السيد سليم مرتضى

قال الأستاذ البيطارُ في تاريخه ما خلاصته : هو سليم بن علي بن موسى الدمشقي الحسيني الشهير بابن مرتضى ، السيد الشريف الودود اللطيف ، أحد الأعيان ذوي القدر والشان ، تحلى بأحسن الشِّيَم وتوشَّح بجلباب السماحة والكرم ، ولد في سنة نيف وخمسين ومئتين وألف ، وكان معاشراً لطيفاً أديباً ظريفاً ، كريمَ الطبع سليم الصدر ، ذا رفعة ومهابة وقَدْر ، وكان عند الشيعة محترماً معظماً ، يواصلونه في كلِّ سنة على ما اشتهر ، بمئة ألف قرش أو أكثر .

مات نهار الأحد ثامن شهر شعبان سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ، ودفن عند قبور بني المرتضى في مقبرة الباب الصغير ، قرب قبور الزوجات الطاهرات ، انتهى .

قلت: إن المترجَم هو والد عباس أفندي الموجود الآن(سنة١٣٦٣) والمتولي على أوقاف السيدة زينب رضي الله عنها .

سليم باشا والي الشام

قال العلامة البيطار في تاريخه ما مختصره : دخل المترجَم دمشق الشام في سنة ست وأربعين ومئتين وألف بعد عزل سلفه الصدر رؤوف باشا بسبب حادثة وقعت في السنة المذكورة ، وذلك أن السلطان أمر بوضع الصليان (كذا ، ولعله بمعنى الضريبة) على حوانيت البلدة ، فنزل جماعة من مشايخ الطرق ومعهم راية وأولاد وغيرهم ، ليشفعوا عند الوالي رؤوف باشا في رفع ما ذكر عن أصحاب الحوانيت ، فلما وصلوا إلى باب السرايا خرج جماعة من أهل الموصل وكركوك ، الذين ظهر فسقهم وفسادهم ، فضربوا جماعة المشايخ ومات البعض منهم ، فقام عليهم أهلُ البلدة وصاروا كلما رأوا منهم واحداً قتلوه ، فأمرهم الباشا بالخروج من دمشق لعلمه بفسادهم ، وعَظُم أمر الصليان على أهل دمشق ، فكتب الوزير المذكور إلى الدولة يستعطفها في رفع الصليان عن الأهالي ، فصدر أمر

السلطان بعزله ونصب صاحب الترجمة سليم باشا في مكانه ، على أن يضع الصليان ، فلما دخل البلدة مكث نحو شهر وهو يحصن القلعة ويجمع العساكر ، ثم جمع الأعيان وذكر لهم أمر الصليان فأطاعوه بعد أن هدد العوام ، وخوفهم من مخالفة أمر السلطان ، الذي أصبح محتاجاً إلى جمع المال ، بسبب حربه مع الموسكوف في العام الماضي ، وأخذهم كثيراً من بلاد الإسلام ، وصلحه معهم على أن يدفع لهم أموالاً بليغة ، فأطاع غالب أهل دمشق ، وخرج جماعة من أتباع الباشا المترجَم مع كتبة لهم نهار الجمعة تاسع ربيع الثاني سنة ١٢٤٧ ، وصاروا يكتبون عدة الحوانيت ، حتى وصلوا إلى محلة العمارة والعقيبة بعد العصر ، فقام جماعة من السفهاء ، وأغلقوا الحوانيت قائلين : هذه جزية ونحن لانقبلها ، وكان ذلك سبب الفتنة ، فلما سمع الباشا بذلك وكان رجلاً أحمق ، أمر في الحال بجمع العساكر وإغلاق أبواب القلعة ، وضرب المدافع على البلدة ، وكان غالب الأعيان عنده ، فطلبوا منه التؤدة في الأمر فلم يقبل منهم ، حتى خرج العسكر يوم السبت من السرايا وتغلبوا على بيوت القنوات الجوانية وجامع العداس فنهبوها وصاروا يطلقون منها الرصاص على الناس . وفي ليلة الأحد أمر بضرب المدافع والقنابل على البلدة ، فاجتمع الأهلون وأشقياؤهم وحاصروه في السرايا ، واستعانوا بحرق المواضع التي تغلب عليها العسكر فتوصلوا إلى السرايا ، ولما تيقن أنه مأخوذ لا محالة ، خرج ليلة الاثنين من السرايا مع العسكر وأحرق سوق الجديد وسوق الأروام ، حتى وصل الحريق إلى قرب ضريح سيدي خليل ، ودخل هو مع بعض العسكر إلى القلعة ، ودخل بعض العسكر إلى خان الدالاتية وجامع المعلق الواقع تجاهه فحاصرهم أهل البلدة ، بعد أن نهب هؤلاء ما في السرايا والكلار والدوالك وأحرقوها ، واحترق معها بعض البيوت المجاورة للسرايا ، ولم يزالوا محاصرين لهم في الموضعين حتى فني الزاد عند من كان في الجامع ، فطلبوا الأمان فأخرجوهم بأسوإ حال ، من شدة الجوع ومن نتن الأموات عندهم وقتلوا بعضهم ؛ ثم تفرغ أهل البلدة لحصار الباشا في القلعة بضرب المدافع والقنابل كما فعل بهم أولاً ، وحاصروه حصاراً شديداً ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ونصبوا المدافع قبالة حمام الملكة في الدرويشية وعند باب

الحديد المقابل لباب السرايا ، وتحت القلعة ، وهدموا جانباً عظيماً من البرج المقابل لباب السرايا بالمدافع والألغام ، إلى أن فني الزاد من القلعة وأكل المحصورون خيلهم ، فطلب الباشا الأمان ، وأنه ينزل ويصبر حتى يأتيه أمر السلطان ، فأخرج من القلعة ومعه نحو ألف رجل من العسكر ، واجتمعوا بأهل البلدة أياماً قليلة ، ثم سافروا ونزل الباشا مع بعض خواصه في دار بني الكيلاني ، وجعلوا عليه حجاباً من أهل البلدة ، ثم ليلة الجمعة في ٢٣ جمادى الأولى دخل عليه أولئك الحجاب ، فقتلوه وقتلوا خمسة ممن كان معه كالكيخيا والخزندار وخاله ، ونهبوا ما معهم وجردوا بقية جماعته من ثيابهم وأطلقوهم بلا قتل ، ثم ألقوا الباشا في سوق العصرونية على خشبة ، وحمل بعض السفهاء رأسه ودار به في البلدة. . .

ووقع الخوف في قلوب النصارى أثناء تلك الحوادث ، فأمنهم علي آغا خزنة كاتبي ، وصانهم مع الإسرائيليين من تعديات الجهال . ولما قُتل سليم باشا صاحبُ الترجمة أقام الدمشقيون حكومةً مؤقتة وأخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ؛ على أنها اشتغلت عنهم بمحاربة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا خديوي مصر ، وعدلت عن تأديبهم وولت على دمشق علو باشا ، فأصبح القوم مطمئنين والحمد لله رب العالمين .

سليم أفندي المحاسني

هو سليم بن أسعد بن موسى بن أسعد الدمشقي التميمي الشهير بالمحاسني ، الفاضل الكامل سليل بيت العلم والمجد . ولد بدمشق ونشأ بها وكان من كتاب المحاكم الشرعية ثم تولى رياسة الكتّاب في محكمة البزورية ، ثم نقل منها إلى محكمة القسّام ثم أعيد إلى البزورية ، وكان والد المترجَم أسعد أفندي مفتياً بدمشق وتقدَّمت ترجمته ، وكان جدُّه الشيخ موسى من العلماء المدرسين بها ترجمه المرادي في تاريخه .

وقد توفي صاحب الترجمة بعد سنة ثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة

الباب الصغير ، وأعقب أولاده الستة وهم : أمين أفندي ، وسعيد أفندي ، وأبو السعود أفندي ، وأحمد أفندي ، وصالح أفندي ، وكانوا جميعاً من موظفي محاكم دمشق ، وتولى بعضُهم النيابات الشرعية في نواحي الشام وكانت وفاتهم غالباً بعد سنة ١٣٠٠ عليهم رحمة رب البرية .



حرف الشين

الشيخ شاكر العقاد

ترجمه أخص تلامذته العلامة السيد محمد أمين عابدين ، في آخر ثبَته المطبوع الذي جمعه له سنة ١٢٢١ قال ما مختصره : هو الشيخ الإمام الأوحد ، الفاضل الهُمام الأمجد ، فريدُ العصر ويتيمةُ الدهر ، من انتهتْ إليه الرياسة في العلوم ، وصار المرجعَ فيها من منطوقٍ ومفهوم ، المحقق المدقق مولانا وشيخنا السيد محمد شاكر بن علي بن سعد بن علي بن سالم العُمَري الشهير والده بالعقَّاد وبابن مقدم سعد الحنفي الدمشقي الخلوتي ، يتصل نسبُه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد ألَّف عمُّ جده الإمام الكامل محمد بن سالم العمري رسالةً في نسبه كما ذكر ذلك الأمين المحبي في « تاريخه » .

ولد المترجَم في دمشق سنة سبع وخمسين ومئة وألف كما أخبرني بذلك ، ونشأ في حجر والده وكان والده حنبلياً على مذهب أصوله ثم تحنف ، وكان يتعاطى صنعة العِقادة المعروفة ، فاقتفى المترجَم أثره في صغره وصار بزَّازاً .

ثم إنه قرأ القرآن الكريم على شيخ الحفاظ بدمشق الشيخ إبراهيم الحافظ ، وقرأ في مبادئ العلوم على خاله الشيخ عبد الرزاق البهنسي ، وأخذ عن الشمس محمد الكزبري ولازمه نحواً من خمسين سنة ، وكان أكثر انتفاعه به ، وأخذ أيضاً عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشهاب أحمد المنيني والشيخ صالح الجينيني ، والمُلاَّ علي التركماني ، والشيخ أحمد البعلي الحنبلي ، وعلي أفندي الداغستاني ، والشيخ محمد أبي الفتح العجلوني ، والشيخ مصطفى الرحمتي الأيوبي ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ علي السليمي الصالحي ، وأخذ عن غيرهم من دمشقيين ومصريين ومدنيين ونابلسيين يطول ذكرهم ، وأجازه أكثرهم بإجازات كتبوها له بخطوطهم ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن شيخه الشيخ منصور

السرميني الحلبي نزيل دمشق ، وأخذ الطريقة القادرية عن شيخه الشمس الكزبري المذكور ، وأخذ الطريقة الشاذلية والعيدروسية والنقشبندية وغيرها عن شيخه العارف الشيخ عبد الرحمن العيدروس اليمني نزيل دمشق .

وقد شرع المترجَم في الإقراء ونفع الطلبة وهو حديث السنِّ جداً وعم نفعه وبعد صيته وهُرعت إليه الطلبة من كلِّ فجٍّ عميق ، حتى صار مقصوداً من جميع الجهات ، وتخرَّج عليه أفاضل معتبرون هم مشايخ دمشق الآن ، وكان رحمه الله عديمَ النظير في حسن التقرير والتعبير ، حتى في تفهيم المبتدئ المبادئ الدقيقة ، والحاصل أنه كان بابَ الفتوح ، والشيخ المربِّي النصوح ، شغله من الدنيا التعلم والتعليم والتفهُّم والتفهيم ، تاركاً لما لا يعنيه مقبلاً على مولاه فيما يرضيه ، راضياًمن الدنيا بالقليل معرضاً عن الأنام ، متعفِّفاً عما في أيديهم من الحُطام ، عفيفَ النفس ، لم أعهد منه أنه تعاطى شيئاً مما يفعله أمثاله ، مما يجلب له نفعاً دنيوياً ، مع أني لازمتُه سبعَ سنين كاملة ملازمةً شديدة ، وكانت تعرض عليه الوظائف والتداريس وغيرها فلا يقبلها ، وكان يحبُّ الاختفاء في زوايا الخمول ، ويتجنَّب الأمراء والاجتماع بهم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يخشى في الله لومةَ لائم ، وبالجملة فقد كان من أفراد أهل عصره وبركة أهل مصره ، وقد منَّ الله عليَّ بخدمته في المدة المذكورة وقرأت عليه كتباً عديدة ، وكان يحبُّني حباً شديداً ويكرمني إكراماً مزيداً ، فجزاه الله عني خير الجزاء آمين .

وكانت وفاته تغمَّده الله برحمته بعد العصر نهار الجمعة لأربعٍ مضت من محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف ودُفن في مقبرة الذهبيِّة في قبر عمِّ جده محمد بن سالم المذكور . وله شعر لطيف فمنه قوله :

قد آنَ يا خِلِّي ويا بُغيتي … أرجعُ عن ميلي وعن صبوتي
وأتقي ربّاً سريعَ الرِّضا … يُنعم بالعفو وبالتوبةِ

★ ★ ★

حرف الصاد

صالح أفندي الأُسطواني

صالح بن سعيد بن علي الشهير كأسلافه بالأُسطواني الدمشقي الحنفي ، الشيخ المعمَّر العالم الفقيه ، الفاضل الكامل التقي الصالح . ولد بدمشق سنة تسع عشرة ومئتين وألف . وبها نشأ ، وعلى علمائها قرأ ، فأخذ عن أبي حنيفة زمانه الشيخ سعيد الحلبي ، والعالم الشهير محمد أفندي الرومي ، والعالم الفقيه الشيخ هاشم التاجي ، والعالم المفنن الشيخ مصطفى المغربي التهامي وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة ، وانتفعوا به ، وأصيب قبيل وفاته بولده الفاضل راغب أفندي المقدَّمة ترجمته فصبر ، ولم يزل على حالته الحسنة إلى أن توفي سنة أربع وتسعين ومئتين وألف ودفن في التربة الذهبية .

قلت : وفي تاريخ العلامة البيطار أنه ولد سنة ١٢١٠ ، وكان صالحاً لطيفاً متواضعاً لين الجانب حسن الأخلاق ، مواظباً على صلاة الجماعة لايشغله عنها شاغل ، وتولى خطابة الجامع الأموي فخطب مدة ثم نزل عنها لولده الموما إليه رحمهما الله تعالى .

الشيخ صالح أبو الفتح

صالح بن محمد أبي الفتح بن محمد الشافعي الدمشقي الشهير بأبي الفتح العجلوني ، تقدَّمت ترجمة أخيه الشيخ أحمد ، وكان هذا عالماً فاضلاً نحريراً كاملاً ، ولد بدمشق وأخذ عن والده وعن الشيخ خليل الكاملي والشيخ محمد الكزبري ، والشيخ شاكر العقاد ، والشيخ علي الشمعة ، ومُلاَّ علي السويدي والشيخ عبد الحليم شيخ المحيا ، كما ذكرهم بخطه في إجازته للسيد قاسم دقاق

الدودة ، وأجاز كأخيه أهل عصره ومن يولد لهم!! وكانت وفاته في أواسط هذا القرن رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح أياس

صالح بن إسماعيل بن محمد بن سليمان أياس الدمشقي الحنفي ، الشيخ العالم الكامل ، ولد سنة ثمان وثمانين ومئة وألف ، وقرأ على الشمس محمد الكزبري والشهاب أحمد العطار ، والشيخ شاكر العقاد ، والشيخ عبد الغني السقطي ، كما ذكر ذلك في إجازته للسيد قاسم دقاق الدودة السابق ذكره .

قلت : وترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : ولد بدمشق سنة ١١٧٩ ، وأخذ عن الشيوخ الأجلاء ، وولي الخطابة في جامع قلعة دمشق المنسوب لأبي الدرداء ، حينما كانت مسكناً لبعض الدمشقيين ، ثم انتقل من القلعة إلى محلة الشاغور ، وتصدر لإفادة الطالبين ، وولي أمانة الفتوى بدمشق ، أيام مفتيها المولى أسعد أفندي البكري الصديقي ، ولم تطل مدته حتى توفي سنة إحدى وخمسين ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون قرب مقبرة بني السقطي رحمه الله تعالى والمسلمين أجمعين .

الشيخ صالح الدسوقي

ترجمه قريبه أستاذنا العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه قال : هو صالح بن محمد بن محمد الدسوقي شهرةً ونسباً ، الحسيني الدمشقي الشافعي . ولد في أوائل سنة مئتين وألف بدمشق ، ونشأ بها في كنف والده ، وأخذ عنه وعن الشمس الكزبري ، وولده الشيخ عبد الرحمن ، وعن الشيخ حسين المدرِّس وعن الشيخ مصطفى الكردي ، وعن الشيخ خالد النقشبندي نزيل دمشق وغيرهم ، وتفوَّق واشتهر في دمشق اشتهاراً بليغاً ، وتفرَّد في المعقول والمنقول ، وفي سنة ١٢٣٩ أُفرغت عليه إمامة الشافعية في جامع السنانية ، فأمَّ به وأحيا دروسه ، وكان مهيباً وقوراً معتقداً كسلفه ، أخذ عنه جمعٌ غفير .

وكانت وفاته في مكة حاجّاً سنة ستٍّ وأربعين ومئتين وألف .

ومن مؤلفاته رسالة سماها« كشف الغُمَّة ، في الرد على من حرّم التهاليل على الأُمَّة » ، ومنها « ديوان خُطَب » و« مولد » ، ووُجد بخطه حواشٍ على كثيرٍ من الكتب المتداولة ، مما يدلُّ على طول باعه وسعَة اطلاعه ، وهو آخرُ بيت الدسوقي في دمشق ، وبه انقرضوا بعد أن كان لهذا البيت شهرةٌ كبرى برجاله الشرفاء وبنيه الفضلاء . رحمهم الله تعالى ، انتهى .

قلت : « كشف الغمة » هي رسالةٌ في عشرين ورقة ألفها المترجَم سنة ١٢٣٢ ، وقد رأيتُها بخطه وعليها تقاريظ شيخيه الكزبري والكردي ، والشيخ صالح الزجاج ، ثم الشيخ داود البغدادي النقشبندي ، ثم العلامة الحمزاوي مفتي دمشق ، أيّد المترجَم فيها القولَ بجوازِ أخذِ الأُجرة أو الجُعالة على سائر العبادات البدنية رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح السفرجلاني

صالح بن محمد بن عبد الرزاق السفرجلاني الشافعي الدمشقي ، شيخ الطريقة الخَلْوَتية السفرجلانية بدمشق وابن شيوخها ، الشيخ العالم الصوفي المعمَّر ، المُسْلِك المربي ، المرشد الكامل ، العارف الواصل ، الأستاذ الأوحد . ولد بدمشق في حدود سنة ثلاثين ومئة وألف ، وتوفي والده محمد وهو صغير ، ثم توفي جدُّه الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق وسنُّه يومئذ دون العشر ، فوجهت المشيخة إلى المترجَم ، ونُصِّب قَيِّماً عليه الشيخ أحمد أبو الفتح من مريدي جدِّه المذكور ، ثم تولى المترجَم المشيخة بنفسه ووجهت إليه ببراءةٍ سلطانية في سنة ١١٩٦ ، وصار يحضر حلقة الذكر في المشهد المعروف بمشهد السفرجلاني في الجامع الأموي ، وكان معتقداً أخذ عنه الطريق من لا يحصى ، واتفق أهل عصره على بركته وولايته ، حتى أخذ عنه الشيخ محمد أبو شعر وشعير الشهير .

ولم يَزَلْ على حالته الحسنة وطريقته المستحسنة ، إلى أن توفي في حدود سنة أربعين ومئتين وألف عن مئة وأربعة عشر عاماً ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ،

ولم يُعقِب سوى بنتٍ واحدة ، عاشت مئة وعشر سنوات ، وكان له دارٌ حسنة عند بني السعدي في محلَّة القيمرية بدمشق رحمه الله تعالى ، آمين .

الشيخ صالح السَّقَطي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه ، وبعضُ المؤرخين في مجموعه ، قالا ما خلاصته : هو صالح بن عبد الغني بن عبد القادر الدمشقي الصالحي الشافعي الشهير بالسقطي ، الشاب النجيب والفاضل الكامل ، ولد بدمشق سنة اثنتي عشرة ومئتين وألف ، وأخذ عن والده ، وعن العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ أحمد بيبرس ، وولي خطابة جامع الحنابلة ، ثم خطابة جامع السليمية في صالحية دمشق .

وتوفي سنة خمس وأربعين ومئتين وألف (أو سنة ١٢٤٢) في حياة والده ودفن في سفح قاسيون رحمه الله انتهى .

قلت : وقد أعقب المترجَم ولده السيد إسماعيل والد السيد عبد الوهاب والسيد رضا الموجودين الآن (سنة ١٣٢٥) وستأتي ترجمة أبيه وجدِّه في حرفهما إن شاء الله .

الشيخ صالح شمس

ذكره بعض المؤرخين في مجموع وضعه في زيارات دمشق قال : هو صالح بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشافعي الشهير بابن شمس ، الشيخ العالم المحقق الفاضل ، الأوحد الأمجد ، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلهم له انتفاعاً والده العلامة الشيخ يوسف ، ثم إنه درس وأفاد وتصدَّر لنفع العباد .

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومئتين وألف ، ودُفن بمقبرة الشيخ رسلان رحمه الله تعالى ، انتهى بتصرف .

قلت : وترجمه العلامة البيطار بنحو ما ذُكر ، وستأتي ترجمة والده في محلِّه إن شاء الله تعالى .

الشيخ صالح العش

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو صالح بن يوسف الدمشقي الحنفي الشهير بالعش ، الشيخ الصالح العابد ، أخذ الطريقة الشاذلية عن القطب الشهير السيد محمد الفاسي المكي ، بعد أن أخذ الطريقة الخَلْوَتية عن الشيخ محمد المهدي نزيل دمشق ، وكان من أهل العلم والصلاح لطيفاً حسَنَ المعاشرة ، له معرفة بالموسيقى ، وتقسيم الأنغام ، ومحفوظات حسنة من كلام القوم ، وكان محبوباً عند الناس ، فقيراً قنوعاً عفيفاً متواضعاً ، كثير الزيارة لمشاهد الأنبياء والأولياء ، كثير التردُّد والتودُّد للإخوان .

مات بدمشق في اليوم العشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومئتين وألف ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير عند مقام سيدنا بلال الحبشي رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح القَزَّاز

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وبعض المؤرخين في زياراته بما خلاصته : هو صالح بن محمد بن صالح الشهير بالقزَّاز (أو الزجَّاج) الدمشقي الشافعي ، الشيخ الإمام العلامة الفاضل الفقيه الكامل الناسك العابد . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ علي السليمي ، وأبو الفتح العجلوني وغيرهم ، وكان كاتباً جميلَ الخط سريع القلم ، وقد أخذ عنه جمٌّ غفير وانتفع به خلقٌ كثير .

وكانت وفاته سنة أربعين ومئتين وألف ، ودفن في التربة الشمالية من مقبرة الباب الصغير قريباً من سيدنا أوس ، وقبره مشهور يزار انتهى .

قلت : وممن أخذ عن المترجَم وانتفع به العلاّمة السيد محمد عابدين ، رأيت له إجازةً منه ذكرها في ثبَته مؤرخةً في سنة ١٢٢٤ ، ومن مؤلفات المترجَم « ديوان خطب » لم نزل نخطُب منه في مدرستنا البادرائية ، وقد أعقب صاحب الترجمة ولده الفاضل الشيخ عبد الغني القزاز جد جدي الشيخ محمد الشطي لأمه ،

وأعقب ولده المذكور ولديه الشيخ عبد الله والشيخ عبد الرحمن المتوفيين في حدود الثلاثمئة والألف رحمهم الله تعالى والمسلمين أجمعين .

الشيخ صالح الكردي

ترجمه المؤرخان المذكوران في كتابيهما المسطورين بما خلاصته : هو صالح بن حيدر الكردي الأصل والشهرة الأشكتي الشافعي ، ولد بدمشق سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف ، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن الكردي والشيخ محمد العاني ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ علي الطاغستاني ، والشيخ علي كزبر الدمشقيين ، والحفني والملوي المصريين ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشهاب الأيوبي الرحمتي ، وأخذ عن غيرهم ، وبرع في التصوف والحقائق وأكثر العلوم .

وكانت وفاته سنة ثمان عشرة ومئتين وألف رحمه الله تعالى انتهى .

قلت : وهو والد الشيخ عبد الله الكردي الحيدري الآتية ترجمته في حرفه إن شاء الله .

الشيخ صالح الكفيري

ذكره سيدي العم مراد أفندي الشطِّي في مسوَّدَة طبقات الحنابلة قال : هو صالح بن إبراهيم بن عبد الله الكفيري الحنبلي الدمشقي ، الفقيه الصالح التقي . أخذ الفقه عن والده ، وكان هو متقشِّفاً ملازماً للعبادة والطاعات ، حافظاً للقرآن المجيد ، فقيراً صابراً ، وكان يستخير للناس ، فتأتي استخارتُه مثل فلَقِ الصبح ، مع بيان ما أضمره المستخير ؛ وكيفيتها أن ينام على شقه الأيمن ووجهه إلى القبلة ، ويتلو وهو مضطجع سورة الفاتحة إحدى عشرة مرة إن كان على وضوء ، واثنتي عشرة مرة إن لم يكن متوضئاً ،ثم يقول بعد التلاوة : أقسم بالله عليكم ياخدام هذه السورة الشريفة أن تروني في منامي هذا الأمر هل هو خير أم شر ، ثم

ينوي ما يريد[1] . . وقد ظهرت للمترجَم كرامات ، وكان يلازم دروس العلامة الشيخ سليم العطار ، ويقرأ له العشر في درسي التكية السليمانية والجامع الأموي ، وكانت وفاته في حدود سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف . انتهى . وقد تقدمت ترجمة والده رحمهما الله تعالى وإيانا آمين .

السيد صالح الكيلاني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو السيد صالح بن السيد محمد بن السيد صالح الكيلاني الدمشقي . ولد سنة ثمان ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده على العلم والعبادة ، وقد كان من أعيان دمشق ، مات سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير انتهى .

قلت : وتولى المترجَم النيابات في محاكم دمشق الشرعية ، كما رأيته في بعض الحجج والسجلات ، وهو والد السيد سليم أفندي المتوفى سنة ١٣٠١ عن ولديه عبد القادر أفندي المتوفى سنة ١٣١٩ وعلي أفندي المتوفى سنة ١٣٤٠ ، رحمهم الله تعالى ، وستأتي ترجمة والد المترجَم في حرفه إن شاء الله تعالى .

الشيخ صالح المغربي السمعوني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو صالح بن أحمد بن

---

(١) الاستخارة المشروعة هي التي رواها جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم يقول :اللهم إني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدِرُ ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إنْ كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاقدُرْهُ لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفْهُ عني ، واصرفْني عنه ، واقدُرْ ليَ الخيرَ حيث كان ثم رضِّني به ويسمي حاجته » . أخرجه البخاري في صحيحه١١/١٥٧ ، ١٥٨ في الدعوات .

موسى بن أبي القاسم المغربي السمعوني المالكي الخَلْوَتي نزيل دمشق ، العلم الفرد في العلوم والمعارف ، كان صالحاً تقياً زاهداً قنوعاً ، ولد في جزيرة وغليس من أعمال الجزائر الغربية سنة أربعين ومئتين وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، وجدَّ في تحصيل العلوم النقلية والعقلية ، ثم لما استولتِ الدولة الفرنسية على الجزائر ، وتعطلت فيها المساجد والمنابر ، هاجر المترجَم إلى دمشق الشام سنة ١٢٦٤ ، فاستقام بها وحضر على أجلّة علمائها ، حتى صار معدوداً من فضلائها ، وألَّف مؤلفات ، منها « تاريخ » على طريق الرمز والإشارة بأسلوب عجيب وطريق غريب ، وصل فيه إلى ذكر ولاية رشدي باشا الشرواني على الشام ، وما زال على حالته الحسنى إلى أن توفي .

وكانت وفاته لثلاثٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومئتين وألف ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من قبر الشمس محمد الكزبري انتهى .

قلت : وأخبرني ولد صاحب الترجمة العلامة الشيخ طاهر أفندي ، أن لوالده المذكور مؤلفات منها « منظومة في الفقه » وشرح لها وحاشية عليها ، ورسالة في اختلاف المذاهب ، ورسائل في علم الميقات على نهج السوسي من المغاربة ، ورسائل أخرى ، وأنه توفي وهو بين الأربعين والخمسين من العمر . وذكر بعض المؤرخين أن المترجَم كان مفتي المالكية بدمشق ، وأنه كان يعيد درس البخاري للشيخ أحمد مسلم الكزبري تحت قبة النسر رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح اليافي

قال عنه الأستاذ البيطار في تاريخه : كان إماماً بارعاً وعابداً زاهداً ، شافعيَّ المذهب خلوتي المشرب ، اشتغل بالإرشاد وربّى المريدين وأفاد ، وله مؤلفاتٌ عديدة ، منها « مختصر التفسير » ومنها « الحكم في كلام القوم » . وكان من المجاورين في المدرسة البادرائية بدمشق .

توفي سنة خمسين ومئتين وألف ، ودُفن في مرج الدحداح وقبره معروف رحمه الله تعالى .

الشيخ صادق العمري

صادق بن سعدي بن محمد كمال بن عمر بن عبد اللطيف العمري الحنفي الدمشقي ، تقدَّمت ترجمةُ والده العلامة الشيخ سعدي ، وكان ولده المترجَم عالماً فاضلاً فقيهاً فرضياً حاسباً ، ولد بدمشق سنة ست وثلاثين ومئتين وألف ، ونشأ بها في حجر والده المذكور ، وطلب العلم فأخذ الفقه عنه وعن الشيخ هاشم التاجي ، والشيخ عبد الله الحلبي ، والفرائض ، والحساب عن الجد الكبير الشيخ حسن الشطي ، ونبل قدره وصار رئيس الكتاب في محكمة العونية ، ثم في محكمة البزورية من محاكم دمشق ، واستمر في الثانية إلى أن توفي ، وبالجملة فقد كان من الأفاضل الأمجاد المقتدين بالآباء والأجداد .

وكانت وفاته يوم الخميس ، ودفن يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومئتين وألف ، وكان دفنه في قبر والده وجده ووالد جده وجد جده المذكورين ، وذلك في مقبرة الدحداح رحمهم الله تعالى .



حرف الطاء

الشيخ طه الكردي

ترجمه صاحب المجموع التاريخي المكرَّر ذكره فقال : هو طه بن يحيى بن سليمان بن محمد الكردي العراقي الشافعي . ولد سنة ست وثلاثين ومئة وألف ، وأخذ عن السيد علي بن مصطفى الحريري ، والشيخ علي كزبر ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن الكردي ، والدرويش مصطفى البلباسي وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومئتين وألف . انتهى .

قلت : وقد كان المترجَم من أكابر الطريقة القادرية بدمشق ، أخذ عنه الشيخ حامد العطار رحمه الله تعالى .

الشيخ طه العطار

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو طه بن الشهاب أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي . ولد بدمشق وطلب العلم مع الزهد والتقوى ، وكان ملازماً للطريق والأذكار وقراءة القرآن قوالاً بالحق نطوقاً بالصدق ، لين الجانب له في حلِّ المشكلات فكرٌ ثاقب ، قليل الاختلاط بالناس ، متحلِّياً بالورع ، متخلياً عن الطمع .

مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح انتهى .

قلت : وأعقب المترجَم ولديه العلامة الشيخ عمر العطار المتوفى سنة ١٣٠٨ ، والفاضل الكامل الشيخ رشيد العطار قاضي عجلون المتوفى سنة ١٣١٨ ، رحمهم الله تعالى .

طاهر أفندي المغنيسي

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين نقيب الأشراف بدمشق سابقاً في تاريخه . قال ما خلاصته : هو طاهر بن إسماعيل العليمي نسباً المغنيسوي أصلاً ، الدمشقي مولداً وموطناً ، الحنفي مذهباً ، النقشبندي طريقة ومشرباً ، دُرَّةُ تاج الفضلاء وواسطة عقد النبلاء ، سليل بيت العلم والشرف . كان إماماً وخطيباً بجامع يلبغا بدمشق ، أخذ العلم عن علماء عصره ، ومنهم العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وكتب له إجازة بخطه وختمه وأثنى عليه .

وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف ؟ رحمه الله تعالى انتهى .

قلت : لعلَّ وفاته سنة ١٢٧١ ، إذ توفي الكزبري سنة ١٢٦٢ ، والمترجَم هو جدُّ سميِّه الوجيه طاهر أفندي متولي الجامع المذكور المتوفى بهذه السنة ١٣٦٣ .



حرف الظاء

الشيخ ظبيان الكيلاني

ترجمه لنا حفيدُه الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي ظبيان قال مامختصره : هو العالم الفاضل والمرشد الكامل ، صاحب الكرامات الظاهرة ، الشيخ محمد ظبيان ابن الشيخ يوسف بن عبد العال بن محمد بن محمد ابن ولي الله الشيخ محمود الكيلاني دفين قرية جيرود ، وينتهي نسبه إلى سلطان العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه . ولد المترجَم سنة أربع ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، وقد أدخله والده المذكور في أحد الكتاتيب القرآنية ، فتعلم القرآن الكريم ، وأصول الكتابة والقراءة ، ثم أدخله في مدرسة الملا عثمان الكردي ، فقرأ فيها الفنون الأدبية والعلوم الشرعية ، من فقه وحديث وتفسير ، وحضر دروس كثير من علماء دمشق ، كالمحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبرْي ، والفقيه الشيخ عبد الرحمن الطيبي وغيرهما . ولما حضر إلى دمشق العلامة التقي السيد علي أفندي الكيلاني شيخ الطريقة القادرية بحماه ، أخذ المترجَم عنه الطريقة المذكورة ، ولقنه الذكر ، وأدخله في الخلوة ، وبعد أن خرج منها كتب له إجازة بنشر الطريقة وإرشاد الخليقة ، فقام بأعبائها خير قيام ، والتفَّ حوله كثيرٌ من الأنام ، يسترشدون بإرشاداته ، ويلتمسون صالحَ دعواته ، وكانوا يراجعونه للاستشفاء فيرقيهم بآيات من القرآن الكريم ، ويحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى .

وقد اشتهرت كراماته في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ، ولولا خوف الإطالة لسردنا شيئاً منها . . . وكان مهيب الطلعة جَهْوَرِيَّ الصوت شجاعاً صريحاً في نصحه ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، وكان يزوره الكثير من الولاة والمشيرين والحكام ، فينصحهم ويأمرهم بالعدل والرحمة ، وربما أغلظ لهم في القول .

وكان سخياً كريماً ، يعطف على الفقراء والمساكين .

وما زال على هذا الحال حتى توفاه الله تعالى في اليوم العاشر من رجب سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في تربته الخاصة في مقبرة باب الله (أو باب مصر) ظاهر دمشق رحمه الله تعالى رحمة واسعة انتهى .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال : كان له أطوار غريبة وأحوال عجيبة ، وكان تقصِده الرجال والنساء من كلٍّ جانب ، هذا يسأله عن تجارته ، وهذا عن زوجته ، وهذا عن سفره ، وهذا عن شراكته ، وكلٌّ واحدة من النساء تسأله عن شيء مخصوص ، وهوتارة يجيب السائل بلسان مفهوم ، وتارة يتكلم بكلام غير معلوم . وكان يرد عليه من المال مبلغ عظيم ، ومن الهدايا مقدار جسيم ، وما زال يعلو مقامه ، ويعظم احترامه ، وتقصده الوزراء ، والوجوه والكبراء ، إلى أن توفي تغمده الله برحمته .

الشيخ ظاهر باطن

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ماخلاصته : هو أحد المجاذيب في صالحية دمشق ، كان ذا مروءة ظاهرة ، وشهامة باهرة ، وأحوال عجيبة ، وأمور غريبة ، وكان مشهوراً بالكرامات ، وخوارق العادات ، حسن المعاشرة ، جميل المذاكرة ، مع أن طور الجذب يغلب عليه ، والناس من كلٍّ فجٍّ تأتي إليه ، وكان مقصوداً في طلب الدعوات ، لتيسير الحاجات ، وهو من التغلبية الذين لهم في الشام شهرة قوية .

مات في سنة نيف وتسعين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .



حرف العين

الشيخ عبد الجليل النابلسي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو عبد الجليل بن مصطفى بن إسماعيل بن الأستاذ العارف الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي ، ولد سنة أربع وثمانين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده ، فكان في العلم آية ، وفي الآداب غاية ، مع تقوى وعبادة ، وعفَّة وصيانة ، وفضيلة مشهورة ، ومنزلة مرفوعة ، ومحاضرات غريبة ، ومذاكرات عجيبة ، يرى العزلة عن الناس أسلم ، والاشتغال بمجاهدة النفس أحسن وأحكم ، ولم يزل على هذه الحالة الفاخرة ، إلى أن دعاه الداعي إلى الآخرة ، وذلك نهار الخميس أواخر شعبان سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف رحمه الله تعالى انتهى .

قلت : وهو والد العالم الصالح الشيخ عبد الغني المتوفى في حدود سنة ١٣٢٠ وهذا هو والد الفاضل الشيخ محمد النابلسي الموجود الآن (١٣٦٣) رحم الله السلف وبارك في الخلف آمين .

الشيخ عبد الحليم العجلوني

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو عبد الحليم بن مصطفى بن محمد ابن خليل العجلوني ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ المحيا العجلوني بدمشق ، الإمام الهمام ، بركة أهل الشام ، مفيد الطالبين ، مربي المريدين ، كان حسنَ التقرير قويَّ الحافظة ، كثير الطاعة ، سليمَ الصدر ، مواظباً على الذكر . ولد بدمشق الشام في ثامن شوال سنة خمسين ومئة وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، كعمه العلامة أبي الفتح العجلوني ، والشيخ أحمد البعلي ، والشيخ علي الداغستاني ، والشيخ مصطفى اللقيمي ، والشيخ أسعد المجلد ، وأخذ بمصر

عن الشيخ المَلَوِي ، والشيخ الحفني ، والشيخ الأجهوري ، والشيخ محمد الشاويش ، والشيخ عبد الرحمن العيدروس ، وأجازوه جميعاً الإجازة العامة ، وأخذ طريق المحيا السواري عن الشيخ عبد الوهاب سوار ، والشيخ عيسى الشبراوي ، والشهاب أحمد بن العارف عبد الوهاب الشعراوي ، والسيد محمد مرتضى الزبيدي ، وكتب له إجازة بخطه ، وأخذ عن غيرهم ، ومات المترجَم بدمشق سنة سبع عشرة ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير ، أعلى الله درجته آمين .

السيد عبد الحليم اللوجي

عبد الحليم بن أحمد بن عبد الرحيم الشهير باللوجي الدمشقي ، الفاضل الألمعي الأديب اللَّوذعي ، الكاتب الشاعر الناظم الناثر ، ولد بدمشق في حدود سنة ستين ومئة وألف ، وأخذ عن جماعةٍ من علماء عصره ، كالشيخ عمر البغدادي ومن في طبقته ، ونوَّه بفضله كلٌّ من العالمين الأديبين المولى خليل أفندي المرادي في تاريخه ، والسيد كمال الدين الغزي في « تذكرته » ، وذكرا له من الشعر الحسن عدة قصائد ومقاطيع ، مما دلَّ على تبريزه في علم الأدب ، وهو كاتب تاريخِ المرادي ومكمِّله بعد وفاته ، كما ذكر ذلك في خاتمته ، ومن نظمه قوله مضمناً :

لما دنا الآسي ليفصد منيتي ... وأبى الخروجَ دماءُ ذاك المعصمِ
ناديتُه مَهْ يا طبيب فإنه ... من عادة الكافور إمساكُ الدمَ

وقوله في مليحة عرجاء :

تبدَّتْ تميسُ كعودِ القنا ... وكلُّ الغصونِ لها ساجدَهْ
وفي مشيها قَزَلٌ لم يشنْ ... لجمِّ محاسنها الزائدَهْ
فقلتُ أيا من على حبها ... كنوزُ اصطباري غدت نافِدَهْ
لماذا التعارج يامُنْيَتي ... فقالت وأنفاسُها صاعدَهْ
خصَصْتُكَ بالحبِّ دون السِّوَى ... فَمِيلي إلى جهةٍ واحدَهْ

وقوله :

عرَقُ الوجهِ كلَّلَ العارضَ الغضَّ ـــ ففيه خالفتُ حكم القياس
إذْ قضى ناظِرِيْ على أنَّ ماء الْـ ـــ آس أحلى من ماء حَبِّ الآسِ

ورأيت بخط الغزي المقدَّم ذكره في الجزء الثاني من « تذكرته الكمالية » قوله :

من عجيب الاتفاق أنه في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٤ ، رأى في المنام سيدنا ومولانا العالم العلامة والنحرير الفهامة ، شيخ الإسلام مبين الحلال من الحرام ، المولى أبو الفضل خليل أفندي ، ابن شيخ الإسلام المولى الشريف علي أفندي المرادي الحسيني مفتي دمشق حالاً ، رجلاً من الخواجكان بقسطنطينية ، يقول له ﴿ أليس لي ملك مصر ﴾ [الزخرف :٥١] فاستيقظ المولى المزبور ، دام محروساً على ممرِّ العصور ، وضمن هذه الآية الشريفة في سبعة أبيات ، وطلب من شعراء دمشق تضمينها ، فضمنوها امتثالاً لأمره ، فقال هو حرسه الله تعالى :

أفديه مصريَّ أصلٍ ـــ حاز الملاحةَ طُرًّا
ناديتُهُ يا مراديَ ـــ لم أستطعْ عنك صَبْرًا
وأنت يوسفُ حسنٍ ـــ ياقاهري زدتَ هَجْرا
فقال دع عنك هذاَ ـــ أنا بحالك أدرى
ولا تنالُ وصالي ـــ لو متَّ صبراً وقَهْراَ
سلطان حسن عزيز ـــ أنا وقد فقتُ كسرى
والملك عذرٌ عظيمٌ ـــ (أليس لي ملك مصرا)

قال الغزي : وقلت مضمناً الآية المذكورة :

ظبيٌ لدمعيَ أجرى ـــ دماً ليكسب أجْرًا
وصدَّ عني عجباً ـــ أضاق مني صَدْرا
عزيزُ حسنٍ غزير ـــ يهتزُّ سُكراً وكسرا
لما على الغَضْبِ أضحى ـــ لِمصر قلبي مِصرا

نـاديـتُ صِلْنـي فـروحـي	إليـك قـد سقـت مَهْـرَا
فقـال سلطـانُ حسنـي	يـأبـى التـوصُّـل جَهْـرَا
وحـال قهـري جليٌّ	(أليـس لي ملـك مِصْرا)

وقال صاحبنا الأديب أبو الأمداد عبد الحليم بن أحمد اللوجي (يعني صاحب الترجمة) :

رددتَ طـرفَـك نحـوي	سبحـان مـن بـك أَسْرَى
يـامـن أطـال بِعـادي	وزِنْـدَ شـوقـيَ أوْرَى
ورام تعـذيـبَ قلبـي	ليقضيَ الله أمْـرَا
إنْ غـابَ شخصُـكَ عنـي	فـرُسْـل ذكـراكَ تَتْرَى
أو طـار طيفُـك أضحـى الـ	ـخيـالُ منـيَ وكْـرَا
ملكـت مِصْـرَ خيـالي	عـزيـز طـرفـك قَسْرا
فـارفُـقْ بـه قـال دعنـي	(أليـس لي ملـك مصرا)

ثم ذكر الغزي بعد ذلك عشرين تضميناً لأشياخه وأصحابه من علماء دمشق وأدبائها ، منهم العالم مجد الدين علي بن حسين أفندي المرادي ، والمولى أبو العباس هبة الله بن محمد التاجي الدمشقي ، والفاضل أبو المواهب السيد عبد الغني الغزي ، والمولى الشهاب أحمد بن إسماعيل المنيني العثماني ، والأديب بدر الدين حسن بن أحمد الأسطواني ، ومهذب الدين سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي ، والشريف شاكر بن علي بن سعد السالمي العمري ، والأديب علاء الدين علي بن محمد الشمعة ، والكامل جمال الدين يوسف بن أحمد شمس ، والبارع أبو حفص نجم الدين عمر بن عبد اللطيف العمري ، وأخوه العالم حسين بن عبد اللطيف العمري ، وابن أخيهما الفاضل عبد الجليل بن أحمد العمري ، وأبو الإسعاد محمد بن علي القونوي ، وعلي حسيب الدين بن محمد العطار ، والأديب المولى مصطفى أفندي ابن المولى حسين أفندي المرادي ، والمعمَّر مصطفى بن عبد الرحيم اللوجي ، وأبو الربيع سليمان بن خالد القادري ، والعالم الأديب خليل بن مصطفى الرومي الدمشقي ، والفاضل محمد بن

عبد الرحمن الكفرسوسي الشافعي ، والأديب البارع أبو محمد الصحاف الحلبي انتهى .

قلت : ولعل أحسن هذه التضامين هو تضمين الرومي المذكور حيث قال :

أبرزتِ يامصر بَدْرَا ... أسنى من الشمس قَدْرَا
يسبي الأنامَ بطرفٍ ... يفوقُ بابلَ سِحْرا
أقسى من الصَّخْر قلباً ... وأنحلُ الناس خَصرا
يرمي الحشا بسهام ... من اللواحظ تَتْرى
يريك في الثغر منه ... دُرّاً نضيداً وخمرا
ناديتُ والشوقُ مني ... أذكى بقلبيَ جَمْرا
والجفن قاضٍ بدمعي ... وصار يقذِف دُرَّا
يا ساحر الطرف مهلاً ... فتَنْتَ بالسحر مِصرا
بأيِّ ذنبٍ تركتَ الـ ... ـمحبَّ ينحَبُ دَهْرا
ماذا يضرُّك لو كنْـ ... ـتَ بالمحبين بَرّا
ملكتَ رِقَّ الموالي ... بأرض مصرك قَهْرا
وصرتَ تُدعى مليكاً ... بمصر بَرّاً وبحرا
ياسالبَ الغصنِ قدّاً ... والروضِ طيباً ونَشْرا
عبيدُ حسنِكَ ماتوا ... في الحبِّ صَدّاً وهَجْرا
لم ينقضوا لك عهداً ... ولا عصَوْا لك أمْرا
إكشِفْ حجابَكَ عنهم ... وامنحْهُمُ منك بِشْرا
واسمحْ بعاجلِ بِرٍّ ... تغنمْ بذلك أَجرا
يكفيك هذا التمادي ... فالشوقُ لم يُبْقِ صَبْرا
فازورَّ وامتازَ غيظاً ... وتاه عُجْباً وكِبرا
وقال دعني وشأني ... (أليس لي ملك مصرا)

(عود) ويقال : إنَّ المترجَم اللوجي جمع تاريخاً ذكر فيه الحوادث المشهورة إلى زمانه ، وديوان شعر وغير ذلك ، وبالجملة فقد كان من نوابغ عصره في فنون

الأدب .

وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف ، ولم يُعقب ولداً ذكراً وإنما كان له أخ هو السيد حسين والد السيد محمد والد الأخوين السيد أحمد والسيد عبد العزيز الموجودين الآن (سنة ١٣٢٤) رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن الكزبري

هو مسند الشام ، وشيخ علمائها الأعلام ، الأستاذ الذي لم يأت الدهر بمثاله ، والملاذ الذي لم ينسُجْ أحدٌ على منواله ، الشيخ الإمام العلامة ،والحبر البحر الفهَّامة ، محدِّث الديار الشامية وابن محدِّثها ، وعالمها وابن عالمها ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين الكزبري الشافعي الدمشقي .

ذكر في ثبته المعروف أنه ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وثمانين ومئة وألف ، واشتغل بالعلم فأخذ عن شيوخٍ أجلاء ، منهم والده الشمس محمد الكزبري ، وكان جميع انتفاعه منه ، وغالب مروياته عنه ، حضر دروسه في داره وفي المدرسة السليمانية ، وتحت قبة النسر وبين العشاءين في الجامع الأموي ، وأخذ عن الشهاب أحمد بن عبيد العطار ، وحضر دروسه العامة في السليمانية وأجازه كلاهما مراراً ، وأخذ عن صفي الدين خليل بن عبد السلام الكاملي ، وبدر الدين محمد بن أحمد المقدسي البديري ، والعلامة الشيخ مصطفى الرحمتي الأيوبي ، ومسند المدينة شهاب الدين أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمل الليل ، والسيد نور الدين علي بن عبد الله الونائي الأزهري ثم المدني ، وعلم الدين الشيخ صالح الفلاني ثم المدني ، والشيخ عبد الملك بن عبد المنعم بن تاج الدين المفتي هو وأبوه وجده بمكة ، وزين الدين عبد الغني هلال مفتي الشافعية بمكة ، والإخوة الثلاثة محمد وطاهر وعباس أولاد المحدث سعيد سنبل ، وزين العابدين بن علوي جمل الليل ، والشيخ الأمير إبراهيم الصنعاني اليمني ثم المكي ، والشيخ عبد اللطيف الزمزمي . وذكر صاحب الترجمة أنه راسله بالإجازة

من مكة الشيخ حسين ابن مفتي المالكية ، والشيخ محب الله الهندي ، ثم المكي ، والشيخ عبد القادر الصديقي ،والشيخ محمد بن عمر الخطيب والإمام بالبلد الحرام ، والشيخ أحمد رشيد صهر الرحمتي ، والشيخ عبد الرحمن الدياربكرلي الأصل ثم المكي ، والشيخ أبو بكر اليماني ثم المكي ، والشيخ أحمد بن حسن بن حماد ، والشيخ قاسم بن علي المغربي التونسي ، وأنه كتب يجيزه من بغداد الشيخ عبد الرحمن القاري ، ومن مصر الشهاب أحمد العروسي ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشمس محمد الأمير المالكي ، والشيخ عبد الرحمن المقرئ النحلاوي ، والشيخ محمد الشنواني ، والشيخ علي الخياط ، والشيخ محمد الشهير بثعيلب ، والشيخ محمد السقاط ، والشيخ عبد الوهاب النجاتي ، والشيخ حسن البقلي ، والشيخ مصطفى العقباوي ، ومن حلب الشيخ إبراهيم الدرعزاني ، ومن بيروت الشيخ أحمد البربير . وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد الكردي ، والشيخ عبد الله بن محمد الراوي البغدادي حين قدما دمشق . وأجازه الشيخ إسماعيل المواهبي الحلبي لما قدم دمشق حاجاً ، والحافظ عبد الله بن محمد العقاد لما قدمها سنة ١٢٠٨ ، وأجازه كلٌّ من الشيخ يونس الخليلي الغزالي المقدسي ، والملا عثمان الكردي ، والعارف تقي الدين محمد الشاذلي الشهير بأبي شعر وشعير ، وخاله شهاب الدين حمد بن عبد الله البعلي ، واجتمع في سنة ١٢٥٨ بالسيد الشريف عبد الله بن عمر العلوي ، فأجاز كلٌّ منهما الآخر - وسمع من الجميع حديث الرحمة بأولية حقيقية إلا والده الشمس الكزبري والشهاب العطار فبأولية نسبية وكلهم أجازوه لفظاً وكتابةً .

هذا ما ذكره صاحب الترجمة في ثبَته المعروف ، ولما توفي والده المنوّه به سنة ١٢٢١ جلس في مكانه للتدريس والإفادة ، وولي تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، وترددت إليه الخلائق أفواجاً أفواجاً ، وسلكت إليه الناس سبلاً فجاجاً ، وصار شيخ الشام وبركة الخاص والعام ، أخذ عنه من لايحصى ، وانتفع به من لا يستقصى ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن الأمة الإسلامية خيراً كثيراً .

وقد حج المترجَم مع والده سنة ١٢١٠ ثم حج مرة ثانية سنة ١٢٦٢ فتوفي بمكة

في الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ودفن بالمعلى وقبره مشهور يزار ويتبرك به .

وقد أصيب المترجَم في حياته بوفاة ولده الشيخ محمد الكزبري ، وكان هذا شاباً ذكياً فاضلاً متفوقاً ، أخذ عن والده ، وأعاد له الدرس تحت القبة وأخذ عن غيره ، وكانت وفاته في غرة ذي الحجة سنة ١٢٤٩ عن أربعين عاماً ، ودفن في مقبرة الباب الصغير قريباً من جده الشمس الكزبري . وقد تولى درس القبة بعد صاحب الترجمة ولده الثاني الشيخ عبد الله الآتية ترجمته إلى أن توفي سنة ١٢٦٥ ، فتولاه الولد الثالث الشيخ أحمد مسلم السابقة ترجمته ، وبقي عليه إلى وفاته سنة ١٢٩٩ ، ثم تولاه بعد هذا ولده الوجيه النبيل الشيخ سليم أفندي ، ولم يزل قائماً به حتى الآن (سنة ١٣٢٣) والدرس المذكور إنما هو بعد عصر كل يوم من الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، فرحم الله السلف ، ووفق بفضله الخلف آمين.

الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي

جمعنا ترجمته من كلام حفيده شيخنا العلامة الشيخ محمد الطيبي مفتي البلاد الحورانية ، وحفيد هذا صديقنا الفاضل عمر أفندي ، فهو أحد شيوخ الشام الأعلام المنتصبين لنفع الخاص والعام ، العلامة الكبير والشافعي الصغير ، بقية السلف وبركة الخلف ، عبد الرحمن بن علي بن مرعي الكناني الشافعي الطيبي مولداً وشهرة ، الدمشقي مسكناً ووفاةً. كان إماماً فقيهاً عالماً عاملاً تقياً صالحاً مباركاً ، ولد في الطيبة من البلاد العجلونية سنة أربع وثمانين ومئة وألف ، وقرأ القرآن الكريم وبعض العلوم على والده وكان والده أزهرياً قرأ على البراوي محشي « المنهج » ومن في طبقته ، واستجاز منهم ثم رجع إلى بلدته المذكورة ، واشتهر علماً وثروة ومات بها . ثم حضر المترجَم إلى دمشق سنة ١٢٠٠ وجاور بالمدرسة المرادية ، تاركاً ما خلَّفه له والده من الثروة لإخوانه ، مختصّاً منها بالكتب التي كانت تنوف على حِملَيْ بعير ، وكان للمدرسة المذكورة عوائد من الوقف يكتفي

منها الطالب ، ثم بعد مدة اتصل بزوجة ، واشترى داراً في محلَّة القيمرية بالقرب من الجامع الأموي ، وقد أخذ الحديث والفقه وبقية العلوم عن الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، والشيخ حسين المدرس العطار ، والشيخ محمد مطر الطيبي العجلوني ، والشيخ محمد أبي جناب الجراحي العجلوني ، والسيد شاكر العقاد مقدم سعد ، والشيخ علي بن محمد الشمعة ، والشيخ يوسف بن أحمد شمس العمري ، ولازمه عدة سنين في جملة فنون ، حتى أجاز له الإقراء والتدريس ، وأخذ عن غير من ذُكر ، وكان معيداً لدروس أشياخه في غالب الأوقات ، واغتنم منهم الاحتفال والالتفات ، حتى إن شيخه الشهاب العطار أذِن له بالفتيا وهو ابن عشرين سنة ،ولقَّبه بالشافعي الصغير ، ونبغ في سائر العلوم المتداولة في ذلك العصر ، وكان صالحاً متواضعاً لا يرى لنفسه فضيلة ما .

ثم إنه تصدر للتدريس والإفادة في محراب الحنابلة من الجامع الأموي ، وفي مدرسة عبد الله باشا العظم ، وأَمَّ الشافعية في الأُموي المذكور ، وانتفع به وتخرَّج عليه خلائق كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى ، وكان هو والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطار طبقةً واحدة في العلم والسن ومشيخة دمشق ، وممن أخذ عنه حفيدُه المشار إليه ، والعلامة النحوي الشيخ عبد الرحمن بيازيد ، والعلامة الورع الشيخ محيي الدين العاني ، والعلامة الشهير الشيخ سليم العطار ، والعلامة الشيخ إبراهيم العطار ، وغيرهم من كبار علماء دمشق وغيرها ، وكان يحفظ الخلافيات عن ظهر قلبه ، ويرجع فيها إلى قوله ، وثبت المترجَم هو ثبت شيخيه العطار والكزبري ومن عاصرهما ، وقد جلَّ أمرُ المترجَم وعظُمت بركته ، فكانتِ الأمراءُ والوزراء يتبركون به ، ويطلبون دعاءه .

ويُحكى عنه كراماتٌ وبساطات ، منها أن رجلاً من قرية التل يتردَّد على الشيخ ، بات ذات ليلة في أرض له يسقيها ، فلما جاءه حظه من الماء أخذه النوم ، فلما استيقظ ورأى أن الماء قد انقطع قال : إلـهي إن هذه الأرض ومالكها تبع الشيخ عبد الرحمن الطيبي فأسألك ببركته أن لا تخيبني فرأى ماءً كثيراً ورَدَ عليه فسقى أرضه منه ثم انقطع الماء .

ولما دعيت علماء الممالك العثمانية إلى حضور الختان السلطاني في الآستانة سنة ١٢٥٣ دعي المترجَم من دمشق ، فخرج هو وحفيده المقدم ذكره ، واجتمع بالمرحوم السلطان عبد المجيد خان مراراً وحصل له من الإكرام مالم يحصل لغيره ، وتذاكر هو والسلطان بشيء من علم التفسير ، فسُرَّ السلطان منه كثيراً ، ثم سأله أن يطلب منه ما يشاء فلم يقبل ، فلما ألحَّ عليه بشيء يطلبه ، قال له : إنَّ جارنا فلان كانت الحكومة منعته من فتح شباك في داره على الطريق ، مع أنه لايمنع شرعاً ، فنظراً لحق الجوار أرجو من أفندينا أن يأمر بعدم معارضة أحد له ، فازدادت مسرورية السلطان منه عندما سمع منه هذا الطلب التافه ، وأصدر أمراً بإجازته .

وكان حسن الإنشاء جميل الخط ، وما زال على حالته الحسنى ، إلى أن توفي مطعوناً في ثاني عشر رمضان سنة أربع وستين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الشيخ رسلان وقبره عند باب المقبرة معروف يتبرك به[1] رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، آمين .

وقد أصيب صاحب الترجمة بوفاة ولده الشيخ علي في حياته وستأتي ترجمته في محله إن شاء الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن بيازيد

عبد الرحمن بن مصطفى بن ناصر بيازيد الشافعي الحلبي ثم الدمشقي ، الشيخ المعمر ، السيد الشريف ، العالم العلامة ، التقي النقي ، سيبويه زمانه ، قدم به والده من حلب وهو طفل سنة ثلاث ومئتين وألف ، فنشأ بدمشق وأخذ عن علمائها ، منهم محمد أفندي الرومي نزيل المدرسة البادرائية ، والشيخ غنام

---

(١) الزيارة الشرعية للقبور تكون بالدعاء للأموات بما صح عنه ﷺ من قوله« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » وتكون تذكرة للزائر بالموت الذي سينزل به ، أما الزيارة للتبرك بصاحب القبر ، فليس له أصل في شريعة الإسلام ، بل هو من صنيع العوام.

النجدي الحنبلي ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي الكبير وغيرهم ، وتصدَّر للإقراء في داره وفي الجامع الأموي ، فأخذ عنه خلق كثير وانتفعوا به ، وقد انفرد المترجَم في عصره بعلم النحو ؛ حتى أخذه عنه أقرانه وكان له حسن تقرير ، ولطف تعبير ، وخصوصاً للمبتدئين .

وما زال على حالته الحسنة إلى أن توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ، وأرَّخ وفاته الجد الشيخ عبد السلام الشطي بأبيات منها قوله :

هـذا ضريـحٌ حلَّـهُ عـلامـة الـوقـتِ الهمـامْ
شيـخُ النحـاة إمـامهـم تقـريـره يشفـي السقـامْ
قـد نـال في تـاريخـه فـوزاً بـه حسـنُ الختـامْ
١٢٩١

ولم يعقب المترجَم سوى بنت واحدة ، ومن أسباطه الفاضل عبد الرحمن أفندي والشيخ فايز أفندي ؛ ولدا الأستاذ الكبير الشيخ محمد عيد السفرجلاني رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الرحمن الحفار

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الحفار الشافعي الدمشقي ، العالم الفاضل ، الفقيه النِّحْرير ، المعتقد المبارك ، كان من العلماء المنوَّه بهم والصلحاء المشار إليهم ، اتفقت الآراء على علمه وفضله وصلاحه وبركته ، ولد بدمشق وأخذ عن علمائها كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار وغيرهما ، فبرع وفضل وتقدم ، وكان يلقي في جامع التوبة بدمشق دروساً خاصة وعامة ، وله في محلته المعروفة بالعقيبه الكلام المسموع ، والجاه المرفوع ، وكان عليه وظيفة شيخ الشعالين بالجامع الأموي ، وحصة من وظيفة الحفارين في مقبرة الدحداح ، وبها لُقِّب ، وهو لم يباشر الوظيفتين بالعمل بل بالإشراف والنظر لقاء معلوم عن كل وظيفة .

وقد أخذ عنه وانتفع به جماعة كثيرون من أجلهم العالم الفقيه الواعظ المبارك

الشيخ سليم المسوتي ، المتوفى بهذه السنة (١٣٢٤) وهو أخصُّ تلامذته ، وممن أخذ عنه عمر أفندي المالكي ، والشيخ إبراهيم العطار ، والشيخ محمود الموقع ، والشيخ سليم توكلنا ، وغيرهم .

وكانت وفاته كما أخبرني الأستاذ الموقع في ثامن عشري رمضان سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، عن خمسة وستين عاماً ، ودفن في مقبرة الدحداح ، ومن أولاد المترجَم الشيخ محمد والد السيد عبد العزيز الموجود الآن ، وقد ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه بنحو ما ذكرناه رحمه الله تعالى.

عبد الرحمن أفندي البوسنه وي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو عبد الرحمن بن الشيخ أحمد المغربي البوسنه وي الحنفي ، المعلم الأول في مدرسة الجقمقية بدمشق ، صاحب المعارف والعلوم ، والسابق في ميدان المنطوق والمفهوم ، كان كثير العبادة ، محترماً موقراً ، حسنَ الأسلوب في التعليم ، قدِم من الآستانه إلى دمشق سنة ١٢٧٧ بوظيفة معلم أول في المدرسة المذكورة ، وهي يومئذ مكتب ملكي يمتاز على سائر مكاتب دمشق ، فقام بهذه الوظيفة خير قيام ، وحصل على يديه نفعٌ كثير لطلاب العلم ، في كثير من الفنون واللغات ، من عربية وتركية وفارسية ، ثم بعد مدة وجه إليه تدريس كتاب « الشفا » في تكية السلطان سليم خان ، فلم يزل قائماً بوظائفه ، باذلاً أقصى جهده في نشر معارفه ، إلى أن توفي أواخر رمضان المبارك سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير عند قبر العلامة العلائي رحمه الله تعالى انتهى.

قلت : نعم كانت المدرسة الجقمقية المذكورة أرقى مدارس دمشق الرسمية وقتئذ ، وقد تخرج منها أكثر نوابغ دمشق وأذكيائها ، ولم تزل كذلك إلى أن ألغيت سنة ١٣٠٥ هجرية ، حيث أبدلت بالمكتب الإعدادي الملكي المعروف بمكتب عنبر ، والمنقول أخيراً إلى بنايته الفخمة شمالي التكية السليمانية ، باسم مدرسة التجهيز الأولى .

عبد الرحمن أفندي العمادي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال : هو عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي العمادي الدمشقي الحنفي ، كان عالماً عاملاً له شهرة حسنة ، ولد بدمشق ونشأ بها وكان ذا فطنة ووجاهة ، متودداً لأحبابه ، شفوقاً على أرحامه ، متديناً ورعاً .

مات سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد السلام الشطي

عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى بن محمود بن معروف بن عبد الله بن مصطفى الشطي ، البغدادي أصلاً ، الكَرْخي نسبةً إلى سيدي معروف الكرخي رضي الله عنه ، الحنبلي الدمشقي ، العالم الفاضل العابد الناسك ، الأديب الشاعر الألمعي اللَّوذعي ، جدِّي لأمي ، إمام الحنابلة بالجامع الأموي ، لخصتُ ترجمته من كلام سيدي العم مراد أفندي في مسوَّدَة طبقات الحنابلة قال :

كان رحمه الله من أدباء دمشق وظرفائها ، حسنَ العشرة لطيفَ المذاكرة ، مُفْتَنَاً بالأدب ، يغلب عليه الصلاح والتقوى .

ولد بدمشق سنة ست وخمسين ومئتين وألف ، وجاء تاريخ مولده(بالحسن ظهر) . قرأ المترجَم القرآن الكريم وتعلَّم الخط وهو صغير جداً ، وأخذ العلوم بدمشق عن مشايخ كثيرين ، منهم علامة الآفاق سيدي الجد الشيخ حسن الشطي ، وشيخ الشام الشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ مصطفى التهامي المغربي ، وقرأ على كلٍّ من الشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ عمر العطار ، والشيخ صالح جعفر ، والشيخ أحمد مسلم الكزبري ، وأحمد أفندي الإستانبولي ، والشيخ عبد الرحمن بيازيد ، ولازم العلامة الشيخ سليم العطار الملازمة التامة ، وحضر عليه عدة كتب في التفسير والحديث . ولازم أيضاً في الفقه وغيره سيدي العم الشيخ أحمد الشطي .

وارتحل إلى الحجاز ومصر سنة (١٢٧٤) وسنة (١٢٨٤) فاستجاز العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ إبراهيم السقا ، والشيخ مصطفى المبلط ، والشيخ محمد البنا مفتي الإسكندرية والشيخ داود البغدادي النقشبندي ، والشيخ جمال المكي رئيس المدرسين بالمسجد الحرام ، وكتبوا له إجازات بخطوطهم الشريفة ، وممن استجازه فأجازه السيد أحمد محيي الدين الحسيني مفتي غَزَّة ، وأخذ الطريقة القادرية عن السيد محمد نوري القادري ، وسافر إلى الروم ودخل قسطنطينية سنة١٢٩٣ ووجه إليه تدريس أدرنه .

وكان مشهوراً بالذكاء واللُّطف مع الورع التام ، لاسيما فيما يتعلق بالطهارة ، وبالجملة فقد كان المترجَم من العلماء الأفاضل لطيفاً ظريفاً ، لايملُّ جليسه منه ، ولا يعدل صاحبه عنه ، وكان له شعر في غاية العذوبة والسلاسة .

قلت : وقد طبعتُ له سنة ١٣٢٥ ديواناً صغيراً جمعتُ فيه أحاسن منظوماته ، فبلغ زهاء أربعمئة بيت في فنونٍ شتى ، فمنها قوله في مدح آل البيت :

أيـا عترةَ المختـار إني أحبُّكم ... وأرجو بكم فوزاً وأرجو لكم قُرْبا
فقـد جـاء أنَّ الله يسـألُ عبـده ... إذا كان يوم الحشر عن حب ذي القربى

وقال عاقداً حديث الرحمة المسلسل بالأولية :

لقد روينا حديثاً عن مشايخنا ... مسلسـلاً أوليـاً جـاء منتظمـا
إن ترحموا ترحموا دنيا وآخرةً ... فإنما يرحمُ الرحمنُ من رَحِما

وقال يمدح الولي الشهير الشيخ حسن الراعي دفين قطنا :

في حـاء حبـك لم أزل مترقيـا ... وبسين سرك لا أخاف ضياعي
وبنون نورك في الأنام مهابتي ... ورعايتي مادمت لي يا راعي

وقال مخمساً بيتين للأمير منجك الشهير :

يـامـن تعـرض للشقـا ... لا تنـس يـوم الملتقـى

إن رمت فوزاً في البقا

(اشغل فؤادك بالتقى واحذر بأنك تلتهي)
واترُكْ لغَمرِ حاسدِ واصحب لشخصٍ ماجدِ
واقصِدْ لربٍّ واجدِ

(واعمل لوجهٍ واحدِ يكفيك كلَّ الأوجُهِ)

وقال مخمساً البيتين المكتوبين على ضريح العارف الشيخ محيي الدين بن العربي :

إنْ تَرُمْ تعلُو لأوجِ الرُّتَب أو تنال العزَّ لازم مذهبي
قم بنا نزور قبر المغربي

(قبر محيي الدين إبن العربي كلُّ مَنْ لاذ به أو زارَهُ)
عنه ربي قد أزال الألما والدعا منه استجابَ كرَما
كم وكم عبدٌ أتى هذا الحمى

(قُضيت حاجاتُه من بعدِ ما غفر الله له أوزارَهُ)[1]

وقال مشطراً بيتين مشهورين :

(شَيْبُ رأسي في شبابي) لم يكنْ أمراً غريبا
لو عِذاري شابَ أيضاً (لا تعدُّوهُ عجيبا)
(إنَّ هذا اليومَ يومٌ) لم نجدْ فيه حبيبا
بل وجدنا فيه هَوْلاً (يجعلُ الولدانَ شيبا)

وقال في مدح كتابين في فقهنا الحنبلي أحدهما مطول والآخر مختصر :

يامن يروم بفقهه في الدين نيلَ مطالبِ
إقرأ لشرح المنتهى واحفظ دليلَ الطالبِ

---

(١) انظر التعليق في الصفحة : ١٦٧ .

وقال مضمِّناً :

أجريت من شوقي إليك مدامعي وازدادَ من عِشقي عليك تلهُّفي
لوكنت تعرف حالتي لرحمتني (روحي فداك عرفت أم لم تعرف)

وكان يكتب على كتبه :

من كتب أفقر الورى إلى الكريم المعطي
الحنبلي القادري عبد السلام الشطي

قال العم : وقد ألَّف المترجَم رسائلَ لطيفة ، منها « تحفة أهل الإيمان بأدعية ليلة النصف من شعبان » ومختصر كتاب « الفرج بعد الشدة » لابن أبي الدنيا ، ونظم مولد الإمام بحرق الحضرمي ، واجتمع عنده من الكتب النفيسة ما لم يجتمع عند غيره ، فأوقف البعض منها (وهي عندي ولله الحمد) وبيع غالبها في تَرِكته .

وكانت وفاته فجأة ليلة إحدى وعشرين من شهر محرم سنة خمس وتسعين ومئتين وألف ، عن تسعة وثلاثين عاماً ، ولم يعقب سوى ثلاث بنات ، ودفن في التربة الذهبية بدمشق ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين.

الشيخ عبد العزيز البلباني

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي العامري ، في كتاب « طبقات الحنابلة » الذي تبع فيه « طبقات العليمي » قال : هو عبد العزيز بن حسن البلباني الحنبلي الدمشقي الشيخ الصالح الناسك ، بقية السلف بهجة الخلف أبو الفلاح ضياء الدين ، ولد بدمشق سنة ثلاثين ومئة وألف ، ونشأ بها في كنف والده ، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ المقرئ عبد الرحمن النابلسي المكتبي ، وقرأ في الفقه والعربية على الشيخ عواد الكوري ، وصارت فيه البركة التامة ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد الكناني الخلوتي . وكان ملازماً لأداء الفرائض والعبادات ، مشتغلاً بخويصَّة نفسه ، لايخالط الناس ولا يدخل على

الحكام ، طويل القامة منور الشيبة ، ذا أُبهَّة ووقار . ولم يزل على الطريقة المثلى حتى توفي .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء خامس عشري ربيع الأول سنة إحدى ومئتين وألف ، وصُلي عليه بكرة النهار بالجامع الشريف الأموي ، ودفن بتربة مرج الدحداح .

اجتمعتُ به مراراً ، وسمعتُ من فوائده وتبرَّكت به وكان كثير الملازمة لمجالس شيخنا الشهاب أحمد البعلي رحمهما الله تعالى .

الشيخ عبد الغني السَّقَطي

قال في حقه بعض المؤرخين في مجموعة له : عبد الغني بن عبد القادر بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي الشهير بالسقطي ، الإمام العلامة ، ولد سنة خمس وستين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده ، وأخذ عنه وعن الشهاب أحمد المنيني ، والشيخ محمد البخاري والشيخ علي السليمي ، والشمس محمد الكزبري وغيرهم ، ودرس في السليمية .

وكانت وفاته يوم الجمعة سابع شعبان سنة ست وأربعين ومئتين وألف ، انتهى .

قلت : وأعقب المترجَم ولديه هما الشيخ صالح المتوفى في حياته والمقدمة ترجمته ، والشيخ عبد الرزاق والد الشيخ عبد الله أفندي والد عبد المجيد أفندي المتوفى سنة ١٣١٨ ، وبالجملة فقد كان المترجَم من أجلَّة العلماء العاملين ، أخذ عنه جماعة من العلماء ، كالشيخ حسن البيطار ، والشيخ محيي الدين العاني ، والسيد قاسم دقاق الدودة وغيرهم ، رحمه الله تعالى .

السيد عبد الغني الغزِّي

ذكره بعض المؤرخين في مجموعة له قال : هو عبد الغني بن محمد شريف بن الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزِّي العامري الشافعي الدمشقي ، مفتي الشافعية

بدمشق . ولد في ربيع الأول سنة خمس وسبعين ومئة وألف ، وأخذ عن والده ، وعن الشمس الكزبري ، والشهاب العطار وغيرهم ، وتوفي في عاشر ربيع الثاني سنة ست عشرة ومئتين وألف انتهى .

قلت : المترجَم هو شقيق السيد كمال الدين الغزِّي صاحب « طبقات الحنابلة » و« التذكرة الكمالية » و« الورد الأنسي » وغيرها ، وهو والد عمر أفندي الآتية ترجمته ، وإسماعيل أفندي المتقدم ذكره ، بل جدُّ جميع الموجودين الآن (١٣٢٤) من بني الغزِّي ، وأخبرني ولد حفيده صالح أفندي مفتي الشافعية حالاً ، أنَّ جدَّه المترجَم تولى إمامة الشافعية في الجامع الأموي ، وحاز على وظيفة التدريس يوم الثلاثاء تحت القبة من الجامع المذكور ، وأنهما من وظائف أسلافه ، وأطلعني على براءة سلطانية بالتدريس المزبور ، هذا وللمترجَم أدبٌ وشعر ، رأيتُ بخط شقيقه المقدم ذكره أنه لما أشار المولى خليل أفندي المرادي مفتي دمشق علىَ الأدباء بأن يضمنوا الآية الكريمة ﴿ أليس لي ملكُ مصر ﴾ [الزخرف : ٥١] لأمرٍ غريب وقع له كان المترجَم في جملة من ضمنوها بقوله :

مهفهـــفٌ قـــد سبـــاني	في حبـــه صرتُ غِـــرًّا
نـــاديتـــه يـــاأميري	يـــامـــن بـــه الطـــرف قـــرَّا
غـــدوتَ سلطـــانَ حســـن	قلـــوبنـــا لـــك أسرى
يـــا مـــانحـــي لغـــرامٍ	بـــه العـــواذلَ أغـــرى
كـــن بي رحيمـــاً فقلبـــي	أوسعتَـــه منـــك ضـــرَّا
فقـــال إنّ جمـــالي	أمـــاح عـــزّاً ونصرا
كـــن لي سميعـــاً مطيعـــاً	(أليـــس لي ملـــك مصرا)

الشيخ عبد الغني السادات

عبد الغني بن شاكر بن عبد الغني السادات الحنفي الدمشقي ، السيد الشريف ، العلامة الفقيه ، المحقق المدقق ، الأديب الشاعر ، ولد بدمشق في

حدود سنة مئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، وكان والده من تجار دمشق ، فأخذ المترجَم في طلب العلم ، ولازم الشيخ شاكر العقاد ، وتفقه عليه ، وأخذ عن غيره من علماء دمشق ، كالشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ صالح القزّاز ، وقد ظهر فضل المترجَم واشتهر ، وشاع علمه وانتشر ، لاسيما في المسائل الفقهية .

وألَّف مؤلفاتٍ عديدة ورسائل مفيدة ، أكثرها متفرق ، منها « الدر اليتيم في حكم مال اليتيم » و« جمع اللآلي في الشبك ، في حكم الحائط المشترك » (وهما عندي) و« نشر الخزام في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام » وهي رسالة في نحو عشر ورقات ، كتبها في حادثة حكم فيها بفسخ نكاح رجل سبَّ الدِّين ، و« سناء النيرين في إعجاز الآية والآيتين » وهي رسالة في سبع عشرة ورقة ، باسم شيخه الكزبري ، وكان يتعاطى وكالة الدعاوي لدى المحاكم الشرعية ، ويناقش بعض القضاة في المسائل الفقهية ، وقد يتعاطى التجارة مع الورع الزائد ، وكان له شعرٌ لطيف منه قصيدة مدح بها السيد نسيب أفندي حمزة يأتي ذكرها في ترجمته ، ومن نظمه البديع قوله يمدح (علي باشا وزير الشام) مطرزاً :

ع . علوتَ لمجدٍ فوق ماأنت آملُهْ	وفزتَ بإقبالٍ لك العزُّ حاملُهْ
ل . لك السعد ما هذا العلو لمبتغٍ	سواك وما في الدهر شهم يحاولُهْ
ي . يميناً بما أرجو لقد حُزتَ في الورى	مقاماً على الجوزاء تعلو منازلُهْ
ب . بنيتَ من العزِّ المنيع دعائماً	وقمتَ على بحر تفيضُ سواحلُهْ
ا . أبيت - وبيت الله - ذمّاً وسُبَّةً	وحزتَ نوالاً فوق ما أنت نائلُهْ
ش . شرعت من المعروف فينا شرائعاً	بها البطل الكرَّار تحيا فواضلُه
ا . أقام بها راجيك يبسم ضاحكاً	ينال من الخيرات ماهو آملُهْ
و . وقمت بأعباء الوزارة حاملاً	لسيفٍ غدتْ للنصر تُعزى حمائلُهْ
ز . زرعت من الألفاظ روضَ محاسن	لنا أثمرتْ درَّ المعاني خمائلُهْ
ي . يرى منك في الهيجاءِ بأسٌ وشدةٌ	وفي غيرها لطفٌ تروق محاملُهْ
ر . رؤوفٌ بأحوال الرعية منصفٌ	رحيمٌ إذا المظلوم عزَّتْ وسائلُهْ

ا . أهنيه بالشام المنيرة منصِباً يطرِّزُه السعدُ المبين تكاملُهْ
ل . له منصب من بعدها مصر غانماً ومن بعدها يشتدُّ بالختم كاهلُهْ
ش . شهامةُ كسرى في سخاوة حاتم من المهد عنه قد حكَتْها قوابلُهْ
ا . أتى شامةَ البلدان فاخضرَّ عيشُها وأصبح فيها الغصنُ يحلو تمايلُهْ
م . مهاب جسور لا يُسمَّى مهابةً وإنْ كان شعري قد حكته أوائلُهْ

وله غير ذلك من النظام والنثار ، وبالجملة فقد كان من العلماء المحققين والفقهاء المدققين ، وكانت وفاته في خامس عشر شوال سنة خمس وستين ومئتين وألف ، وهو والد العلامة الشيخ راغب السادات المتوفى سنة ١٣٣٣ ، عن ولديه عبد الغني أفندي وصديقنا محمد سعيد أفندي ، بارك الله فيهما ورحم والدهما وجدَّهما ، آمين .

الشيخ عبد الغني الميداني

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه ، قال ما خلاصته : هو عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم بن سليمان الغنيمي الدمشقي الحنفي الشهير بالميداني ، بحر علم لايدرك غوره ، وفلك فضل لاينتهي دوره ، حاز من العلم ما يشق على القلم حشره ويعسر على اللسان نشرُه .

ولد بدمشق في محلة الميدان سنة ألف ومئتين واثنتين وعشرين ، ونشأ في حجر والده ، وبعد التمييز قرأ القرآن الكريم ، ثم طلب العلم بجدٍّ واجتهاد فقرأ على الشيخ عمر المجتهد والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الغني السقطي ، والسيد محمد عابدين ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ أحمد بيبرس ، والشيخ حسن البيطار ، ولازمه وانتفع به ، وكان ذا زهد وتقوى ، وعبادة في السر والنجوى ، وهمة عالية ، ومروءة سامية ، ولسان على الذكر دائب ، وشهرةٍ سارتْ في المشارق والمغارب ، وله من المؤلفات شرح على القدوري في الفقه يسمى بـ « اللباب » (طبع مرتين) وشرح على « المراح » في الصرف ، وشرح على رسالة الطحاوي في التوحيد ، ورسالة وشرحها في الرسم ، ورسالة سماها « إسعاف

المريدين لإقامة فرائض الدين » ، وقد شرحها ولده الشيخ إسماعيل ، ورسالة سماها « سل الحسام على شاتم دين الإسلام » ، ورسالة في صحة وقف المشاع ، ورسالة في مشد المسكة ، ورسالة سماها« كشف الالتباس في قول البخاري قال بعض الناس » . وله نظم ونثر يفوق اللؤلؤَ والدُّر ، فمنه قصيدته التي مدح بها أستاذه البيطار ، لما انتقل إلى محلة الميدان سنة ١٢٤٢ ومطلعها :

ومضت بروق الحي في الظلماء   سحراً فهاجت لاعج الأحشاء

وكان للمترجم خيراتٌ حسنة ، ومساع مستحسنة ، وكانت الناس تأتيه بالهدايا وتقصِده بوافر الوصايا ، وقد جدَّد عمارة الجامع الكائن بجانب داره في ساحة السخانة بالميدان وأنشأ له منارةً عظيمة ؛ واتسع جاهه وكثر في الناس ثناؤه ، وخالطت هيبتُه القلوب ، ونال أجلَّ مطلوب ومرغوب ، ولم يزل على استقامته ، في طاعته وعبادته ، وإفادته لطالبه ووارده ، وإحسانه لراغبه وقاصده ، إلى أن سجع على دوحته حَمام الحِمام ، ودعاه إلى الرحلة داعي الأنام ، فتوفي رحمه الله في رابع ربيع الأول سنة ألف ومئتين وثمان وتسعين . وصلي عليه في جامع الدقاق ، بإمامة ولده الفاضل المقدم ذكره ، وكان لجنازته مشهد عظيم ، ودفن في مقبرة باب الله في التربة الوسطى (قال البيطار) : وطلب مني ولده المذكور أن أنظم أبياتاً تكتب على قبره فقلت :

همامٌ فاضلٌ شهمٌ إمامٌ   جليلٌ ذو مقامات شريفهْ
ثوى في رمسه فاعْجَبْ لرمس   حوى بحراً شمائله منيفَهْ
بكاء قد أتى تاريخه زِدْ   لقد ماتت علوم أبي حنيفَهْ
١٢٩٨

الشيخ عبد الغني البقاعي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه ما خلاصته : عبد الغني البقاعي الدمشقي الشافعي القادري ، كان من العلماء الفضلاء مع العبادة والتقوى ، وكان معتمداً عند الناس ، حسن المعاشرة ، له كرامات شهيرة ، توفي بدمشق ثامن عشر ربيع

الأول سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

الأمير عبد القادر الجزائري

هو السيد عبد القادر ابن السيد محيي الدين ابن السيد مصطفى الجزائري المغربي الحسني نزيل دمشق ، الأمير الشهير ، السيد الخطير ، العالم العارف ، بحر العلوم والمعارف ، ترجمه ولده الأمير محمد باشا في صدر الديوان الذي جمعه له ، قال ما مختصره :

هو فرع الشجرة الزكية ، وبدر العصابة الحسنية ، صدر الشريعة بل تاجها ، بدر الحقيقة بل معراجها ، من تزيَّنت الطروس بغُرر مزاياه ومدائحه ، وتلت النفوس آياتِ المجد والإخلاص في صحائفه ، كعبةُ القاصدين وحرم اللاجئين .

ولد قدس الله سره في رجب سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف ، ببلدة القيطنة من أعمال الجزائر ، وتربّى في حجر والده ، وحفظ القرآن في مدرسته ، وأخذ العلم عن أهله ، وفي سنة ١٢٣٦ سافر إلى وَهْران ، وحصل حتى برع في كافة الفنون وكمل ، وفي سنة ١٢٤١ سافر منها قاصداً مكة المكرمة عن طريق القاهرة ، وبعد أداء النسك توجَّه إلى دمشق الشام ، فأخذ بها الطريقة النقشبندية عن العارف الشهير الشيخ خالد النقشبندي ، ومنها رحل إلى بغداد ، فأخذ بها الطريقة القادرية عن السيد محمود الكيلاني ، ثم رجع إلى دمشق ، ومنها إلى بيت الله الحرام ، وبعد أداء المناسك رجع من طريق البر إلى بلدته سنة ١٢٤٣ .

ثم في سنة ١٢٤٦ قام والده بأمر الجهاد فحارب معه سنتين ، وفي رجب سنة ١٢٤٨ بايعه أهل الجزائر أميراً عليهم لاشتهاره بالشجاعة والعلم والصلاح ، فباشر الأعمال وارتكب الأخطار والأهوال ، وأقام الإمارة على قدمَي الفضل والعدل ، وزانها بما يؤيده العقل والنقل ، وضرب السكة من فضَّة ونحاس ، وأنشأ المعامل للأسلحة واللباس ، وقام بأمر الجهاد ست عشرة سنة ، يحارب الدولة الفرنساوية ويحمي دينه ووطنه ، وأظهر من الشجاعة والبسالة في كل

مجال ، مااشتهر في الآفاق وشهد به الرجال ، وكانت الحرب بينهما سجالاً ، ثم هاجَمَتْه دولة مَرّاكُش من جهة أخرى ، فسلم لدولة فرنسا بعد محاربات عديدة ،على شروطٍ وعهودٍ معروفة ، وذلك في محرم سنة ١٢٦٤ ، وبقي محجوراً عليه عندها - وفي سنة ١٢٦٦ حضر إلى محل إقامته بمدينة أمبواز نابليون الثالث امبراطور فرنسا ، وبشَّره بإطلاق سبيله ، وأهداه سيفاً مرصَّعاً ، ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة فرنساوية ، فتوجه إلى باريس ومنها إلى الآستانة العلية ، فتشرف بمقابلة مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان ، فأكرم وفادته ، وأحسن مثواه ، ومنحه في بروسة داراً عظيمة ، ثم في سنة ١٢٧٠ رجع إلى الآستانة وتوجه منها إلى باريس ، ثم رجع منها إلى بروسة .

وفي سنة ١٢٧١ عزم على السكن بدمشق الشام فارتحل إليها ، وفي سنة ١٢٧٣ توجه إلى زيارة بيت المقدس والخليل ، وفي شهر رمضان منها قرأ البخاري الشريف في دار الحديث ، « والإتقان » و « الإبريز » في المدرسة الجَقْمَقية ، وفي شهر رمضان سنة ١٢٧٥ اعتكف بالجامع الأموي ، وقرأ « الشفا » و« الصحيحين » في مشهد سيدنا الحسين ، وفي سنة ١٢٧٧ منحته الدولة العلية الوسام المجيدي من الرتبة الأولى ، وأهدته أيضاً الدول الفخام أوسمتها من الطبقة الأولى ، نظراً لما أبداه من المساعدة للمسيحيين في حادثة ١٢٧٧ (هي ١٨٦٠م) وفي سنة ١٢٨٠ توجه إلى مكة المكرمة وأقام بها وبالطائف وبالمدينة المنورة سنة وستة أشهر ، وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي ، وفي سنة ١٢٨٢ قصد الآستانة ، وتشرف بمقابلة مولانا السلطان عبد العزيز خان ، فأكرم نُزُلَه ومنحه الوسام العثماني من الدرجة الأولى . ثم توجه منها إلى باريس ، فزاد له الإمبراطور على مرتبه السابق ألفين وخمسمئة ليرة فرنساوية في كل سنة ، وفي سنة ١٢٨٦ دعي إلى مصر ليحضر افتتاح خليج السويس .

وفي سنة ١٢٨٩ قرأ الفتوحات المكية مرتين ، بعد أن أرسل عالمين لتصحيحها على نسخة مؤلفها الشيخ الأكبر الموجودة في قونية ، وقد أخذ الطريقة المولوية عن حضرة الدرويش صبري شيخ الطريقة المولوية في الديار الشامية ،

وكان عاكفاً على شهود الجماعة ، كثير الصدقات ، وكان مرتباً رواتب في كل شهر للعلماء والصالحين والفقراء ، منتصباً لقضاء حوائج العباد ، عاملاً بتقوى الله في السرِّ والجهر ، وتغلغل في آخر عمره في علوم القوم ، وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه ، وكان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب ، معتزلاً عن القريب والغريب ، وله خلوةٌ يتحنث بها في قصره بقرية أشرفية صحنايا .

وكانت وفاته في منتصف ليلة السبت لتسع عشرة خلت من شهر رجب سنة ألف وثلاثمئة في قصره بقرية دمر ، وصلى عليه بالجامع الأموي خلقٌ كثير ، وكان له مشهدٌ لم يعهد له نظير ، ودفن ظهرَ يوم السبت في حجرة الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي ، وخلَّف عشرة أولاد ذكور وست بنات ، وكان رضي الله عنه معتدل القامة ، عظيم الهامة ، ممتلئ الجسم ، أبيض اللون ، مشرباً بحمرة ، أسود الشعر ، كثَّ اللحية ، أقنى الأنف ، أشهل العينين ، يخضِب بالسواد

وله من التآليف تعليقاتٌ على حاشية جده السيد عبد القادر في علم الكلام ، وكتاب سماه « ذكرى العاقل » (مطبوع) و« المقراض الحاد لقطع لسان أهل الباطل والإلحاد » ، و« المواقف » في علم التصوف ، وهو أشهر مؤلفاته (طبع بمصر سنة ١٣٤٤ في ثلاثة أجزاء) وله من الشعر الرائق والنثر الفائق ، ما يُطرب الأسماع ويستهوي الطباع ، وبالجملة فقد كان إماماً جليلاً عالماً عاملاً ، نبيلاً نبيهاً زاهداً ورعاً ، مهاباً شجاعاً كريماً حليماً ، رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثواه ، انتهى .

ومن شعر صاحب الترجمة قصيدة فخرية أولها :

لنـا في كـل مكـرمـة مجـال ... ومـن فـوق السِّمـاك لنا رجـالُ
ركبنـا للمكـارم كـل هـولٍ ... وخضنـا أبحـراً ولهـا زجـالُ

ومنها :

لنا الفخرُ العميمُ بكل عصرٍ ومصرٍ هل بهذا ما يقال
ومنا لم يزلْ في كلِّ وقتٍ رجالٌ للرجال هم الرجالُ
لقد شادوا المؤسس من قديم بهم ترقى المكارمُ والخِصالُ

وآخرها :

سلوا عني الفرانس تخبرْنكم ويصدقُ إذ حكتْ منها المقالُ
فكم لي فيهمُ من يوم حربٍ به افتخر الزمانُ ولا يزالُ

وقال مقرِّظاً على التفسير المهمل للعلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق :

سرح سوادك والطروسُ سماءُ مااللسِّماك لدى العروس علاءُ
حمداً للهم أعلم العلماء محـ ـمود علوماً ما لها إحصاءُ
هو أوحدُ العلماء أوحد عصره هو طودُ سرٍّ هدًى له إهداءُ
وهو الإمام وأهلُ كل محامدٍ ما دَعْدُ ما عَلْوى وما أسماءُ
أهدى الورى السحرَ الحلال وكم له همٌ لها دوماً عطا وولاءُ
الله أولى آلَ طه سؤدُداً ومحامداً لعلومها إملاءُ
لله ما أحلى وأملحَ مورداً أهداه وهو إلى الهموم دواءُ

وقال يمدح قصره في دمر :

عجْ بي فديتُكَ في أباطح دُمَّر ذاتِ الرياض الزاهرات النُّضَّر
ذاتِ المياه الجاريات على الصَّفا فكأنها من ماء نهر الكوثر
ذات الجداول كالأراقم جَرْيها سبحانه من خالق ومصوِّر
ذات النسيم الطيِّب العطر الذي يُغنيكَ عن زبَدٍ ومسكٍ أذْفَرِ
والطير في أدواحها مترنم برخيم صوتٍ فاق نغمة مِزْمَر
مغنى به النساكُ يزكو حالُها ما بين أذكارٍ وبين تفكُّر
أين الرُّصافة والسديرُ وشعبُ بوّ ان إذا أنصَفْتَني من دمر

وقال مُلْغِزاً في الهرَم :

ألا خبروني أين ضلَّت عقولُكم ... وقد رمتمُ طُرّاً لأنفسكم ضَرّا
وكلُّكم أضحى يؤمِّلُ دائماً ... لعمري هذا الشرَّ أعظمْ به شرَّا
على أنه يجفوهُ أهلُ ودادِه ... ومِنْ مسَّ هذا الضر هيهاتَ أن يَبْرا

فأجابه العالم الأديب الشيخ محمد المبارك حفظه الله بقوله :

أيا سيداً رقَّت معاني رموزِه ... ودقَّت فلم يُدرِك لها ذو الحِجى سرَّا
لقد صُغتَ لُغزاً حار فيه أخو النُّهى ... ولم يلق من يوليه من طيه نَشْرا
وما هو إلا كنزُ درٍّ معارفٍ ... له رصَدٌ يحمي جواهرَه قَسْرا
فجلتُ بفكري في دقائق سرِّه ... لأجْلوَ عن معنى بلاغتِه السِّتْرا
فأيقنتُ من بعد التفكُّر أنه ... هو (الهَرَمُ) المستلزم البأس والضرا
وهذا لعمري ليس يُرقى سليمُه ... ولكن ينال الأجرَ إن أحرزَ الصبرا
فأسأل ربي أن يطيل بقاءكم ... ويحفظكم مما يسوء الورى طُرَّا

عبد القادر أفندي حمزة

ترجمه مولانا السيد أسعد أفندي الحمزاوي ، في كتاب نسبه قال ما خلاصته :

هو السيد عبد القادر ابن السيد درويش ابن السيد محمد ابن السيد حسين ابن السيد يحيى ابن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم ، الحسيني الدمشقي الحنفي الشهير بابن حمزة ، العالم الفاضل المحقق المدقق التقي النقي .

ولد بدمشق سنة ١٢٣٥ وقرأ على علمائها ، وتخرَّج على يد العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، فساد وفضَل وولي أمانةَ الفتوى بدمشق ، وألَّف رسائل جميلة منها« الرسالة الحمزاوية ، في التوفيق بين الماتريدية والأشعرية » ، ألَّفها لتكون في خزانة السلطان عبد المجيد خان ، وله تعاليق في الفقه والنحو والصرف ، وفي سنة ١٢٧٣ ألَّف رسالة في فضل آل البيت ، ولما ألف بعضُ الطلبة من الحنفية

رسالة في لزوم قراءة الفاتحة للمأموم بدعوى أنَّ القراءة أحوط ، شرح المترجَم تلك الرسالة في الرد عليه .

وكانت وفاته فجأة في اليوم العشرين من رمضان سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الدحداح ، انتهى .

قلت: وأعقب المترجَم ولده علي أفندي المتوفى عقيماً سنة ١٣١٥ ، ومن أسباطه القاضي الفاضل الشيخ أحمد أفندي العمري رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد القادر الخطيب

أخبرنا عنه ولده العالم المحدث الشيخ أبو النصر أفندي ، فهو عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الخطيب الشافعي الدمشقي القادري ، أحد علماء دمشق الأجلاء ، كان فقيهاً نحوياً إماماً هماماً وقوراً جسوراً .

ولد بدمشق سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده وطلب العلم ، فأخذ في دمشق عن علماء كثيرين ، منهم والده المذكور ، والعلامة المحدِّث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والعلامة الأستاذ الشيخ سعيد الحلبي ، والعلامة المفنن الشيخ خليل الخشة ، والعلامة الشيخ محمد بن مصطفى الرحمتى ، والسيد عبد اللطيف مفتي بيروت ، والشيخ عبد القادر بن أحمد الميداني ، والشيخ محمد عيد العاني ، وفي مصر عن العلامة الشهير الشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ أحمد الدمهوجي ، والشيخ أحمد الصائم ، والشيخ عبد الغني الدمياطي ، والشيخ إبراهيم عبد الله باشا نزيل الإسكندرية ، وكلهم كتبوا له الإجازات العامة بخطوطهم الكريمة .

واتصل المترجَم بابنة شيخه الخشة بعد وفاته ، ورزق منها أولاده الأربعة .
ومن مؤلفاته« حاشية على تحفة ابن حجر في الفقه » لم تتم ، ومناسك ، وديوان خطب ، وشرح على متن السحيمي في التوحيد ، وغير ذلك ، ولم تشتهر مؤلفاته ولم يطبع منها شيء ، وقد انتفع بالمترجَم وأخذ عنه جماعة كثيرون من دمشق

وغيرها ، منهم الشيخ أنيس الطالوي ؛ والشيخ عبد الله الكردي مدرس السنانية ، والشيخ سليم النحلاوي الشهير بالطيبي ، وابن عمه السيد محمد الخطيب ، والشيخ سليم حفيد أستاذه الخشة ، ومن المدينة العلامة زاهد أفندي سبط شيخه الخشة المذكور ، وممن انتفع بالمترجَم أولاده الأربعة وهم العالمان الجليلان الشيخ أبو الفرج المتوفى سنة ١٣١١ ، والشيخ أبو الخير المتوفى سنة ١٣٠٨ ، وشيخنا العالم التقي الشيخ أبو الفتح المتوفى سنة ١٣١٥ ، والأستاذ الشيخ أبو النصر المقدم ذكره حفظه الله .

وكان صاحب الترجمة ملازماً للتدريس في الجامع الأموي وفي مدرسة الخياطين ، إلى أن توفي . ويحكى عنه أمور طريفة ، منها أنه جعل أولاده الموما إليهم على المذاهب الأربعة ، فقرأ الشيخ أبو الفرج على الشيخ عبد الله الحلبي الحنفي ، وبقي الشيخ أبو الخير يقرأ على والده ، وقرأ الشيخ أبو الفتح على جدنا الشيخ حسن الشطي الحنبلي ، وقرأ الشيخ أبو النصر على الشيخ مصطفى المغربي المالكي ، ثم أنكر عليه هذا الأمر جماعة فلم يلتفت إليهم ، ويقال إنه رأى الإمام الشافعي في نومه وأمره بإعادتهم ، فأعادهم إلى مذهبهم الشافعي ، بعد أن اشتغل كل منهم نحو أربع سنوات ، وهكذا كان للمترجم طُرَف ونُكَت تؤثر عنه ، وبالجملة فقد كان عالماً هُماماً فاضلاً مقداماً .

وكانت وفاته سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى (١٣٢٤) .

الشيخ عبد القادر السقَطي

ذكره بعض المؤرخين في مجموعه والأستاذ البيطار في تاريخه قالا :

هو عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الشافعي الشهير بالسقَطي البقاعي الأصل العدوي .

ولد بصالحية دمشق في منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين ومئة وألف ،

وأخذ عن الشيخ علي بن أحمد كزبر ، والشيخ علي السليمي ، والعلامة عبد الله البصروي ، والشمس محمد بن عبد الرحمن الغزِّي ، وأجاز له الشيخ محمد بن عيسى الكناني ، والشمس محمد بن إبراهيم التدمري ، والشيخ علي البرادعي ، وأخذ العربية والعقائد عن الشيخ محمد بن أحمد قولقسز ، والشيخ موسى بن أسعد المحاسني ، وسمع حديث الرحمة من العلامة الشهير ابن عقيلة المكي ، والعلامة محمد بن الطيب المغربي ، وحضر دروس الأستاذ الشيخ إسماعيل بن الأستاذ الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأجازوه جميعاً. ودرَّس المترجَم بالمدرسة العمرية وتولى إمامتها ، وأخذ عنه أجلاء دمشق وعلماؤها .

وكانت وفاته سنة خمس ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون ، رحمه الله تعالى والمسلمين آمين ، انتهى.

قلت: إن المترجَم هو الجد الجامع لبني السقطي ، وقد أعقَب أولاده الثلاثة وهم الشيخ عبد الغني والشيخ حسين المتقدمة ترجمتهما ، والشيخ برهان والد السيد أحمد والد السيد يحيى والد السيد محمود الباقي الآن ، ويقال إنهم من ذرية السري السقطي وأنهم خرجوا من بغداد لفتنة كانت ، وهم ثلاثة إخوة سكنوا مصر ثم مات أحدهم بها وافترق الأخوان أحدهما إلى بلاد المغرب ، والآخر إلى البقاع من الشام ثم جاء أولاد الثاني إلى صالحية دمشق ، فسكنوها ولم يزالوا بها إلى الآن ، والله أعلم.

الشيخ عبد القادر الميداني

هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن أحمد الميداني العطار الحنفي الدمشقي العلامة الفاضل ، ذكر بخطه في إجازته للسيد قاسم دقاق الدودة ، أنه ولد سنة ست وثمانين ومئة وألف ، وأنه أخذ عن الشمس الكزبري ، والشهاب العطار ، والشيخ خليل الكاملي ، والشيخ علي الشمعة ، والسيد كمال الدين الغزِّي ، والشيخ عبد القادر السقطي ، والشيخ محمد البخاري الدمشقيين ، وعن السيد محمد مرتضى الزبيدي المصري ، والشيخ صالح الفلاني المدني ، والشيخ عبد

الملك القلعي المكي . هذا وقد أخذ عن المترجَم وانتفع به جماعة منهم : محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق ، والشيخ عبد القادر الخطيب والسيد قاسم المذكور وغيرهم .

وكانت وفاته في حدود سنة ستين ومئتين وألف ، وقد أعقب ولديه هما السيد علي والسيد أحمد والأول خلف ولديه الوجيهين المحترمين عبد الغني أفندي قائم المقام المتقاعد المتوفى سنة ١٣١٥ ، وعبد القادر أفندي مدير أوقاف سورية المتوفى حاجاً سنة ١٣١٩ ، وهذا هو والد صديقينا الكريمين محمد توفيق أفندي المتوفى سنة ١٣٦٠ وفهمي أفندي الباقي الآن ، فرحم الله السلف وبارك في الخلف ، آمين.

الشيخ عبد القادر الكزبري

ذكره بعض المؤرخين في مجموع له قال : هو عبد القادر بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري ، الشيخ العالم النحرير .

ولد بدمشق في سابع عشر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين ومئة وألف ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم له انتفاعاً والده ، وعمه الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، وغيرهم .

وكانت وفاته في ثامن شعبان سنة تسع وعشرين ومئتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح إلى جانب قبر والده ، انتهى.

قلت : المترجَم هو جد سميه القاضي عبد القادر أفندي المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ وهذا هو والد محمد أفندي الموجود الآن (١٣٦٢) ، وكان للمترجم أخ هو الشيخ أحمد ، ولد سنة ١١٩٨ ونشأ يتيماً يكفله عمه الشمس المنوه به ، وقد أخذ عنه وعن الشهاب العطار وعن ولديهما ، وتوفي سنة ١٢٤٨ وهو جد سميه أحمد أفندي المتوفى سنة ١٣٣٩ ، وستأتي ترجمة والد الأخوين الشيخ يحيى في حرفه ، إن شاء الله .

السيد عبد القادر الصمادي

ترجمه أحد المؤرخين من أقربائه في مجموع له فخبط وخلط ، إذ ذكر أن والد المترجَم الآتي ذكره والمتوفى سنة ١١٩٥ كان مفتي دمشق ، وأنه لما توفي عرض الإفتاء على ولده صاحب الترجمة فأبى ، ولدى مراجعة تاريخ المرادي لم نجد فيه مايزيد على أنه كان شيخ السجادة الصمادية بدمشق ، وأنه في آخر أمره وجهت إليه رتبة السليمانية ، وتولية وقف السلطان إبراهيم بن أدهم قدس الله سره ، ولننقل ما ذكره المؤرخ المذكور في حق المترجَم قال :

هو السيد عبد القادر بن السيد أحمد بن السيد محمد الحسيني الدمشقي الحنفي الشهير بالصمادي .

ولد في دمشق سنة خمسين ومئة وألف . ونشأ بها وأخذ عن علمائها من أجلِّهم والده الشهاب أحمد ، وكان هو علامة نحريراً عابداً ناسكاً ، يتجنب مخالطة الحكام ، ويعلوه نور أهل الحديث والصلاح ، ولما توفي والده في محرم سنة ١١٩٥ جلس مكانه على سجادة الصمادية بدمشق الشام ، طريقة أسلافه الكرام .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد القادر الخلاصي

ترجمه الأستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي فقال :

هو الشيخ عبد القادر ابن الشيخ إبراهيم الخلاصي ، الحلبي الأصل ثم الدمشقي الحنفي ، فقيه فاضل ، وصالح كامل ، قدم والده من حلب إلى دمشق سنة ١٢١١ ومعه ابنه صاحب الترجمة وهو في حداثة سنه ، واتخذ والده المذكور دمشق وطناً له ، وكان طبيباً ماهراً ، ونشأ ابنه المترجَم في طلب العلم ، فقرأ على بعض الأجلاء ومهر في الفقه ، وأَمَّ في جامع السنانية نحو عشر سنين ، ولما مات

والده سنة ١٢٥٦ ترك مالاً وافراً وعقارات جمة ، فتنازل صاحب الترجمة عن إمامة الحنفية بالجامع المذكور إلى تلميذه الشيخ أمين البيطار ، والتفت إلى الاشتغال بأمواله وأملاكه ، وحج وجاور مدة وتصوف ، وكانت سيرته حميدة .

وتوفي بدمشق سنة أربع وثمانين ومئتين وألف وهو يناهز الثمانين ، انتهى.

وقد أثبت أستاذنا هذه الترجمة على رسالة للمترجم في كراهةِ سبق الإمام الراتب ، قرظها له جماعة من علماء عصره كالشيخ عمر المجتهد والشيخ نجيب القلعي والشيخ سعيد الحلبي . رحمه الله تعالى وسائر أموات المسلمين ، آمين.

السيد عبد القادر تقي الدين

لم يترجمه حفيده الأديب في تاريخه وإنما ترجمه العالم الفاضل السيد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي في كتابه « الروض البسام » المطبوع في الاسكندرية سنة ١٣١٠ ، قال : هو السيد عبد القادر ابن السيد أحمد ابن السيد حسن المعروف بابن تقي الدين الحصني . وساق نسبه إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه ، ثم قال : كان المترجَم صالحاً مباركاً وجيهاً محبوباً ، ممدوح السيرة ، توفي بدمشق سنة سبعين ومئتين وألف ، انتهى.

قلت : المترجَم هو والد الأخوين السيد صالح أفندي نقيب أشراف دمشق المتوفى سنة ١٣١٠ ، والسيد محمد أفندي إمام الحنفية بالجامع الأموي المتوفى سنة ١٣١١ ، وهذا هو والد الفاضل السيد أديب أفندي النقيب الأسبق وصاحب « منتخبات تواريخ دمشق » المتوفى في نحو سنة ١٣٦٠ رحمهم الله تعالى أجمعين.

الشيخ عبد الله الحلبي

جمعنا ترجمته من مصادر وثيقة ومراجع صحيحة فنقول : هو شيخ علماء دمشق وابنُ شيخها ، وصدرها وابن صدرها ، المحدِّث الفقيه النبيل النبيه ، الورع النزيه ، عبد الله بن سعيد بن حسن بن أحمد الحنفي الدمشقي الحلبي أصلاً وشهرةً .

ولد بدمشق سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم والده ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، ولما توفي والده المنوَّه به جلس في مكانه للتدريس والإفادة ، وكان يلقي دروسه في حجرته المعروفة شمالي الجامع الأموي ، ودرَّس تحت قُبة النسر في الجامع المذكور ، نيابة عن تلميذه محمد أفندي المنيني لصِغَر سنِّه وقتئذ ، كما سبق لوالده المشار إليه ، وعُقدت رياسة دمشق على صاحب الترجمة ، وجلَّ أمره وعلا قدره ، وعظمت حرمته ونَفَذتْ كلمته ، أمراً ونهياً ، حَلاًّ وعَقْداً ، حتى عند الولاة والحكام ، بحيث لا يخرجون عن رأيه ولايحيدون عن إشارته ، وكان يرجع إليه في حل المشكلات من جميع الطبقات فيحلها حلاً حسناً يرضى به الطرفان ، وهو لايقبل لقاءَ ذلك أجراً ولا هدية ، وإنما كانت معيشته من تجارة الحرير ، وكان له فيها شركاء مخلصون ، وطالما عُرضت عليه المناصب الكبرى فلم يقبل منها شيئاً ، وإنما كان يشير على من يراه بقبولها ، ومن ذلك نظارة الجامع الأموي للشيخ رضا أفندي الغزِّي ، وفتوى دمشق لطاهر أفندي الآمدي ، ثم للسيد محمود أفندي الحمزاوي ، وكان يجتمع عنده في كل ليلة جماعة من العلماء والتجار ، يستفيدون من علمه ومكارم أخلاقه ، وقد أخذ عنه وانتفع به من لا يحصى ، ولم يزل على جاهه وحرمته إلى أن حَدثتْ فتنة دمشق المشؤومة ، سنة ١٢٧٧ فنُفي إلى إزمير بحسَب سياسة الحكومة وقتئذ ، ثم صدرت الإرادة السلطانية بالعفو عنه ، فرجع إلى وطنه سنة ١٢٨٢ ، وكان لرجوعه رنَّة فرحٍ وسرور في دمشق ، وقد أرخ ذلك المرحوم الجد الشيخ عبد السلام الشطي بأبيات منها قوله :

بشرى لكم يامعشر الإسلام ... بقدوم عبد الله ذي الإكرام
فلقد تكامل فضله سبحانه ... مذ جاء بالتاريخ شيخ الشام
١٢٨٢

وكانت وفاته ليلة الأحد خامس ذي القعدة سنة ست وثمانين ومئتين وألف في قرية برزة ، وجيء به إلى دمشق ، ودفن في التربة الذهبية بالقرب من والده ، رحمهما الله تعالى . وقد أرخ وفاته العلامة الشيخ إبراهيم العطار بقوله :

شمــــس العلـــــوم كـــــورت   في مُــــزدَهـــى روضِ اللحـــودْ
الحبر عبــــــــد الله قُـــــــلْ   أبـــــو حنيفـــة الـــــوجـــــود
دعــــــي فلبــــى أرخــــوا   فنـــــال جنــــات الخلـــــود
١٢٨٦

وقد أعقب صاحب الترجمة ولده العالم الفقيه الشيخ أحمد الحلبي ، الذي تولى نيابة محكمة الباب مدة ، ثم نظارة الجامع الأموي إلى وفاته سنة ١٣٠٣ . وهذا هو والد العالمين الفاضلين الشيخ رضا أفندي نائب المحكمة المذكورة ثم مفتي دمشق المتوفى سنة ١٣٣٠ ، والشيخ محمد أفندي متولي الجامع المذكور المتوفى سنة ١٣٣٥ ، ولكل منهما أنجال معروفون بارك الله فيهم.

وترجم المترجَم العلامة البيطار في تاريخه وقال في وصفه : فَرْد الشام وعالمها وصدرها وفاضلها ، قد طَلَع في أفقها بدراً ، تحرس مجدَه النجومُ الثواقب ، وارتفع في أهلها قدراً ، تتنافس فيه ذوو المعالي والمناقب :

إذا ما بدَتْ للطَّرف غُرةُ وَجْهه   رأيـتَ بهـا الشمـسَ المنيرةَ والبَـدْرا
وإنْ رُمْتَ أن تدري عُلاه فإنه   هو الغايةُ القصوى هو الآيةُ الكبرى
لهُ خُلُقٌ كالرَّوض يزهو بزَهْره   وكيف يُساوي الزَّهرُ أخلاقَه الغَرّا
فهـذا الـذي فـوق السِّمـاكين قَـدْرُه   وأحرز من دونِ الورى الفخرَ والقَدْرا

ولقد كانت الحكام تُجِلُّه وتحترمه ، وتهابه وتعظِّمه ، وتعتمد في المهمات عليه ، وتستند في حلِّ المشكلات إليه ، فقوله فصلُ الخطاب ، وحكمُه مدار الحق والصواب ، وقد طارَ صيتُه وفاق ، وملأ ذكْرُه الأقطارَ والآفاق ، وتصدَّر بعد والده للإقراء والتدريس ، فما عداه في الشام مرؤوس ، وهو بمفردِه رئيس ، ولم يزل مقامه يسمو إلى العلا ، وقدره ينمو بين الملا ، وتقصدُه الناس من كلِّ جانب ، لقضاء الحوائج ونيل المآرب ، حتى وقعت في الشام حادثة النصارى ، التي جعلت الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، فتبدل النهار في الشام ليلاً ، ومال الغمُّ والهمُّ ميلاً ، وانفرط نظامها ، وتشوَّش قوامها ، فارْتَجت من المترجَم

جوانبُ ناديه ، وارتبطَتْ في عنقه طوال أياديه ، وبان عن منازله الأنس والحبور ، والتوى عنها ساعدُ الصبا وكفُّ الدبور ، فبكت العيونُ عليه دماً ، وعاد قدره ومقامه عُدْماً ، فسحقاً لزمانٍ لم يَرْعَ حقوقه ، ولم يحفظ عليه شروقَه ، فقد نفاه فؤاد باشا في جملة من نفاه من علماء الشام ، وأعيانها الكرام ، ولم يزلْ منفيّاً نحو خمس سنوات ، ثم عُفي عنه فعاد إلى الشام وقد فات ما فات ، انتهى.

عبد الله أفندي المرادي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو عبد الله بن محمد طاهر بن عبد الله بن مصطفى ابن القطب الشيخ مراد النقشبندي الدمشقي الحنفي المعروف بالمرادي ، أحد صدور الشام وعلمائها الأعلام ، ولد بدمشق ونشأ بها وقرأ على علمائها ، إلى أن صار من أوتادها وأقطابها ، وكان له تقوى وعبادة ، وتقدُّمٌ بين الناس وسيادة ، وقد تولى منْصبَ الإفتاء أحدَ عشرَ شهراً ، ثم انفصل عنه قهراً ، إلى أن نَشِبتْ به أظفار المنية ، فحالت بينه وبين الأمْنيَّة .

وقد مات مخنوقاً في قلعة دمشق سنة اثنتي عشرة ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى.

قلت: لم أقف من سيرة المترجَم على غير ما ذُكر ، وإنما رأيتُ في كتاب « عرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام » للمولى محمد خليل أفندي المرادي ، أنَّ ابنَ عمه صاحب الترجمة ، تولى قبله إفتاء دمشق ثم عزل به . وصار المترجَم قاضياً لعينتاب وذلك سنة ١١٩٢ ، وقد أعقب المترجَم ولده أحمدأفندي ، وهذا أعقب صالح أفندي والدَ العالم الفاضل الشيخ عبد المحسن المرادي المتوفى سنة ١٣٣٢ ، رحمهم الله تعالى آمين.

الشيخ عبد الله الكردي الحيدري

هو الشيخ العلامة النحرير المحدث الفرضي الحيسوبي ، نوه به أحد المؤرخين في مجموع له قال :

هو عبد الله بن صالح الشافعي الدمشقي الشهير بالكردي الحيدري .

ولد بدمشق سنة ثمان وسبعين ومئة وألف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها من أجلِّهم له انتفاعاً العلامة الشمس محمد الكزبري ، وله منه إجازات متعددة.

وقد توفي المترجَم ودفن بتربة الدحداح بالقرب من أبي شامه عند قبر أبيه ، انتهى.

قلت : وأخذ المترجَم أيضاً عن والده السابقة ترجمتُه وعن العلامة الشهاب أحمد العطار والعلامة الشيخ يحيى المصالحي ، والشيخ سعيد الحموي وغيرهم ، وممن أخذ عنه الجدُّ العلامة الشيخ حسن الشطي ، قرأ عليه في الحديث والفرائض والنحو وغيرها وانتفع به ، ومن تلامذته أيضاً السيد قاسم دقاق الدودة ، فقد رأيت له إجازة من المترجَم بخطه . هذا ولم يؤرِّخْ صاحب المجموع المذكور وفاة صاحب الترجمة كما ترى! ولكني وجدت في بعض التعليقات أنه توفي سنة أربعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الله الكردي

ذكره بعض المؤرخين في كتاب جمع فيه مزارات دمشق فقال : هو عبد الله بن مصطفى الكردي الشافعي الدمشقي الشيخ الفاضل الكامل الهمام ، ولد بدمشق سنة أربعين ومئتين وألف ، ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، منهم العلامة الشيخ حسن الشطّي ، والعلامة الشيخ حسن البيطار ، واختصَّ بالعالم الفاضل الشيخ أحمد مسلم الكزبري ، وصار مُعيداً له في درسه العام تحت قبة النسر ، وتولى المترجَم إمامة وتدريس جامع سنان باشا ، خلفاً للمرحوم الشيخ أحمد البغال ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي .

وكانت وفاته يوم العشرين من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير قريباً من سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه ، انتهى. وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وأثنى عليه ، رحمهم الله تعالى.

عبد الله أفندي الأُسطواني

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه المطبوع سنة ١٣٤٦ ، قال ما خلاصته : هو عبدالله بن حسن بن أحمد الشهير بالأُسطواني الحنفي الدمشقي العالم المتفنن ، الجامع بين العلوم الشرعية والفنون الرياضية ، أخذ علم الهيئة وأحكام النجوم عن أستاذه الشيخ محمد العطار الفلكي الشهير ، وكان يخبر عن أمور فتقع كما يقول ، وكان حسن الأخلاق يكتسِب من التجارة ، ولم يزل على حاله إلى أن توفي سنة اثنتين وستين ومئتين وألف ، انتهى.

قلت: وقد أعقب المترجَم ولده العالم الفقيه الشيخ عبد القادر أفندي المتوفى سنة ١٣١٤ ، وهذا أعقب ولديه العالمين الجليلين عبد المحسن أفندي الموجود الآن حفظه الله ، وعبد الرزاق أفندي المتوفى بهذه السنة (١٣٦٣) رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الله الكزبري

هو العالم العامل والفاضل الكامل ، قال في حقه بعض المؤرخين في مجموع له : هو الشيخ عبد الله ابن العلامة عبد الرحمن ابن الشمس محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن زين الدين الكزبري الشافعي الدمشقي .

ولد بدمشق ليلة الثلاثاء ثامن عشر صفر سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف ، وأخذ عن والده وعن الشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ حامد العطار والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم ، وصار من أفراد العالم فضلاً ونُبلاً. وجلس بعد وفاة والده للتدريس تحت قبة النسر بعد عصر كلِّ يوم من الأشهر الثلاثة ، ولم تطُلْ مدته فتوفي مأسوفاً عليه .

وكانت وفاته في خامس عشري ربيع الثاني سنة خمس وستين ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير بالقرب من جدِّه رحمه الله تعالى والمسلمين أجمعين.



الشيخ عبد الله الهروي

ترجمه العالم الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » قال ما مؤدّاه : هو العالم العامل والمرشد الكامل ، صاحب المقام العيسوي ، مولانا الشيخ عبد الله الهروي ، أحد خلفاء حضرة مولانا خالد قدس سره. قَدِم عليه وهو في السليمانية ، وأخلص في خدمته النيَّة ، وخلفه مولانا خلافة مطلقة ، وكان يحبه ويَبَرُّه ، حتى جعله أمين أملاكه في العراق ، ولما توفي حضرة مولانا كان في السليمانية ، فلما طعن الشيخ إسماعيل الأناراني الخليفة الأكبر ، أشهد له من بعده بالخلافة ، ثم خاف أن يأخذ الطاعون الأشهاد ، فأمر من يكتب له صكاً بذلك الإشهاد ، فلما بلغه إلى السليمانية الخبر ، قبل وأقبل يتعثَّرُ بأذيال الكدر ، حتى إذا وصل إلى الشام ، جلس في دَسْت الإرشاد العام ، وتولى خدمة حرم مولانا بذاته ، وسافر معهم إلى بغداد وإربيل ، ثم عاد بهم إلى الشام ونزل من الجامع الأموي في مشهد الحسين رضي الله عنه ، فما لبث أن مرض مرضه الأخير ، فأقبل إليه من الخلفاء جمٌّ غفير ، وقالوا له : من ذا الذي تأمرنا أن نختلف بعدك إليه ، ونعوِّل في خلافة الإرشاد عليه؟ فقال : إني لا أرى أليق من العارف الصمداني الشيخ محمد الخاني ، ثم استشهد في ذلك المشهد في حدود عام خمسة وأربعين ومئتين وألف ، فحُمل إلى تربة مولانا خالد بالسفح القاسيوني ، ودفن حذاء قبر الشيخ الأناراني ، وكان متجرِّداً لخدمة مولانا وحرمه ، وأنجاله وخدمه ، لم يصدر منه أدنى قصور ، حتى توفي وهو حَصور ، وله من الأخلاق الحميدة ، والكرامات العديدة ، ما يطول ذكره ، ولا ينتهي أمره ، انتهى كلام الخاني.

قلت : هنا مسألة طويلة عريضة ، خلاصتها أن المرحوم الشيخ خالد النقشبندي أوصى بالخلافة الكبرى من بعده لأربعة مرتَّبين ، الشيخ إسماعيل الأناراني ، ثم الشيخ محمد الناصح ، ثم الشيخ عبد الفتاح العقري ، ثم إسماعيل أفندي الغزِّي ، ذكر ذلك هذا الأخير في كتابه « حصول الأنس » في

موضع منه ، ثم قال في موضع آخر : إن حضرةَ الشيخ المشار إليه إنما أوصى بالخلافة للشيخ عبد الله الهروي ، فالناصح فالعقري فهو ، فيكون في عبارة الغزِّي ما فيها ، على أن المتمسكين بخلافة الهروي لم يزيدوا على أن خلافته من قبل الأناراني ، وقد كان من الغزِّي أنه حمل الأناراني وهو مطعون على تخليف المترجَم مع غيبته عن دمشق وقتئذ ، وكان الأولى فيما يظهر تخليف الشيخ العقري ، المنصوص على خلافته بعد وفاة الخليفة الأول والثاني ، والذي بقي حياً إلى ما بعد سنة ١٢٨٠ كما سيأتي في ترجمته قريباً ، تبين من هذا أن خلافة المترجَم الكبرى عن الشيخ خالد فيها نظر ، وإنْ كان له عن الشيخ خلافة مطلقة والله أعلم ، وعلى كلٍّ فمثلُ هذه الخلافة جديرةٌ بالخلاف ، حقيقة بعدم الائتلاف ، وفي دمشق الآن (سنة ١٣٢٤) لهذه الطريقة ثلاث فرق ، فرقة الشيخ محمد أفندي ابن الشيخ نجم الدين ابن مولانا خالد ، وفرقة الشيخ أسعد أفندي ابن الشيخ محمود شقيق مولانا خالد ، وفرقة بني الخاني الآخذين عن المترجَم رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الله الكناني

ترجمه تلميذه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو عبد الله بن محمد بن عيسى بن سعيد الدمشقي الصالحي الشهير بالكِناني ، شيخ الطريقة الخَلوتية في دمشق المحمية ، كان يغلب عليه في بعض الأيام غيبةٌ وجذبة واصطلام ، وكان في تلك الحالة يتكلم بما هبَّ ودرج ، ولا ملام عليه حينئذ ولا حرَج ، وله كشوفات كلية عجيبة ، وإخبارات صائبة غريبة ، وقد شاهدت كثيراً من كشوفاته ، وسمعت كثيراً من إخباراته ، ولي منه إجازة في أذكار تلك الطريقة ، وإذن عام في نشرها بين الخليقة ، وكنت أطالعُ لديه بعض عبارات من كلام السادة الصوفية ، فيسمع لي ولكنه لا يتكلم بالكلية ، ولد في صالحية دمشق سنة ثمان ومئتين وألف ونشأ بها ، وأخذ الطريق عن جده الشيخ عيسى . وكان يقيم الأذكار بزاويتهم في الصالحية .

ومات يوم الاثنين بعد الظهر في العشرين من ذي الحجة الحرام عام اثنين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بسفح قاسيون ، قرب قبر ابن مالك صاحب الألفية رحمهما الله تعالى.

الشيخ عبد الفتاح العقري

ترجمه الشيخ أسعد أفندي الصاحب النقشبندي في كتاب جمعَهُ في رجالِ الطريقة النقشبندية قال : هو المرشد الكامل والموصل الواصل ، الورع التقي والزاهد النقي ، الشيخ عبد الفتاح العقري . كان ملازماً لخدمة مولانا خالد قُدِّس سرُّه في السفر والحضر ، وخلفه خلافة مطلقة ، وكان صاحبَ همة عليَّة وأخلاق رضية ، وتحمُّل مشاقّ كليَّة ، وكان حضرة مولانا يرسله إلى الخلفاء ماشياً على قدميه ، وأرسله إلى القسطنطينية مرَّتين ، وقد جمع من مكاتبات مولانا خالد بإعانة سيدي الوالد مجلداً بخطه الشريف ، ولقد اجتمعتْ على حبه كافَّةُ الخلفاء ، وصار له القبول التام عند أكثر الأمراء .

توفي قُدِّس سره في الآستانه ، ودفن في اسكدار ، سنة بضع وثمانين ومئتين وألف ، انتهى.

قلت :وفي رسالة السيد إسماعيل أفندي الغزِّي النقشبندي التي سماها « حصول الأنس » أن حضرة الشيخ خالد المنوَّه به لما توفي أوصى بالخلافة الكبرى من بعده لأربعة خلفاء مرتبين واحداً بعد واحد ، الأول الشيخ إسماعيل الأناراني ، والثاني الشيخ محمد الناصح ، والثالث المترجَم ، والرابع إسماعيل أفندي المذكور نفسه . ثم إنه مات كل من الأناراني والناصح المذكورَيْن بالطاعون الذي مات به الشيخ سنة ١٢٤٢ ، كما أن السيد الغزِّي مات قبل المترجَم سنة ١٢٤٧ ، فأصبح المترجَم هو الخليفة العام بنصِّ ووصية شيخه مولانا خالد رحمه الله تعالى ، وصار نصبُ غيره في الخلافة الكبرى مسألةً فيها نظر ، والله أعلم.

★ ★ ★

الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت

ذكر عنه بعض المؤرخين نُبذة في مجموعه فقال : هو عبد اللطيف بن علي بن عبد الكريم بن عبد اللطيف بن زين الدين بن محمد فتح الله الحنفي البيروتي ، ثم الدمشقي الشهير بمفتي بيروت .

ولد سنة اثنتين وثمانين ومئة وألف وأخذ عن والده الشيخ علي أفندي وعن الشمس محمد الكزبري . وتولى إفتاء ثغر بيروت ، وكان لايضاهى ، وله شعرٌ رائق ، انتهى.

قلت:ولم يعين المؤرخ وفاة المترجَم ولعله توفي في أواسط هذا القرن ، هذا وقد اطلعت على إجازةٍ طويلة من المترجَم للسيد قاسم دقاق الدودة ، كتبها المجيزُ بخطه سنة ١٢٤٢ ، وذكر فيها شيوخه ومنهم الشهاب أحمد العطار ، والشيخ خليل الكاملي والشيخ علي الشمعة ، والشيخ يوسف شمس ، والشيخ شاكر العقاد ، والشيخ نجيب القلعي ، وشيخ والده الشيخ منصور الحلبي ، والشيخ أحمد البربير ، والشيخ يحيى المصالحي ، والشيخ عبد القادر الرافعي الطرابلسي ، والشيخ عبد القادر القطب الصيداوي مفتي عكا ، وأمين أفندي قاضي دمشق ، والشيخ إسماعيل المواهبي الحلبي وغيرهم . وفي آخر الإجازة المذكورة بيتان لصاحب الترجمة وهما قوله :

إذا سئلتَ فلا تترك مراجعةً ... فالعلم آفتُه لاشك نسيانُ
واجفُ اعتمادك ما في الذهن تخزُنُه ... فقد يقال بأنَّ الذهنَ خوّانُ

ومن المعلوم أن المترجَم كان نزيل المدرسة البادرائية بدمشق ، وقد أخذ عنه وانتفع به جماعة من علماء دمشق وفضلائها كالشيخ عبد القادر الخطيب وأبي السعود أفندي الغزّي وغيرهما ، رحمه الله تعالى.

★ ★ ★

الشيخ عبد اللطيف الشطي

هو عبد اللطيف بن خضر بن معروف بن عبد الله بن مصطفى بن شطّي البغدادي مولداً الدمشقي موطناً ووفاة ، كان من نوابغ الخطاطين وأجلّة المفكرين بدمشق ، كاتباً متقناً متفنناً ، ذا فكر ثاقب ورأي صائب ، كتب بخطه البديع من القطع ، وصنع من التحف ، ما لم يزل منشوراً في البيوت مذكوراً بالألسن ، أخذ الخط وفنونه عن الشيخ مصطفى بن عبد الله الكردي المتوفى سنة ١٢٠٢ ، وأقدم ما رأيته من خطه قطعةٌ مؤرخة في سنة ١٢٠٣ ، ومما اطلعت عليه من تحفه قنينة من البلور لها فُوَّهة لا تدخل الإصبع منها ، وهي مكتوبة من داخلها بالحبر الأسود ، وفي ضمنها أدوات كبيرة خشبية ، بحيث إذا رآها الرائي يأخذه العجب من أمرها . وكرةٌ فلكية مرتكزة على أسلكة لطيفة ، وعليها رسوم الأفلاك والمنازل بصورة تروق الناظر ، وله غير ذلك من التحف النفيسة ، ومن لطائف المترجَم ما حدثنا به العالم المقرئ الشيخ عبد الله الحموي ، قال : طُلب من صاحب الترجمة قطعة تعلق فوق ضريح سيدنا يحيى في الجامع الأموي ، فكتب لهم قطعة فيها قوله تعالى ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ [النجم :٥٨] فلما رآها العلامة الشيخ حامد العطار قال لمن معه : ما كتب هذه القطعة إلا الحاج عبد اللطيف الشطي فإنه حنبلي! .

ومن نوادره ما حدثنا به العلامة العم الشيخ أحمد الشطي قال : كان طرَق أحد اللصوص دار المترجَم وتكرَّر نزوله عليه ، فتفكر في أمره وصنع له فخاً على صورة الكرسي يقبض على رجله إذا نزل ، ثم وضع الفخ في الموضع الذي ينزل اللصُّ منه ، وعلق به آلة متى تحرك خرج منها صوت ، فلما كان الليل نزل اللص ووضع رجله على الفخ ، وهو يظنه كرسياً ، فقبض على رجله وخرج الصوت فارتعش اللصُّ مما رآه ، وآثر على نفسه فخلص رجله وفرَّ بها هارباً والدمُ يقطر منها ، وكان المترجَم قد استيقظ على الصوت ، فخرج إلى السطح وعرف تعلُّق اللص بالفخ وتخلُّصه منه ، ولما رأى في الصباح أثر الدم تتبعه إلى أن وصل

إلى دار اللص وعرفه ، فذهب إليه وهدَّده بالبطش والإهانة ، فشكا إليه حاله وتاب على يده ، فعفا عنه وأكرمه .

ويحكى عن المترجَم غير ذلك من النوادر اللطيفة والأعمال الظريفة ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف عقيماً ، ودُفن في مقبرة آل الشطي من السفح القاسيوني ، ورثاه ابن عمه الجد الكبير ببيتين كتبا على لوح قبره وهما :

يا غافلاً هُبَّ واعتبِرْ بما صرنا | واغنَمْ حياتك قبل أنْ تجاورَنا
وقدِّم الخير ثم كن على وَجَلٍ | وسل مليكاً بعفوه يبادِرُنا

(تذييل) وممن اشتهر في أسرتنا بالخط وأكثر من الكتابة الحاج عبد الفتاح بن عبد القادر بن عبد الله الشطي ، فإنه كان صالحاً تقياً اعتراه في كهولته ضعف في بصره ، فابتهل إلى الله سائلاً منه أن يعافيه ، عازماً إن عافاه ليصرفن عمره في كتابة كتب العلم ، فاستجاب الله دعاءه ووفى هو بعهده ، فإنه اشتغل بالكتابة إلى آخر عمره ، ومما كتبه مصحفان شريفان ، وربعة كاملة ، والصحيحان ، و« موطأ الإمام مالك » ، « وسنن الترمذي » ، وشرح القسطلاني في ست مجلدات ، و« الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور » للسيوطي في مجلدين ، « وطبقات الحنابلة » للعليمي في مجلد تاريخه سنة ١١٩٥ ، و« مناقب الإمام أحمد » ، و« شرح مختصر التحرير » في الأصول ، و« الحصن الحصين » ، وشرحه ، لملا علي القاري ، وأما كتب الأوراد ونحوها فإنه كتب منها شيئاً كثيراً ، وقد أوقف أكثر ما كتبه على طلبة العلم رحمه الله تعالى .

ومن كتابنا الأفاضل ولده الشيخ عبد الوهاب المتوفى قبله سنة ١١٩٣ . اطلعت له على رسائل كتبها وأوقفها وعلى إجازة من العلامة الشيخ أحمد البعلي بخطه ، مؤرخة سنة ١١٨٨ ، ومنهم أخو صاحب الترجمة الحاج محمد أمين الشطي المتوفى سنة ١٢٤٣ ، رأيت بخطه الحسن نسخة من شرح« دليل الطالب » فرغ منها سنة ١١٧٣ ، وغير ذلك من الكتب الموقوفة ، فهذه نبذة مما تركه السلف من الآثار ، عليهم رحمة العزيز الغفار ، آمين .

عبد المحسن أفندي العجلاني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو السيد عبد المحسن ابن السيد حمزة ابن السيد علي العجلاني الدمشقي الحنفي ، نقيب الأشراف بدمشق الشام ، ونخبة أعيانها ورؤسائها الكرام ، المتحلّي بحُلى الفضل والكمال ، والمستوي على عرش اللطف والجمال ، أحد الموسومين بعلو الذكر ، والمشار إليهم بسموٍّ القدر ، قرأ على العلامة الشيخ نجيب القلعي وغيره ، ولما توفي والده حمزة أفندي ولي نقابة الأشراف مكانه ، فمشى على نسق والده من التقوى والديانة ، وكان لأهل النسب والشرف في أيامه قدرٌ عظيم ، لملاحظته لهم بعين الإجلال والتعظيم .

مات عقيماً في شعبان سنة ثلاث وستين ومئتين وألف ، وقد أناف على الثمانين ، ودُفن في مدفنهم المعروف في سوق الغنم ، رحمه الله تعالى ، انتهى

قلت: المحفوظ أن والد المترجَم تولى فتوى دمشق لا نقابتها كما يُعلم من ترجمته ، وكما أفاده السادة بنو عَجْلان ، والله أعلم.

عبد الهادي أفندي العمري

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو السيد عبد الهادي ابن السيد سليم العمري الفاروقي ، الحنفي الدمشقي. كان من صدور الشام وأعيانها الفخام. له صولة عظيمة وهيبة جسيمة ، ولد بدمشق ونشأ بها وساد وبرع ، وسما على كاهل الكمال وارتفع ، وصار عضواً في المجلس الكبير ، وكان عليه تولية وقف سيدي علي بن عليل الشهير ، ثم إنه ترك مخالطة الأكابر والأعيان ، ولزم بيته للصلاة والعبادة وقراءة القرآن الكريم ، إلى أن توفي في شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف ودفن في مقبرة الدحداح ، رحمه الله تعالى. انتهى.

قلت : وخلف المترجَم ولده المولى الجليل سليم أفندي العمري أحد أعيان

دمشق الذي صار كوالده عضواً في مجلس الإدارة الكبير وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٣ عن أولاده الوجهاء الموجودين الآن(سنة ١٣٦٣).

الشيخ عبد المجيد أبو شعر

قال في حقه البيطار ما خلاصته : هو عبد المجيد بن صلاح الدين بن عبد الله الحنبلي الشهير بأبي شعر الدمشقي . شهم ارتقى في سماء المكارم العليا ، فكان فرداً بين أهل الذكر والتقوى ، كثيرَ الطاعة في كلِّ أحيانه ، دائمَ التوجه إلى الله في سرِّه وإعلانه .

مات رحمه الله في سنة ثمانٍ وستين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير وقبره ظاهر ، انتهى .

قلت : إنَّ المترجَم هو ابن أخي الشيخ محمد أبي شعر وشعير الشهير الآتية ترجمته في هذا التاريخ . ويوجد الآن من بيت أبي شعر في محلة الشاغور جماعة معروفون ولم يزل لهم زاوية هناك يقامُ فيها الذكر حسب عادتهم القديمة ، وفقنا الله وإياهم .

علي أفندي المرادي

ترجمه السيد محمد كمال الدين الغزِّي مفتي الشافعية بدمشق ، في الجزء العاشر من تذكرته الكمالية ، قال : هو علي بن حسين بن محمد بن محمد مراد البخاري المحتد ، الدمشقي المنشأ والمولد ، الحنفي الشهير بالمرادي ، صاحبنا الشيخ الفاضل العالم العامل الأديب الشاعر المفنن . ولد بدمشق سنة ١١٦٣ ، ونشأ بها وأخذ عن فضلائها ، فأخذ عن الفاضل محمد البرهاني الداغستاني أمين الفتوى ، وعن أبي الصفا خليل بن مصطفى الرومي ، وقرأ العربية والمنطق على العلامة المحقق علي بن صادق الداغستاني ، وأجاز له كلٌّ من الصفي محمد بن محمد البخاري والشهاب أحمد بن عبيد الله العطار . ثم قال : وذهبنا إلى سيران في بعض متنزَّهات دمشق صحبة ابن عم صاحب الترجمة ، هو العلامة الأثري

المولى أبو الفضل محمد خليل أفندي مفتي دمشق ، وكان ذلك يوم الأحد خامس عشري شوال سنة ثلاثٍ ومئتين وألف ، فابتدر صاحبنا المترجَم وقال :

وروضــة تشقُّهــا الجــداولُ ... وتنفـح الطيـبَ بهـا الخمـائـلُ

فقلت :

تصفِّقُ الأشجارُ في أرجائها ... مـن طـرَبٍ وتصـدَحُ البـلابـلُ
والماء مثلُ صفحةٍ مـن فضـةٍ ... لمــاعــة أتقنهــا الصيــاقــلُ

فقال :

وكـم علينـا للسرور مـن يـدٍ ... فيهـا وتلـك نِعَـمٌ جـلائـلُ

فقلت :

وكم وكم غدا بها من تُحَفٍ ... تـأتي بهـا البكـورُ والأصـائـلُ
من كلِّ مَيّاس القوام إنْ بدا ... منـه الغصـونُ كلُّهـا ذوابـلُ
يهـزأ بـالبـدْر سنـا جبينـه ... ويفضح الشمسَ ضياه الكاملُ

فقال :

ماكان أحلى يومَنا مع سادةٍ ... كلهـــمُ أئمـــةٌ أمـــاثــــلُ
وقـدوةُ الجميـع مفتينـا الـذي ... قـد أذعنَـتْ لفضلـه الأفـاضـلُ
سيدنا الشهم السري الماجدالـ ... مفضـال والمبجَّـلُ الحُـلاحـلُ

فقلت :

العـالم الـدرَّاكـة النِّحـريـرُ مَـنْ ... بجمـعِ أصنـافِ المـزايـا كـافـلُ
مـن المعـالي حـاز كـلَّ خصلـةٍ ... لم يحـوِهـا الآتـونَ والأوائـلُ
أوْحدُ هذا العصر دون مِرْيةٍ ... وخيرُ مـن حفَّـتْ بـه المحـافـلُ
لازال يَـرْقـى في المعـالي رتبـةً ... كـلُّ مقـام عـن عـلاهـا نـازلُ

★ ★ ★

قال : وكتب إليَّ في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٠٤ ، يدعوني أنا وصاحبي الفاضل الكامل أحمد بن إسماعيل المنيني الدمشقي فقال :

أيشغَلُنا الصيام عن التلاقي ويحتبس الرفاقُ عن الرفاق
ويمنعنا ازديارَ الروض شهراً وقد حثَّ الربيعُ على السباقِ
وتلك طيورُه تدعو إليه وتُسعدها الجداولُ والسواقي
فهُبَّا من مقامكما إليه فديتُكما هبوبَ أخي اشتياقِ
ودِيرا من حديثكما علينا كؤوساً راحُها حُلْوُ المذاقِ
فإنْ حَبَس الصيامُ عن اصطباحٍ فما حَبَس الأنامَ عن اغتباقِ

أدام الله الرفيقين الرقيقين ، بل الشقيقين الشفيقين ، بدرَيْ سماء المجد الأثيل ، ومركزَيْ دائرةِ الفضل المعدومة المثيل ، حوضَي الآداب الطافحَيْن ، وروضيها النافحَيْن ، خائضَيْ لُجَّةَ العلوم الزاخرة ، ولابسَيْ حُلَّةَ التقوى الفاخرة ، المشتقّ لهما من الحمد اسمان ، هما بركة الزمان والمكان ، أبقى الله وجودَيْهما في حراسة ، وأبّد رغيدَ عيشهما في نفاسة ، آمين . هذا والمعروض بعد التحية الفائقة ، والأدعية اللائقة ، أن الرجاء إسعافُ هذا الداعي بالتشريف ، إلى بستاننا الغني عن التعريف ، لنفطرَ هناك ليلة الجُمعة ، ونحصِّلَ لشتاتِ شملنا جَمْعة ، فقد طالبَتْنا باللقاء القلوب ، وأمكننا ذلك المطلوب ، فحيَّهْلاً بالأحباب ، لنقضيَ حقَّ الشباب ، وقد تم الكلام فعليكما السلام.

انتهى ما نقله الغزِّي مختصراً ، ولم يؤرخْ وفاة صاحب الترجمة ، وقد تكون وفاته بعد السيد الغزِّي في حدود سنة ١٢٣٠ ، رحمه الله تعالى.

قلت وذكر العلامة البيطار في تاريخه ، في ترجمة حسن أفندي الكواكبي مفتي حلب ، أنه لما ارتحل بنو المرادي إلى مدينة حلب سنة ١٢٠٥ ، أحسن السيد الكواكبي وِفادتهم ومما قاله في مدحهم هذه القصيدة :

حبذا حبذا اتفاقُ الزمانِ بموافاة سادة العرفانِ

يا رعى الله يومَنا حيث فيه شرَّفوا حيَّنا ونِلْنا الأماني
قادةٌ شيدوا منارَ المعالي وعلاهم يعلو على كيوانِ
عن ثقاتٍ لقد سمعنا علاهم فعرفنا مصداقَها بالعِيانِ
هم مُرادي وبغيتي ومرامي ثم قصوى بشائري والأماني
منهمُ سيِّدٌ همام بهيٌّ كاملُ الذاتِ غُرَّةُ الأعيانِ
روحُ أنسٍ ونزهة الدهر حقاً ذو صلاح وعابدُ الرحمن
وكذا الفاضل الوقور (عليٌّ) مَنْ علا بالتُّقى وحِذْقِ البيانِ
جوهرٌ خالص ودرٌّ نضيدٌ فاق إجلالُه على الأقرانِ
إنْ أجادَ النظام نذكرُ قُسّاً أو أفاد العلومَ كالنعمانِ
وكذا الكاملُ الأديبُ سَمِيِّي حسنُ الذات من بني الأُسطواني
لايزالون في نعيم من العيـ شِ مقيم على مدى الأزمان

فأجابه مجد الدين علي أفندي صاحبُ الترجمة المرادي بقوله :

حبَّذا حبذا بلوغُ الأماني وبشيرٌ وافى بعِقْدِ الجمانِ
نحمد الله صحَّ جسم المعالي بدرُ أفْقِ العلوم بَحْرُ المعاني
وبه أصبح الزمان معافى من سَقام الأكدارِ والأحزانِ
يالها نعمة تعمُّ البرايا غمرَتْنا بَاللطف والإحسانِ
أيها السيدُ الهمامُ المفدى معدِنُ الفضل رَوْحُ هذا الزمانِ
حسنُ الذاتِ والصفاتِ المسمَّى حسَناً والكتابُ كالعنوانِ
يا ابنَ قوم تزيَّنَتْ بحُلاهم حلَبٌ وازدهَتْ على البلدانِ
طلعوا في العُلَى كواكبَ علمٍ وهَمَى جودُهم بكلِّ مكانِ
جمع الله فضلَهم فيكَ حتى حُزْتَ ما عنه كَلَّ كُلُّ لسانِ
وملكتَ القلوبَ باللطفِ يهوي لك كالبيت كلُّ قاصٍ وداني
وسحرت العقولَ بالنَّظْم مما فيه من رقَّةٍ وحُسْنِ بيانِ

إلى أن قال :

حفظ الله حاذقاً صاغ هذا الشْـ ـشِعرَ فضلاً يُهدى إلى الإخوان
وكفـاه شـرَّ الحسـود وأبقـى جـاهـهُ شـامخـاً علـى كيـوانِ
مـا حـلا ذكـرُه الجميـلُ وغنَّتْ صـادحـاتُ الحمـام فـي الأفنـان

علي أفندي حسيب العطار

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : كان عالماً لطيفاً ، وفاضلاً شريفاً ، من أكابر الأعيان ، وذوي القَدْر والشان ، ولد سنة خمس وخمسين ومئة وألف ، ومات رحمه الله سنة اثنتين وأربعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح ، وكتب على قبره أبيات آخرها :

مذ للبقا الداعي دعاهُ مؤرّخاً جناتُ عَدْنٍ قد زهَتْ بابنِ النبي
١٢٤٢

انتهى . قلت : إن صاحب الترجمة هو ابن القاضي الأديب السيد محمد العطار الآتية ترجمته ، ووالد الوجيه الكبير أحمد أفندي الحسيبي المتقدمة ترجمته في حرفه ، وقد كان المترجَم يتولى النيابات في محاكم دمشق ، ويوقع على وثائقها هكذا « علي حسيب » كما رأيت ذلك بخطه الحسن ، فاشتهار أسرته الآن بالحسيبي إنما هو بالنسبة إليه ، وعلى كل حال فإن لهم فضيلة ووجاهة ، وبيتهم من بيوت دمشق المعروفة ، وقد عرف للمترجم شعر نوه به السيد كمال الدين الغزِّي في تذكرته ، كما سبق لوالده نظم أشار إليه المولى خليل أفندي المرادي في تاريخه ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

الملا علي السويدي

ترجمه العالم الشهير السيد محمود شكري الآلوسي ، في كتابه « المسك الأذفَر » المطبوع في بغداد سنة ١٣٤٨ ، قال ما خلاصته : هو الملا علي ابن الملا محمد سعيد ابن الملا عبد الله السُويدي البغدادي الشافعي ، كان أعلم أهل مصره في الحديث مع المشاركة التامة في سائر العلوم ، وكان له قوة

حافظة وطلاقة لسان ، لا تكاد توجد في غيره من الأقران ، وكان حسن السيرة طاهر السريرة ، هيناً ليناً تقياً نقياً ، محبوباً من الخواص والعوام ، وقد نال مزيد القرب لدى الوزير الكبير سليمان باشا الصغير . قرأ على والده المذكور ، وعلى عمه الشيخ عبد الرحمن السويدي ، وعليه تخرَّج ، خدرس ووعظ وأفاد وألف مؤلفات ، منها « العِقْد الثمين » في العقائد ، وقد طبع بمصر وهو أعظم مؤلفاته وأشهرها ، وكتاب في الرد على الإمامية ، ورسالة في الخضاب ، وكتابٌ في تاريخ بغداد ، وغير ذلك . وله شعر رائق ونثر فائق ، منه تسميطه قصيدةَ البوصيري التي أولها (إلى متى أنت باللذات مشغول) ، ومن نظمه قوله من قصيدة طويلة :

دِرَاكُ معالي الجِدِّ بالجِدِّ يُعقَدُ ... ونيلُ عوالي العزِّ للعزِّ يُسْنَدُ
وأحسنُ رأيِ المرءِ إنْ كان حازماً ... بفَضْل خطابٍ يصطفيه المهنَّدُ
ولا فضلَ إلا في ذُرا السيف والقنا ... ولا حُكْمَ إلا حكمه المتأيِّدُ
ولا خيرَ في سيفٍ إذا لم يكنْ لَهُ ... قُوى ساعدٍ يعلو بها إذْ يجرَّدُ

قال تلميذه العلامة الآلوسي الكبير في كتابه « نزهة الألباب »: كان لأهل السنَّة برهاناً ، وللعلماء المحدثين سلطاناً ، ما رأيتُ أكثر منه حفظاً ، ولا أعذَبَ منه لفظاً ، ولاأحسن منه وعظاً ، ولا أفصَح منه لساناً ، ولا أوضحَ منه بياناً ، ولا أكمل منه وقاراً ، ولا آمنَ منه جاراً ، ولا أكثرَ منه حِلْماً ، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علماً ، ولا ألينَ منه جانباً ، ولا آنسَ منه صاحباً ، انتهى باختصار.

وقال العلامة المذكور في مجموعته الوسطى : ولهذا الفاضل نظمٌ كثير ، ونثر يُزْري بدراري الفلك الأثير ، ولقد حسَدَنا الدهر عليه فمزَّقه أيادي سَبَا ، وهجم الضَّياعُ عليه فنهبَ وسَبَا ، ولقد مضَتْ لي معه أيامٌ كرَعْتُ فيها من حُمَيَّا مجالسته أهنأَ مُدام ، حيث السَّحابُ مَريع ، والزمان ربيع ، والنسيم عليل ، والوقت كلُّه سحَرٌ وأصيل ، وقد كان في مبدأ طلبي قاطناً في دمشق الشام ، لازالت شامةً في وجنة بلاد الإسلام. . . إلى أن لَقيتُه فرأيته كأنما سرقَ الحسْنُ

من بعض شمائله ، واقتطف العلمُ من بعض فضائله ، فقرأت عليه شرح « نخبة الفكر » في مصطلح أهل الأثر . . . ولم يبق منه إلا القليل ، حتى عزم الشيخ على الرحيل ، قاصداً الرجوع إلى الشام ، لأمر أراده الملك العلام ، فحل بناديها ، ونزل ببطن واديها ، وتغذى بنسيمها ، ونام بحِجْر نعيمها . . فلم تمض مُدَّةٌ حتى قطفت يَدُ الأجَل نُوارَه ، وأطفأت ريحُ المنيَّة أنوارَه ، فتوفي سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ، ليلة الخميس السابع والعشرين من شهر رجب ، ويالها من مصيبةٍ جلبَتْ النَّصَب والعطَب ، ودفن في سفح قاسيون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . . وقد رثاه جماعةٌ من الشعراء والأدباء منهم ناظمُ الدُّرِّ الثمين الشيخ علي الأمين قال :

هو الموتُ لا ينفكُّ يسطو بجحفلٍ ... على كلِّ نادٍ للكرام ومَحْفِلِ
يخاتِلُنا حيناً فحيناً بمكره ... وينقد منا كلَّ أفضل أفضلَ
ولاسيما أهلُ الفضائل والعُلى ... يسدِّد فيهم أسهُماً لم تحوَّلَ

ثم قال :

قضى فقضى من بعده الجودُ والنَّدى ... وناح عليه من يتيم ومُرْمِلِ
فقيدٌ له تبكي العلومُ جميعُها ... بكاءَ ثَكولٍ عند فُقدانها الولي
فتى فضلُه كالشمس يُشرق جَهْرَةً ... إذا ما رَوَوْهُ بالحديث المُسَلْسلِ
سقى الناسَ من فيضِ العلومِ وفي غدٍ ... سَيُسقى سريعاً من رحيقٍ وسَلْسلِ

إلى أن قال :

بكى العلمُ والتدريسُ شجواً لفقده ... وكان لجيدِ العلم كالعِقْدِ في الحُلي
يميناً بذاك العلم والحلم والتقى ... وذاك الندى والجود في كلِّ ممحلِ
إذا شئتُ أرثيه تلَجْلَجَ منطقي ... لما قد عَراني بل عصاني تخيُّلي

قال السيد محمود شكري : وقد أرَّخ وفاة المترجَم ابنُ عمه الملا محمد سعيد السويدي بأبيات آخرها قوله :

مذ وسَّدَ اللحْدَ نادانا مؤرِّخُهُ ... إنَّ المدارِسَ تبكي عند فَقْدِ علي
١٢٣٧

وأعقب صاحب الترجمة ولده العالم الفاضل صاحب المؤلفات الشيخ محمد أمين المتوفى في نجد سنة ١٢٤٦ عائداً من الحجاز تغمَّدهما الله برحمته ، انتهى.

قلت : إن المترجَم هو من شيوخ العلامة الجدّ الشيخ حسن الشطي كما ذكره في ثَبَتِه ، وقد رأيتُ بخط الجدّ المذكور أنه نظم أبياتاً كُتبت على قبر المترجَم في تربة البغادّة من السفح القاسيوني وبيت التاريخ هو قوله :

لما دعاه الله بادَرَ راحلاً أرَّخته زاد له حسن الختام ١٢٣٧.

الشيخ علي الشمعة

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي في الجزء العاشر من تذكرته قال : هو علي بن محمد بن عثمان بن محمد بن رجب بن محمد بن علاء الدين الدمشقي الشافعي الشهير بابن الشمعة ، صاحبنا الشيخ الفاضل العالم الكامل ، المقري الفقيه الذكي اللوذعي الأوحد أبو الحسن نور الدين .

ولد بدمشق في يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة ثمانٍ وخمسين ومئة وألف ، ونشأ بها في حجر أبيه وتلا القرآن العظيم مجوّداً على الشيخ غانم بن أحمد البقاعي ، ثم أخذ في طلب العلم مشمِّراً عن ساق الاجتهاد ، فقرأ في مبادئ العلوم على والده ، وعلى عبد الحي بن إبراهيم البهنسي ، وعلى ابن خاله شيخنا خليل بن عبد السلام الكاملي ، وعنه أخذ علمَيِ العَروض والقوافي ، وأخذ الفقه والحديث درايةً ورواية ، والمنطق وعلوم العربية عن شيخنا العلامة محمد بن عبد الرحمن الكزبري ، وكان به جلُّ انتفاعه ، وأخذ التفسير والحديث والأصلين والمعقولات عن شيخنا المحقق علي بن صادق الداغستاني ، وأعاد له درس الحديث تحت القبة مدة ، وقرأ في فقه الحنفية على كلٍّ من الشيخين محمد بن أبي بكر الجاويش ، وإبراهيم السايحاني كاتب الفتوى بدمشق ، وحضر مجالس الحديث على جماعة من أجِلَّة العلماء بدمشق

وغيرها ، وصار لصاحب الترجمة المَلَكَةُ الكاملة في العلوم ، وجمع للسبعة من طريق الشاطبية وللثلاثة من طريق الدُّرَّة على مقرئ دمشق الشيخ إبراهيم بن عباس الحافظ ، وتصدَّر للتدريس من سنة ١١٧٦ ، وانتفعت به الطلبة ، وأقبل على الاستفادة والإفادة ، ولمَّا توفي شيخنا الإمام أبو الفتح محمد بن محمد العجلوني ، وجِّهتْ عنه لصاحب الترجمة وظيفة التدريس بمدرسة المرحوم إسماعيل باشا العظم الكائنة بسوق الخياطين ، ووظيفة محافظة الكتب الموقوفة بها ، فقام بذلك على أحسن وجه وأكمله ، ودرّس بالمدرسة المزبورة وفي الجامع الشريف الأموي ، بكرة النهار وبين العشاءَين ، وألف مؤلفاتٍ نافعةً منها حاشية صغيرة كتبها على أماكنَ من شرح البخاري للقسطلاني ، تكلَّم في معظمها على رجال الصحيح ، ورسالة على البسملة ، ونظم رسالة « أما بعد » لشيخه التافلاتي ، ونظم مفردات « قواعد الإعراب » الهشامية ، و« المنهل المورود في أحكام المولود » ، ورسالة تتعلق برفع اليدين في تكبيرات الانتقال في الصلاة ، سماها « رفع التعدي في رفع الأيدي » ، وجمع الخلافيات الواقعة بين الشيخين ، الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي والشمس محمد الرملي ، في شرحيهما على « المنهاج » ، وله غير ذلك ونظم ونثر ، وبرع في درك الفضائل وتحصيل الكمالات ، وبلغ في ذلك الرتبةَ العالية ، فمن شعره أبيات قالها في ختم صحيح البخاري لما ختمه في المدرسة المذكورة وذلك في شعبان سنة ١٢٠٥ ومطلعها :

إن هـذا النبـيَّ فـاق الأنـامـا وتسـامـى جـاهـاً وعَـزَّ مقـامـا

وبيت التاريخ منها قوله :

وبـوقـت التمـامِ نـاديـتُ أرِّخ أحمـــد الله أولاً وختـــامـــا
١٢٠٥

وأنشدني من لفظه لنفسه قوله في شقائق النعمان :

ســألــت شقــائـقَ النعمــانِ لمــا بدَتْ في الروضِ والسلسالُ رائقْ
أمـن وجْنـاتِ محبـوبـي اكتسبتـم أجــابــتْ لا ولكنَّــا شقــائــقْ

انتهى كلام الغزِّي مختصراً ، ولم يؤرخ وفاة المترجَم إذ توفي هذا بعده كما سيعلم .

قلت : وممن أخذ عن المترجَم ، الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت ، والشيخ أحمد بيبرس ، والشيخ عبد القادر الميداني وغيرهم .

وكانت وفاته سنة تسع عشرة ومئتين وألف ، ودفن بتربة الباب الصغير ، وقد ترجم السيد المرادي في تاريخه والد صاحب الترجمة محمداً وجده عثمان وأثني عليهما . وأعقب المترجَم ولده السيد أحمد والد سليم أفندي والد صدر دمشق أحمد باشا ، وإخوته الموجودين الآن (سنة ١٣٢٥) ، وبالجملة فبيت الشمعة شمعة البيت فضلاً ومجداً ، رحم الله سلفَهم وبارك في خلفهم.

الشيخ علي الطيبي

ترجمه لنا ولد حفيده صاحبنا الفاضل عمر أفندي قال : هو علي بن عبد الرحمن بن علي الطيبي الشافعي الدمشقي ، العالم الفاضل المفنن ، ولد بدمشق سنة ست عشرة ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده العلامة الشهير ، وقرأ عليه وعلى غيره في العلوم العقلية والنقلية ، فسادَ وفضَل وفاق على أقرانه ، بما كان يتلقّاه عن الأغراب ، من العلوم الرياضية كالمساحة والحساب والجبر والمقابلة ، ومن العلوم العقلية الزائدة على المتداول في دمشق وقتئذ . وكان والده يقول عنه : فاقني ولدي في سائر العلوم سوى علم الفقه . وكان المترجَم أديباً ألمعياً حاسباً فرضياً جسوراً مقداماً له نظم ونثر . . . ولما خرج والده الشيخ إلى الحج أقامه في الدرس مقامه ، مع صغر سنه حينئذ ، ووجود من هو أكثر طلباً منه فأحسن وأجاد ، وقد أفتى ودرس بإذن والده وأشياخه ، وانتفع به الطلبة . وكانت وفاته في حال حياة والده المنوه به ، في رجب سنة خمس وخمسين ومئتين وألف ، عن تسع وثلاثين سنة ، وجزع الناس عليه ولم يجزع والده ، بل صبر واحتسب رحمهما الله تعالى ، انتهى.

قلت: وقد أعقبَ المترجَم ولديه العلامة الشيخ محمد أفندي مفتي حوران

المتوفى سنة ١٣١٧ ، والشيخ محمود أفندي الفَرَضي الشهير المتوفى سنة ١٣٣٠ تغمدهما الله برحمته.

السيد علي السَّقَطي

علي بن حسين بن عبد القادر السقطي الشافعي الدمشقي الصالحي . كان عالماً فاضلاً تقياً صالحاً مقيماً على وتيرة التدريس والعبادة . ولد في صالحية دمشق سنة خمس وعشرين ومئتين وألف ، أو سنة ١٢٢٨ ، ونشأ في حجر والده المقدمة ترجمته ، وأخذ عن عمه الشيخ عبد الغني ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والملا أبي بكر الكردي ، والشيخ حسن البيطار الدمشقيين ، وحصل وانتفع ، وتولى خطابة جامع الشيخ الأكبر ، وإمامة المدرسة العمرية ، ودرس فيهما ، وكان هذا دأبه . وقد أخذ عنه جماعة وانتفعوا به منهم الشيخ محمد التكريتي وغيره ، وما زال على حالته الحسنة إلى أن توفي .

وكانت وفاته سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، ومن أولاده الشيخ سعيد والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى.

الشيخ علي الصفدي

ترجمه تلميذه السيد كمال الدين الغزِّي العامري في تذكرته الكمالية ، وأثبت له من الشعر شيئاً كثيراً ، قال ما مختصره : هو علي بن خالد بن عقِل ابن محمد بن عمر الصفدي الشافعي نزيل دمشق ، الشيخ الأديب الشاعر المجيد البليغ الفصيح الفقيه اللوذعي ، أبو الحسن نور الدين شيخنا .

ولد بقرية شعب من أعمال صفد سنة اثنتين وثلاثين ومئة وألف ، كما أخبرني بذلك من لفظه ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن تجويداً وحفظاً على الشهاب أحمد بن إسماعيل الشعبي ، ثم رحل إلى القاهرة سنة ١١٥٧ ، وطلب العلم فقرأ وأخذ عن الجمال عبد الله الشبراوي ، والنجم محمد بن سالم الحفني ،

والشهابين الملوي والعروسي ، والعماد إسماعيل الغنيمي ، وأخذ الفقه عن جماعة منهم الشيخ عيسى البراوي ، وعبد الكريم الزيات ، والشيخ سابق بن عزام الضرير الزعبلي ، واجتمع بالقطب مصطفى بن كمال الدين البكري وأخذ عنه ، ثم رجع من مصر إلى عكا وهو فاضل سنة ١١٦٤ ، ومكث بها نزيلاً عند الشيخ عمر الظاهر الزيداني ، وتزوج بها وحصل له هناك إقبال وإكرام ، ثم انتقل منها إلى دمشق ، وسكن حجرة في الخانقاه السميساطية سنة ١١٧٠ ، ولم يزل بها إلى سنة ١١٨٠ ، ثم رحل إلى طبريا وتزوج فيها ، وأقام هناك يقرئ أولاد بني زيدان ، ويحصل له منهم الإكرام ، إلى أن أذهب الله دولتهم ، فرجع إلى دمشق وألقى بها عصا التسيار .

وكان من أهل العلم والعمل ، قليلَ الحظ من الدنيا ، معمورَ الأوقات بالعبادة ، ولم يزل على أكمل حالة ، حتى توفاه الله تعالى بدمشق ، يوم الثلاثاء ثالث رجب سنة ثلاث ومئتين وألف ، ودفن بتربة سيدي الشيخ أرسلان ، ومن شعره ما أنشدنيه لنفسه مادحاً صاحبنا الصدر محمد خليل أفندي المرادي ، مفتي الحنفية بدمشق قال :

إذا بُحتُ بالسرِّ يسري الخَبَرْ	وفي القلب ما يغلبُ المصطَبَرْ
وكم للصبابةِ من مُدْنَفٍ	وكم للنوى من قتيلٍ هدَرْ
وما كلُّ عيب له ساترٌ	ولا كلُّ ذنبٍ له مغتفرْ
وما كلُّ من قال قولاً وفى	وما كلُّ من سيمَ خسفاً صبَرْ
لقد شفَّ جسمي هوانُ الهوى	بحب ذواتِ الحَوَى والحوَرْ
هجرْنَ فأجرَيْنَ دمعي دماً	وعذَّبْنَ قلبي بطولِ السَّهَرْ

ثم قال :

فوالِ الوِصال وجافِ الدلال	وخلِّ المحالَ فقلبي انفطَرْ
ولا تمنعنِّي بسيف اللِّحاظ	جنَى الوجنتين ولثم الثَّغَرْ
وجُدْ بالوَفا مثلِ جود الخليل	بنيل المنى بعد دفع الضرَرْ
فتًى ساد قسراً شيوخَ الورى	ودانتْ له بَدْوُها والحضَرْ

وأحيا الرميمَ من المكرماتِ فلولاه لم يبق منها الأثَرْ
همامٌ إذا ما هَمَى كفُّه غَنينا به عن غزيرِ المطَرْ
عصامي عظامي له المفتخَر بطول انتساب حلا بالقصَرْ
لقد شِمْتُ منه عُلا هِمَّةٍ تهيضُ وتصدعُ صُمَّ الصخَرْ
أقولُ لمن رام شأوَ الخليل ألا اطْرِقْ كَرَى عن طلاب القمَرْ
لياليه غُرَّةُ أيامنا وأيامُه ضوء عينِ الدهَرْ
إذا استرعف الكفَّ منه اليراعُ أثار الغبارَ على مَن غبَرْ
هو البحر إنْ ضنَّ أشباهُهُ جرى النهرُ من كنزِهِ بالدُّرَرْ
فلا زال يسمو مراقي العلا وأكبادُ حُسَّاده في سقَرْ

الشيخ عمر اليافي

ترجمه العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري في مقدمة ديوانه المطبوع سنة ١٣١٢ قال ما خلاصته : هو أبو الوفا قطب الدين الشيخ عمر بن محمد الدمياطي محتِداً اليافي شهرةً ومولداً ، الغزِّي ثم الدمشقي موطناً ، الحنفي مذهباً الخلوتي طريقة ، العالم العلامة العارف الفهامة ، الناسك الصالح المرشد الناصح ، المتفنن في جميع العلوم ، شيخ الجميع على الخصوص والعموم ، قال لي والدي رحمه الله تعالى : كان شيخنا الشيخ عمر اليافي قُدِّس سره إذا تكلم أفاد ، وإذا كتب أجاد ، ولد في مدينة يافا سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف ، ونشأ بها ، وتلا القرآن العظيم تجويداً وحفظاً على الشيخ علي الخالدي ، ثم جدَّ في طلب العلم ، فقرأ في يافا وفي غزة على كلٍّ من النور علي الرشيدي ، والشمس محمد مهيار الحنفيين ، وأبي التقي عبد القادر الطرابلسي ، والشيخ سليم الدجاني ، والشهاب أحمد زائد الغزِّي ، ثم رحل إلى نابلس فأخذ عن الصفي محمد بن محمد البخاري ، والشهاب أحمد بن محمد الباقاني ، والشيخ محمد بن أحمد المنقاري ، ثم عن الشيخ النخال الغزِّي ، وأبي النجا سالم السلمي الشافعيين ، ثم رحل إلى مصر فأخذ عن معظم شيوخها ، ثم رجع إلى غزة فأخذ الطريقة الخلوتية وكمل علوم الحقيقة ،

على شيخ الشيوخ بها كمال الدين بن العالم العارف السيد مصطفى البكري المتوفى سنة ١١٩٦ ، ثم قدم المترجَم إلى دمشق سنة ١١٩٨ ، فأخذ عن جملة من شيوخها ، ثم ساح في البلاد الشامية والحجازية وغيرها ، لإقامة الأذكار ونشر العلوم ، وحج وزار الأماكن المقدَّسة ، وتبرَّك بالعلماء والصالحين وصنف وألف وحقَّق ودقق ، ومن تصانيفه رسالة سماها : « هداية أهل المحبة في معنى قوله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه » ، و« لباب المغنم ومنية المغرم ،في معنى الاسم الأعظم » ، ورسالة في الفرق بين الواحد والأحد ، ورسالة في الحض على بِرِّ الوالدين ، ورسالة في تفسير بيتي الشيخ الأكبر وهما قوله :

إيـــاك إيـــاك يـــامـــن أحيـــاك مـــن إيـــاكـــا
واخـــرُجْ لإيـــاك مـــن إيـــاك عـــن إيـــاكـــا
وافـــن بـــإيـــاك عـــن إيـــاك مـــن إيـــاكـــا
وانظـــر لإيـــاك تلقـــى إيـــاك هـــوْ إيـــاكـــا[1]

ورسالة في الطريقة النقشبندية وتفسير الإحدى عشرة كلمة التي بنيت عليها هذه الطريقة ، ورسالة في حكمة اجتماع الذاكرين وحركاتهم على الطريقة الصوفية ، ورسالة في معنى التصوف والصوفي ، ورسالة في حل البيت المشهور :

ما كنت أدري قبل عزَّةَ ما البكا ولا موجعاتِ القلبِ حتى تولَّتِ

ورسالة في دخول الحمام ، و« منح العليم ، في بسم الله الرحمن الرحيم » ، و« قطع النزاع وكشف القناع في الرد على من اعترض على العارف النابلسي في إباحة السماع » ، ورسالة في اسم علي ، ألَّفها لعلي آغا ، حاكم عكّار وقتئذ ، وله غير ذلك رسائل ومراسلات كثيرة ، وكان له اليد الطولى في

---

(١) دين الإسلام يستنكر هذه المعميات التي تنطوي على القول بوحدة الوجود ، ويحكم على قائلها بالانحراف عن الصراط السوي.

الفقه والحديث والنحو ، وله موشَّحات كثيرة أكثرها على مصطلح القوم ، تدل على تحقُّقه وتفنُّنه ، جمع بعضَها حفيدُه الشيخ عبد الكريم اليافي ، وقد أهدى له يوماً بعض تلامذته زهرة تسمى (فتنة) فقال ارتجالاً :

لله درُّك طيبـــاً قـــد عطَّـــرتْنـــي نَفْحتُـــكْ
وقـــد سبَـــتْ منـــي النُّهـــى (إنْ هـــي إلا فِتْنَتُـــكْ)

ثم إن المترجَم استوطن دمشق الشام ، المملوءة وقتئذ بالأدباء والعلماء الأعلام واتخذ له في جامع بني أمية حُجرةً كبيرة ، تعرف حتى الآن بمشهد اليافي ، لإقامة الأذكار وإفادة المريدين .

ولم يزل على طريقته الحسنى ، حتى توفي بدمشق في غرة ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف ، ودفن بتربة مرج الدحداح وقبره يزار ويتبرك به! ، وقد رثاه الشعراء بالمراثي الرنَّانة ، ومنها مرثية الأديب المشهور الشيخ أمين الجندي ومطلعها :

قسِـيُّ المنـايـا مـا لأسهمهـا ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعْدُ

ومن أولاد المترجَم الشيخ محمد الملقب بالزُّهْري الذي قام مقام والده ، وتوفي بدمشق سنة ١٢٧٧ ، والشيخ أبو النصر الذي قام مقام والده أيضاً ، وتوفي بمصر سنة ١٢٨٠ ، والشيخ محيي الدين الذي تولى إفتاء بيروت ثم فصل عنه وتوفي بها سنة ١٣٠٤ ، رحم الله الجميع ، آمين.

الشيخ عمر المجتهد

هو عمر بن أحمد الحنفي الدمشقي الشهير بالمجتهد ، العلامة الفقيه المحدث النحرير ، العابد الورع . ولد عام ثمانية وسبعين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده ، وأخذ عن جماعةٍ من علماء دمشق ، منهم الشمس الكزبري ، والشهاب العطار ، والشيخ محمد البخاري الخليلي ، والشيخ هبة الله التاجي وغيرهم ، كما ذكر ذلك بخطه . وتصدر للتدريس والإفادة ، فأخذ عنه الجَمُّ

الغفير ، منهم الشيخ حسن البيطار ، والسيد قاسم دقاق الدودة ، وغيرهما . وكان المترجَم حسن الأخلاق نافذ الكلمة ، محترماً عند الخاصِّ والعام .

وكانت وفاته في ثاني عشري شعبان سنة أربع وخمسين ومئتين وألف ودفن بمقبرة الباب الصغير ، ولم يزل له ذرية معروفة ، رحمه الله تعالى.

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال في وصفه : شيخ حرم العلم وإمامه ، ومن في يده ناصيته وزِمامه ، أخذ العلم عن شيوخ أجلاء ، منهم السيد محمد شاكر العقاد ، وتلقى الطريق عن الإمامين الجليلين الشيخ عمر اليافي الخلوتي ، والشيخ خالد الكردي النقشبندي ، وكان دائم الأذكار حافظاً للأحكام كثير العبادة ، طلب لأمانة الفتوى بدمشق مرتين فلم يقبل ، وكان وقوراً عزيزاً يهابه كل من رآه ، ويتبرك به كل من قصده ونحاه ، انتهى.

عمر أفندي الغزِّي

هو عمر بن عبد الغني بن محمد شريف ابن الشمس محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا بن بدر الدين بن رضي الدين بن رضي الدين أيضاً ابن الشهاب أحمد الغزِّي العامري ، مفتي الشافعية بدمشق ، وأحد رؤسائها وعلمائها ، وصدورها وفضلائها ، كان إماماً عالماً محترماً مبجلاً ، مسموع الكلام مرفوع المقام ، ترجمه ولده محمد أفندي الآتية ترجمته في حرفه قال :

هو أبو حفص نور الدين ، ولد ليلة الاثنين ثاني ذي الحجة سنة مئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن الكريم على الحافظ مصطفى المكتبي ، والشريف حسن المكي ، والإمام محمد شاكر العقاد ، حفظاً للبعض وتجويداً للباقي ، ثم طلب العلم وهو ابن سبع سنين ، فقرأ على والده وعمه السيد كمال الدين مبادئ العلوم كـ« الآجرومية » وشرحها ، وحفظ « الألفية » و« الجوهرة » و« السنوسية » و« الغاية » و« الرحبية » ، ثم قرأ عليهما ابن قاسم والخطيب و« شرح التحرير » ، وأجازه كلٌّ منهما ، وأذن له والده في الأخذ عن مشايخ دمشق فأخذ « صحيح البخاري » بالإجازة العامة عن الشمس محمد الكزبري ،

والشهاب أحمد العطار ، والعلامة علي الشمعة ، والشيخ عبد القادر حفيد الأستاذ عبد الغني النابلسي . وقرأ شرحي الشيخ خالد والأزهرية وشرح « القطر » ، والاستعارات ، و« البناء » ، وشرحه ، و« إيساغوجي » ، وشرحيه ، مع حاشية الدلجي ، وشرح الكافي ، وشرح القواعد ، وابن عقيل ، و« المغني » ، والأشموني ، و« البيضاوي » ، و« الجلالين » ، والكشاف و« المواهب اللدنية » ، و« شرح الهمزية » لابن حجر ، و« رياض الصالحين » ، وشرحها لابن علان ، والسِّبْط ، والشنشوري ، و« الأربعين النواوية » ، و« شرح الجزَرية » ، كل ذلك على العلامة السيد محمد شاكرالعقاد وبه انتفع وعلى يده تخرّج ، وقرأ « التحرير » و« شرح المنهج » على العالم الفقيه الشيخ عبد الرحمن بن علي الطيبي ، وقرأ بعضاً من « المغني » و« المختصر » و« المطول » ، وشرح « جمع الجوامع » للمحلي ، و« شرح الشافية » للجاربَرْدي ، وابن الناظم على العلامة الشيخ سعيد بن حسن الحلبي . واستجاز من المدينة خال والده الشيخ مصطفى الرحمتي (توفي سنة ١٢٠٥ فتأمل) فأجازه بخطِّه ، ومن مكَّة العلامة عبد الملك بن عبد المنعم القَلْعي مفتي مكة ، فراسله بالإجازة ، وذلك سنة ١٢٢٠ ، وأجازه جميعُ شيوخه المقدَّم ذكرُهم ، ولما كان ابنَ سبعَ عشرة تولى إمامة الشافعية بجامع بني أمية ، وفي تلك السنة أخذ في الإقراء والتدريس والإفادة ، بإذنٍ من شيخه الكزبري وباقي شيوخه ، وفي سنة ١٢٢٦ باشر الإفتاء كأسلافه ، ونظم الشعر اللطيف ، وأنشأ الإنشاء الظريف ، وألف مؤلفات منها شرح منظومة جده البدر في النحو ، سماها « الكواكب الدرية » و« هداية الأنام إلى خلاصة أحكام الإسلام » ، ورسالة في التكرار الواقع في القرآن الكريم ، وشرح على « الآجرُّومية » ، ورسالة في المناسك ، وديوان شعر . قال : جمعته له ، وله غير ذلك ، وأخذ الطريقة الشيبانية عن الأستاذ الشيخ عمر التغلبي الآخذ عن الأستاذ الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي ، ثم قرأ على المرشد الكبير الشيخ خالد النقشبندي ، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية وله منه إجازة ؛ وأخذ الطريقة البكرية عن الأستاذ المرشدالشيخ مصطفى النحلاوي البكري وله منه إجازة . وصار المترجَم من أعضاء المجلس الكبير في أيالة الشام ؛ وانعقدت عليه الرياسة

في دمشق ، واشتهر في الديار الشامية ، فلم يبق من يقارنه أمراً ونهياً حلاً وعقداً ، وكان إليه الإشارة فيما يعقد من المجالس ، هذا مع تصدُّره للتدريس والإفادة للخاص والعام ، مقداماً جسوراً مهاباً وقوراً ، جواداً سخياً محبوباً عند عموم الناس ، لم يقدح فيه قادح ، حَسَن الشكالة طويل القامة ، أزهر اللون ، ضخم الجسم ، مهيبَ المنظر منوَّرَ الشيبة ، بشوشاً متواضعاً .

ولما وقعت الفتنة المشهورة بين الإسلام والنصارى في دمشق ، وحضر من الآستانة الوزير فؤاد باشا ونفى وجوه الشام ، نفي المترجَم في الجملة إلى قلعة الماغوصة في جزيرة قبرص ، وذلك في خامس ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومئتين وألف ،وكان معه إذ ذاك ولده سعيد أفندي ، فأقام بها إلى ثاني رمضان من السنة المذكورة ، وفيه توفاه الله تعالى ودُفن في جامعها المشهور ، وقبره هناك يقصد ويزار ، وقد صلي عليه في دمشق وغيرها غياباً ، وغُمَّتِ الناس لوفاته ، رحمه الله رحمة واسعة ، انتهى

قلت : وقد رزئ صاحب الترجمة بولده عبد الغني أفندي ، وكان شابًا فاضلاً نبيلاً نبيهاً ، حسن الذات والصفات ، قرأ على والده المترجَم وانتفع به ، وصار قاضياً في بيروت سنة ١٢٥٩ ، وبعد أن أتمَّ المدَّة الرسمية بها حضر إلى دمشق فمرض أياماً وتوفي ، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومئتين وألف عن ٣٧ عاماً رحمه الله تعالى

عمر أفندي الآمدي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال في وصفه : هو عمر بن مصطفى بن عمر بن يحيى الآمدي الحنفي نزيل دمشق ، إمام العلوم العربية وعلاّمها ، والمنشورة به في الخافقين أعلامها ، منهج السالك ، لأرقى المسالك ، خطيب منبر المعقول والمنقول ، وكعبة حجّاج الفروع والأصول ، العابد الزاهد ، بين شاكر من الناس وحامد ، توفي نهار الأحد في ثامن رجب الفرد سنة اثنتين وستين ومئتين وألف ودُفن في المقبرة الذهبية ، انتهى.

قلت: وذكر الأستاذ المشار إليه في موضع آخر من تاريخه ، أن المترجَم تولى إمامة الحنفية في جامع بني أمية ، ولم يزد على ذلك شيئاً ، ومن المعلوم أن الشيخ صاحب الترجمة ، ولد في دياربكر سنة ١١٧٨ كما اطلعت عليه ، وأنه كان من أكابر العلماء ؛ قدم دمشق من بلاده سنة ١٢٢٦ ؛ فانتفع به كثير من أهل العلم ، ومن أجلِّ من أخذ عنه العلامتان محمود أفندي الحمزاوي ، والشيخ إبراهيم العطار ، كما ذكرا ذلك في ثبتيهما . وهو والد العلامة طاهر أفندي الآمدي مفتي دمشق الأسبق المتوفى سنة ١٣٠١ ، عن ولده الفاضل الكامل عمر أفندي المتوفى سنة ١٣٢٥ ،عن ولده صديقنا الفاضل سعدي أفندي الموجود الآن (سنة ١٣٦٣) ، فرحم الله السلف وبارك في الخلف

عمر أفندي المالكي

أخبرنا عنه ولده الفاضل الشيخ مصطفى أفندي ، فهو عمر بن إبراهيم الحنفي الدمشقي الشهير بالمالكي ، العالم النِّحْرير المحدِّث الفقيه ، المقرئ الفرضي الحيسوبي النحوي الأوحد. ولد بدمشق سنة سبع وعشرين ومئتين وألف تقريباً ونشأ في حجر والده ، وكان والده إبراهيم أفندي من الأفاضل المنوه بهم ، توفي بعد سنة ١٢٥٠ ، وقد طلب المترجَم العلم فأخذ عن جماعة من صدور دمشق ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ حسن الشطي ، والشيخ عبد الرحمن الحفار وغيرهم ، ونبُلَ قدرُه وأشرق بدره ، وصار من فضلاء دمشق المبرِّزين ووجهائها المحترمين ، وألَّف رسائل في الفرائض والحساب ، وكتب تعاليق في النحو وغير ذلك .

وكانت وفاته في محرم سنة سبع وتسعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى.

★ ★ ★

الشيخ عمر التغلبي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال : هو عمر بن عبد القادر بن عمر بن علي بن سعد الدين بن محمد بن محب الدين بن سعد الدين بن محمد ابن الشيخ محمد أبي تغلب بن سالم بن محمد بن نصر بن منتصر بن علي بن عثمان بن حسين بن قاسم بن محمد بن سيف الدين الرجيحي ابن سابق بن هلال ابن الشيخ يونس الشيباني الكبير والد السيد سعد الدين الجباوي الشهير. . . ولد بدمشق سنة عشر ومئة وألف (كذا) ونشأ في السلوك والطريق ، والعلم والتحقيق ، وأخذ عن العلماء العظام ، والسادة الأعلام ، وكان شيخ السجادة التغلبية ، في دمشق المحمية ، واشتهر وفاق ، وأخذ عنه أهل الآفاق ، ويحكى عنه كرامات وخوارق ومكاشفات .

مات سنة خمس عشرة ومئتين وألف (كذا) ودفن في مرج الدحداح ، انتهى.

قلت : أخبرني بعض أحفاد المترجَم أن جدَّه هذا أخذ عن العارف النابلسي وعاش مئة وأربع سنوات وتوفي سنة ١٢٢٠ وأرخ وفاته الشاعر البربير بأبيات آخرها قوله :

فالأرض ناحَتْ عليه والسماء بكَتْ بالدمع مذ قلت تاريخي قضى عمر
١٢٢٠

ثم ترجم العلامة المذكور ولد صاحب الترجمه وسميه الشيخ عمر بن عمر بن عبد القادر التغلبي شيخ الطريقة التغلبية الشيبانية بعد والده المقدم ذكره وقال في وصفه : كان كثير التقوى والعبادة ، شهيراً في الأمور الخارقة للعادة ، حسن الإرشاد ظاهر الإمداد ، له شأنٌ وهيبة ، وقَدْرٌ وحرمة ، ولد بدمشق ونشأبها ، وصار من أجِلاّئها وأعيانها .

توفي في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومئتين

وألف ، ودفن في مرج الدحداح عند قبور أسلافه ، انتهى.

قلت : وهذا المترجَم الثاني أعقب كلاً من الشيخ يونس الآتية ترجمته في حرفه ، والأستاذ بقية السلف الشيخ محسن التغلبي المتوفى في سنة ١٣٦١ رحم الله الجميع ، آمين. وهذا الأخير هو والد صديقنا الأديب المفنن حسن أفندي خليفة والده الموما إليه ، بارك الله فيه.



حرف الغين

الشيخ غنام النجدي

ترجمه الأستاذ العم مراد أفندي في مسوَّدة طبقات الحنابلة قال : هو الشيخ غنام بن محمد بن غنام الزبيري أصلاً النجدي مولداً الدمشقي سكناً ، العالم المتضلع الفاضل الكامل المحدث الفقيه الفرضي الحيسوبي ، أخذ الفقه عن الشيخ أحمد البعلي ، وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد العطار ، وكتب له إجازة بخطه على ظهر ثبته ، وأخذ بقية العلوم عن علماء عصره ، وكان له وللشيخ مصطفى السيوطي الآتية ترجمته ، المنتهى في معرفة الفقه والفرائض والاطلاع على غوامضهما ، ويوجد له تقارير وأبحاث كثيرة على هوامش شرح المنتهى ، بحثاً مع الأصحاب وحلاً لمشكل كلامهم ، وقد أخذ عنه الفقه والحديث العلامة الجد الشيخ حسن الشطي والشيخ سعيد السفاريني وغيرهما ، وانتفع به الطلبة انتفاعاً كثيراً ، وقرأتُ بخط سيدي الجدِّ المشار إليه أنه توفي يوم السبت ثامن ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ، ودفن بالمقبرة الذهبية من مرج الدحداح ، ورثاه تلميذه السفاريني المذكور بقصيدة طويلة منها قوله :

لقد غاب الحِجا منا لأَفْلِ الكوكبِ الأنوَرْ
وقد هملتْ محاجرُنا بكاءً بالدَّمِ الأحمَرْ

ومنها :

هو (الإقناع) مُقنعُنا لدُرِّ (المنتهى) أظهَرْ
فروع الفقهِ حرَّرها وتوحيدٌ به أثمَرْ
وتحديثٌ له أزكى من الحلوى مع السكَّرْ

وآخرها :

سقى مولايَ تربتَهُ شآبيبَ الرِّضى الأوفَرْ
ومتَّعَهُ بجناتٍ وخيراتٍ بها يظفَرْ

★ ★ ★

حرف القاف

الشيخ قاسم الحلاق

ترجمه حفيده أستاذنا العالم المفضال الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه « تعطير المشام في مآثِرِ الشام » ، قال ما مختصره :

هو قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الشهير بالحلاق الدمشقي الشافعي ، بحر العلم الزاخر وروض العرفان الناضر ، إمام العلم وحامل لوائه ، وفلَكُ الفضل وكوكب سمائه ، صاحب التآليف المشهورة والمناقب التي على ألسنة الدهر مأثورة ، ولد بدمشق الشام سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، فبزَغَ وآيَةُ النجابةِ ترمقه ، وبشائر الفتوَّة تعشَقُه ، وتكسَّبَ بصَنْعةِ الحلاقة في حداثته ، ثم أقبل على الاشتغال بالعلوم ، فأخذ عن الفحول ، ووصل قبل زمن الوصول ، ومن مشايخه العلامة الشيخ صالح الدسوقي ووالده بركة عصره الشيخ محمد الدسوقي ، ولازم محدِّث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وكان من أجلِّ أخصَّائه ، وأجازه بالطريقة القادرية ، وألبسه الخِرْقة ، وحضر مدة لدى الأستاذ الكبير الشيخ سعيد الحلبي ، وأخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ عبد القادر الكيَّالي الرفاعي لما ورد دمشق ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أحمد الأربيلي خليفة مولانا خالد النقشبندي ، وتصدر المترجَم للإقراء والإفادة في حياة شيوخه ، على ذهن متوقد في حل المشكلات ، وحَبَّبهُ المولى إلى الأنام ، الخاص منهم والعام ، وكان حسَنَ الأخلاق ، لطيفَ الذات حسنَ العشرة جداً ، متحلِّياً بالقناعة متخلِّياً للطاعة ، لذيذَ المذاكرة ، شهيَّ المحاضرة ، مع فصاحة لسان ، وطلاوة بيان ، عظيم التحرِّي في أمور العبادة . لم يخالط الكُبرَاء ، ولم تستفزَّه الأهواء ، ولما رحل سنة ١٢٧٠ إلى مصر وزار الجامع الأزهر استجاز من العلامة الشيخ مصطفى المبلّط فأجازه ، ومن العلامة الشيخ إبراهيم

الباجوري ، فكتب له إجازةً أثنى فيها على فضله ونُبْله . وقد ألف المترجَم مؤلفات منها : « إعانة الناسك على أداء المناسك » ، و« التوسلات الحَسْنا بنظم أسماء الله الحُسْنى » ، وهو مشتمل على ثلاثة عقود ، سمى الأول « إغاثة الملهوف فيما دهمه من الصروف » ، والثاني « إعانة المغلوب على ما نزل به من الخطوب » ، والثالث « مفتاح الفرج لكل ذي شدة وحرج » ، وقد شرح هذه العقود الشيخ أحمد الفيشى الأزهري في مجلد ، ورسالة فيمن حجَّ البيت الحرام ومات وعليه ذنوب صغائر وكبائر وتبعات ، ورسالة في محرَّمات النكاح برضاع أو نسب وتصوير مسائلها ، ورسالة في عقيدة أهل السنة ، ومولد سماه « مورد الناهل بمولد النبي الكامل » ، وتضمين البردة سمّاه « الدرة الزاهرة بتضمين البُرْأة الفاخرة » ، طبعت بدمشق مع قصائد نبوية سنة ١٢٨٤ ، وقد أخذ عن المترجَم خلقٌ كثير ، وانتفع به جمٌّ غفير ، وحصل له من حميد الذكر وجميل النشر ، ما لا تزال الرواةُ تدرسه والتواريخ تحرسه ، وقد أم في جامع حسّان ، وخطب فيه ودرَّس بحجرته ، ثم عين إماماً للشافعية بجامع السنانية سنة ١٢٧٩ ، خَلَفاً للشيخ عبد الله الكردي فأم فيه وأحيا دروسَه الليلية والنهارية حديثاً وفقهاً ، وكان له نظم فائق ونثر رائق ، ومن شعره هذه القصيدة التوسُّلية المرتَّبة على حروف الهجاء نظمها وهو في رمد شديد وصار يتلوها فشُفي مما أَلَمَّ به وها هي :

أشكو إلى الله ما ألقاه من لَمَمي ... وما أُقاسيه من ضُرِّي ومن أَلمي
بالذُّلِّ وافَيْتُ بابَ العزِّ منكسراً ... مستغفراً من ذنوبٍ أوجبتْ سَقَمي
تالله هذا العبد في كربٍ ... من ضعف همته تلفيه كالعدَم
ثوَيْتُ في ساحةِ الإحسان معتكفاً ... مؤمِّلاً عادةَ السادات للخدَم
جرَّدْتُ عزمي ويمَّمْتُ الحِمى طلباً ... للعفو والجود والإفضال والكرَم
حسَّنْتُ ظني بربِّ العالمين فلي ... بحُسْن ظني رجاءٌ غيرُ منخرم
خلَّصتَ نوحاً وأيُّوبَ الصبورَ كما ... نجَّيْتَ ذا النون إذْ ناداكَ في الظُّلَمِ
دعاك قومٌ كرامٌ فاستجبتَ لهم ... هبني إلٰهي لهم باللَّوْح والقلَمِ

ذابَتْ مرارةُ صبري من تحمُّلها ما لاتطيق فيا حُزْني ويا ندَمي
رميتُ نفسي وألقيتُ السلاح ولا حول ولا قوَّة عندي سوى سَقَمي
زال الشبابُ وزارَ الشيبُ يا أسفي ضيَّعْتُ عمري وما أُوتيت من نِعَم
سر بي إلى حضرة التقريب منك على معارجِ الصَّفْح والتقديس والسَّلَمَ
شفَّعْتَ خير البرايا بالعُصاة فما عصيانهم جنب عصياني بذي كَلِمَ
صرحت ذلاً بشكوى ليس يكشِفُها سواك يا ذا الغنى والجود والكرَم
ضاق الخناقُ ورُشْدي ضلَّ مندهشاً كالضبِّ في قَفْرِهِ والحوت في حمِ
طال العناء وصبري كلَّ ياسندي وليس لي سَنَدٌ والعجزُ من شِيمي
ظلمتُ نفسي ولكن لا أقنِّطُها من رحمة الله ذي الآلاء والنعم
عوَّدتني اللطفَ والإحسانَ من صِغَري حاشا تضيعني في حالة الهرم
غرِقْتُ في وحلتي أدعوكَ تُنقذُني بحرمة المصطفى يا بارئَ النَّسَمِ
فرِّجْ همومي فما للعبد عنك غِنًى واحفظْ لدِيني وما أوليتَ من نِعَمِ
قد قلتَ إني قريبٌ أستجيبُ لكم أمَّنْ يجيب دُعا المضطر ذي اللَّمَمِ
كن لي مجيراً إذا ليلُ البلاء سَجَى كما أجَرْت أبا إسحاق من ضرم
لضيق صدري طرقتُ الباب منزعجاً مستصرِخاً خائفاً من زَلَّةِ القدَم
من لي ومن لي من الأهوال يُنقذني إنْ لم تكن منقذي من سوءِ مقتحَمي
نجَّيتَ موسى وهاروناً وقومهما من كيد فرعون والإغراق بالسلم
هبْ لي النجاةَ فإني عشتُ ذا سَرَفٍ من كلِّ ذنبٍ وحق قرَّ في ذِممي
وعافني واعفُ عني واهدني وقني شرَّ القضاء وما قد خُطَّ بالقلَمِ
لاحولَ عندي ولا لي قوَّةٌ أبداً فلا تَكِلْني إلى نفسي ولا رحمي
يسِّرْ وأصلِحْ وأحسنْ منكَ لي كرَماً أمري وديني مع الدنيا ومختتمي

ومن شعر المترجَم تخميس بيتي الأعرابي المشهورين وهو قوله :

يا سيداً سادةُ الأملاك تخدُمه وشرَّفَ العرشَ والكرسيَّ مقدَمُهُ
إني جريح وجرحي عز مرهمه
(ياخير من دُفنت في القاع أعظُمُه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكَمُ)

يـا طيِّبـاً فـاقـتِ العليـا أمـاكنـهُ والطِّيبُ من طَيْبَةَ الفيحا معادِنُهُ
إني استجرتُ وقلبي هاجَ شاجنُه
(روحي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ)

وله غير ذلك من الرقائق والأدبيات ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء ختام شعبان سنة أربع وثمانين ومئتين وألف ، وصلى عليه تلميذُه المحدِّث الشيخ أحمد مسلم الكزبري في جامع السنانية ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير لصيق قبر الشيخ إسماعيل الحايك مفتي دمشق رحمه الله تعالى ، انتهى.

قلت : وأعقب المترجَم أولادَه الثلاثة وهم الفاضل الكامل الشيخ سعيد أفندي المتوفى سنة ١٣١٧ ، والعالم الشيخ محمد أفندي المتوفى سنة ١٣٣٦ ، والفاضل عبد الغني أفندي الموجود الآن ، والأول هو والد الأستاذ الشيخ جمال أفندي الموما إليه المتوفى سنة ١٣٣٢ ، والثاني هو والد صاحبنا الألمعي أحمد أفندي القاسمي مدير أوقاف دمشق الآن (سنة ١٣٦٣).

السيد قاسم دقاق الدودة

هو قاسم بن علي بن مصطفى بن علي ابن السيد نصري الحسيني الشهير بدقاق الدودة الشافعي الدمشقي ، العالم الفاضل الفلكي الموقتَ المفنن ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن مشايخ كثيرين ، وقفت له على مجموعة مؤرَّخة سنة ١٢٤٢ ، مشتملة على إجازاته من علماء عصره من مصريِّين ودمشقيين ، وهم الشيخ محمد الأمير الصغير ، والشيخ محمد بن أحمد العروسي ، والشيخ أحمد الدمهوجي ، والشيخ محمد صالح السباعي ، والشيخ محمد الفضالي ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد الصفتي ، والشيخ محمد البسطي ، والشيخ أحمد السباعي ، والشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ سالم الشرقاوي ، والشيخ مصطفى الدسوقي ، والشيخ علي البخاري ، المصريون . والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ محمد الهاشمي المغربي نزيل دمشق ، والشيخ مصطفى السيوطي ، وعمر أفندي

الغزِّي ، والشيخ عبد الغني السقطي ، والسيد أسعد المنيِّر ، والشيخ خليل الخشه ، والشيخ نجيب القلعي ، والشيخ عبد القادر الميداني ، والشيخ أحمد أبو الفتح العجلوني ، وأخوه الشيخ صالح أبو الفتح ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عمر المجتهد ، والشيخ محمد الأيوبي الرحمتي ، والشيخ أحمد بيبرس ، والشيخ عبد اللطيف فتح الله مفتي بيروت ، والشيخ محمد عيد العاني ، والشيخ عبد الله الكردي الحيدري ، والشيخ صالح إياس ، الدمشقيون . وكلهم كتبوا لصاحب الترجمة الإجازات اللطيفة ، بخطوطهم الشريفة ، وفي آخر مجموعته المذكورة إجازة له بالأذان من السيد علي بن حسن رئيس المؤذنين ، ومن السيد محمد بن محمد شفيع سلطان. هذا ما اطلعت عليه من الإجازات الشاهدة للمترجم بالعلم والفضل . كما اطلعت له على رسالة في المواقيت بخط الجد الكبير سماها له« أسنى الهبات لمعرفة الأوقات » .

وقد كانت وفاته في حدود سنة ستين ومئتين وألف وهو والد الشيخ طالب والد الشيخ محمد المتوفى سنة ١٣٠٩ عن أربعة ذكور وفقهم الله تعالى (١٣٢٤) .



حرف الكاف

السيد كمال الدين الغزِّي

هو أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن بن زين العابدين علي بن أبي يحيى زكريا بن بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد بن رضي الدين محمد أيضاً ابن شهاب الدين أحمد الغزِّي ، العامري الدمشقي الشافعي . وأحمد هذا هو جدُّ بني الغزِّي الأعلى الذي قدم دمشق من غزة هاشم وتوفي سنة٨٢٢ ، وقد رأيت بخط المترجَم في الجزء الرابع من تذكرته تعداد أنسابه في عشرة فصول ومنها نسبه العصبي المتصل بعامر بن لؤي جد النبي ﷺ وفي ذلك يقول جده رضي الدين الأدنى المذكور :

وأبـو الفضـل كنيتي وانتسـابي　　　مـن قـريـش لعـامـر بـن لـؤي

أما صاحب الترجمة فهو الشيخ العالم الأديب المتفنن المؤرخ النسَّابة الناظم الناثر الهمام الأوحد ، مفتي الشافعية بدمشق الشام ، وسليلُ مفاتيها الأعلام ، صاحب المصنفات الفائقة ، والمجاميع الرائقة ، جَمَعْنا ترجمته من آثاره الناطقة بفضله ، ومآثره الدالَّة على أدبه ونُبله فنقول :

ولد المترجَم بدمشق في تاسع عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف ، ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ القرآن على الشيخ يحيى القطب ، وأخذ عن مشايخ كثيرين منهم : الشيخ محمد سعيد بن عبد الله السويدي وعنه أخذ الحديث المسلسل بالأولية ، ومنهم الشيخ مصطفى العلواني ، والشيخ هبة الله التاجي ، والشيخ محمد التافلاتي المغربي ، والشيخ كمال الدين بن مصطفى البكري ، والشيخ محمد مكي بن محمد سعيد الحلبي ، والشيخ عمر بن عبد الجليل البغدادي نزيل دمشق ، وعلاء الدين علي بن صادق الطاغستاني ، وشمس

الدين محمد الكزبري ، والسيد محمد بن أحمد العاني ، والشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي مفتي مكة المشرفة ، والشيخ أحمد بن عبد الله البعلي ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدي وغيرهم ، واستجاز العالم الأديب الشيخ يحيى بن عبد الرحمن الجامي المدني لما قدم دمشق سنة ١٢٠٥ ، فأجاز كل منهما الآخر وتولى إفتاء الشافعية بدمشق بعد والده في محرم سنة ١٢٠٣ .

وألف مؤلفاتٍ لطيفةً أغلبها في التاريخ والأدب ، فمنها « النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ، جعله ذيلاً على طبقات العلامة العليمي ، مبتدئاً من رأس القرن العاشر حتى رأس القرن الثالث عشر (وقد وفقني الله تعالى فاختصرت طبقات العليمي ، فذيل المترجَم الغزِّي ، فمشاهير الحنابلة من بعده إلى عصرنا الحاضر ، وسميته « مختصر طبقات الحنابلة » ، وطبعته بدمشق سنة ١٣٣٩ وهو معروف مشهور) ومن مجاميع صاحب الترجمة « التذكرة الكمالية » التي ننقل عنها في بعض التراجم وهي عشرون جزءاً ، سماها « الدر المكنون والجمان المصون من فرائد العلوم وفوائد الفنون » ، وقد اطلعت على بعضها وفيها السواد والبياض ، وتشتمل على فوائد وتراجم ، وآداب شتى . ومن مجاميعه « المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي » ، وله غير ذلك من المصنفات التاريخية ، والمجاميع الأدبية ، وشعره كثير ونثره غزير . فمن نثره ما كتبه إلى صاحبه الصدر خليل أفندي المرادي مفتي دمشق جواباً على كتابه إليه المتضمن التعزية بوفاة والده والإذن له بفتوى الشافعية ، وكان بينهما صحبة ومحبة ، وتناقل عند التصنيف والتأليف ، فهما في الفضل توأمان ، وفي النبل رضيعا لبَان . قال المفتي الغزِّي في كتابه إلى المفتي المرادي : وحيد الدهر الذي أبت فضائله أن تشفع بثاني ، وفريد العصر الذي ليس لعِنان عزمه عن حوز الغايات ثاني ، فهو غُرَّة وجه الزمان وعِزُّه ، وجمال هذا الأوان وكَنْزُه ، وخلاصة العلماء الأعلام ، ومرجع المدرسين عند وقوع مشكلات الإبهام والإيهام ، من إذا حاولت الألسنُ كشف بعضِ مزاياه أدركها الحصر ، وإذا زاولتِ الأذهانُ إبانةَ سِجْفِ سجاياه لم تخرج من جمعها إلا على حالة القصر :

جمعت جميع المكرمات فما الذي يحبِّرُه مُثْنٍ ويرقُم راقمُ
فمجلسُك الدنيا وذاتك أهلها وفضلك فَضلٌ تجتليه العوالمُ
وما حُزْتَه فهو العُلى منذ صرتَ في الـ ـملا مُفْرَداً في المجدِ عالٍ وعالمُ
فدُمْ سالماً ما طرَّز الأفقَ شمسُه لك السعد وافٍ والزمانُ مسالمُ

الخ . . . ومن شعره أيضاً وعن خطه نقلت :

مني التعتُّبُ والتمنِّيْ ولك التجنُّب والتجنِّيْ
فاحكم بما ترضاه يا سَكَني فحبك صارَ فني
من قال إنَّ البدر مثـ ـلك فهو ذو غَبْنٍ وغَين
البدرُ يفني للثيا ب وأنت للأجسامِ تُفنيَ
أقصِر عدِمْتُك عاذلي عني فإنك لستَ مني
دعني على دين الهوى وارجِع لدِينك يا مُثَنِّي
إن كنتَ تاركَ حبِّه إني المحبُّ إليه إني
لله من رَشَأٍ إذا ما ماس يفتِكُ بالتثَنِّي
من رام منه القُرْب صا ر لديه في سَهْلٍ وحَزْنِ
هو يوسفٌ في حُسنه وأنا به يعقوبُ حُزْنِ
أنا منه دوماً في جهنَّـ ـم وهو في جنَّاتِ عَدْنِ

وكتب إليه العالم الأديب الشيخ أحمد البربير قوله :

ضقت لبعد الكمال ذَرْعاً وزاد طولُ البِعاد دائي
إنَّ فراقَ الكمال نقصٌ حتى على البدر في السماءِ

وقوله :

ياسيدي زدتَ بعادي إلى أن صار جسمي للتجافي خَيَالْ
أنقصت حظ الصب مَعْ أنَّهُ لم يرَ في جِلَّقِ إلا الكمالْ

فأجابه المترجَم بقوله :

مـولاي يـاذا المكـرمـاتِ التـي ... في نظمِها والحسنِ تحكي اللآلْ
ومـن رقـي هـامَ العُلى وانتهـى ... لفضلـه بين الـورى الانتهـالْ
بمـن حبـاكـم رقَّ قلبٌ غـدا ... بحبكـم ذا ولَـهٍ واختيـالْ
كفُّوا بساط العتب حِلْماً ولا ... تـؤاخـذوني بمَطـالِ المِطـالْ

وكانت وفاة المترجَم في صفر سنة أربع عشرة ومئتين وألف عن ٤١ عاماً ودفن في مقبرة الدحداح عند قبور أسلافه ، وعلى قبره بيتان تأريخ الأديب الفاضل عبد الحليم اللوجي وهما قوله :

أيا سحب الرضا والعفو سُحِّي ... على قبر حـوى النفـسَ الـزكيَّـهْ
محمـدٌ الفتـى الغـزِّي أرِّخْ ... **كمـالُ الـديـنِ مُفتـي الشـافعيَّـهْ**
١٢١٤

كمال أفندي الحمزاوي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه : هو السيد كمال ابن السيد إسماعيل ابن السيد حمزة ابن السيد يحيى ابن السيد حسن المعروف بابن حمزة الدمشقي الحنفي الحسيني ، السيد الفاضل ، واللوذعي الكامل ، كان لطيف الطبع حسن الأخلاق ، أخذ عن العلامة الشيخ محمد الكزبري والشيخ حسن المكي والسيد شاكر العقاد ، وحصَّل وأتقن ، وصار من أعضاء مجلس الشام ، وكانت وفاته سنة سبعٍ(أو ثمان) وخمسين ومئتين وألف ، ودفن عند قبور أسلافه بمقبرة الدحداح ، انتهى.

قلت : وخلف المترجَم ولده محمد أفندي ، وهذا أعقب ولده درويش أفندي المتوفى سنة ١٣١٥ ، وهذا هو والد صديقنا المفضال السيد سعيد أفندي نقيب الأشراف بدمشق الآن (١٣٦٣) بارك الله فيه ورحم أسلافه آمين.

★ ★ ★

حرف الميم

الشيخ محمد أبو شعر

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي ، في كتابه « المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي » وفي غيره قال : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي المعروف بأبي شعر وشعير ، النابلسي الأصل الحنفي الدمشقي الشاغوري ، العالم الولي الصوفي المبارك ، العارف المكاشف التقي النقي ، المعتقد الأوحد ، بحر العلوم والأذواق : شيخنا تقي الدين . قدم والده من مدينة نابلس إلى دمشق وتوطنها ، وتزوج بأخت شيخنا الشهاب البعلي ، فولد صاحب الترجمة سنة ثمان وعشرين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده المذكور فقرأ القرآن الكريم وأخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم خاله الشهاب المقدَّم ذكره ، ثم أحضره والده بين يدي الأستاذ النابلسي المنوه به ، واستجاز له منه فأجازه وصافحه ، ثم سأله عن اسمه فقال له والده : محمد ، فقال الأستاذ وأنا ألقبه بتقيِّ الدين . ثم أوصاه به وقال له : احرص عليه فسيكون له شأن عظيم .

وقد صار لشيخنا المترجَم أحوال عجيبة وأطوار غريبة ، وكرامات كثيرة شهيرة ، وكان من علماء الظاهر والباطن فقيهاً في مذهبه ، له مؤلفات عديدة منها « عقيدة الغيب » و« الصلوات المعروفة » وغيرهما ، واعتقده الخاصة والعامة حتى الوزراء والحكام وكانوا يهدونه الهدايا الجليلة ، وينذرون له النذور ويوفون بها ، وكانت وفاته عشية يوم الجمعة ثامن عشري شوال سنة سبع ومئتين وألف ، وصلي عليه بجامع سنان باشا ودفن بتربة الباب الصغير داخل بناء على جادة الطريق وقبره مشهور يزار ، انتهى .

قلت : إن الصلوات المنسوبة لصاحب الترجمة ، كلُّها ألفاظ ساقطة لا ندري كيف نؤولها ولا على أي محمل نحملُها ، مع اتفاق الجمهور على اعتقاد ولايته

وعُلوِّ قدره ، حتى إنَّ العلامة المحدِّث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ذكره في ثبته في عداد شيوخه ، كما أثنى عليه السيد الغزِّي في هذه الترجمة ، وأكبر من ذلك تبشير العارف النابلسي به ، ومما يحكى أن العالم الوزير رشدي باشا الشَرواني والي دمشق الأسبق كان استكتب مؤلفاتِ المترجَم لعلمه باصطلاحات الصوفية ومقاصد المؤلف ، أما الذي نراه في أمثال صاحب الترجمة من أرباب الأحوال ، فالكف عنهم والمرور بأقوالهم ، لااعتقاد ولاانتقاد والسلام .

الشيخ محمد أبو الفتح

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو محمد بن أحمد بن محمد أبي الفتح العجلوني الشافعي الدمشقي . ولد بدمشق في اليوم العشرين من رجب سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئتين وألف ، ونشأ بها على صيانة وزهد وديانة ، وأخذ العلم عن والده وعمه الشيخ صالح ، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن والده وعمه المذكورَيْن ، وأخذ الطريقة المحيوية عن ابن عمه الشيخ عبد الحليم العجلوني ، وكان مهاباً محترماً من أعيان دمشق .

مات في الليلة الأولى من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد أبو تقَّاله

قال الأستاذ البيطار في تاريخه ما ملخصه : هو محمد بن محفوظ بن منفاخ الدمشقي الصالحي المعروف بأبي تقالة ، دفين جامع العفيف في صالحية دمشق . قطب الشام وبركة الأنام ، صاحب الكرامات الكثيرة والإخبارات الشهيرة. كان غريبَ الأحوال له هيبة وجلال ، دائمَ الاصطلام على ممرِّ الأيام ، لايتقيَّدُ بلباس ، ولا باحترام أحد من الناس ، وكان كثيرَ الجلوس في الطريق أمام الجامع الذي دُفن فيه ، يطلب من المارة دراهم فمن أعطاه سكت عنه ، ومن لم يعطه شتمه ، ومن الغريب العجيب أنه إذا مرَّ عليه من لايحمل شيئاً من الدراهم

لايتعرَّض له ، ولد بدمشق الشام ، ونشأ على حالة الجذْب والاصطلام ، ولم يزل يقوى عليه الحال ، ويترقَّى في مدارج الجلال ، إلى أن مات يوم عيد الأضحى سنة سبع عشرة ومئتين وألف ، وحضر جنازته الجمُّ الغفير ، ودفن في حجرته بجامع العفيف المذكور ، في الجهة الشرقية من الرواق الشمالي وعليه شعرية حائلة بين القبر والمصلّى ، وهومقصودٌ للزيارة والتبرك ، انتهى .

الشيخ محمد الأيُّوبي الرحمتي

ترجمه الاستاذ البيطار وغيره : فهو محمد بن مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي الرحمتي الحنفي الدمشقي ، العالم الفاضل الجِهْبِذُ الكامل . ولد كما هو بخط تلميذه السيد قاسم دقاق الدودة في سابع عشري رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة وألف بدمشق الشام ، ونشأ في حجر والده الآتية ترجمته ، وذكر في إجازته للسيد المذكور أسماء شيوخه الكثيرين ، ومنهم والده المقدَّم ذكره ، والشمس الكزبري ، والشهاب العطار ، والشيخ صالح الفلاني ، وصهر المترجَم أحمد أفندي إلياس مفتي المدينة ، ومحمد أفندي ميرغني مفتي مكة ، والشيخ محمد السمان ، وأولاد سنبل المكي ، وغيرهم . وتلقى ذكر العلوية عن الشيخ محسن مقيبل ، والشيخ محمود المرعشي ، ورأيت بخط الجد الشيخ عبد السلام الشطي أن جد المترجَم وهو الشيخ محمد كان خَرَجَ بولده الشيخ مصطفى إلى حضرة الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في صالحية دمشق ، واستجاز له منه فأجازه وأجاز من سيحدث له من الأولاد! ثم إنَّ صاحب الترجمة ساد وبرع ، وأقام بالمدينة المنورة يستفيد ويفيد ، حتى أقرأ كتاب « الشفا » تجاه الحضرة النبوية بتوجيه سلطاني ، وألَّف المؤلفات النافعة ، إلى أن عاد إلى الشام سنة ١٢٢٥ ، فدرَّس في الجامع الأموي ، وتولَّى خدامة ضريح سيدنا يحيى عليه السلام .

ولم يزل على أحسن حال إلى أن توفي ، وكانت وفاته صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال سنة خمسين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد البرقاوي

أخبرنا عنه ولده الفاضل سعيد أفندي : فهو محمد بن مصطفى بن سليمان البرقاوي أصلاً وشهرة ، قاضي الحنابلة بدمشق وابنُ قاضيها ، الشيخ الجليل الفاضل النبيل . ولد بدمشق في حدود سنة عشرين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده وأخذ الفقه عنه وعن العلامة الجد الشيخ حسن الشطي ، وحضر في بعض العلوم على العلامة الكبير الشيخ سعيد الحلبي ، والعلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، ولازم ولديهما ، وتولى القضاء بعد وفاة والده سنة ١٢٥٠ ، وصار رئيس الكتاب في محكمة السنانية ثم في البزورية ثم في العَوْنية ، واستمر بها وبالقضاء إلى أن توفي .

وكانت وفاته يوم الاثنين تاسعَ عشرَ صفر سنة سبع وتسعين ومئتين وألف ، انتهى .

قلت : ويحكى أنه كان لصاحب الترجَمة جرأةٌ في مسائل الفَسْخ والرَّجْعَة إلى أن وقعت حادثة فسخ في المحكمة الشرعية سنة ١٢٥٩* اجتمع لها عند القاضي العام ، جمعٌ من المشايخ الكرام ، فتصدى المترجَم وحكم بفسخ عقد الزوجة التي غاب زوجُها عنها ، فلم يقنع القاضي بصحة الحكم ، وأرسل إلى سيدنا الجد المقدم ذكره يسأله عن الفسخ الواقع ، لما سمع من أنه هو شيخ الحنابلة وقتئذ ، فحضر الجد وأفتى بفساد الفسخ لعدم استيفاء شروطه ، وهناك رجع المترجَم عن حكمه ، وأمر القاضي بعدم تنفيذه وبقيت الزوجةُ على عِصمة زوجها ، ثم عزل القاضي المترجَم ، وولى في مكانه الشيخ عبد الحفيظ النابلسي مدة ، وطلب من الجد أن يُحَرِّرَ هذه المسألة في رسالة ، فعندها صنف الجدُّ قدَّس الله روحه رسالته « الفوز والنجاح في حكم فسخ النكاح » المطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٨ ، ومن غريب الاتفاق أنه لم يمض على هذه الحادثة بضعة أيام ، حتى حضر الزوج من غيبته ، وقبض على زمام زوجته ، وشكر للجد حُسْنَ عمله .

هذا وقد تولى القضاء بعد وفاة المترجَم سيدي العم الكبير الشيخ أحمد

الشطي ، فقضى وأمضى نحو سنة وثلاثة أشهر ، فلما كان القاضي العام موسى كاظم أفندي ألغى القضاء الحنبلي لتكون الأحكام كلُّها حنفية ، فتعطَّلَتْ أمور الأوقاف المعروفة في دمشق وهنا اجتمع بعض الرؤساء وأرباب الأوقاف عند القاضي ، وقرروا له لزوم إعادة الوظيفة الحنبلية ، فأعادها وعين توفيق أفندي السيوطي نائباً حنبلياً من قبله ، فلم يزل قائماً بهذه الوظيفة إلى سنة ١٣٣٩ . حيث صار مفتياً حنبلياً ، وتولى جامع هذا الكتاب النيابية الحنبلية في مكانه فما زلت قائماً بها إلى سنة ١٣٤٩ حيث ظهر قانون الاستبدال ، واستُبدلتِ الأوقافُ بالنقود من الأموال! فسبحان محول الأحوال ، وإليه المرجع والمآل .

الشيخ محمد تلو

ذكره بعض المؤرخين في مجموع جمعه في المزارات الدمشقية قال : هو محمد بن عبد الله بن عمر بن مصطفى الحنفي الدمشقي الشهير بابن تلو ، الشيخ العالم المحقق العمدة . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، من أجَلِّهم له انتفاعاً العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري والعلامة السيد محمد عابدين .

وكانت وفاته في ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير ، رحمه الله تعالى . انتهى .

قلت : ونقل الفاضل تقي الدين في تاريخه عن ابن المترجَم يحيى أفندي أن والده صاحب الترجمة أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد النقشبندي الشهير ، وأنه في سنة ١٢٥٢* طُلب إلى الآستانة بزمن السلطان محمود ، وأنه ألَّف هناك رسالة في الانتصار لشيخه النقشبندي ، ونال عليها إكراماً ، ثم رجع إلى دمشق وألف رسائل أخنى عليها الدهر ، ولما مات أرخ وفاته الشاعر الهلالي بقوله :

وجنَّـةِ المـأوى دعـاه مـؤرخـاً داعي الممات بشَهْرِ ميلادِ النبي
١٢٨٢

محمد أفندي الجابي

هو محمد بن عثمان الشهير بالجابي الحنفي الدمشقي ، كان من صدور دمشق ورؤسائها ، جليلَ القدر ، عاليَ الشأن ، فاضلاً نبيلاً ، جسوراً مقداماً محترماً مُهاباً . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، منهم العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ حسن البيطار وبه انتفع ، ثم إنه ساد وتقدَّم ، ودخل في سلك الموالي ، فنال من الدولة العثمانية عِزّاً وافراً وجاهاً باهراً ، وتولى القضاء في كثيرٍ من البلاد ، حتى صار قاضي بغداد فالمدينة المنورة ، وفي سنة ١٢٦٠ صار من أعضاء مجلس الشورى الكبير ، وما زال يتقلَّب في الرتب العلمية والأوسمة العثمانية ، حتى حاز رتبة قضاء استانبول العلية ، سنة ١٢٩٣ ولم يكن حازها من أهل الشام أحدٌ قبله ، فزاد رفعة وكمالاً وعزاً وجلالاً ، وأصبح صدر الشام ، ومرجعَ الخاصِّ والعام . وممن امتدح المترجَم حين ولي قضاء بغداد ، شاعرُ العراق عبد الباقي أفندي العمري فقال مهنئاً ومؤرخاً :

ظهر الدينُ طالعاً من أَكِنَّهْ ... كهلالٍ عنه أميطتْ دُجُنَّه
وحمدنا عند الصباح سُراهُ ... حيث قد جاء مُطلِقاً للأعنَّهْ

ومنها :

بيَّض الله وجهه ماازدَهَتْهُ ... من سواد العراقِ خضراءُ دِمْنَهْ
أخذ الزهد والتقى عن أُويس ... والهدى عن سفيانَ إبن عُيَيْنَهْ
صام عن أكل السُّحْتِ حتى وقاه ... شرَّ يوم الحسابِ والصَّوْمُ جُنَّهْ

إلى أن قال :

عشْ مدى الدهر كم أَمَتَّ بهذاالـ ... ـقطر من بدعةٍ وأحييتَ سُنَّهْ
ولسان الدين انتضى ينشد الحـ ... ـق بثغر قد أضحك البِشْرُ سِنَّهْ
من يدي قاضي النارِ بُشْراكَ أرِّخْ ... **أنجد الحقُّ حكم قاضي الجنة**
١٢٦٥

وما زال المترجَم على حاله من يد طائلة ، وكلمةٍ نافذة ، وقدرٍ عظيم ، وجانب كريم إلى أن توفي .

وكانت وفاته في رابع شهر رمضان سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف . وقد أعقب الوجيه الفاضل عارف أفندي المتوفى بالآستانة سنة ١٣٠٤ ، وهذا هو والد الفاضل الكامل عثمان أفندي المتوفى في حدود سنة ١٣٣٠ رحمهم الله والمسلمين آمين . وترجم العلامة البيطار صاحب الترجمة بنحو ما ترجمناه ، وقدَّرَه بمثل ما قدَّرناه .

الشيخ محمد الجوخدار

هو محمد بن سليمان الحنفي الدمشقي الشهير بالجوخدار ، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المحدث الفقيه النحوي ، أحد شيوخ الشام الذين انتفع بهم الخاص والعام ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن أجلة علمائها ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والجد الشيخ حسن الشطي وغيرهم ، فحصَّل وبرع وتفنَّنَ فقهاً وحديثاً ونحواً وغير ذلك ، وكان له اليدُ الطولى في جميع الفنون . وقد تصدَّر للتدريس والإفادة ، وأخذ عنه الناس طبقةً بعد طبقة ، فأفاد وأجاد . وممن أخذ عنه شيخنا العلامة الشيخ بكري العطار ، والشيخ محمد خطيب دوما وحسين أفندي الغزِّي ، والشيخ نجيب العطار ، وغيرهم ممن لا يحصى . وقد تولى المترجَم في سنة ١٢٧٨ نيابة محكمة الباب بدمشق ، فبقي مقيماً على تدريسه وإفادته حتى إنه كان يقرأ بعضَ دروسه في المحكمة المذكورة . ثم إنه نُقل من محكمة الباب الكبرى إلى محكمة السنانية ، لأسباب أوجبتْ ذلك . فلما صار المفتي محمود أفندي الحمزاوي وكيلاً عن القاضي محمود عزيز أفندي سنة ١٢٩٠ ، أعاد المترجَم إلى نيابة الباب ، فلم يزل فيها على حالته العلمية والقضائية حتى توفي .

وكانت وفاته في خامس شوال سنة سبع وتسعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى . وقد ترجمه العلامة البيطار بنحو ما تقدَّم والله تعالى أعلم .

الشيخ محمد الخاني

ترجمه حفيدُه العالم الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني ، في كتابه « الحدائق الوردية في حقائق أجلاّء النقشبندية » المطبوع في مصر سنة ١٣٠٨ قال ما خلاصته : هو محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبندي الشافعي الدمشقي العلامة الفاضل ، والولي الكامل ، مربي المريدين ، ومرشد السالكين ، ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف في خان شيخون بين حماه وحلب ، ومات والده وهو صغير فتعلم القراءة والكتابة وهو في حجر والدته ، ثم ارتحل معها إلى حماه ، فتفقَّه على الشيخ خالد السيد ، والشيخ عبد الرحيم البستاني ، وأخذ النحو وطرفاً من الآلات عن الشيخ حمود زهير ، ثم أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمد سعدي الكيلاني الأزهري ، واستمرَّ في حماه يعلِّم ويُرشد في جامع الشيخ علوان ، إلى أن ورد دمشق العلامة الأستاذ الشيخ خالد النقشبندي ، فأخذ عنه الطريقة النقشبندية ، ودخل في الرياضة ثلاث مرات ، ثم في سنة ١٢٤١ طلبه الأستاذ المشار إليه من حماه ، فجاء منها بأهله واستقام بدمشق في جامع العدَّاس ، ولازم شيخه المقدم ذكره الملازمة التامة ، وصار مُعيدَ دروسه في مدرسة داره ، ولما توفي خليفة جامع المرادية في السويقة ، جعله الشيخ المشار إليه في مكانه ، وخلَّفه خلافةً مطلقة ، فبقي في الجامع المذكور ملازماً على التدريس والإرشاد ، إلى أن توفي الشيخ عبد الله الهروي ، خليفة الشيخ إسماعيل الأناراني ، خليفة الأستاذ المنوه به ، وكان قبل وفاته خلفه الخلافة الكبرى أمراً ونهياً على سائر الخلفاء ، فربَّى المريدين ، وأرشد السالكين ، وأرسل الخلفاءَ إلى الأطراف ، ثم حجَّ في سنة ١٢٤٥ ، وفيها ألَّف رسالته« كشف اللثام عن قول من حرَّم الحجَّ إلى بيت الله الحرام » وفي سنة ١٢٥٣ ألَّف « البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٠٣ ، وحج ثانية سنة ١٢٥٩ ، وثالثة سنة ١٢٦٢ ، وكان عامئذ أميرُ الحج صفوت باشا والي دمشق فأكرم المترجَم غاية الإكرام ، وفي سنة ١٢٦٦ زار القدس الشريف وما جاورها ثم في سنة ١٢٧٠ قصد الآستانة العلية فاحتفل به أهلها احتفالاً لائقاً ، ثم في سنة

١٢٧٤ حجَّ رابعةً بولديه ونفرٍ من أتباعه ، وكان مقيماً على تدريس العلم ونشر الطريقة وهو على غايةٍ من العبادة ، مَهيباً جسوراً لين الأخلاق كثير الحرمة مقبولاً عند الحكام ، انتفع به الجمُّ الغفير ، ويحكى عنه كرامات .

وكانت وفاته بعد أن مرض بالحمى أياماً ، سحر يوم الاثنين تاسع عشري صفر سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون بتربة الأستاذ الشيخ خالد المنوه بذكره رحمه الله تعالى آمين ، انتهى .

قلت : وقد رثى المترجَم حفيدُه الموما إليه بقصيدة طويلة ، نستغني عنها بثلاثة أبيات له أيضاً ، وهي قوله مؤرخاً :

هلم خليلي نندب الجدَّ سيدي ... محمداً الخانيّ علامةَ الملا
لعمرك ما فقدُ الملوكِ وملكها ... بلاءٌ ولا الأموالِ والأهلِ والعلا
ولكن إذا أنصفت قلت مؤرِّخاً ... وفاة إمام المرشدين هو البلا
١٢٧٩

وقد أعقب صاحبُ الترجمة أولادَه الأربعة وهم العلامة الشيخ محمد أفندي المتوفى سنة ١٣١٦ والأساتذة الأفاضلِ الشيخ أحمد أفندي ، والشيخ محمود أفندي ، والشيخ عبد الله أفندي ، المتوفَّين قبل سنة ١٣٣٥ رحمهم الله تعالى .

الشيخ محمد الخالدي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه : هو محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري العالم الأستاذ والعمدة الملاذ ، ترجمه ولده الفاضل محمد حيث قال : إنه ولد سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف ، في جبل هلاله من جزائر الغرب ونشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم على والده ، فلما حفظه وأتقنه توجَّه إلى بلدة مازونه سنة ١٢٤٥ ، واشتغل بالعلوم الشرعية ، وحفظ متن الشيخ خليل ، وقرأ بعض شروحه ، ثم رحل إلى مدينة قسنطينة في الغرب لطلب العلم ، فأخذ عن علمائها الأعلام ثم رجع إلى وطنه واشتغل بنشر العلوم ، وفصل القضايا بين الناس ، كما كان ذلك دأب والده . وفي سنة ١٢٥٢ توجه لأداء فريضة الحج ، وجاور في

المدينة المنورة سنتين ، ثم قدم مصر القاهرة ، للمجاورة في جامعها الأزهر ، فأخذ عن أكابر علمائها كشيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ محمد عليش المالكي ، والشيخ السقا والشيخ المبلط وغيرهم ، وأجازه كلٌّ منهم إجازةً عامة .

وفي سنة ١٢٦٨ قصد دمشق الشام وأقام بها ، وعكف على التدريس في مدرسة دار الحديث في المنقول والمعقول ، وتصدر للإفتاء وفصل القضايا بين المهاجرين من المغاربة ، بأمر الأمير عبد القادر الجزائري ، وكان أخذ الطريقة عن سيدي علي بن عيسى البكري في بلاد المغرب وتلقَّى الطريقة الإدريسية السنوسية عن الشيخ محمد السنوسي في مكة المشرفة ، ولازم الشيخ محمد المبارك الخلوتي في الديار الشامية ، ثم اشتغل في الطريقة الشاذلية وصحب بعض أهلها ، ولم يصدَّه الاشتغالُ بالعلم الظاهر عن المجاهدة في علم الله تعالى ، قال الأستاذ البيطار : وكان لي معه حضور واجتماع ومذاكرة وملاطفة ومحبة كثيرة ، وكان عابداً صالحاً مكباً على العلم والعمل في المدرسة المذكورة ، كثيرَ العزلة عن الناس ، مقيماً على المجاهدة والإقبال على ما يعنيه ، إلى أن خطَبَتْهُ المنية ، في آخر جمادى الثانية سنة ألف ومئتين وثلاث وثمانين ،رحمه الله تعالى .

الحاج محمد الخروبي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو الحاج محمد بن الخروبي القلعي المغربي المالكي ، العالم العامل والصدر الكامل . كان كاتب الأمير عبد القادر في بلاد الجزائر ، ثم جعله الأمير والياً في أيالة صطيف ، ووقع أسيراً في يد الفرنسيين ، ثم أطلقوه فهاجر إلى الشام وتوطن في دمشق ، ثم انتقل إلى بروسه فزار بها الأمير المشار إليه ، حيث هو مطلق من الأسر أيضاً ، ولم يزلْ عنده حتى رحل الأمير إلى دمشق ، فحضر المترجَم معه ، واشتغل بالعلم والإفادة والتقوى والعبادة ، وقد انتفع به كثير من الناس ، وكان حسنَ المعاشرة ، طلقَ اللسان ، عالي الهمة ، وافر المروءة ، كثيرَ المحاضرة جسوراً . قال الأستاذ البيطار : وكنتُ أذهب مع والدي لزيارته فأرى له من الهيبة والجلالة حظاً عظيماً ، وكان هو

يزور والدي كثيراً ، ولم يكن بينهما سوى المحاضرة والمذاكرة والاتعاظ بسيرة السلف .

وكانت وفاته سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بتربة الدحداح ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الدسوقي

ترجمه أستاذنا العالم المحقق الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه « تعطير المشام » قال : هو محمد بن محمد بن يحيى الدسوقي شهرةً ونسباً الحسيني الدمشقي الشافعي ، الفقيه النبيه ، أحد كبار صلحاء الشام ، والمرموق بالولاية بين الخاص والعام ، ولد بدمشق وأخذ عن فضلائها ، منهم والده والشهاب أحمد العطار ، والشمس محمد الكزبري ، والشيخ يوسف شمس ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ حسين المدرس العطار ، وعلي أفندي الطاغستاني ، والشيخ علي السليمي ، وهبة الله البعلي التاجي وغيرهم ، وتفوَّق واشتهر ودرَّس بجامع حسان ، وأمَّ فيه وخطب ، وكان معظَّماً في النفوس ، مقصوداً للتبرك بدعواته ، ملازماً للخلوة في الجامع المذكور ، تؤثر عنه أحوالٌ باهرة ومناقب جمَّة .

وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف ، في منزلة هدية قبيل المدينة المنورة ، قاصداً الديار الحجازية ، وحضر وفاته الشيخ خالد النقشبندي الشهير ، وكان مرافقاً له في هذه الرحلة ، رحمه الله تعالى .

محمد أفندي الرُّومي

ذكره بعض الفضلاء في كتاب جمعه في المزارات الدمشقية قال : هو محمد بن عبد الله الرومي أصلاً وشهرة الحنفي نزيل المدرسة البادرائية بدمشق ، الشيخ الإمام العالم الهمام ، الورع الزاهد الناسك العابد ، ولي الله بلا نزاع . قدم دمشق وأخذ عن علمائها ، ومن أجلِّهم له انتفاعاً العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وكان ملازماً له إلى أن اختَرَمَتْه المنية(أي المترجَم) .

وكانت وفاته في اليوم العشرين من رمضان سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ، ودفن في قبر الشيخ جبر بتربة الباب الصغير ، بالقرب من الزوجات الطاهرات ، وقبره مشهور يزار . انتهى .

قلت : وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وأثنى عليه كثيراً رحمه الله تعالى .

السيد محمد سعيد الجزائري

ترجمه السيد الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه ، قال ما خلاصته : هو السيد محمد السعيد ابن السيد محيي الدين ابن السيد مصطفى الجزائري الحسني نزيل دمشق ، والأخ الأكبر للأمير عبد القادر الجزائري الشهير . تخرَّج على علماء عصره في بلاده ، واختصَّ بالتصوُّف ، وألف مؤلفاتٍ منها شرح على رسالة في علم الوضع ، طبعت في بيروت ، وله غير ذلك في علوم أخرى ، وكان شيخَ الطريقة القادرية في المغرب ، وله مريدون هناك ، وقد شهد مواقع كثيرة في الجهاد مع أخيه المشار إليه ، ولما هاجر معه إلى دمشق كان محلَّ اعتقاد الدمشقيين ، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، ودُفن في سفح قاسيون ، وأعقب ولديه العالمين الفاضلين السيد محمد المرتضى المتوفى سنة ١٣١٦ والسيد عبد الباقي المتوفى سنة ١٣٣٥ ،رحمهم الله تعالى .

الشيخ محمد سكر

قال الأستاذ البيطار في تاريخه : كان عالماً عاملاً متفنناً فاضلاً ، له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية ، خصوصاً في المعاني والبيان ، فإنه كان مرفوع الرتبة على الأقران ، غير أنه أخَّره الدهرُ لفقره ، وخفض له أعلامَ قدره ، وكان ذا عبادة وزهادة .

توفي بدمشق بعد سنة ستين – أو سبعين – ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، انتهى .

قلت: وهو ممن أثنى عليهم الشيخ يوسف المغربي الشهير في قصيدته الهائية

الشهيرة ،رحمه الله تعالى . انتهى .

الشيخ محمد السكري

ترجمه لنا ولده الأستاذ الفاضل الشيخ سعيد أفندي بما خلاصته : هو محمد ابن شاكر بن محمد السكري الحنفي الدمشقي ، العالم الفقيه الصالح القدوة ، كان متضلِّعاً في العلوم ، متفنناً ورعاً زاهداً ، يغلبُ عليه حبُّ الانزواء والعزلة . ولد في حدود سنة ثلاثين ومئتين وألف في دمشق الشام ، ونشأ في كفالة عمه السيد سليم ، وكان مبدأ تحصيله بدمشق ، ومن مشايخه كلٌّ من العلامتين الشيخ حسن الشطي والشيخ هاشم التاجي وأقرانهما ، ثم رحل إلى القاهرة ، وجاور في جامعها الأزهر مدَّة تزيد على تسع سنين ، لازم فيها أمثال العلامة الباجوري والشيخ التميمي من الأزهريين ولما رأوا فيه الأهلية التامة كتبوا له إجازاتهم الحافلة ، فعاد إلى وطنه دمشق ، وأقام في حجرته المعروفة في المدرسة السميصاتية ، وصار يقرأ فيها الدروس الخاصة ، فانتفع به خلقٌ كثير ، ثم وُجِّهت إليه وظائف التدريس والإمامة والخطبة في جامع درويش باشا الشهير ، فسكن في الحجرة الغربية منه ، وصار يقرأ فيها الدروس الخاصة ، وفي الجامع الدروس العامة ، وقبل وفاته بستة أشهر انحلَّت وكالة تدريس « الشفا » الشريف في التكية السليمانية ، فوُجِّهَت إليه وباشرها بنفسه ، ولم يزل على حالته الحسنى إلى أن توفي بداره ليلة الأربعاء حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف ودفن في تربة الباب الصغير قريباً من مقام الشيخ حسن الجباوي رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد سلطان

هو السيد محمد ابن الأمير محمد شفيع ابن السيد محمد قاسم المعروف بسلطان الطاغستاني المحتد نزيل دمشق ، الأصيل النبيل العابد الناسك ، كان والده المذكور آخر أمراء الطاغستان ، فقد استولت حكومة الروس على بلاده في ثورة الشيخ شامل الطاغستاني ، فهاجر بولده المترجَم إلى دمشق وأقام بها مدة ،

ثم ارتحل إلى الحجاز فتزوَّج في مكة المكرمة ، وأعقب بها ذرية معروفة حتى الآن وتوفي هناك ، ثم إنَّ صاحبَ الترجمة تزوج في دمشق بابنة السيد محمد العاتكي رئيس المؤذنين في الجامع الأموي ، فلما مات هذا عقيماً من الذكور وجهت وظيفة الأذان المذكورة إلى المترجَم فاستمرَّ بها إلى أن توفي بدمشق سنة ١٢٥٥ . ودفن بمقبرة الدحداح رحمه الله تعالى ، وهو والد العالم الفاضل الشيخ عبد القادر سلطان رئيس المؤذنين السابق ، المتوفى سنة ١٣٠٥ ، وهذا هو والد الشيخ سليم أفندي رئيس المؤذنين الآن (١٣٦٣) .

محمد أفندي سنان

ترجمه السيد كمال الدين الغزِّي مفتي الشافعية بدمشق في تذكرته الكمالية قال : هو محمد بن سنان بن أحمد بن سنان بن عثمان بن أحمد القرماني المحتد الدمشقي المنشأ والمولد ، الحنفي الشيخ الفاضل الكاتب المنشئ الهمام أبو المكارم فخر الدين الشهير بابن سنان ، كان مولده بدمشق في سابع عشري رمضان سنة تسعٍ وثلاثين ومئة وألف ، ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ علي المصري مؤدب الأطفال ، ثم طلب العلم فقرأ مبادئ الفقه والعربية على الشيخ علي بن حمزة البغدادي نزيل دمشق ، ولازم في الفقه والعربية خالي الزين مصطفى بن محمد الرحمتي الأيوبي ، وبه انتفع وعلى يديه تخرج ، وأجاز له بخطه ، وحضر دروس الحديث على كلٍّ من جدي الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزِّي ، والعماد إسماعيل بن محمد العجلوني ، والشهاب أحمد بن علي المنيني ، والعلم صالح بن إبراهيم الجينيني ، وكتب له الأخير إجازةً وقفت عليها . وحضر دروسَ التفسير والحديث والعربية على كلٍّ من العلامة علي بن أحمد الكزبري ، والشرف موسى بن أسعد المحاسني ، والجمال عبد الله بن زين الدين البصروي ، والشيخ محمد بن أحمد قولقسز . وحضر دروس « الهداية » في الفقه على كلٍّ من المولى حامد بن علي العمادي ، والمولى علي بن محمد المرادي مفتي دمشق في التكية السليمانية ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن شيخنا القطب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس اليماني حين قدم دمشق ، وسمع المسلسل بالأولية

وبالمحمدين من الشيخ الكبير محمد بن محمد الطيب المغربي المدني حين ورد إلى دمشق ، وحضر دروس شيخنا العلامة محمد بن محمد التافلاتي مفتي القدس في شرح العقائد النسفية .

وحجَّ صاحب الترجمة في سنة ١١٦١ ، واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين ، وكان له من الوظائف كتابة وقف التكية السليمانية ، وكتابة وقف الغازي مراد باشا ، وكان ملازماً للصلوات الخمس مع الجماعة في الجامع الأموي ، بحيث لاينقطع عن ذلك صيفاً ولا شتاءً ، مشتغلاً بخويصة نفسه ، بَشُوشَ الوجه نيِّرَه ، وكان جمع كتباً نفيسة ونظم شعراً قليلاً .

وكانت وفاته فجأة في صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشري رمضان سنة عشر ومئتين وألف ، ودفن بتربة الذهبية في مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

محمد جلبي السفرجلاني

محمد بن خليل بن عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق السفرجلاني الشافعي الدمشقي الشاب الفاضل النبيل النبيه المتفوِّق اللطيف . ولد بدمشق سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده شيخ الطريقة السفرجلانية بدمشق وأخذ في طلب العلم ، فقرأ في الآلات على الأستاذ الشيخ عبد الله الحلبي ؛ وتفقه على العلامة الشيخ محيي الدين العاني ، والقدوة الشيخ صالح جعفر . وحج مع والده بعد سنة ١٢٧٠ ، وكان حسنَ الهيئة لطيف الشكل بَراً بوالده مشتغلاً معه بالتجارة ، ومع كونه أصغر من أخيه عبد الله جلبي كان أحبَّ إلى والده منه لأنه كان مطيعاً له قائماً بخدمته ، وكانت وفاته في حياة والده المذكور في ثالث عشر صفر سنة خمس وسبعين ومئتين وألف ، وكثر الأسَفُ عليه ، رحمه الله وسائر أموات المسلمين آمين .

محمد أفندي الشريف المكي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو محمد بن محمود بن حسين بن محمد بن أمين الدمشقي الحنفي المعروف بالشريف وبالمكي ، ولد بدمشق سنة

ثلاث ومئتين وألف ونشأ بها ، واشتغل مدَّةً بالطلب والقراءة على علماء دمشق ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الله الكردي الحيدري وغيرهم ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد شيخ الحضرة الكردي ، وكان يشتغل بالخياطة مدةً طويلة ثم تركها لكبر سنه وضعف بصره ، وكان فقيراً صالحاً ، ثم إنه جعل نائباً في المحكمة الكبرى - أو محكمة الباب - بدمشق ، فكان بعد ذلك عرضة للكلام . . . وكانت وفاته يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الدحداح ، رحمنا الله وإياه ، انتهى .

قلت : وأعقب صاحب الترجمة أولاداً ذكوراً أكبرهم وأفضلهم أبو الخير أفندي رئيس الكتاب بالمحكمة المذكورة ثم مميز الأوراق بها المتوفى سنة ١٣١٩ وهو والد السيد محمد أفندي مدير الأيتام السابق المتوفى نحو سنة ١٣٥٥ .

الشيخ محمد (طه) غزال

ترجمه صديقنا الفاضل عمر أفندي الطيبي في المشيخة الطيبية قال ما خلاصته :

هو محمد بن عبد الرحمن طه القادري الدمشقي المعروف بالشيخ غزال ، شيخ الطريقة ومعدِن الحقيقة ، الصوفي الزاهد الناسك العابد ، ولي الله صاحب الكرامات ، ولد بدمشق في حدود سنة ١٢٢٠ ، ونشأ في حجر والده على العفة والصيانة ، وأخذ عنه علم الأوفاق وغيره ، ثم بعد وفاة والده المذكور قام مقامه على سجادة الإرشاد القادرية ، وعانى الاشتغال بالعلم المذكور ، فكانت الصَّرْعَى تأتيه فيشفيهم الله على يديه ، وصار له في ذلك شهرةٌ عظيمة ، وقد تزوَّج المترجَم امرأة من الجن وسخَّر الله له واحداً منهم يخدمه كما يريد . أخبر عنه العالم الفقيه الشيخ راغب السادات قال : جاء دمشق في إحدى السنين أمين الصرَّة السلطانية ليخرج مع الحاج الشامي كالعادة ، فصادف دخولُه دمشق مساءً فأخر توزيع الأمانات التي معه إلى الغد فلما كان الصباح تفقد الأمانات فلم يجدها ، فحصل

له فزَعٌ شديد ، فأشاروا عليه بأن يقصِد المترجَم فقصده وأخبره بما وقع ، فأمره أن يأتي بديك أسود ، فأتى به ، فكتب ورقة وعلقها في عنقه ، ثم أمره أن يأتي برفيق له فأتى به ، فأمرهما أن يركبا دابتين ففعلا ، ثم ذهب بهما إلى محلة العنابة خارج دمشق وهو يحمل الديك معه ، فألقاه من يده وأمرهما أن يتبعا أثره حيثما ذهب ، فلم يزل الديك سائراً حتى أتى داراً ، فنقر على بابها نقرات ، فكسرا الباب ودخلا الدار بالديك ، فمشى الديك إلى محل فيه أكياس من القمح ، فنقر كيساً ، فأزالاه عن موضعه ، ثم نقر محل الكيس ، فحفرا نحواً من قامة ، فوجدا الأمانات على حالها ، فأخذاها ورجعا .

ومن مناقب صاحب الترجمة ما نقله ولده الشيخ عبد الغفور قال : كان أخي الأكبر الشيخ أحمد في حداثة سنه محباً للصيد ، فنهاه والده عن ذلك فلم ينته ، وخرج يوماً إلى الصيد فأتى بستاناً من أرض العنابة ، فوجد طائرين على بيت ، فلم يزل يدنو منهما حتى صار بينه وبينهما نحو ذراعين ولم ينفرا منه ، فرمى عليهما ففي الحال ذهبت عيناه ، فأخذ الآلة بيمينه وجعل يمشي على يديه ورجليه ، ثم تفقده والده فأخبروه بأنه خرج إلى الصيد ، فذهب نحو الأرض المذكورة ، فناداه فأجابه ، فسأله مابالك فأخبره بحاله ، فأخذ بيده وسأله المعاهدة على أن لايعود إلى الصيد وله أن يرد الله عليه عينيه ، فعاهده على ذلك فمسح على عينيه فعادتا كما كانتا .

ويحكى عنه غير ذلك ، وبالجملة فقد كان المترجَم من عباد الله الصالحين مشهوراً بالولاية عند الخاص والعام .

وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة الشيخ أرسلان المقابلة لمقامه ، وهذه المقبرة للرافضة ليس فيها من أهل السنة غير المترجَم - وبنو طه في دمشق قادات مشهورون بالصلاح ، وأما شهرة المترجَم بالشيخ غزال فهو لقَبٌ غلَبَ عليه لم يعلم السبب فيه ، وقد خلفه على سجادة القادرية ولده الشيخ أحمد المذكور المتوفى سنة ١٣١٥ تقريباً ، ثم تولاها من بعده أخوه الشيخ عبد الغفور المقدَّم ذكره ، وأعقب المترجَم من زوجته الجنية ابنتين لم تزالا

في قيد الحياة حتى الآن(سنة ١٣٢٤) رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الطباخ

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف بالطباخ . شيخ الطريقة الخلوتية ، وعين الحقيقة الجلوتية ، المربي الناصح والمرشد الصالح . ولد بدمشق ونشأ بها في حجر والده ، وعنه أخذ الطريقة الخلوتية ، وهو أخذها عن السيد نصري ، عن الشيخ مرجان ، عن القطب الشيخ عيسى بن كنان ، عن القطب الكبير الشيخ العباسي عن الهيكل الصمداني الشيخ أحمد العسالي ، وما زال المترجَم يشتغل في الطريق والأذكار ، والإرشاد في الليل والنهار ، إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح ، انتهى .

قلت: وتقدمت ترجمة ولد المترجَم الشيخ أحمد في حرفه ، رحمهما الله تعالى .

الشيخ محمد السعدي

هو محمد بن أمين بن حسن السعدي الدمشقي الشافعي الشيخ الفاضل ، والمرشد الكامل ، أحد شيوخ الطريقة السعدية بدمشق المحمية ، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ الطريقة عن أهلها ، وفي سنة ١٢٨٢ أوقف داره الكائنة في محلة القيمرية قرب زقاق المنكنة ، وجعلها زاوية للطريقة المزبورة ومسكناً لذريته ، كما رأيت ذلك في كتاب وقفه ، وكان يقيم بها الأذكار ويحضر عنده المشايخ والعلماء والخاصة والعامة ، وفي سنة ١٢٨٤ جدد تلك الزاوية ونقش على بابها هذه الأبيات :

أعيدت بفضل الله زاويةُ السعدي ... وقام بها ذكر الإلـه مع الوِرْدِ
فكم من مريدٍ نال منها مرادَهُ ... وكم سالكٍ يكسى بها حُلَلَ المجدِ
فهـذا مقـام العـارفين فلُـذْ بـه ... تنـالُ منال الكاملين مع الرُّشْدِ

وصار المترجَم متولياً على أوقاف الولي الشهير الشيخ سعد الدين الجباوي

وأولاده الكائنة جهات أوقافهم في بلاد حوران ، وفي آخر أمره سافر إلى الآستانة لمصلحة الأوقاف المذكورة ، فتوفي هناك في ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في جوار جامع إسماعيل آغا بمحلة اسكدار ، وقد أعقب ستة أولاد ذكور أنجبهم الشيخ إبراهيم أفندي الذي قام بالمشيخة مع التولية بعد والده المترجَم مدة تزيدُ على خمسين سنة وتوفي سنة ١٣٤٣ ، وهو والد الشيخ بدر الدين أفندي ، خليفة والده في المشيخة والتولية المذكورتين ، المتوفى في رجب هذه السنة(١٣٦٣) رحمهم الله تعالى آمين .

السيد محمد عابدين

ترجمه حفيد أخيه العالم الفاضل الشيخ أبو الخير أفندي ، في آخر الثبت الذي جمعه المترجَم لشيخه السيد شاكر العقاد ، المطبوع في دمشق سنة ١٣٠٢ ، قال ما خلاصته : هو الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقِّق ، الفقيه النحوي الفرَضي الحيسوبي ، الأديب الشاعر المتفنن ، حلّال المشكلات وكشاف المعضلات ، فقيه البلاد الشامية وبدرُ العصابة الحسينية ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم ابن العالم الولي صلاح الدين الشهير بعابدين . ولد بدمشق الشام سنة ثمان وتسعين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن الكريم وجوَّده وحفِظَه على الشيخ سعيد الحموي شيخ القراء بدمشق ، وقرأ عليه الميدانية والجزَرية والشاطبية بعد ما حفظها ، وتلقى عنه القراءات بأوجهها وطرقها ، وقرأ عليه طرفاً من النحو والصرف والفقه الشافعي ، وحفظ متن الزبد وكان شافعيَّ المذهب ، ثم لزم شيخه الشيخ شاكر العقاد ، وقرأ عليه في المعقولات ، فألزمه شيخُهُ المذكور بالتحوُّل إلى المذهب الحنفي ، فتفقَّه عليه وأخذ عنه الفرائض والحساب والأصول والحديث والتفسير والتصوُّف والمعقولات ، وقرأ عليه من الفقه « الملتقى » و« الكنز » و« البحر » لابن نجيم وصدر الشريعة و« الدراية » و« الهداية » وغير ذلك ، ثم شرع في قراءة « الدر المختار » مع جماعة منهم علامةُ زمانه الشيخ سعيد الحلبي ، إلى أن اخترَمَتِ المنيةُ شيخه المقدَّم ذكره ، ولم تتم قراءة الدر فأتمه على الشيخ الحلبي

المذكور ، وقرأ عليه غير ذلك ، ثم استجازه فأجازه وكتب له إجازة بخطه وختمه. وكان شيخُه العقَّاد يتفرس فيه الخيرَ ويُحضره دروسَ أشياخه ، وأحضره مرةً درس شيخِه العلامة الشيخ محمد الكزبري ، واستجازه له فأجازه ، وكتب له إجازة سنة ١٢١٦ ؛ وكذلك أحضره مرة درس شيخه العلامة الشيخ أحمد العطار ؛ واستجازه له فأجازه ، وكتب له إجازة في السنة المذكورة ؛ واستجاز له الشيخ نجيب القلعي يوم عيد الفطر سنة ١٢٢٠ فأجازه ؛ ثم أجازه شيخه الشيخ شاكر المنوَّه به بإجازتين نظماً ونثراً ، كما أجازه كلٌّ من الأخوين الشيخ إبراهيم والشيخ عبد القادر حفيدي سيدي عبد الغني النابلسي ؛ والشيخ صالح الزجاج ؛ والشيخ خالد النقشبندي ؛ والشيخ هبة الله البعلي ، والشيخ محمد الأمير المصري ، والشيخ صالح الفلاني المدني ، كلاهما مكاتبةً وأخذ الطريقة القادرية عن شيخه العقاد الآنف ذكره وحج سنة ١٢٣٥ . . . وكان رحمه الله تعالى مهاباً مطاعاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد بلغ من الشهرة ما لا مزيد عليه ، وكان حريصاً على إفادة الناس ، حَسَن الصحبة .

وقد ألَّف التآليف العديدة ، فشرح متن « الكافي » وكتب حاشية على شرح « نبذة الإعراب » وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة ، وأنشأ مقاماتٍ ومدائح في شيخه العقاد ، ومن مؤلفاته « العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية » (مطبوع) وحاشيته على الدر المسماة « رد المحتار على الدر المختار » (مطبوعة مراراً) وحاشية على « البحر الرائق » ، وحاشية على شرح « المنار » للعلائي . . . وحاشية على القاضي البيضاوي ؛ وحاشية على حاشية الحلبي على « الدر » ؛ ومجموع كبير جمع فيه نفائس الفوائد النثرية والشعرية ؛ ومجموع آخر ترجم فيه أهل عصره (لم نطلع عليه) و« الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم » ؛ و« تنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام » ؛ وشرح على رسالة البركوي في مسائل الحيض ؛ و« الدرة المضية في شرح الأبحر الشعرية » ؛ و« بغية الناسك في أدعية المناسك » ؛ و« فتح رب الأرباب بحواشي لب الألباب » ؛ ونظم الكنز ؛ وقصة المولد الشريف ؛ ورسائل كثيرة (مطبوعة) . وأما تعاليقه على هوامش

الكتب وكتابته على أسئلة المستفتين والأوراق التي سودها بالمباحث الرائعة فلا تكاد تحصى ، وبالجملة فقد كان شغله من الدنيا التعلم والتعليم والتفهم والتفهيم ؛ مقسّماً زمنه على أنواع الخير من طاعة وعبادة وتدريس وإفادة وتأليف وإفتاء ، وكان تَرِدُ إليه الأسئلة من غالب البلاد ؛ وقد انتفع به الحاضر والباد .

ولم يزل على حالته حتى آذنت شمسُه بالغروب ؛ فتوفي ضحوة يوم الأربعاء الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف عن أربعٍ وخمسين سنة ، وصُلِّيَ عليه في جامع سنان باشا ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين . انتهى بتصرف.

قلت: وقد طُبع كثير من مؤلفات المترجَم وعمَّ نفعها واشتهر فضلها ؛ وكان أعظمُها نفعاً وأكثرها شهرةً حاشيته على الدرِّ المختار ، في خمس مجلدات كبار ، فقد أضحى المعوَّل في فقه الحنفية عليها ، والمرجع في حلِّ المشكلات إليها ، وكذلك تنقيح الفتاوى الحامدية ، فإنه كالحاشية مطبوع مشهور ؛ يرجع إليه ويعتمد عليه . وأما رسائله المطبوعة فهي : « الأقوال الواضحة الجلية في مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية » ؛ و« غاية المطلب في اشتراط الواقف عود نصيب العقيم إلى أهل درجته الأقرب فالأقرب » ؛ و« الإبانة عن أخذ الأُجرة على الحضانة » ؛ و« تحرير العبارة فيمن هو أحق بالإجارة » ، و« الفوائد المخصصة بأحكام كي الحمصة » ، و« سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي » ، و« شفاء العليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل » ، عليها تقاريظ من علماء عصره ، و« تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام » ، و« العقود الدرية في قول الواقف على الفريضة الشرعية » ، و« تنبيه الغافل والوسنان على أحكام هلال رمضان » ، و« إعلام الأعلام بأحكام الإقرار العام » ، و« رفع التردُّد في عقد الأصابع عند التشهد » ، و« منة الجليل لبيان إسقاط ما على الذِّمَّة من كثير وقليل » ، و« دفع الاعتراض على قولهم الأيمان مبنية على الألفاظ لا على الأغراض » ، و« تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول » ، و« اتحاف الذكي النبيه بجواب ما يقول الفقيه » ، و« الفوائد

العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة » ، و« غاية البيان في أنَّ وقف الاثنين على أنفسهما وقف لا وقفان » ، و« أجوبة محققة عن مسائل متفرقة » ، و« تنبيه الرقود على مسائل المفقود » ، و« نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العُرْف » ، وشرح منظومته المسماة بـ « عقود رسم المفتي » ، و« رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه » ، و« العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر » ، و« تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام » ، و« إجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث » ، و« مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور » ، و« تحبير التحرير في إبطال القضاء بالفسخ في الغبن الفاحش بلا تغرير » . فهذه سبعٌ وعشرون رسالة مطبوعة منشورة مأخوذة بالقبول ، طبعها أبو الخير أفندي الموما إليه ، الذي لم يألُ جهداً في نشر ما لعمِّه المترجَم من الآثار المفيدة . وجملة القول في صاحب الترجمة أنه علامة فقيه فهامة نبيه ، عذب التقرير متفنن في التحرير ، لم ينسج عصره على منواله ، ولو لم يكن له من الفضل سوى حاشيته المنوه بها ، التي سارت بها الركبان ، وتنافست فيها الناس زماناً بعد زمان ، لكفته فضيلةً تذكر ، ومزيةً تشكر ، فالله يتغمده برحمته ، ويسكنه فسيح جنته ، ويجزيه عن المسلمين خيراً كثيراً (١٣٢٣) .

الشيخ محمد عيد العاني

هو محمد عيد بن محمد بن أحمد بن هذيب العاني الأصل والشهرة ، الشافعي الدمشقي ، الشيخ الإمام العلامة الفاضل ، المحدث الفقيه الصوفي العابد ، الشريف الماجد . ولد بدمشق سنة ثمان وثمانين ومئة وألف تقريباً ، ونشأ على طاعة وتقى ، وأخذ عن علماء وقته ، كالشيخ محمد الكزبري ، والشيخ أحمد العطار ، والشيخ شاكر العقاد ، والشيخ خليل الكاملي ، والشيخ يوسف شمس وغيرهم ، وتصدر للتدريس والإفادة ، فأخذ عنه وانتفع به جمعٌ كثير .

ويقال : إنَّ له مؤلفاتٍ ومنظومات مفقودة ، وبالجملة فقد كان للمترجم

اليدُ الطولى والفضيلة التامة في العلوم والفنون ، وممن أخذ عنه ولده الشيخ محيي الدين الآتية ترجمته ، ونسيب أفندي حمزة ، والسيد قاسم دقاق الدودة وغيرهم ، وما زال على حالته الحسنَة إلى أن توفي .

وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف ، ووالد المترجَم السيد محمد وجدُّه السيد أحمد ترجمهما سلَفُنا العلامة خليلِ أفندي المرادي مفتي دمشق في تاريخه الشهير وأثنى عليهما رحمهم الله تعالى جميعاً ، آمين .

الشيخ محمد العطار المدرس

ذكر بعض المؤرخين نُبذَةً من ترجمته فقال : هو محمد بن حسين بن حسين الشهير بالعطَّار وبالمدرس ، الحنفي الدمشقي . ولد في سابع عشري رمضان سنة سبع وسبعين ومئة وألف ، وأخذ عن والده وغيره ، وكانت وفاته مطعوناً في حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف ، انتهى.

قلت: وللمترجم رسالتان في « القنبرة » وفي « الطوب » مطبوعتان في بيروت ورسالة بخط الجد في حساب المياه نافعة في بابها ، ورسالة في فن القبان ، ورسالة له وبخطه في فنّ المزاول ، وهذه الرسائل الثلاث موجودة عندي ، وله شرح على منظومة معاصِرِهِ الشيخ حسن العطار المصري في التشريح ، ورسائل كثيرة في الفلك والنجوم . وقد دلَّتْنا آثارُه الحسنة على إمامته وتفنُّنه في العلوم الرياضية والفلكية ، وقد تقدَّمت ترجمة والدِهِ في حرفه ، وممن أخذ عنه وانتفع بعلومه عبد الله أفندي الأُسطواني وغيره رحمه الله تعالى.

الشيخ محمد العقيلي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو محمد بن عثمان العقيلي الحنفي . أحد شيوخ الشام ونخبة العلماء الأعلام ، بحر الحقائق وكنز الدقائق ، أخذ عن والده عثمان أفندي ، وهو عن الشيخ طه بن مهنا الجبريني الحلبي ، وهو عن علامة الزمان سيدي عبد الله بن سالم البصري . انتفع به خلقٌ

كثير وجمٌّ غفير ، وممن أخذ عنه الشيخ سعيد الحلبي الدمشقي ، والشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي وغيرهما من العلماء .

مات في سابع جمادى الأولى سنة تسع ومئتين وألف رحمه الله تعالى.

الشيخ محمد الصوفي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : هو محمد بن عمر البره جكلي ثم الدمشقي الشهير بالصوفي ، ولد في بره جك سنة ثلاث ومئتين وألف ونشأ بها ، ثم قدم دمشق الشام واستوطنها سنة ١٢٣٠ وكان متفقهاً في دينه عابداً زاهداً حسنَ الكتابة في أنواع الخطوط ، وكان له محلٌّ في حارة حمام القاضي ، يأخذ الناسُ عنه الكتابة فيه ، وكان جميلَ المنظر ، له هيبة ووقار ، لا يتكلَّم إلا في الوعظ والرقائق وأنواع الأذكار . وكان حنفيَّ المذهب ، صوفيَّ المشرب ، معتقداً عند الخاص والعام ، يتبرك به ويطلب دعاؤه .

مات في تاسع ذي الحجة سنة خمسٍ وثمانين ومئتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى ، انتهى.

قلت : المترجَم هو والد الفاضل الشيخ سعيد الصوفي الخطاط المعروف المتوفى بعد سنة ١٣١٠

الشيخ محمد العمري

ترجمه العلامة الأديب السيد كمال الدين الغزِّي في تذكرته الكمالية قال : هو محمد بن أحمد بن عبد اللطيف العُمَري ، الدمشقي الشافعي الشهير بابن عبد الهادي ، الأديب الشاعر الفاضل النبيل المتفوِّق أبو عبد الله عفيف الدين ، كان ميلاده في دمشق سنة اثنتين وسبعين ومئة وألف ، وتوفي والده وهو صغير ، فنشأ يتيماً موفقاً في حفظٍ وصيانة ، وقرأ القرآن الكريم مجوَّداً على شيخنا الشيخ محمد بن عبد الرحمن المكتبي النابلسي ، وشرع في طلب العلم فقرأ الفقه والعربية على شيخنا الشيخ محمد بن أحمد العاني ، وعمه الشيخ حسين بن عبد اللطيف

العمري ، وتخرَّج بالأدب وفنونه على صاحبنا العالم الأديب السيد عبد الحليم بن أحمد اللوجي ، وصارت له ملكة في النظم والنثر ، ومن شعره قوله :

أفدي مليحاً من الأروام ذا ترفٍ ... لـه بـديـعُ محيَّـا صِينَ عـن ضَررِ
فـأينمـا دارَ دارَتْ حـول صفحتـه ... من ذلك الجيد أشخاصٌ من الصورِ

وقوله مضمناً :

لمـا جلَـتْ أصـدافُ مَبْسَمِـه المعـا ... دنَ وهـو في إعـراضـه لم يَنْبُـهِ
نـادتْ جـواهـرُ دُرِّهِ في ثَغْـرِهِ ... (يا صاحِبِي هذا العقيقُ فقفْ بِهِ)

وقوله مضمناً أيضاً :

سبـا العقـولَ بصـادٍ جـلَّ فـاطـرُهُ ... وصـادَ قلبـي الُمعنَّـى وهـو فـاطـرُهُ
إنْ صـال نـاعسُـه أُسْـدٌ فـرائسُـهُ ... أو مـال مـائسُـه فـالقلـبُ طـائـرُهُ
مـا مثلـه بشرٌ في ثغـره دُرَرٌ ... في طـرفـه حـوَرٌ هـاروتُ سـاحـرُهُ
لم أنسَهُ مُذْ وَفَى والوقتُ منه صفا ... والصبُّ بعد الجَفا قد سُرَّ خاطرُهُ
والهـمُّ منفـرجٌ والصبـحُ منبلـجٌ ... والـروضُ مبتهـجٌ تـزهـو أزاهـرُهُ
وبـاتَ يُنشـدني والكـأسُ في يـده ... (باكرْ صَبُوحَك أهنى العيشِ باكرُهُ)

انتهى . قلت : ولم يؤرخ الغزِّي وفاة المترجَم ، ولعله توفي قبله والله أعلم .

السيد محمد شريف الغزِّي

هو أحد علماء دمشق الأكابر ، الذين ورثوا المفاخر كابراً عن كابر ، كوكب الديار الشامية ، ومفتي السادة الشافعية ، محمد شريف ابن الشمس محمد ابن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا بن بدر الدين الغزِّي العامري الدمشقي ، سِبط الأستاذ العارف الشيخ عبد الغني النابلسي . لم أقف من ترجمته على ما يكفي ويشفي وإنما رأيتُ بخطِّ ولده العلامة المؤرخ السيد كمال الدين الغزِّي الذي ننقل عنه : أنه ولد سنة أربع وأربعين ومئة وألف ، وأخذ عن مشايخ عصره .

توفي في المحرم سنة ثلاث ومئتين وألف ، ودُفن في تربة الدحداح رحمه الله تعالى ، ومن شعره قوله مخمِّساً البيتين المكتوبين على ضريح سيدي العارف محيي الدين بن العربي قدَّس الله سره

غوثُ هذا العصر عالي الرُّتَبِ ... حاتميُّ الأصل زاكي النسَبِ
فيه قد قيل فكُنْ غير غبي
(قبر محيي الدين إبن العربي ... كل من لاذ به أو زارَهُ)
نال فضلاً أحرزَتْهُ العُلَما ... وعلا حتى تبدَّى علما
وإذا يممه ملتزِما
(قُضيتْ حاجاته من بعد ما ... غفر الله له أوزارَهُ)[1]

محمد أفندي الغزِّي

محمد بن عمر بن عبد الغني بن محمد شريف ، المتقدِّم قبله ، الغزِّي العامري ، مفتي الشافعية بدمشق الشام ، وابن مفاتيها السادة الكرام ، العالم الفاضل والجِهْبِذ الكامل ، أخبرنا عنه ولده محمد أمين أفندي مفتي الشافعية السابق قال :

ولد ليلة الاثنين سابع ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده العلامة عمر أفندي ، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ مصطفى التلي ، وأخذ العلم عن العلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، وعن العلامة الشيخ حسن الشطي ولازمه في الفرائض كثيراً ، وعن والده المقدَّم ذكره ، وله منه إجازة عامة ، وبعد وفاته تولى وظيفة الإفتاء ، وصار عضواً في المجلس الكبير بدمشق ، وفي غيره من مجالس الحكومة ، وجلَّ أمرُه وعز قدره .

وكانت وفاته يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى

---

(١) المسلم لا يسأل إلا الله ولا يلوذ إلا به ، لأنه هو وحده يقضي الحاجات ، ويكشف الكربات ، ويتوب على العصاة .

وتسعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى وسائر المسلمين.

الشيخ محمد الكزبري

هو شيخ شيوخ دمشق وأعلم علمائها ، وصدر صدورها وأفضل فضلائها ، محدث الديار الشامية ، وإمامُ السادة الشافعية ، شمس العلم والفتوى ، وجوهرة الصلاح والتقوى ، العالم العلامة والحبر الفهامة ، الإمام المسند الحجة العَدْل الثبت الثقة ، رحلة الطالبين وكعبة القاصدين ، شمس الدنيا والدين ، أبو المكارم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين بن عبد الكريم الشهير بالكزبري الدمشقي الشافعي .

كانت ولادته بدمشق الشام في ثالث عشر شعبان سنة أربعين ومئة وألف كما في ثبته ، وقد أخذ الحديث والفقه عن والده المذكور ، وعن خال والده الشيخ علي كزبر ، وقرأ في المنقول والمعقول على كلٍّ من المحدِّث الشهاب أحمد المنيني ، والشيخ عبد الرحمن الكردي ، والشيخ علي أفندي الطاغستاني ، والشيخ علي السليمي ، والشيخ محمد سعيد الجعفري ، والشيخ مصطفى اللقيمي ، والشيخ عبد الرحمن الصناديقي ، والشيخ أحمد البعلي ، والشيخ أسعد المجلد . ومن الواردين إلى دمشق الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني ، والشيخ محمد المغربي التافلاتي ، والشيخ محمد البخاري الخليلي . وأجاز له مكاتبة الشهابان الملوي والجوهري ، والشمس محمد الحفني ، وأخوه الجمال يوسف ، والشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ محمد المنير السمنودي ، والسيد محمد مرتضى الزبيدي المصريون ، والشيخ إبراهيم الحلبي نزيل إسلامبول وغيرهم . هذا ما جاء في الثبت المقدم ذكره .

ثم إن المترجَم تصدَّر للتدريس والإفادة ، فرحل إليه الطالبون ، وهم من كلِّ حدَبٍ ينسِلون ، فدرَّس وأفاد ، وأبدع وأجاد ، وعمَّ نفعُه العباد ، وحجَّ مرتين الأولى سنة ١١٩٧ ، والثانية سنة ١٢١٠ ، وولي تدريس قبة النسر الشهير في هذه السنة ، وهو أول من تولاه من بني الكزبري .

وكانت وفاته ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف في داره بمحلة الشاغور ، وصلى عليه في الجامع الأموي ولده العلامة الأثري ، الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، ضحوة اليوم المذكور ، ودُفن في تربة الباب الصغير قريباً من والده رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين.

ونوه بذكر صاحبِ الترجمة ، العلامة السيد محمد عابدين في الثبت الذي جمعه لشيخه العلامة الفقيه السيد شاكر العقاد قال : هو علامة المعقول والمنقول ، محقق الفروع والأصول ، المستخرج من دُرِّ بحر العلوم ما يعجز عنه الفحول ، الذي لا يُعوَّل في حلِّ المشكلات إلا عليه ، ولا ترجع الأئمة عند التوقف إلا إليه ، شيخ الشيوخ على الإطلاق ، وسيد أهل الآفاق ، محدِّث زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، بركة الشام وعمدة الأعلام ، نخبة الكرام الأمجاد ، وملحق الأحفاد بالأجداد ، سيد أهل التحقيق وسعد أرباب التدقيق . نشأ شيخنا ، أعاد الله علينا من بركاته ، في حجر والده ، جامعاً لطارف مجده وتالده ، مع عفَّةٍ وصيانة ، وورَع وديانة ، وأخذ العلوم عنه وعن غيره من شيوخ عصره ، حتى نَبُه ونَبُل ، وتجمَّل واكتمل ، وفاق أقرانه ، وشرَّف زمانه ، مثابراً على تعلُّم العلم وتعليمه ، وتوضيحه وتفهيمه ، مكباً على الطاعات والعبادات ، مداوماً عليها في جميع الأوقات ، محباً للمساكين والفقراء ، كثيرَ الصدقات والمبرَّات ، متواضعاً للصغير والكبير ، لينَ الجانب للجليل والحقير ، ذا هيبة ووقار ، يعلو وجهه نورُ أهل الآثار ، كثيرَ البكاء والخوف من مولاه ، أمَّاراً بالمعروف نهَّاءً عن المنكر ، لا تأخذُه لومةُ لائم في الله ، مُحيِياً لبقع المسجد بالدروس والعبادات ، وأنواع الطاعات ، ذا إتقان وتحقيق ، وترقيق وتدقيق ، بذهنٍ سيال ، ولسانٍ فصيحِ المقال ، مقصوداً من جميع الجهات والأقطار ، مشهوراً بها كالشمس في رابعةَ النهار ، انتفع به الجمُّ الغفير ، والخلق الكثير ، من قاطنينَ وأغراب ، ركبوا لأجله غاربَ الاغتراب ، حتى إنه لم يوجد في عصره طالب ، إلا وهو من فيض بحره شارب ، وهو إمامُ دمشق الكبير ، وكوكبها الذي به تستنير . وكان والده قد أذِن له بإفادة الطالبين في حياته ، ولما توفي سنة ١١٨٥ ، جلس مكانه

بين العشاءين في الجامع الأموي ، فأقرأ وأفاد ونفع وأجاد ، وكانت عليه وظيفة التدريس في مدرسة سليمان باشا العظم ، فأقرأ فيها كتباً كثيرة . وفي سنة ١٢١٠ جاءته قبّةُ النسر تسعى من غير طلب فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، ووشّح جيد الفضلاء بأحسن توشيح ، وأنار مصباح الجامعين ، وأبدى ما تتشنّف به الأذن وتَقَرُّ به العين ، وهو في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان من كلِّ عام ، ولا غرو أنه درسٌ عظيم جامع للخاص والعام ، انتهى باختصار.

وذكره العالم الأديب الشيخ عثمان بن سند ، في كتابه « أصفى الموارد » في جملة شيوخ العلامة الشيخ خالد النقشبندي ، وأثنى عليه نثراً ونظماً بما يطول ذكره ورثاه بقصيدة مطلعها :

قضى ففؤادي كاد يصدَعُه الفَجْعُ   إمامٌ أصابَ الدينَ من موته صَدْعُ

محمد أفندي الكيلاني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو السيد محمد ابن السيد صالح ابن السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم ابن السيد شرف الدين ، الحنفي الدمشقي الشهير بالكيلاني ، نسبة إلى سيدنا عبد القادر الجيلاني الحسني قدّس الله سره . ولد المترجَم سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف ، ونشأ في حجر والده ، واجتهد في طلب العلم ، وأجازه السادة الأفاضل ، وألف الكتب والرسائل ، ومن مؤلفاته « نسمات الأسحار في فضائل العشرة الأبرار » ، وبالجملة فقد كان من السادات الصالحين والأفاضل المعتقدين ، ناهجاً نهج أسلافه ، مشهوراً بحُسْن أوصافه .

وكانت وفاته بدمشق الشام ، سنة أربع وأربعين ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون بتربة سيدنا ذي الكفل عليه السلام ، رحمه الله تعالى ، انتهى.

قلت : أثبت العلامةُ المرادي في تاريخه تراجمَ جملةٍ من أسلاف صاحب الترجمة وأثنى عليهم ، وذكر في ترجمة جدِّ المترجَم السيد عبد القادر بيان سبب انتقالهم من حماه إلى دمشق وذلك سنة ١١٤٣ .

الشيخ محمد الكفرسوسي

قال العلامة البيطار في تاريخه : هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حجازي الشافعي البقاعي الشهير بالكفرسوسي . أحد العلماء العظام ، وأوحد الفضلاء الكرام ، العالم العامل ، والفاضل الكامل ، كان من الأعيان ، ذوي القدر والشان .

توفي يوم عاشوراء سنة تسع وعشرين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الدحداح ، انتهى.

قلت: المترجَم هو ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي ، الذي تولى فتوى الشافعية بدمشق وتوفي سنة ١١٧٩ كما في تاريخ سلفنا المرادي ، رحمهم الله تعالى.

الشيخ محمد المهدي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : هو الشيخ محمد المهدي المغربي الزواوي ، مقدم الطريقة الخلوتية بدمشق ، شيخ الطريقة ، ومَعْدِن السلوك والحقيقة ، صاحب الفيوضات الإلـهية ، والكشوفات الربانية ، العارف بالله ، والمقبل بكليته على مولاه ، المرشد الإمام ، والمُسَلِّكُ الهُمام . ولد في المغرب سنة ألف ومئتين ، ولما استولى الفرنساويون على الجزائر وتوابعها ، هاجر المترجَم بعياله إلى دمشق سنة ١٢٦٣ وكان يقيمُ الأذكار في مدرسة الخضيرية ، وقد أخذ عنه كبراء دمشق وعلماؤها ، وحكامها وفضلاؤها .

وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، وحُمل نعشه على الأعناق ، وصلى عليه ألوف الناس في جامع بني أمية ، ودفن في سفح قاسيون في مقبرة نبي الله ذي الكفل عليه السلام ، وقبره معروف مشهور.

وقد أعقب المترجَم ولده الشيخ محمد صالح ، فقام مقامه واتبع طريقته ،

وأرشد السالكين وربّى المريدين ، وكان قد هاجر مع والده إلى دمشق ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية بسندها المعروف عندهم . وكان هذا فقيراً زاهداً عابداً ليِّنَ الجانب ، انتقل بعد موت والده من محلة الخضيرية إلى محلة القنوات ، واستقام بها مع عائلته إلى أن توفي بعد سنة ثمانين ومئتين وألف ، ودفن في المقبرة المذكورة قرب قبر والده رحمهما الله تعالى.

الشيخ محمد المبارك

قال العلامة البيطار في تاريخه ما خلاصته : هو الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي المالكي . ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف ، ولما بلغ سن التمييز اشتغل بحفظ القرآن الكريم ، ثم بتحصيل ما لا بد منه من علوم الدين ، ثم عكف على العبادة والتقوى . وكان في بداية أمره يأوي إلى غابةٍ يعبد الله فيها أياماً ، ثم يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها ويرجع إلى مكانه ، حتى تخلى عن أوحاله وتحلى بجميل أحواله ، فأخذ الطريقة البكرية الخلوتية ، عن المرشد الكامل سيدي الشيخ علي بن عيسى ، ولازمه مدة ، فلما دنت وفاته أوصى به خليفته الأكبر سيدي الشيخ محمد المهدي السكلاوي ، فتولى تربيته حتى فتح الله عليه ، فاشتغل بالإرشاد ونفع العباد ، وسار صيته في الأقطار وتخرَّج على يده عدد كثير ، وكان له في السخاء اليد الطولى ، ولما قصدت الأمة الفرنساوية بلادَ الجزائر ، جمع جموعاً من العباد ، وسار بهم إلى المدافعة والجهاد ، إلى أن ظهر الكفَّار على الإسلام ، لحكمةٍ أرادها الملك العلام ، فقصد بلاد الشام مهاجراً بأهله وقرابته ، وتبِعه خلقٌ كثيرٌ من أهل عصابته ، واستوطن دمشق الشام ، وهو مقصودٌ للخاصِّ والعام ، ثم حج البيت الحرام ، وزار النبيَّ عليه السلام ومعه خمسة وأربعون نفراً من إخوانه الكرام ، ولما رجع اتخذ لنفسه خلوة في منزله ، لايخرج منها إلا يوم الخميس ، فقد جعله لزيارة القاصدين ومذاكرة المريدين ، ثم يعود لخلوته ليلة السبت ، ولم يزل كذلك حتى قدم على السيد المالك. . . وبالجملة فقد كان للمترجَم أحوالٌ جليلة يطول ذكرها .

وكانت وفاته سنة تسع وستين ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون بجوار نبي الله ذي الكفل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، انتهى.

قلت: وأعقب صاحبُ الترجمة ولديه الأستاذين الجليلين الشيخ محمد الطيب المتوفى سنة ١٣١٣ والشيخ محمد المبارك المتوفى سنة ١٣٢٩ والأول هو والد الأستاذ الشيخ محمد المبارك مفتي المالكية الآن (سنة ١٣٦٣) .

السيد محمد العطار

قال في حقه العلامة البيطار ما مختصره : عالم كاملٌ وهُمام فاضل ، أجمع الناسُ على كمال فضله ، وطِيبِ محتِده وأصله ، ارتفع مقامه ، وعلا قدره واحترامه ، وصار مقصوداً في مشكلات المسائل ، ومورداً لاكتساب المعارف والفضائل ، ولد بعد سنة ثلاثين ومئة وألف ، واشتغل بالعلم والعبادة ، إلى أن برع وفاق ، وتولى القضاء بمدينة غزة ، واتفق له أيام قضائه بها ، أن وقعت حادثة علمية بينه وبين مفتي القدس العلامة الشيخ محمد التافلاتي ، أوجبت تنافراً عظيماً وسباباً أليماً ، وجهه صاحب الترجمة إلى المفتي المشار إليه في صورة رسالة استفتحها بقوله (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ﴿ لا يُحِبُّ الله الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاّ مَنْ ظُلِمُ ... ﴾ [النساء:١٤٨] ثم قال واصفاً رسالة التافلاتي : فتلقَّيناها تلقِّي الأحباب ، بالسعة والتَّرْحاب ، ولما نزلَتْ منا منزلة الأضياف ، عجَّلنا قراها بما يجب لها عند أهل الإنصاف.

سوداءُ شمطاءُ اللِّمَمْ وافَتْ بتيهٍ وعجَبْ
لما علمتُ جهلَها أنكحتُها فحلَ الأدَبْ

ثم قال : أما السؤال المرفوع إلى الشيخ فملخصه (في بكر بالغة تزوجها غير كفؤ برضاها وولدت منه ولداً ، فقام وليُّها يطلب فسخ النكاح ، هل يجاب إلى ذلك ؟) فأجاب : (الكفاءة شرط لصحة عقد النكاح ، وهذا النكاح المشروح في السؤال ، لم ينعقِدْ أصلاً ، كما هو المختار للفتوى ، وكما صرَّح به قاضي خان وصاحب « التنوير » ، واتفقت عليه فتاوى المتأخرين لفساد الزمان ، وإذا طلب

الوليُّ الفسخَ أم لم يطلبه ، رضيت المرأةُ أم لم ترض فالفسخ واقع ، لعدم انعقاد النكاح من أصله ، ولو ولدت أولاداً ، والنقل به مستفيض لم يخلُ منه كتاب من كتب المذهب والله سبحانه وتعالى أعلم) .

فأخذها السائل وأرسلها للولي بغزة هاشم ، فأخذها هذا واستكتب مفتي غزة فكتب عليها ، ثم عرضها على هذا العبد الضعيف ، وكان الزوج غائباً ، فأجبته أنك تحتاج إلى خصم لتثبت عليه عدم الكفاءة ، فاستفتى علماء غزة فأجابوه كما أجبت غير أنَّ مفتيَها قال لا سبيل لذلك إلا بنصب مسخر ، فينبغي أن ينظر في الصور التي يجوز فيها نصب المسخر ، فأجبت بأن هذه الصورة ليست منها ، وانفض المجلس على أنَّ المفتيَ والعلماء يراجعون كتب المذهب . وحرر الولي ذلك إلى المستفتي ، وهذا أخبر المفتي بما حصل في طرفنا فاستشاط من الغضب ، ثم كتب سؤالاً آخر كالأول لكنْ زاد فيه ونقص ، وكتب عليه جواباً آخر ، بسط فيه المقال ، وأكثرَ من نقل الأقوال ، وذكر رواية الحسن ، ونقل ترجيحها عن الأعلام فنقول. . .إلى آخر الرسالة . وقد تفاقم أمر الجدال ، واتسعت دائرة القيل والقال ، وانتقلت القضية إلى غير هذه الكيفية ، ولو أردنا ذكر رسالة التافلاتي ، وشرحها لصاحب الترجمة العريض الطويل ، لأدى المقام إلى الإطناب والتطويل .

ومات المترجَم في الآستانة سنة تسع ومئتين وألف ، ودفن هناك رحمة الله عليه ، انتهى.

قلت : المترجَم هو جد آل الحسيبي الوجهاء المعروفين بدمشق وقد تقدَّمت ترجمةُ ولده علي أفندي حسيب وحفيده أحمد أفندي في حرفيهما.

الشيخ محمد مفتي بيروت

ترجمه بعض المؤرخين في مجموع الزيارات الدمشقية فقال : هو الشيخ الإمام علّامة الزمان وفريد العصر والأوان ، البحر الزاخر وصاحب المكارم والمفاخر ، محمد بن أحمد الحلواني الشهير بمفتي بيروت . كان عالماً عاملاً ورعاً تقياً لا تأخذه

في الحق لومةُ لائم . ولي إفتاءَ ثغرِ بيروت وعُزل عنه لحادثة وقعت له مع النصارى . وقد أخذ العلم عن مشايخ كثيرين من أجلِّهم محدِّث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وقد انتفع به جمعٌ كثير وجمٌّ غفير ، وكانت وفاته بدمشق في رابع شوال سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير قريباً من ضريح سيدنا أوس الثقفي رحمه الله تعالى ، انتهى.

قلت : وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وأثنى على علمه وفضله ، ولم يزد شيئاً على ما نقلناه . هذا وقد لايكون نسبةٌ بين المترجَم وبين الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت السابقة ترجمتُه ، وإنما هو اشتهار بالمنصب فقط والله أعلم.

الشيخ محمد المنَير

ترجمه لنا ابن أخيه العالم الفاضل الشيخ عارف أفندي ، قال ما خلاصته : هو محمد بن سعيد بن محمد أمين بن سعيد بن عبد الحليم بن أسعد بن إسحاق ابن القطب محمد الشهير بالمنير ، الحسيني الشافعي الدمشقي الحموي الأصل ، العلامة الفقيه المفسرِّ المحدِّث الهُمام الوجيه ، ولد بدمشق سنة إحدى وعشرين ومئتين وألف تقريباً ، وتوفي والده وسنُّه نحو التسع ، فقرأ على الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والسيد محمد أمين عابدين وغيرهم ، وساد وفضل ودرَّس في جامع بني أمية وفي جامع السنانية ، دروساً عامة وخاصة ، وحجَّ ثلاثَ مرات ، ورحل إلى الآستانة دارِ السلطنة العثمانية ، ووجهت إليه باية إزمير المجرَّدة سنة ١٢٨٣ ، وكان له حرمةٌ وهيبةٌ وكلمةٌ مسموعة ، وكان ينتخب عضواً في المجالس العلمية ، ولم يزل على حالته إلى أن توفي .

وكانت وفاته في تاسع عشري ربيع الثاني سنة إحدى وتسعين ومئتين وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير

وكان والد المترجَم السيد سعيد المنَير عالماً فاضلاً مقيماً على التدريس والإمامة في محراب الشافعية بالجامع الأموي ، توفي سنة ١٢٢٩ . انتهى.

قلت : وقد أعقب المترجَم ولده الوجيه سعيد أفندي المتوفى سنة ١٣٢٣ وتقدَّمت ترجمة قريبِه السيد أسعد المنير في حرفه رحمهم الله تعالى.

الشيخ محمد المخَلَّلاتي

ذكره بعض المؤرخين في مجموعه ناقلاً عن الكمال الغزِّي في تذكرته قال : هو محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الله الشهير بالمخلَّلاتي ، الشافعي الدمشقي الرُّحَيباني الأصل ، الفَرَضي ، الموقِّت ، الفلكي ، ولد بدمشق سنة أربع وعشرين ومئة وألف ، وكانت وفاته في سابع محرم سنة سبع ومئتين وألف ، انتهى.

قلت : ووالد المترجَم الشيخ عبد الرحيم هو العالم الفرضي الأديب المتوفى سنة ١١٤٠ ترجمه المرادي في تاريخه ، وقد تقدمت ترجمة ولده الشيخ أحمد في حرفه ، رحمهم الله تعالى .

الشيخ محمد الناصح

ذكره الفاضل الخاني في « الحدائق الوَرْديَّة » عند ذكر خلفاء الشيخ خالد النقشبندي قال : ومنهم أنصحُ العلماء وأعلم النصحاء ، الصالح الفالح الشيخ محمد الناصح ، وهو أحد أوصياء حضرة مولانا وخلفائه ، إلا أنه طعن بعده بأيام .

وتوفي في حياة الوصي والخليفة الأول الشيخ إسماعيل الأناراني ، وذلك في ذي القعدة عام اثنين وأربعين ومئتين وألف ، رحمه الله تعالى.

السيد محمد الخطيب

أخبرنا عنه بعض أحفادِه الفضلاء قال ما خلاصته : هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب الشافعي الدمشقي ، الفقيه الكامل والسيد الفاضل ، كان جسوراً غيوراً لاتأخذُه في الحق لومةُ لائم ، وكان يتعاطى التجارة ويخرج مع

الحج في بعض السنين ، وكان له ، كما سبق لوالده ، زعامةٌ معروفة في طريق الحج الشامي ، وقد تفقَّه على كلٍّ من والده المذكور وابن عمه العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب ، وحضر دروسَ العلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن الكزبري وغيره ، وانتفع به جماعة ، وكانت وفاتُه سنة خمسٍ وثمانين ومئتين وألف عن ٥٨ عاماً ، ودُفن بمقبرة الدحداح رحمه الله تعالى ، وقد خلَّف المترجَم سبعةَ أولاد ذكور ، من أجلِّهم الشيخ محمد ثوبان أحد المدرسين في الجامع الأموي المتوفى سنة ١٣٠٢ ، والشيخ محمد رشيد خطيب جامع السنانية المتوفى سنة ١٣١٦ ، والوجيه المفضال الشيخ عبد الرحيم أفندي عميد هذه الأسرة المباركة الآن (١٣٦٣).

الشيخ محمد الديري

ترجمه السيد الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال : هو محمد بن الديري الشافعي الدمشقي ، الفقيه النحوي الشهير ، كان يفيد الطالبين بحسن عبارته ، وله عليهم شدة بحيث أنه يضرب بخُفِّه من لا يفهم الدرس منهم ، وكانت بقعة درسه بالقرب من باب السنجق في جامع بني أمية ، وقد بذل نفسه لإطفاء الفتنة التي وقعت بين أهل دمشق وحسين باشا البوستنجي حاكم الشام ، وكانت وفاته سنة خمسين ومئتين وألف تغمده الله برحمته.

الشيخ محمد الزُّهْري اليافي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو محمد الزهري بن عمر اليافي بن محمد بن محمد بن عمر الدمياطي الأصل الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف باليافي . شيخ الطريقة الخلوتية بدمشق (بعد والده المقدمة ترجمته) الشيخ الصالح المرشد الناصح ، الورع الزاهد الناسك العابد ، ولد بدمشق ونشأ بها وأقام الأذكار ، واشتهر صلاحه في هذه الديار ، وكان ذا هيبةٍ ووقار ، أخذ الطريقة الخلوتية عن والده المشهور ، وألبسه الخِرْقَة وأذن له في إقامة الذكر وأعطاه الطريق ، وما زال عاملاً بما أوصاه حتى خطَبَتْه المنية ، سنة سبعين ومائتين

وألف هجرية ، ودفن في مقبرةِ الدحداح عند قبر والده المذكور رحمهما الله تعالى.

الشيخ محمد الكَنْجي

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه ، ناقلاً عن الكمال الغزِّي في تذكرته ، قال : هو محمد بن أحمد الشهير بالكنجي الحنفي الدمشقي ، كان من شعراء عصره المشهود لهم بالفضل ، وكان يعِظُ الناس ويعلِّمهم في محراب الحنابلة من الجامع الأموي ، وله معرفةٌ تامة في علم الموسيقى ، وله شعر لطيف منه قوله :

يا رافلاً في رداء الحُسْنِ يفتخر　　　إلى محياك نورُ البدر يعتذر

وكانت وفاته في أوائل هذا القرن رحمه الله تعالى وجميع المسلمين.

الشيخ محمود الصاحب

ترجمه ولده الأستاذ الشيخ محمد أسعد أفندي في حاشيته على « الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية » وفي غيرها من كتبه المطبوعة ، قال ما خلاصته : هو العالم العامل والإنسان الكامل ، قدوة السادة الخالدية وعين القادة النقشبندية ، والدنا وشيخنا الشيخ محمود بن أحمد بن حسين الشهرزوري العثماني ، الملقب بالصاحب ، الشافعي النقشبندي نزيل دمشق ، ولد طاب ثراه في بلاد الأكراد سنة سبع وتسعين ومئة وألف ، وتوفي والده وهو دون البلوغ ، فاحتضنه حضرةُ أخيه الأكبر مولانا خالد قُدِّس سره ، وأقرأه القرآن العظيم ، وعلمَ الفقه وفن الكلام ، وما يحتاج إليه من العلوم الأخرى ، إلى أن بلغ مبلغ الكمال وتمت له المقامات والأحوال ، ثم أذن له بالإرشاد العام ، وحصل له القبول التام. . . ولما رحل مولانا من السليمانية إلى بغداد فدمشق ، أقامه مقامه في تكية السليمانية . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي حضرة مولانا بدمشق الشام ، ورحلت حرمه ومن معها إلى والدي المترجَم في السليمانية ، وكانت حاملاً فوضعت حملها في الطريق ، وهو ابن عمي الشيخ نجم الدين ، ولما وصلوا لقيهم والدي بأحسن اللقاء ، وملَّك جميع ما بيده لابن أخيه المشار إليه ، جبراً لخاطر

والدته وقياماً بحق أخيه ومربيه .

ثم إن صاحب الترجمة بعد خمس سنين من وفاة حضرة أخيه ، رحل من السليمانية إلى دمشق ، وحلَّ في جامع العدَّاس ، وجلس على سجادة الإرشاد ، وأقبلت عليه الناس من كلِّ ناد ، واستردَّ أوقاف وأملاك أخيه ، بعد أن استولى عليها بعضُ الظلمة ، ثم رحل إلى الحجاز وجاور في بيت الله الحرام سبع سنين ، ثم بعد ذلك عاد إلى دمشق ، فخلَّف الخلفاء وأوفدهم إلى الأقطار ، من الهند وبخارى وديار بكر وبغداد وحلب والشام ، وأخذ عنه الطريق النقشبندي جمع كثير منهم الشيخ خليل الموصلي نزيل دمشق والشيخ سليم خلف الحمصي ، والشيخ محمد الهراتي نزيل إدلب ، والسيد محمد تقي الدين الدمشقي وغيرهم . ولما غصَّت أبوابُه بالسالكين رفع أمره إلى الآستانة العلية ، فصدرت إرادة السلطان عبد المجيد طاب ثراه بتوجيه وظيفتي المشيخة والتدريس في التكية السليمانية بدمشق على الشيخ المترجَم ، وذلك سنة ١٢٥٩ فرتب الترتيبات وعين التعيينات! وأقام فيها حتى أنار دياجيها ، ولم يزل قائماً بالمشيخة والتدريس والتسبيح والتقديس ، وتربية المريدين إلى أن أتاه الحقُّ اليقين ، في رجب سنة ألف ومئتين وثلاث وثمانين ، وجاء تاريخُ وفاته (طاب في الفردوس في شهر رجب) ، وإنما لقب بالصاحب على قاعدة الفرس ، حيث جعلوا هذا اللقب للمتاز على أقرانه تغمده الله برحمته ورضوانه ، آمين.

محمود بك العظم

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما مختصره : هو محمود بن خليل بن أحمد بن عبد الله باشا العظم الدمشقي . الأديب الذي في ميدان الأدب لا يجارى ، والأريب الذي في لطفه وجماله لا يبارى ، والفصيح الذي فاقتْ فصاحته ، والمليح الذي تسامت ملاحتُه . ولد في سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده وقرأ القرآن الكريم وتعلَّم الكتابة ، وأخذ بعض الفنون عن بعض الأفاضل ، إلى أن صارَ له يد طولى ، ثم انفرد في دارٍ وحده ،

وكان غنياً من جهة أمه ، إلا أنه سلط على تلك الثروة يد الإتلاف ، من غير إدارة ولا إنصاف ، إلى أن قلَّ ماله وانحرفتْ عنه أصحابه ، فاختار العزلة في أكثر أوقاته ، حتى نزل دمشق العارف الشهير الشيخ محمد الفاسي الشاذلي ، فأقبل عليه وتوجَّه بكليته إليه ، وأخذ عنه الطريقةَ الشاذلية ، وحصل له منها نفحات رحمانية . قال : وكنا نجتمع معه في أوقاتٍ كثيرة ، وكان تجلِّيه جالباً للفرح مذهباً للترح ، وكان حسن المعاشرة جميلَ المذاكرة ، كثير الابتسام عذب الكلام .

وله تأليفات أدبية ، ورسائل عن العَيْب أبيَّة ، فمنها « رسائل الأشواق في وسائل العشاق » ثلاثة مجلدات . وهو كتاب يشتمل على العبارات الرقيقة والقصائد الأنيقة ، وأنواع الموشحات والمقاطيع ، وكثير من فنون الشعر . وله شرح على مناجاة سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي وكتاب في التصوف سماه « البحر الزاخر والروض الزاهر » ، وعدة دواوين شعرية ، ومن كلامه في مدح النبي ﷺ :

سلوني فأحكام الهوى بعضُ حكمتي ... وأحكـام آيـات الغـرام مَـزِيَّتـي
بـدا لي بـه نـورُ الحقيقـة ظـاهـراً ... فشـاهـدتُ ذاتي تنجلي لبصيرتي
فمحبوبُ قلبي إنْ تأمَّلْتُ واحدٌ ... أنِسـتُ بـه لـلإنفـرادِ بـوحـدتي
مظـاهـر أسمـاءٍ لـه قـد تعـدَّدَتْ ... ومـا ثـمَّ إلا واحـدٌ في الحقيقـةِ
فطـوراً بليلى والـربـاب تغـزُّلي ... وطـوراً بـزيـد واللـوى والثنيَّـةِ
ولم يبـق شيء مـا تعشَّقـتُ حُسْنَه ... ولا ثَـمَّ كـونٌ مـا تـراءى لمقلتـي
إلى أن رأيتُ الكلَّ في الكلِّ فانياً ... وذاتي هي المقصودُ من كل صورةٍ!

إلى آخرها ، وهي تقرب من مئتي بيت ، بلغت في الحسن مبلغاً عظيماً .
ومن شعره في الفخر والحماسة :

عديني وامطُلي مهما تشائي ... ففـي التعليـل تخفيـفٌ لـدائـي
وتسـويـفُ المـلاح إذا تمـادى ... على المضْنَـى ألـذ مـن الشفـاءِ
له في كلِّ وقتٍ طيبُ وصل ... يجـيء بـه التخيُّـل والترائـي

يشاهدُ من يحبُّ بلا رقيب ولا واشٍ عليه ولا مُرائي
ولم أتركْ لقاها عن ملالٍ ولا عن علَّةٍ تركتُ لقائي
ولكنَّا نرى للعزِّ أهلاً وأهلاً للمذلَّةِ والشقاءِ
رويدَك أين تبلغُ من لَحاقي أمامك أيها العادي ورائي
سلِ الخطَّارَ والبتَّارَ عني وسل جُودَ السحائب عن سخائي
ظمئتُ فما شربتُ الماءَ صِرفاً ولا أدليتُ دلوي في الدلاءِ
أأشربُ والزُّلال يُخاضُ فيه ومن نهر المجرَّة كان مائي
ولما أنْ سَمَوْتُ إلى الثريَّا أنِفْتُ بأن أسيرَ على الثراءِ
فما رُتَبُ العُلى إلا حظوظٌ مقسَّمَةٌ على أهل الوَلاءِ
وحسبك فاقتنعْ بالبَعْض منها ولا تُلْقي بنفسك في البلاءِ
وإياك التطلُّعَ نحو مجدي ولا تَقِسِ الغياهبَ بالضياءِ
فإني سوف أبتكرُ المعالي وأبلغ مِن نهايتها منائي
ولكني أرى في قوم سَوْءٍ رَضُوا بالغيم عن زرق السماء
سأصبر صبرَ مرتاضٍ كريمٍ وأجعلُ كلَّ ما أرجو ورائي

وقد احتوى ديوانه على كثير من الشعر البديع ، ثم إنه في آخر أمره ضاقت ذات يده ولم يبق عنده شيء ، وتراه ضاحكاً راضياً .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في نصف رجب الحرام سنة اثنتين وتسعين ومئتين وألف ، وتأسَّف الناس عليه . وكانت وفاته في حياة والده ، ودفن في تربة أسلافه ، وله من العمر أربعون سنة رحمه الله تعالى. انتهى.

قلت ورأيت للمترجَم في المجموعة النبهانية قصيدتَين نبويتين مطلع إحداهما :

هذا الحمى فانزلْ على باناتِهِ وأنِخْ بنا يا صاح في عَرَصاتِهِ
عفِّرْ خدودَك من ثراهُ بعنبرٍ تتمسَّكُ الأرواحُ من نفحاتِهِ

ومطلع الأخرى :

مستجيرٌ بسيد الكائنات صاحبِ البيِّنات والمعجزات
النبيِّ الأميِّ أفضلِ خلقِ ـ الله ممن مضى ومَنْ هو آتي

وآخر هذه قوله :

كلما رمتُ نهضةً أثقلتني نُوَبُ الدهرِ آهِ واحسرَاتي
منْ لعبدٍ مجسمٍ من معاصٍ صار منها في أسوأ الحالاتِ
كيف حالي إذا رأيتُ كتابي بالخطايا قد سوَّدَتْهُ حياتي
يوم طمس النجوم من شدَّة الهو ل وسير الشوامخ الراسياتِ

الشيخ محيي الدين الإدلبي

ذكره بعض المؤرخين في مجموع المزارات الدمشقية فقال : هو محيي الدين بن عبد العزيز الشافعي الدمشقي الشهير بالإدلبي . الشيخ الإمام المحقق المدقق ، علامة المعقول والمنقول ، المتبحِّر في الفروع والأصول ، يتيمة الدهر وجوهرة العصر ، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها من أجلِّهم محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وقد تولى بدمشق قضاء السادة الشافعية ، إلى أن أدركته المنية .

وكانت وفاته في ثامن عشر محرم سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير ، وقبره معروف يزار ، انتهى.

قلت : وأخبرني ولد المترجَم علي أفندي أنه ولد سنة تسع عشرة ومئتين وألف ، وأن من مشايخه أيضاً كلاً من الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت ، وأنه كان يدرِّس في الجامع الأموي وفي داره ، ومن أخصِّ تلامذته العلامة الشيخ عمر العطار ، والشيخ حسن الدسوقي وغيرهما ، رحمه الله تعالى.



الشيخ محيي الدين العاني

محيي الدين بن محمد عيد بن محمد بن أحمد بن هذيب العاني الشافعي الدمشقي ، الشيخ العلامة ، الفقيه الصوفي ، الورع التقي ، العمدة القدوة ، السيد الشريف جامع أشتات الفضائل . ولد بدمشق سنة أربع وعشرين ومئتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، وأخذ عنه ، وعن كل من الكزبري عبد الرحمن ، والحلبي سعيد والطيبي عبد الرحمن والعطار حامد ، والسقطي عبد الغني ، ومن في طبقتهم من دمشقيين ومصريين وغيرهم ، وكلهم أجازوه بإجازاتٍ عامة كتبوها له بخطوطهم المباركة ، ثم إن المترجَم تقدم للتدريس والإفادة ، فدرَّس في داره ، وفي الجامع الأموي بين العشاءين ، وانتفع به الناس .

وكان صوفياً بحتاً علماً وعملاً ، بحيث كان يخالط الدراويش والفقراء ، ولا يأكل إلا معهم ، تقياً ورعاً ، تؤثر عنه أحوال عجيبة ، منها أنه كان له أرض في قرية حرستا ، لم تزل في يد أولاده ، فكانت مرة مزروعة باليانسون ، فلما كان وقت بيعه ، تهافتت عليه النصارى لاستخراج الخمر منه ، وعرضوا عليه مبلغاً جسيماً ، فسأل الشيخ عن سبب تهافتهم عليه وارتفاع سعره ، فأخبروه بغرضهم منه ، فلما علم بذلك ذهب إلى أرض اليانسون ، فأمر الفلاحين برعيه للبقر ، ولم يتناول من ثمنه بارة واحدة .

ويقال : إن له مؤلفاتٍ ومنظومات لم نطَّلع على شيء منها . وبالجملة فقد كان المترجَم من العلماء العاملين ، وما زال على حالته من النسك والعبادة ، والتدريس والإفادة ، إلى أن توفي .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء الثامنة والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة تسعين ومئتين وألف ودفن في المقبرة الذهبية ، وقد أعقب أولاده الثلاثة وهم الشيخ أحمد أفندي المتوفى سنة ١٣١٦ ، والشيخ محمد أفندي وعبد الرحمن أفندي الباقيان الآن (١٣٢٤) وكلُّهم أساتذة فضلاء ، بارك الله فيهم ورحم والدهم رحمة واسعة آمين.

الشيخ مصطفى البرهاني

هو مصطفى بن محمد بن علي بن ولي بن محمد بن نبي جان المعروف بالبرهاني ، الطاغستاني الأصل الحنفي الدمشقي ، العالم الفقيه النحرير . ولد بدمشق ونشأ بها وقرأ على جماعة من علمائها ، ومنهم والده أمين الفتوى بدمشق ، وأخذ الحديث عن الشمس محمد الكزبري ، وحرَّر له إجازة عامة اطلعتُ عليها في آخر ثبته المؤرخ سنة ١٢١٩ . وبرع المترجَم في الفقه الحنفي ، وناقش فيه أهل مذهبه ، وكتب حاشية على الدر المختار اطلعتُ عليها أيضاً ، وهو يعزو أكثرها إلى حاشية الطحطاوي . ثم تولى القضاء في ثغر صيدا مدة .

وكانت وفاته بدمشق ، في حدود سنة خمس وستين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الدحداح ، وقد أعقب رحمه الله ولده الشيخ سعيد البرهاني الإمام الخطيب بجامع التوبة المتوفى سنة ١٣٠٢ ، وهذا أعقب ولده الشيخ عبد الرحمن ، الإمام والخطيب كذلك المتوفى سنة ١٣٥١ وهو والد صاحبنا الفاضل الشيخ سعيد أفندي الإمام والخطيب مثل أبيه وجده بارك الله فيه.

الشيخ مصطفى الرحمتي الأيوبي

ترجمه ابن اخته العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي المفتي الشافعي بدمشق في كتابه « المورد القدسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي » ، قال : هو مصطفى بن محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن بن جمال الدين ، المتصل النسب بسيدنا أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، الحنفي الدمشقي ثم المدني ، الشهير بالأيوبي وبالرحمتي ، خالي شقيق والدتي . الشيخ الإمام العالم العلامة ، المحقق المدقق النحرير القدوة ، الفقيه العارف الناسك الصالح ، العابد الزاهد ، وحيد العصر ، شيخنا أبو البركات زين الدين .

ولد بدمشق ليلةَ الأربعاء رابع عشري محرم سنة خمس وثلاثين ومئة وألف ونشأ بها ، وأخذ في طلب العلم فقرأ على جملةٍ من علمائها ، منهم والده

والشهاب المنيني والشيخ علي كزبر وغيرهم ، وقد استجاز له والدُه من الأستاذ النابلسي فأجازه هو ومن سيولد له ! وفي منتصف رجب سنة سبع وثمانين ومئة وألف ، رحل بعياله من دمشق إلى المدينة المنورة صحبةَ القافلة لشدة ولعه وولهه بحب النبي ﷺ ، وتوطنها إلى وفاته ، واشتهر في الأقطار الحجازية بالقطب الشامي ، وأخذ عنه من أهل الأقطار من لا يحصى كثرة ، وكان رحمه الله فرداً من أفراد العالم .

وألف حاشيةً على مختصر شرح « التنوير » للعلائي ، واختصر شرح الشهاب الخفاجي على « الشفا » اختصاراً حسناً . وله جملة من الرسائل ، وأجوبة على أسئلة كانت ترفع إليه ، فيجيب عنها نظماً ونثراً ، وكان سخيَّ الطبع ، أمَّاراً بالمعروف ، نهَّاءً عن المنكر ، متقلِّلاً من الدنيا مقبلاً على الله ، مستغرقاً في محبة النبي ﷺ ، لا يعرف المداهنة ، مثابراً على وظائف العبادات ، وله في مجاهدة النفس العجب العجاب.. ثم في سنة ١٢٠٥ توجه إلى بلدةِ الطائف ، بقصد زيارة سيدنا عبد الله بن عباس ، ولتغيير الهواء ، لأنه كان مريضاً بعلَّة الاستسقاء ، فلما صارت أيام الحج ، توجه إلى مكة بقصد الحج ، فأدركَتْه المنية في منزلةٍ يقال لها : السبل .

وكانت وفاته بعد عصر يوم السبت خامس ذي الحجة سنة خمس ومئتين وألف ، وحمل إلى مكة المشرفة ، فدفن بتربة المعلى يوم الأحد ، وكثر الأسف عليه في الأقطار ، ولما وصل خبر وفاته إلى دمشق في ٤ صفر سنة ١٢٠٦ تزلزلت لذلك القلوب ، قال : وصلَّيتُ عليه غائبةً بالجامع الشريف الأموي في جمع حافل عقب صلاة الظهر ، ورثيته بقصيدة بديعة.. رحمه الله تعالى وعوَّضنا والمسلمين عنه خيراً.

الشيخ مصطفى السُّيُوطي

ترجمه العم الفاضل مراد أفندي في مسوَّدة له قال : هو مصطفى بن سعد ابن عبده السيوطي شهرةً الرُّحَيباني مولداً ، الدمشقي ، الشيخ الإمام العلامة

الفقيه الفرَضي الورع التقي ، فريدُ زمانه ، مفتي الحنابلة بدمشق .

ولد سنة خمس وستين ومئة وألف تقريباً ، في قرية الرُّحَيبة من أعمال دمشق ، ثم رحل منها إلى دمشق الشام ، فأخذ بها الفقه عن بقية السلف الشيخ أحمد البعلي ، وبه تخرج وانتفع ، وعن الشيخ محمد بن مصطفى اللبدي ، وقرأ على كلٍّ من العلامة علي أفندي الطاغستاني مدرس قبة النسر ، والشيخ محمد بن علي السليمي ، والشيخ محمد الكاملي وغيرهم . وكان إمامَ الحنابلة في عصره ، أعجوبةً في استحضار كلام الأصحاب ، انتهت إليه رياسةُ الفقه وشُدَّت إليه الرحالُ للأخذ عنه ، وكان حافظاً للسانه ، مقبلاً على شأنه ، ليِّنَ العريكة ، حلو المفاكهة ، له مكارم دارة . ولي فتوى الحنابلة سنة ١٢١٢ ونظارة الجامع الأموي سنة ١٢٢٢ ، ونظارة الجامع المظفري مدة طويلة ، فحُمدت سيرته ، ولم يذكر عنه ما يشينه .

ومن مؤلفاته كتاب « مطالب أولي النهى ، في شرح غاية المنتهى »[١] في ثلاثة مجلدات ضخام ، و« تحفة العباد فيما في اليوم والليلة من الأوراد » ، جمعه من الأصول الستة . وله تحريرات وفتاوى لو جُمعت لبلغتْ مجلَّداً ، وقد روى عنه وانتفع به كثيرون من النجديِّين والنابلسيين وغيرهم .

وقرأت بخط العلامة الجد أنه توفي ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف ، وصُلي عليه بجامع بني أمية وكانت جنازته حافلة ، ودفن بالتربة الذهبية حِذاء آلِ أبي المواهب الحنبلي ، ورثاه تلميذه الشيخ سعيد السفاريني بقصيدة مطلعها :

سهمُ الحِمام على الخليقة مُنْتَضَى صبراً وتسليماً لما حكم القَضَا

انتهى . قلت : إن العلامة الشيخ مرعي الكرمي كان صنفَ كتابه « غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى » ثم جاء صاحب الترجمة فشرحه بشرحه المذكور ، ولما وقع الاعتراضُ من بعض علماء نجد ، على بعض مواضعَ من المتن

---

(١) طبع مع حاشية العلامة الشيخ حسن الشطي في ستة مجلدات كبار .

والشرح ، انتصر الجدُّ المذكور للمصنفَين ، فجرَّد من كتابيهما ما زاد على الأصلين ، ثم بحث وحقق فأيد من الزيادات ، ما شهدت له النصوصُ والروايات ، وردَّ منها ما لم يقم عليه دليل ، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه ، الذي سماه : « منحة مولى الفتح ، في تجريد زوائد الغاية والشرح » - مجلد - وهو آخر ما حُرِّر من فقهنا الحنبلي ، وقد تأدَّب الجد مع المصنفين غاية الأدب ، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة آمين.

الشيخ مصطفى الكردي

ترجمه العلامة الأديب السيد كمال الدين الغزِّي ، في كتابه « المورد القدسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي » ، قال : هو مصطفى بن عبد الله بن محمود الشافعي الدمشقي العبدلاني الكردي الأصل والشهرة ، الشيخ الإمام العابد الزاهد العالم الصوفي الكاتب الأوحد ، شيخنا أبو الأسرار قطب الدين ، ولد بدمشق سنة ثمان عشرة ومئة وألف ، ونشأ بها ، ورباه الأستاذ إلياس بن إبراهيم الكوراني ، وأخذ عن الأستاذ النابلسي ، وحضر دروسه وأجازه ، وكانت وفاته عند الغروب ليلة الاثنين رابع محرم سنة اثنتين ومئتين وألف ، ودفن بسفح قاسيون في الروضة ، رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى الشطي

هو مصطفى بن محمود بن معروف بن عبد الله بن مصطفى الشطي البغدادي الأصل الحنبلي الدمشقي . كان من العلماء العاملين والصلحاء الكاملين ، عابداً ناسكاً متجنباً للشبهات مشتغلاً بأنواع القربات ، مشهوراً بالورع والتقوى . وكان والده الحاج محمود جلبي قدم دمشق من بغداد ، مع أخويه الحاج عمر جلبي والحاج خضر جلبي تجاراً ، في نحو سنة ١١٨٠ فنزلوا في ديارهم المعروفة بهم قرب المدرسة البادرائية ، وجعلوا تجارتهم في خان أسعد باشا في سوق البزورية . وقد رأيت من ترجمة صاحب الترجمة ، نبذة بخط حفيده الشيخ عبد السلام الشطي خلاصتها أنه ولد بدمشق سنة ثلاث وتسعين ومئة

وألف ، ونشأ في حجر والده المتوفى سنة ١٢٠١ ، ثم في حجر والدته وأخويه الحاج أحمد والحاج محمد ، إلى أن حفظ القرآن الكريم وبرع في العلم ، وفي سنة ١٢١٦ حج بيت الله الحرام ، وزار النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد قرأ الفقه على العلامة الشيخ مصطفى الرُّحيباني الشهير بالسيوطي ، وأخذ التفسير والحديث عن العلامتين الشهيرين الشمس محمد الكزبري والشهاب أحمد العطار ، والنحو والصرف وغيرهما من الآلات عن العالم الفاضل الشيخ عبد القادر الميداني ، وأخذ عن غيرهم من علماء دمشق ، انتهى.

قلت : ثم عكف المترجَم على العبادة والتلاوة ، مشتغلاً بالتجارة مع أخويه المذكورين ، بورع تام وإحسان عام ، فاشتهر أمرهم وارتفع ذكرهم ، وامتدحوا بالمدائح الغراء ، منها قصيدة بديعة ، مذيلة بنثر لطيف ، بعث بهما العلامة الشيخ محمد المسيري المقدسي إلى المترجَم وأخيه ، وقد نقل ذلك العم محمد مراد أفندي في كشكوله ، قال المسيري :

سقى الله وادي الشام ذا الرفع والهبطِ ... بواكر غيثٍ بين عالٍ ومنحطٍّ
وحيَّا ربوعاً قد بَرَزْنَ كواكباً ... تميسُ كما ماس الخرائدُ بالمِرْط
وأرَّج أرجاها بشاذي عواطرٍ ... ومبهجها للمسرعين وللمبطي
بلادٌ بها يَنْسى الغريبُ بلادَهُ ... ويسلو أهاليه مع الصحب والرَّهْط
بلادٌ بها روض المسرَّةِ فائح ... وبدرُ علاها لا يميلُ إلى حَطٍّ
يفوحُ بها ضَوْعُ المسرَّة عابقاً ... وتنهلُّ مُزْنُ البِشْر فيها بلا قَنْطِ
تكنَّفها الجنَّاتُ من كلِّ جانبٍ ... فأَرْبَى الشذا فيها على المسكِ والقُسْطِ
وكم نَهَرٍ فيها يجوسُ خلالها ... وكم جدولٍ ينساب في الدُّرِّ كالرُّقْطِ
وكم من مزاراتٍ بها ومشاهدٍ ... يلوحُ سناها للمُصيب وللمُخْطي
وكم ماجدٍ فيها وكم عالمٍ بها ... تجرُّ به ذيلاً على ربَّةِ القُرْطِ
وكم صالحٍ قد حلَّ في فيح سُوحِها ... به يُستقى غَيْثُ السماءِ إذا يُبطي
أخا الحَزْمِ يَمِّم نحوها واثوِ عَدْنها ... وجُز لَجَّها واهبطْ ببحبوحة الشطِّ
تجد مستناخاً آهِلاً ومُبوَّأً ... رحيباً وقوماً فضلهم جلَّ عن ضَبْطِ

بهم سارتِ الركبانُ في كلِّ وجهةٍ ... وطيب ثناهم قد دعا الناسَ للغَبْطِ
أنـاسٌ تـراهـم لاتتـوقُ نفوسُهـم ... لغير العُلى مـن غير شَوْبٍ ولا خَلْطِ
وهمّتهـم غَـرسُ المكـارم في الـوَرى ... وكسب المعـالي والتقصّي عـن الـرَّمْط
وكـم أسَّسـوا آثـار مجَـدٍ ومهَّـدوا ... قـواعـدَ بـرٍّ بـدرُهـا غير منحـطِّ
ولم تلـف فيهـم غيرَ بَـرٍّ ومـاجـدٍ ... وذلـك دأبٌ للشبـابِ وللشُّمـطِ
تنبَّـه كـلٌّ للمـراد مـن الـدُّنـا ... فسـارعَ في مـرضـاةِ خـالِقِـهِ المُعطـي
ولم يَثنِهم عن منهج الرُّشدِ صارفٌ ... ولا غـرَّتِ الـدنيـا بِشَيْـلٍ ولا حَـطِّ
ولا نظـروا شَـذْراً ولا آثـروا بهـا ... ولا اشتغلوا بالثَّلب والطعن والغَمْطِ
نـواديهـمُ بـالعلـم والـذِّكْـر حيَّـةٌ ... وأرقابهم عن منتمى الخير لا تخطي
وسيرتُهـم بين الأنـام حميـدةٌ ... ومنهجهـم جـارٍ على منهـجِ القِسْـطِ
ومنـزلهـم مـأوى الكـرامـة دائمـاً ... وشـأنهـمُ يُـرضي الإلـٰه بـلا سُخْـطِ
ومـا الشـامُ إلا مقلـةٌ هُـمْ سـوادُهـا ... وسِمْـطٌ لآلٍ هـم فـرائـدُ في السِّمْـطِ
ومـا الشـامُ في البلـدان إلا قصيـدةٌ ... وهـم بيتُهـا أكـرِمْ بـالابـاء والسِّبْـطِ
أدام إلـٰهـي فضلَهـم متضـاعفـاً ... ورشَّحهـم بـالأيْـدِ والفضـل والبَسْـطِ
وصـانهـمُ مـن كـلِّ كـرب وآفـةٍ ... ومن شرِّ ذي شرٍّ ومن كيد ذي ضَغْطِ
ولا زالَ عـونُ الله يـرعـى ديـارَهـم ... ومُـزْنُ عطـايـاهـم تسـحُ ولا تُبْطِـي

إنَّ أحسنِ ما جرى به القلم في ميادين الكلام ، وتفجَّرت به ينابيع البلاغة وصغَتْ له آذانُ الأفهام ، وتحلَّت به وجوه الطُّروس في كلِّ رحيلٍ ومقام ، وحسنت به مطالعُ الابتداء وتزينت به مقاطعُ الاختتام ، سلام تهطِلُ مواطره في سُوح تلك الأندية ، وتتضوَّع زواكيه في رياض تلك الأفنية ، وتتجلى شموسه على تلك المعاهد والأبنية ، وتتسابق جيادُ سوابقه إلى تلك النواحي والأرجية ، أخصُّ بذلك توأمَي الفضل ورضيعَي لبانه ، وممتَطِيَيْ صهوة المجد وممسكَي عنانه ، وراسمَي خطط البر ومؤسِّسَي بنيانه ، وغارسَي دوحته ومطيلي أفنانه ، الجنابين الفخيمين سيدي الحاج محمد وسيدي الحاج مصطفى ، لا زالا ينبوعَ الفضلِ ومعدِن الوفا ، ولا قطع المولى عنهما عوائدَ كرمه وإحسانه ، ولا عدتهما سوابغ

فضله وامتنانه آمين . انتهى كلام المسيري .

ويُحكى عن المترجَم مناقب في الورع يطول ذكرُها جداً ، ولم يزل صاحب الترجمة على وتيرة العبادة والنُّسك وحسن السيرة ، إلى أن توفاه الله تعالى .

وكانت وفاته ليلةَ الجمعة سلخَ جمادى الثانية سنة تسع وستين ومئتين وألف ، ودفن في سفح قاسيون في تربتنا الشطِّيَّة قرب المغارة الجوعية ، رحمه الله تعالى ، وأرخ وفاته العلامة الشيخ إبراهيم العطار بقوله :

روضـةٌ مـن جنَّـةِ الخُلْـد بهـا ... مـاجـدٌ بعهـد مـولاه وفَى

ورْدُه القـرآن يتلـو مخلصـاً ... وحـديثُ الهـاشمـيِّ المصطفـى

كـم مـزايـا نـدَبَتْـهُ مثلمـا ... بكـتِ التقـوى عليـه أسَفَـا

إنَّ رضـوانَ الإلٰـه أتحفـا ... أرِّخـوا **طيبـا ضريـح مصطفـى**

١٢٦٩

الشيخ مصطفى البرقاوي

ذكره بعض المؤرخين في كتابٍ جمعه في المزارات الدمشقية قال :

هو مصطفى بن سليمان بن سلمان بن محمد مزهر النابلسي ، البرقاوي مولداً وشهرة ، الدمشقي ، الشيخ الفاضل العالم البارع الكاتب الماهر ، قدم دمشق وأخذ عن علمائها ، وأدرك الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، فلازمهما الملازمة التامة ، ثم بعد وفاتهما لزِم ولديهما العلامتين الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار ، وتفقَّه على الشيخ مصطفى السيوطي مفتي الحنابلة ، وكان ذا هيبة ووقار ، ولي القضاء الحنبليَّ بدمشق سنة ١٢٣٠ ، وتصدر للقضاء والإمضاء في المحاكم الشرعية ، ولم يزل على حالته إلى أن توفي .

وكانت وفاتُه بدمشق في سابعِ عشر ذي القعدة سنة خمسين ومئتين وألف ، ودُفن بمقبرةِ الباب الصغير ، قريباً من قبور بني الكزبري رحمه الله تعالى.



الشيخ مصطفى المغربي

هو مصطفى بن التهامي المغربي الجزائري نزيل دمشق ، إمام المالكية بجامع بني أمية ، العالم العلامة والحبر الفهامة ، كان إماماً نِحْريراً مفنناً في العلوم النقلية والعقلية ، تفسيراً وحديثاً وفقهاً ولغةً ، فرداً في العلوم العربية ، أديباً شاعراً عابداً زاهداً ، قدم دمشق من بلاد المغرب فبروسه ، مع الأمير عبد القادر الجزائري ، فتصدَّر للتدريس والإفادة في الجامع الأموي ، وأخذ عنه جماعةٌ كثيرون وانتفعوا به .

وكانت وفاته بدمشق سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين وألف ، ودفن بالتربة الذهبية من مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى والمسلمين أجمعين ، وقد أرَّخ وفاته الجد الشيخ عبد السلام الشطي بقوله :

قد مات شيخي مَنْ غَدا ... يروي أحاديثَ النبي
حبرٌ هُمامٌ ناسكٌ ... ومالكيُّ المذهبِ
يا طالما أحيا الدُّجى ... في صالحات القُرَبِ
إبن التهامي مصطفى ... من أرَّخوه المغربي
١٢٨٣

السيد مصطفى قزيها

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال : هو مصطفى بن خليل الدمشقي الحنفي الشهير بقَزِّيها أمين فتوى الشام. الإمام الذي فضائلُه أشهرُ من أن تذكر ، وأجلُّ من أن تُحصَر ، اشتغل بالطلب على العلماء ، وتفقَّه على السادةِ الفضلاء ، كالشيخ سعيد الحلبي ، والسيد محمد عابدين ، وأخذ الحديثَ عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وأخذ عن غيرهم ، وأتقن الفنونَ غاية الإتقان ، كالنحو والصرف والمعاني والبيان ، وتبحر في المعقول والمنقول ، وتفوَّق في الفروع والأصول ، وولي أمانة الفتوى بدمشق الشام ، أيام حسين أفندي المرادي مفتيها

الهُمام ، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

الدرويش مصطفى المولوي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال في وصفه : العالم العامل والفاضل الكامل ، انفرد في عصره ، وأجمع على تقدُّمه أهلُ مصره ، وكانت شيوخ دمشق الشام تعترف له بالعلم والعمل ورِفعة المقام ، ولم يزل معتقَداً محترماً إلى أن توفي سنة عشرين ومئتين وألف ، ودُفن في سفحِ جبل قاسيون وقبرُه معروف يُزار رحمه الله تعالى آمين.

السيد مصطفى اللوجي

ترجمه السيد الفاضل محمد أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو مصطفى بن عبد الرحيم بن ياسين بن طه الدمشقي الشافعي المعروف باللوجي ، الشيخ الأديب الشاعر الماهر المُعمَّر البركة ، أبو العون ناصح الدين ، نشأ والشعر سجيَّةٌ له ، وتخرَّج على علماء عصره ، وانفردِ في فنون اللغة والمعاني والبيان والبديع واشتَهَر بين الناس حتى دُعي شاعر دمشق ، ومن ممدوحيه المولى علي أفندي المرادي مفتي دمشق ، والمولى علي أفندي العَجْلاني نقيبها ، ثم المولى خليل أفندي المرادي المفتي والنقيب أيضاً ، والسيد كمال الدين الغزِّي مفتي الشافعية وغيرهم ، وكان مقبولاً عند العلماء ، محبوباً لدى الأمراء ، ذكر له الكمال الغزِّي المذكور في تذكرته كثيراً من شعره ، ومن ذلك قصيدةٌ امتدح بها العلامة العارف الشيخ عبد الرحمن العيدروسي اليمني نزيلَ دمشق قال في مطلعها :

أقسمتُ بالليل من فَرْعٍ وما عَبِقا طيباً وبالبدر من فَرْقٍ إذا اتَّسقا

وقال في آخرها :

تاهَتْ وباهتْ بمدحٍ فيه أرَّخَهُ سرٌّ تجلَّى فكم قلبٍ به عَلِقا

وقال مشطراً القصيدة الفارضية :

شربْنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً مقدَّسةً في الذات بِكراً لها قدمُ
ولما سَرَتْ في الروح نفحةُ طيبها سكِرنا بها من قبل أن يُخلَق الكرْمُ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومئتين وألف ، انتهى.

قلنا ولم يَرُقنا من شعر المترجَم الذي أثبته السيد تقي الدين في تاريخه غير ما أثبتناه هنا ، ولعل لصاحب الترجمة منظوماتٍ فائقةً لم نطلع عليها ، وقد تقدَّمت ترجمة ابنِ أخيه السيد عبد الحليم في حرفه ، رحمهما الله تعالى.

مصطفى آغا عوده

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه كما أخبرنا عنه بعض أحفاده ، فهو مصطفى آغا ابن محمد آغا الشهير بابن عوده الدمشقي ، أحد الأطباء بدمشق . كان يداوي الناس بالطبِّ القديم ، حيث لم يكن الطبُّ الحديث منتشراً في الشام ، وكانت الفقراء غالباً تقصِدُه من دمشق وقراها ، فيُحسن مداواتهم ويعطيهم العلاج من عنده ، ولم يزل على حاله إلى أن توفي سنة ثمانين ومئتين وألف . وقد أعقب ثلاثةَ أولاد سلكوا مسلكه ، ولازموا خدمةَ المرضى ، في مستشفى البيمارستان النوري ، وهم سعيد آغا وعبد القادر آغا ، والدكتور حسين أفندي نزيل صيدا ، توفي الأول سنة ١٢٩٢ وتوفي الثاني سنة ١٣١٣ وتوفي الأخير سنة ١٣٣٢ رحمهم الله تعالى.



حرف النون

الشيخ نجيب القلعي

هو أحد أشياخ الديار الشامية ، وأعلام السادة الحنفية ، ذكر بعض المؤرخين نبذة من ترجمته ، فقال ما خلاصته : هو نجيب بن أحمد بن سليمان بن أحمد ابن الشمس محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالقَلْعي . الشيخ الإمام والحبر الهُمام ، وحيد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، علامة المعقول والمنقول ، ومحرِّر الفروع والأصول. ولد بدمشق في حدود سنة ستين ومئة وألف ، ونشأ بها وأخذ عن جملةٍ من علمائها ، منهم الشمس محمد الكزبري ، والشهاب أحمد العطار ، وعلي أفندي الطاغستاني ، والشيخ مصطفى الرحمتي ، والشيخ أسعد المجلد ، والشيخ محمد الجاويش ، والشيخ أحمد البعلي وغيرهم .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير ، بالقرب من ضريح سيدنا أوس الثقفي ، وقبره ظاهر يُزار ، عليه رحمة العزيز الغفار ، انتهى.

قلت : وترجمه العلامة البيطار في تاريخه ولم يزد على مانقلناه سوى ذكر سند المترجَم في الفقه الحنفي ، وحديث الرحمة المعروفَين عند أهلهما ، وقد اشتهر بعض ذرِّيَّة صاحب الترجمة بالشيخ نجيب ، وبعضهم بقنبازو ، وهم أسرة معروفة بدمشق.

نسيب أفندي حمزة

هو السيد محمد نسيب ابن السيد حسين ابن السيد يحيى ابن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم ابن السيد محمد ابن السيد كمال الدين ابن السيد محمد الحسيني الحنفي الدمشقي الشهير بابن حمزة . أحد صدور دمشق ورؤسائها ،

وفضلائها وأدبائها ، كان جليلاً مهاباً وافر الحرمة ، عالماً فاضلاً أديباً متفنناً ، له اليدُ الطولى في فنون الأدب . ترجمه ولده العلامة محمود أفندي حمزة مفتي دمشق الأسبق في شرحه على بديعة والده المترجَم قال ما مختصره :

ولد في منتصف صفر سنة إحدى ومئتين وألف ، وتوفي والده وعمره سنتان ، فكفله أخوه السيد محمد سعدي ، ونشأ في حجره ، وتعلم القرآن الكريم وهو ابن خمس ، وتعلم الخط بنوعيه وهو ابن سبع ، ثم اشتغل بطلب العلم فأخذ التجويد وشيئاً من الفقه عن الشريف حسن المكي ، والفقه والنحو والعروض عن العلامة السيد شاكر مقدم سعد ، وكان أغلب قراءته عليه ، وسمع الحديث من العلامة الشمس محمد الكزبري ، ثم قرأ « الأربعين النووية » والتوحيد والنحو والصرف والمعاني والبيان على العلامة الشيخ محمد عيد العاني ، وأخذ الفقه أيضاً والتفسير والنحو كالدُّرِّ والبيضاوي والفاكهي عن العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وطرفاً من الفرائض والحساب عن النِّحرير الشيخ أحمد المخللاتي الفرَضي ، وأخذ الطريقة الخَلْوتية عن الأستاذ الشيخ عبد اللطيف العمري .

ثم درَّس في الفقه والنحو والتجويد والعروض مدَّةً في داره ، وفي مسجد جده الحافظ كمال الدين الكائن بزقاق النقيب ، وانتفع به جماعة ، وقد نظم رحمه الله بديعة ، ضمَّنها ذكر المولد الشريف طبعت سنة ١٣٠١ . وله شرح لطيف على الكافي في العروض والقوافي وديوان شعر سمَّاه « قريضة الفكر » ، وكان له الرغبة التامة في مطالعة كتب الأدب وأشعار العرب ، والفهم الثاقب في المستظرفات من الأعمال اليدوية ، وكان حسَنَ السيرة والسريرة لدى الخاص والعام ، مع الإعراض التام عن مزاحمة الناس في المناصب ، وأخيراً أُجبر على جعله من أعضاء المجلس الكبير بالشام ، وكان كثيراً ما يُحال إليه من المجلس المذكور ومن غيره معضِلات القضايا ، فيحلُّها أحسنَ حل مع رِضا الطرفين ، وكان له القبول التام ، عند الوزراء العظام ، وهم يزورونه ويحترمونه . وقد حج البيت الحرام سنة ١٢٥٧ وصار بينه وبين الشريف فاخر محبة ومودة .

وكانت وفاته في الساعة الخامسة من نهار الخميس سلخ شهر ذي الحجة سنة

خمس وستين ومئتين وألف ، ودفن بمرج الدحداح رحمه الله تعالى ، انتهى.

قلت وذكر مولانا أسعد أفندي حمزة في كتاب النسب الذي وضعه ، أنَّ والده صاحبَ الترجمة عين لنقابة الأشراف بدمشق سنة ١٢٦٤ بعد وفاة راغب أفندي العجلاني ، ثم لما وصل الأمر إليه استعفى منها ، راجياً أن تكون لأحمد أفندي شقيق راغب أفندي المذكور ، فكانت كذلك ، انتهى.

ومن شعر المترجَم منظومة نسبه الحسيني التي أولها :

بعد ابتداءٍ ببسم الله أحمدُهُ   حمداً يليق به والشكر يعضُدُهُ

وقال مشطراً هذين البيتين المشهورين :

(أيها الحامل هماً)   لايكن عيشك ضَنْكا
كل ما تلقاه منا   (برضانا خلٍّ عنكا)
(لا تُدبِّرْ لك أمراً)   تلق بالتدبير هُلْكا
سلِّمِ الأمر إلينا   (نحن أولى بك منكا)

وقال مشطِّراً هذين البيتين أيضاً :

(ومما زادني شرفاً وتيهاً)   وعِزّاً وافتخاراً سرمديَّا
وطاولتُ السُّها وعلوتُ مجداً   (وكدتُ بأخمصي أطأُ الثُّريَّا)
(دخولي تحت قولكَ ياعبادي)   بمن قد أشبع الظمآن رِيَّا
وأن صيرتني قِدْماً نسيباً   (وأن صيَّرْت أحمد لي نبيَّا)

ويحكى أن للمترجم قصيدة طويلة مدح بها خديوي مصر محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا ذاكراً واقعة حال ومطلعها :

بيمناك يمن للرعايا وحبذا   ويسراك يسر للبرايا وحسبما[1]

ورأيت للعالم الفقيه الشيخ عبد الغني السادات قصيدةً يمدح بها صاحب

(١) كذا في الأصل ، والتصريع في مطلع القصيدة يقتضي أن تكون : «وحسبُ ذا». (ص) .

الترجمة مهنئاً بعيد الفطر ، منها قوله :

النسيبُ الشهمُ طلّاع العلى الحسيبُ اللَّوذعي ابن الكرام
معدِنٌ للجود لو ضنَّ الحيا لسقى من جودِهِ كلَّ الأنامِ

وآخرها :

بنتُ أمسٍ قد أتَتْكُمْ للهَنَا بسرورِ العيدِ من بعدِ الصيامِ
تلثُم الأرضَ وتأتي بالثنا وتنادي بحياةٍ كلَّ عامِ

وقد أعقب المترجَم أولاده الخمسة : العابد الزاهد سليم أفندي المتوفى سنة ١٣٠١ ، والعلامة الدرّاكة محمود أفندي مفتي دمشق المتوفى سنة ١٣٠٥ ، والجليل النبيل أسعد أفندي المتوفى سنة ١٣٠٧ ، وراغب أفندي ، ومحيي الدين أفندي . وبنو حمزة بدمشق من أكابر وجهائها ، وأفاضل علمائها ، قد ملؤوا التواريخ فضائل ومفاخر ، وزينوا العصور بأول منهم وآخر ، فرحم الله سلفهم ، وحفظ خلفهم ، آمين (١٣٢٣).



حرف الهاء

الشيخ هبة الله التاجي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين البعلي الحنفي مفتي بعلبك الشهير بالتاجي . المولى الهمام ، وصدر العلماء الأعلام ، الفقيه الشهير والمحدِّث الكبير .

ولد بدمشق في تاسع عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ومئة وألف . ونشأ بها ، واشتغل في طلب العلوم على جماعة منهم سعد الدين العيني ، والشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي ، والشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ أحمد الملوي ، والشيخ طه الجبريني ، والشيخ أسعد المجلد ، والشيخ محمد حياة السندي ، والشيخ عبد الكريم الشراباتي والشيخ عمر الطحلاوي ، والشيخ صالح الجينيني ، والشهاب أحمد المنيني ، والشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري ، والشيخ أبو الفتح محمد العجلوني ، والشيخ علي السليمي الصالحي ، والسيد علي البدري شيخ القراء بمصر ، والشيخ إبراهيم الحلبي محشي « الدر المختار »، والشيخ علي الصعيدي ، والشيخ موسى المحاسني خطيب جامع بني أمية ، والشيخ أحمد الجوهري ، والشمس محمد الداودي ، والسيد محمد أبو السعود مفتي الحنفية بمصر ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم . وقد أخذ عن المترجَم الجمُّ الغفير والعدد الكثير ، وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على « الأشباه والنظائر » لابن نجيم . ومن نظمه قوله مهنئاً المولى خليل أفندي المرادي بفتوى دمشق سنة ١١٩٢ :

هـذي الأمـانيُّ التـي بُلِّغْتَهـا ... رغمـاً عـن الأعـداء والحسـادِ

إلى أن قال :

مولاي يا فردَ الوجود فضائلاً وشمـائـلاً يـاأوحـد الآحـادِ
رحماك إني عن علاكَ مقصرٌ فـامْنُـن بقـربٍ منـك لا ببعـادِ
إذ لا يفيدُ الشمسَ كثرة مدحِها والـدرُّ لا يغلـو بنظـم الشـادي

وبيت التاريخ هو قوله :

لما غـدا الإفتـاء يبغـي كُفْـأهُ أرِّخ لـه مفتـي الشـآم مـرادي
١١٩٢

وكانت وفاته يوم العشرين من ذي القعدة سنة أربع وعشرين ومئتين وألف ، انتهى.

قلت: قد اطلعت لصاحب الترجمة على تحقيقات ومنظومات ، تدل على علمه الغزير وأدبه الكثير ، وقد أعقب ولدَهُ سعيد أفندي مفتي بعلبك بعد والده المترجَم ، وهذا أعقبَ ولده راغب أفندي مفتيها بعد والده المذكور أيضاً ، المتوفى بعد سنة ١٣٠٠ رحمهم الله تعالى.

الشيخ هاشم التاجي

ترجمه بعض المؤرخين في مجموع يشتمل على الزيارات الدمشقية قال ما خلاصته : هو هاشم بن عبد الرحمن بن سعدي بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين الدمشقي الحنفي الكناني الشهير بالتاجي ، العلامة الفقيه الصالح البركة القدوة ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، من أجلِّهم العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري والعلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وتولى أمانة الفتوى بدمشق في زمن المفتي السيد حسين أفندي المرادي ، وكان شيخ الطريقة الخلوتية في دمشق ، وقد تخرَّج على يديه الكثير ، واعتقده الجمُّ الغفير .

ولم يزلْ في أمانة الفتوى ومشيخة الطريقة ، إلى أن توفي بالريح الأصفر الذي وقع بدمشق ، وكانت وفاته في ثالث عشر رمضان سنة أربع وستين ومئتين وألف ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير وقبره معروف يزار ، انتهى.

قلت : وقد تقدمت ترجمة ولده الشيخ سعدي في حرفه ، وأما ولده الآخر الشيخ مصطفى فقد توفي بعد سنة ١٣٠٠ وهو والد الشيخ تاج الدين أفندي الموجود الآن (١٣٢٥) وبالجملة فقد كان المترجَم من شيوخ دمشق المعوَّل عليهم وفقهائها المشار إليهم ، وهو من أقرباء الشيخ هبة الله التاجي المترجَم قبله رحمهما الله تعالى .



حرف الياء

الشيخ يحيى السردست

ترجمه أحد المؤرخين في مجموع يحتوي على المزارات الدمشقية قال : هو الشيخ يحيى الشهير بالسردست الحنفي الدمشقي نزيل المدرسة البادرائية ، الشيخ الإمام العالم الفقيه الصوفي العابد الزاهد . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها ومن أجلِّهم العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، واستجاز من العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري وغيره ، ويحكى عنه كرامات كثيرة ، حتى أخبرنا تلميذه العالم الفقيه الشيخ عبد الله السكري ، بأن كرامات الشيخ لو جمعت لبلغت عشرين كراسا ، وكان كثير التعبد دائم الخلوة ، لا يأكل إلا من كسب يده في نسخ الكتب .

وكانت وفاته بالريح الأصفر في سابع عشر شوال سنة أربع وستين ومئتين وألف ودفن بالمقبرة الذهبية رحمه الله تعالى .

الشيخ يحيى القطب

ترجمه العالم الأديب السيد كمال الدين الغزِّي العامري في تذكرته الكمالية قال ما زبدته : هو يحيى بن يحيى بن أحمد بن علي بن زين الدين الشافعي الدمشقي الشهير بابن القطب العطار ، الشيخ الفاضل الصالح البارع المفنن ، أحد حفظة كتاب الله العظيم . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن فضلائها ، قرأتُ عليه القرآن العظيم ، وكان له نَفَسٌ مبارك في التعليم ، وكان يحترف بيع العطارة في حانوت بمحلة القيمرية قرب المدرسة الفتحية ، وكان له وفاءٌ وحُسنُ تَوَدُّد ، ودماثة أخلاق ، وله شعر لطيف ، منه قوله مشطراً بيتاً للشمس محمد الحفني المصري :

(أهيمُ بليلى ما حَييتُ وإنْ أمُتْ)   فلا عَجَبٌ موتُ المحبِّ من الوَجْدِ

فإنْ أحْسَنَتْ بالوصل أحْيَتْ وإنْ أسَتْ (وكَلْتُ بليلى من يهيمُ بها بعدي)

وقوله مخمساً :

ظبيٌ حوى من بديع الحسن أجملَهُ وخصَّهُ بالبَهَا ربي وكمَّلَهُ
لما تحقَّق في الأحشاء منزلهُ
(ألقى اليمين على صدري فقلتُ له لقد شَفيتَ مكاناً أنت موجعُهُ)

أطلِقْ برَجْوايَ فيك اليومَ أسْرَ فتى في قلبه والحشا عيناكَ أسْرفَتا
فافترَّ عن جوهريِّ الثغر ملتفتا
(وقال لا تعجَبَنْ عيناي قد رَمَتا سهماً فأحببتُ أدري أين موضعُهُ)

قال الغزِّي : وكانت وفاته بدمشق عشية يوم الأحد خامس رجب . . . ودفن في التربة الرسلانية بالجهة الملاصقة للسور ، انتهى .

قلت: ولم يذكر المؤلف عام وفاة المترجَم كما ترى! غير أنه يفهم من التراجم التي ذكرها قبله وبعده أنما كانت وفاته عام واحدٍ أو اثنين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ يحيى الكزبري

ترجمه بعض المؤرخين في مجموع له قال : هو يحيى بن عبد الرحمن بن زين الدين الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري ، الشيخ العالم الفاضل المحدث الفقيه العابد الزاهد .

ولد في سابع رمضان سنة خمسين ومئة وألف ؛ ونشأ على الطاعة وطلب العلم ، فأخذ عن والده المذكور ، وأخيه الشمس محمد والشهاب أحمد المنيني وعلي أفندي الطاغستاني ، وعن خال والده الشيخ علي كزبر وغيرهم .

وكانت وفاته في ثامن محرم سنة إحدى ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الدحداح قريباً من الشيخ حسن الباني الكردي رحمه الله تعالى ، انتهى. وترجمه

الأستاذ البيطار بنحو ما نقلناه.

الشيخ يحيى المسالخي

ذكره المؤرخ المذكور في المجموع المسطور قال : هو يحيى بن محمد الحلبي الشافعي الشهير بالمسالخي والمصالحي . الشيخ الإمام العلامة المحقق الفاضل الكامل ، ولد بحلب ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، ورحل إلى الديار المصرية ، فأخذ عن الشيخ أحمد الملوي ومن في طبقته ، ثم قدم دمشق فأخذ عن الشمس محمد الكزبري وغيره .

وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وعشرين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير قرب قبر الشمس الكزبري ، وقبره معروف يزار ، انتهى .

قلت : وقد وقفتُ للمترجَم على رسالة في النحو ومولدٍ شريف ، وجملة إجازات من شيوخه ، تشهد بفضله ونُبله ، وممن أخذ عنه العلامة الشيخ عبد الله الكردي الحيدري والعلامة الجد الشيخ حسن الشطي وغيرهما ، رحمه الله تعالى.

قال الأستاذ الفاضل الشيخ راغب الطباخ في تاريخ حلب بعد نقل الترجمة المذكورة : إنَّ سبب سفر المترجَم من حلب إلى الشام وتوطُّنه بها ، الفتن التي قامت بين الانكشارية والأهلين في أوائل هذا القرن ، وكان المترجَم يستنكر فظائع الانكشارية ، فلحِقَه منهم أذى ، وخشي حصولَ فتنة ، فغادر حلب ذاهباً إلى طرابلس ، فأقام بها مدة ، ثم توجَّه إلى الشام فتوطَّن بها إلى أن توفي .

قال : وقد شرح رسالته في النحو تلميذه الشيخ عمر الطرابلسي ، ثم شرحها أيضاً الشيخ أحمد الصابوني الحموي . وقد نشرت ترجمته في مجلة الوحي الحموية ، انتهى ، باختصار.

الشيخ يوسف شمس

ذكر بعض المؤلفين نبذة من ترجمته في مجموع المزارات الدمشقية قال : هو يوسف بن أحمد بن محمد بن مصطفى بن أحمد بن إبراهيم بن شمس العمري

الشافعي الدمشقي الشهير بابن شمس . الإمام العالم العلامة المحدث أبو الفتوح جمال الدين .

ولد بدمشق في ثاني ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومئة وألف ، وأخذ عن العلامة العجلوني ، والشمس محمد الكزبري ، وعلي أفندي الطاغستاني ، والشيخ علي السليمي الصالحي ، والشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي ، والشيخ محمد البخاري ، والشيخ أحمد البعلي ، والشيخ أسعد المجلد ، والشهاب أحمد المنيني ، والشيخ خليل الكاملي الدمشقيين ، والشيخ عطية الأجهوري ، والحفني ، والملوي ، والجوهري ، والدمنهوري ، المصريين ، وأحمد التميمي الخليلي ، والتافلاتي ، والبديري المقدسيَّين ، والسيد محمد السمان المدني ، وعليم الله الهندي اللاهوري ، وعبد الرحمن بن حسن الكردي وغيرهم .

وتصدر المترجَم للتدريس في الجامع الأموي ، فأخذ عنه جمٌّ غفير ، منهم الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت ، والشيخ خليل الخشّة ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والسيد أسعد المنير وغيرهم .

وكانت وفاته في تاسع عشر شوال سنة خمس عشرة ومئتين وألف ودفن بتربة الشيخ أرسلان الدمشقي رضي الله عنه ، انتهى بتصرف .

قلت : وأعقب المترجَم أولاداً فضلاء ، منهم الشيخ صالح وتقدمت ترجمته ، ومنهم الشيخ عبد الحليم المتوفى بدمشق سنة ١٢٧٥ ، عن ولده الشيخ محمود الذي سكن في زملكا وتوفي بها سنة ١٣٠٩ ، ولم يزل له بها عدة أولاد وفقهم الله .

الشيخ يوسف المغربي

هو يوسف بن بدر الدين بن عبد الرحمن البيباني المَرَّاكُشي محتداً ومولداً ، المصري منشأً ، المالكي مذهباً ، الشهير بالمغربي ، نزيل دمشق . ترجمناه بحسَب ما رأينا من آثاره وسمعنا من أخباره ، فهو الشيخ العالم ، المحدث الفقيه ، الشاعر البليغ ، المتضلِّع المتفنن ، الورع الزاهد ، الهمام الأوحد .

ولد في المغرب ونشأ في مصر ، وأخذ عن مشاهير العلماء ، وشارك في العلوم ، وكان غيوراً جسوراً ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، ثم إنه قدِم دمشق وتوطَّنها ، وأخذ عن بعض علمائها ، كالعلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والعلامة الشيخ سعيد الحلبي وغيرهما .

ثم ألقى دروساً في الجامع الأموي وفي غيره ، وحضر دروسه العلماء والطلاب ، ولم يثبت على التدريس لكثرةِ أمراضه وأسفاره ، وقد انتفع به جماعة ، ولما ورد إلى دمشق الأمير الشهير عبد القادر الجزائري ، منح المترجَم داراً غربي مدرسة دار الحديث بدمشق أوقفها عليه ثم على ذُرِّيته ، وكان قسمٌ من المدرسة المذكورة ، حانةً بيد أحد النصارى من الأجانب ، فقام المترجَم بالدفاع عنه على قدَم وساق ، واستنصر بعلماء دمشق وأعيانها ، فساعده من ساعد وتراخى من تراخى ، وانعقد لذلك عدَّة مجالس لدى قاضي دمشق أسعد أفندي ، وتقلَّبت الأمور إبراماً ونقضاً ، إلى أن فاز الشيخ ومن معه بأخذ القسم المذكور ، وإضافته إلى المدرسة المذكورة ، وكان ذلك في سنة ١٢٧٠ ، وقد نظم المترجَم في هذه الحادثة قصيدته الشهيرة ، التي تزيد على أربعمئة بيت من البسيط ، ساق فيها القصة فأطنب وأسهب ، ولم يبق فيها مقالاً لقائل ، ولا ريب أنها دالة على علمه وأدبه ، وغَيرته الدينية ، فمن محاسنها قوله :

أشكو إلى الله ما لاقيت من همجٍ ... ما دأبهم غيرَ حبِّ الجاهِ والتيهِ

لم يرقبوا الله في سرٍّ ولا علَنٍ ... بل حاربوه وخاضوا في معاصيه

فالخيرُ فضلٌ من المولى يمنُّ به ... والشرُّ للنفس لا لله نعزيهِ

من جرَّب الدهر لم يركنْ إلى أحدٍ ... وما سوى الله فالتغييرُ لاقيهِ

أغرَّكم أنَّ حلمَ الله أمهلكم ... أليس للبيت ربٌّ سوف يحميهِ

ماذا دهاكم هدمتم ما بنتْ يدُكم ... أيهدِمُ البيت بعد البذل بانيهِ

وإنْ تَعُدْ عقربٌ فالنعل حاضرةٌ ... ومن يقم رأسه فالصفعُ يُدميهِ

أخذتُ علمي عن شُمٍّ جهابذةٍ ... وكلُّهم أثبتوا فضلي بتنويهِ

ذكري جميلٌ لدَى مَنْ كان يعرفُني ... سلْ عنه من شئت بالتفصيل ينهيهِ

كم مسجدٍ بيَ قد قامتْ شعائرُه — وأنت تسعى بتخريبٍ وتشويهِ
كفى بذا بيننا فرقاً فكلٌّ إنا — يجود يا ابن... بالذي فيهِ
من لم يكن بين أقوام يُسرُّ بهم — فعيشه بينهم ضَنْكٌ يقاسيهِ
لو كان والله في التقديمِ لي أربٌ — فكلُّهم خلفَ ظهري كنت أرميهِ
والله يعلم أني ما قصدتُ سوى — إظهار حقٍّ أضاعوهُ بتمويهِ
أرجو من الله في هذا مثوبتَهُ — ونيَّةُ المرء خيرٌ من مساعيهِ

وقد نوَّه المترجَم في أواخر هذه القصيدة بجماعة أثنى عليهم ثناءً حسناً فمن ذلك قوله :

ما هكذا الكلُّ بل فيهم نجومُ هُدًى — كالإدلبيِّ إمام الدين محييهِ
والفاضلِ الحسنِ الشطيِّ أحسنِهم — ديناً ودنيا فأرجو الله يُبقيهِ
والسيدِ العارفِ العاني صفوتِهم — مَنْ ليس يُخلق فيهم من يضاهيهِ
ونجلِ حمزةَ عبدِ القادر الحنفي — مِنْ علمه البحرُ للظمآنِ يرويهِ
والشيخِ عبد الغني الميداني من نُثرتْ — نفائسُ الدُّرِّ بالتحقيق من فيهِ
وعندنا من خيار الصحب كلُّ فتًى — يضيقُ نظميَ عنه إذْ أسَمِّيهِ

ورأيت لصاحب الترجمة قصيدة نبوية غراء ، سماها « عريضة الابتهال » ، حاوية على ثلاثمئة بيت من الطويل ، لابأس بإيراد شيء منها فأولها :

إليك رسولَ الله وجَّهتُ وجهتي — لأنك بابُ الله في أيِّ منحةِ
وأنت ملاذُ العارفين بأسرهم — إذا ما استغاثوا سيَّما يوم حَسْرةِ

ومنها :

ألا يارسولَ الله إني خائفٌ — فسَلْ خالقي فضلاً يؤمِّنُ خيفتي
ألا يارسولَ الله إني مبتلًى — ألا فاسألِ المولى يزيلُ بليَّتي
ألا يارسولَ الله كدتُ بعلَّتي — أذوبُ فسَلْ مولاي يبرئ عِلَّتي

ومنها :

ألا يـارسـولَ الله دَيْنـي أهَمّنـي فسَلْ سامعَ الشكوى يخلِّصُ ذِمَّتي
ألا يـارسـولَ الله شملي مُشَتَّـتٌ فـأرجـو بـك المـولى يـزيـلُ تشتُّـتي
ألا يـارسـولَ الله إني بـوحشـةٍ فسلْ مالكي بالأنس يُبدل وحشتي

وقال في آخرها :

عليـك صـلاةٌ مـعْ أجـلِّ تحيـةٍ مـن الله تنهـلاّنِ في كـلِّ طـرفـةِ
ولما شهدتُ اللطفَ قلت مؤرخاً لـك الشكـر يـاوالي على أيِّ مِنَّـةِ
(١٢٧٠)

وكان صاحب الترجمة كثيرَ التجوُّل والسياحة ، أقام في المدينة المنورة مدة طويلة ، ونظم هذه القصيدة النبوية وهو في استانبول ، وبالجملة فإنَّ من أدركه شهد بأنه عالم فاضل تقيٌ صالحٌ جسورٌ مقدامٌ صبورٌ على الملمّات ، وقد رأيت بخط الجدِّ الشيخ عبد السلام الشطي ، على ظهر نسخة القصيدة الأخيرة ، أنه عاد المترجَم في مرض موته واستجازه بتلك القصيدة فأجازه بها ، ثم توفي بعد ذلك .

وكانت وفاته يوم الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير قريباً من قبور بني الكزبري ، رحمه الله تعالى ، وقد خلف المترجَم ولديه أستاذَنا العلامة الشيخ محمد بدر الدين ، والعالم الفاضل الشيخ أحمد بهاء الدين حفظهما الله تعالى (١٣٢٣) .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه بما خلاصته : إمامٌ لا يُبارى وهُمام في ميدان العلم لا يجارَى ، قد علا وفاق ، واشتهر فضلُه في الآفاق ، وكان ورعاً زاهداً تقياً عابداً ، له شعرٌ رقيق ونثرٌ أنيق ، ومحاضرةٌ لطيفة ومذاكرةٌ ظريفة ، وسيرة حسنة وصفات مستحسنة ، حضر في مصر على علماء أعلام ، ومشايخ عظام ، كالشيخ محمد الأمير ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ إبراهيم الباجوري ، وغيرهم من الأخيار في كثير من الأقطار ، ثم قدم دمشق وأقام بها ، ولما استولى بعض الأروام على الدار المتصلة بمدرسة دار الحديث بدمشق ، وعلى

الزاوية الغربية من المدرسة المذكورة ، تعرَّض المترجَم لذلك ، ورفع الأمر إلى والي دمشق يومئذ فلم يلتفت إليه ، وهنا توجَّه صاحب الترجمة إلى الآستانة وحصل على فرَمانٍ سلطاني ، بإنقاذِ ما ذكر من يد ذلك الرومي فلم يكن للفرمان من نتيجة أيضاً ، ولما حضر الأمير عبد القادر الجزائري إلى دمشق ، وعلم بما جرى للمترجَم في القضية المذكورة ، أخذَتْه الغيرة الإسلامية فأحضر الرومي المقدَّم ذكره ، واشترى منه المحلَّين بمبلغ كبير دفعه إليه ، ثم جعل الدار وقفاً على المترجَم وذريته ، وأضاف الزاوية إلى المدرسة ، وأمر بترميمهما على نفقته ، ولما تم الأمر شرع الأمير بقراءة صحيح البخاري في المدرسة المذكورة ، وكان ختمه في ٢٤ شوال سنة ١٢٧٤ ، وقد أنشد المترجَم في مجلس الختم المذكور قصيدة قال في مطلعها :

بابُ القبول لهذا الختم قد فُتحا ... فلاحَ من يُمْنِهِ برق السعود ضُحى
وهبَّ من روضةِ الرضوان عارفةٌ ... أضحى بها القلب مسروراً ومنشرحا
أما ترى السعدَ قد لاحت بشائره ... وطائرَ اليُمْن في أدواحِهِ صدَحا
وهــذه أوجُــه الإقبــالِ مسفــرةٌ ... والوقتُ بالبِشر والإسعادِ قد سمَحا
فسلْ إلـٰهك ما ترجوهُ من أملٍ ... واضرعْ إليه فوجْهُ القربِ قد وضَحا
وابسُطْ يديكَ إلى مولاكَ مبتهِلاً ... فسعيُ مَنْ أمَّ بابَ الله قد نجَحا
إنَّ البخـاريَّ معلـومُ الإجـابـة في ... مـا أمَّـهُ المـرءُ في إقـرائـه ونَحـا

ومنها في مدح الأمير :

مـولى بـه ملَّـةُ الإسـلام بـاسمـةٌ ... والدِّينُ عالٍ وحال الناس قد صلحا
فكفُّه لذوي الحاجات بَحرُ ندًى ... وسيفُـه لضـلال الكـافـريـن محَـا
وصيتـه ألبـس الإسـلامَ عـزَّتـه ... وعلمـه لمعـاني الـديـنِ قـد شرحـا

ومنها في الختام :

ما خاب من جعل المختارَ واسطةً ... ووصلـةً للـذي يـرجـوه واقترحـا
فإنه بابُ فضل الله ما برحتْ ... سحـائـبُ الجـودِ منـه تُمطر المِنَحـا

صلى عليه إلـهُ العرشِ ما طلَعَتْ   شمسٌ وما سار عيسٌ بالحَجيج ضُحَى
والآل والصحب ما انجابَ الظلامُ وما   وُرْقٌ على غصن أيك ناحَ أو صدَحا
أو قال يوسف بدر الدين مبتهلاً   بـابُ القَبـولِ لهـذا الختـم قـد فُتحـا

قال الأستاذ البيطار : وللمترجم قصائد شهيرة ومقاطيع كثيرة ، وتأليفات بديعة ، وكتابات رفيعة ، وقد انتفعت بفوائده وارتضعت من ثدي عوائده ، وأجازني بجميع ما تجوز له روايته ، وكان كثير الالتفات إليّ ، حسن الثناء علي ، وكان يحفظُ الكتاب المكنون ، وكثيراً من المتون ، في أنواع الفنون ، وله شرح في غايةِ التحرير على مولد العلامة الدردير . . . وكان كثير التلاوة ، ملازماً للصلاة على النبيِّ ﷺ ، متخلقاً بالأخلاق النبوية ، متحلِّياً بالشمائل المحمدية ، إن جلس في مجلس كان نقطةَ مدارِ كلامه ، وواسطةَ عِقد نظامِه ، وكان لا يخاف في الحق كبيراً ، ولايخشى حاكماً ولا وزيراً ، فلذلك كان يهابه كلُّ من رآه ، ويتأمل منه الخير كلُّ من رجاه ، ولم يزل على حاله إلى أن دعاه داعي المنون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الشيخ يوسف النابلسي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه ، قال ما مختصره : هو يوسف بن عمر النابلسي محتداً الدمشقي موطناً النقشبندي مشرباً . عالم أريب وفاضل أديب ، لم يزل صدراً للإفادة ، يرعى في ربيع فضله ذوو الاستفادة ، له نظمٌ ونثرٌ تنقلُه الركبان ، وتقف دونه سوابقُ الحسن والإحسان ، وقد ألقى له الدهر مقاليدَ الإسعاد ، وجعل من جملة مريديه نجيب باشا والِيَ بغداد . ومن نظمه :

زر والـديـك وقـف على قبريهمـا   فكـأنـني بـك قـد نُقلـتَ إليهمـا
لو كنتَ حيث هما وكانا بالبقا   زاراك حَبْـواً لا على قـدميهمـا

ومنها :

بشراك لـو قـدَّمـت فعـلاً صـالحـاً   وقضيت بعض الحق من حقَّيهما

وقـرأتَ مـن آي الكتـاب بقـدرِ مـا تسطيعــــه وبعثــــتَ ذاك إليهمــــا
فاحفظْ - حفظت - وصيتي واعملْ بها فعســـى تنـــالُ الفـــوزَ مـــن بـــرِّيهمـــا

(كذا ، وقد وجدنا هذه الأبيات في ترجمة بعض رجال القرن الثاني عشر ، وإنما أثبتناها هنا للفائدة فتأمل) .

وكانت وفاة المترجَم في ثامن ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومئتين وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ يونس التغلبي

هو يونس بن عمر بن عمر بن عبد القادر بن عمر التغلبي الشيباني الدمشقي ، شيخ سجادة الطريقة الشيبانية بدمشق بعد والده المذكور ، وقد كان المترجَم موسوماً بالصلاح والتقوى والخلق الحسن ، يقيم الذكر المعتاد في دارهم بمحلة العمارة ، في ليال معروفة من الأشهر الثلاثة .

توفي وهو دون الأربعين بسبب وقوعه عن فرس له ، وذلك في شوال سنة خمس وتسعين ومئتين وألف ، ودفن عند أسلافه بمقبرة الدحداح .

وقد تقدمت ترجمة والده وجده في حرفهما ، أما جدُّه الأعلى الشيخ عبد القادر ، فهو عالم الحنابلة في عصره ، وشارح « دليل الطالب » في فقهنا الحنبلي ، ترجمه المرادي في تاريخه ترجمة حافلة ، وقد أعقب المترجَم أولاده الثلاثة وهم الشيخ محمد أفندي وعلي أفندي الموجودان الآن (سنة ١٣٦٣) وعمر أفندي المتوفى في حدود سنة ١٣٤٠ رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

الجزء الثاني

أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر

من عام ١٣٠١ إلى عام ١٣٥٠ هـ

سليم أفندي حمزة

ترجمه شقيقه مولانا أسعد أفندي في كتاب نسبه ، والفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه : فهو السيد سليم ابن السيد نسيب ابن السيد حسين ابن السيد يحيى ابن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم المشهور بابن حمزة الحسيني الدمشقي الحنفي ، السيد الشريف العالم العامل الفاضل الكامل العابد الزاهد ، ولد بدمشق في ٢٣ صفر سنة ١٢٢٤ كما وجد بخطٍّ والده ، ونشأ في حجره . وأخذ مبادئ العلوم عنه وعن العلامة الشهير الشيخ سعيد الحلبي ، وأخذ عن غيرهما ، ثم غلب عليه حبُّ العزلة والانزواء منذ حياة والده ، وقد حجَّ في خدمته سنة ١٢٥٧ وهي حجته الأولى ، وكان يرتزق من كسب يده ، وله المعرفة العامة بأنواع السلاح ، والقدم الراسخة في الرماية ، وكثيراً ما يصحب الأمير عبد القادر الجزائري في الصيد وغيره ، ومن ذلك سياحتهما المشهورة إلى مصر ، وحضورهما في حفلة عظيمة أقامها الخديوي إسماعيل باشا سنة ١٢٨٦ ، حيث بقيا في ضيافته سبعة أيام ثم واصلا سفرهما إلى الحجاز ، فحجَّا وزارا ثم عادا إلى دمشق .

وكان المترجَم موسوماً بالصلاح والولاية معتقداً عند أهل زمانه ، ولما جدد مقام سيدنا الحسين في الجامع الأموي سنة ١٢٧٣ ولي صاحب الترجمة قيمية المقام المذكور ، فصار يلازمه في أكثر أوقاته ، وقد يدرِّس فيه . ولم يزل على حاله من نسك وعبادة إلى أن توفي .

وكانت وفاته في خامس عشري ذي الحجة سنة إحدى وثلاثمئة وألف ، ودفن على والده في مقبرة الدحداح عند قبور أسلافه . وقد أعقب المترجَم ولديه الشاب محمد أفندي ، والعالم الفقيه عبد الكريم أفندي ، توفي الأول في حياة والده سنة ١٢٨٢ عن ولديه الفاضل أحمد أفندي والشاب أمين أفندي ، وتوفي الثاني سنة ١٣٤٦ عن ولده صديقنا الفاضل السيد حسين أفندي ، فرحم الله السلف وبارك

في الخلف آمين .

طاهر أفندي الآمدي

ترجمه العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه المخطوط قال ما خلاصته : هو طاهر بن عمر بن مصطفى (عرفي زاده الحسني) الآمدي ثم الدمشقي الحنفي ، مفتي دمشق الشام ، وأوحد العلماء الأعلام ، ولد في آمد سنة ١٢١٥ ووافق اسمه (طاهر) تاريخ ولادته (٢١٥) ، ثم قدم مع والده دمشق الشام وتوطَّن بها وحضر مجالس علمائها ، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، وقرأ على والده المذكور وبه تخرَّج وانتفع ، وكان صالحاً عابداً متقشفاً في الدنيا ، مقبلاً على الأخرى ، وتقدَّم في الفقه الحنفي ، وانتقلت إليه بعد والده إمامةُ الحنفية بجامع بني أُمية ، ثم ولي أمانة الفتوى بدمشق أيام مفتيها حسين أفندي المرادي ، وولده علي أفندي ، ولما استعفى هذا بعد أشهر من توليته . . انعقد الإجماع على تولية المترجَم منصب الإفتاء لتخرُّجه في مسائل المذهب وخدمته لأمانة الفتوى مدة طويلة . فجلس لمراجعة الناس في المدرسة الجقمقية شمالي الجامع الأموي ، ثم انتقل إلى مكانٍ آخر .

ولم يزل مفتياً إلى أن وقعتْ حادثة النصارى بدمشق سنة ١٢٧٧ فنُفي مع من نُفي من أعيان الشام وعلمائها إلى قلعة الماغوصة في جزيرة قبرص ، واستقام بها هو ورفاقُه الشيخ عبد الله الحلبي ، وأحمد أفندي الحسيبي ، وعمر أفندي الغزي ، وعبد الله بك العظم ، ومحمد بك العظمة وغيرهم ، وبعد أن مضى عليهم سنتان صدرت الإرادة السنية بنقلهم إلى أزمير ، فاستقاموا بها ثلاث سنين ، ثم طلبوا إلى دار الخلافة استانبول فرفع عنهم الحجر ، وصدر الأمر بتسريحهم إلى أوطانهم ، وأنعم على المترجَم بمولوية أزمير ، مع وظيفة القضاء الشرعي في مدينة بنغازي ، فاستقرَّ بها سنتين ، ثم عاد إلى دار الخلافة فوجهت إليه وظيفة القضاء في خربوط ، فمكث بها سنتين أيضاً ، ثم وجِّهت إليه وظيفة القضاء الشرعي في مدينة حماه مرتين كذلك ، ثم قدم دمشق واستقام بها إلى أن شغرت نيابة محكمة الباب الشرعية في دمشق بوفاة الشيخ الجوخدار سنة ١٢٩٧ فوجَّه والي سورية أحمد حمدي

باشا النيابة المذكورة إلى المترجَم - بتوسط محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق - ومازال نائباً في المحكمة المذكورة إلى أن توفي في سادس ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير قرب مقام سيدنا بلال الحبشي رحمه الله تعالى . انتهى .

وترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه المطبوع وقال في وصفه : كان من صدور دمشق ، أميراً في مجلسه ، فقيهاً محقِّقاً ، عمَّ نفعه الأنام ، ونفذ أمره عند الحكام ، وكان يُتقنُ اللغة التركية نظماً ونثراً ، وتولَّى أمانةَ الفتوى في عهده كلٌّ من الشيخ سعدي العمري والشيخ عبد الله السكري ، وكانت وفاته في سنة ١٣٠١ رحمه الله تعالى ، انتهى .

الشيخ صالح جعفر

هو صالح بن محمد المعروف بابن جعفر الحنفي الدمشقي ، كان عالماً فاضلاً تقياً صالحاً مباركاً على طريقة السلف ، ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن علمائها وحصل ومهر ، وتصدَّر للتدريس والإفادة في الجامع الأموي وفي داره بمحلة القيمرية ، فانتفع به الخاصُّ والعام ، وكان موظفاً في تربدارية مقام سيدنا يحيى عليه السلام ، ويحكى عنه عوائدُ حسنة كان يتودَّدُ بها لإخوانه ومريديه ، منها أنه كان في كل سنة يدعو جماعةً من علماء دمشق وقرَّائها إلى اجتماع في داره ، ويقدم لهم طعاماً يقترحونه عليه ، ثم يتذاكرون في مسائلَ شتى ، فيحصل لهم الأنس والبركة .

وكانت وفاةُ المترجَم في سابع ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثمئة وألف ودفن في تربة العمرية من مقبرة الدحداح ، وهو صهر السادة بني حمزة ، ووالد الشيخ محمد جعفر المتوفى سنة ١٣٣٨ رحمهما الله تعالى .

وقد رثاه أخص تلامذته العالم الفاضل الشيخ محمود الموقع بقصيدة طويلة ذكرها في ديوانه المطبوع وختامها قوله :

يامدفن التقوى ويا مثوى الهدى   منـــي عليـــك تحيـــةٌ وســـلامُ

وفيات سنة ١٣٠٢

السيد عبد الرحمن الباني

ترجمه ولده العالم المحقق الشيخ سعيد الباني في كتابه « عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق » المطبوع سنة ١٣٤١ قال : هو عبد الرحمن بن محمد ، من أحفاد السيد محمد ابن الشيخ عثمان الباني من علماء القرن الثاني عشر ، والباني نسبة إلى قضيب البان الحسني دفين الموصل ، قُدِّس سره .

ولد المترجَم سنة ١٢٣٨ ولازم فقيه الشام الشيخ سعيد الحلبي وولده الشيخ عبد الله الحلبي ، والعلامة الشيخ حسن الشطي ، وسمع الحديث من محدِّث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وقرأ على غيرهم ، وظلَّ مدة يعيد درسَ صحيح البخاري للشهاب أحمد مسلم الكزبري تحت قبة النسر ، وبالجملة فقد كان عالماً فقيهاً صالحاً تقياً حسن الأخلاق .

وكانت وفاتُه في المحرَّم عام اثنين وثلاثمئة وألف ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بجوار قبور بني الكزبري رحمه الله تعالى .

الشيخ رشيد قنبازه القَلْعي

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : هو رشيدُ ابن الشيخ نجيب القلعي الحنفي الدمشقي . ولد بدمشق سنة ١٢٢٣ وقرأ على والده الفقيه الشهير وأخذ عن غيره من الشيوخ العظام إلى أن صار له يدٌ في العلوم ، فأقْرأَ الطلبة في جامع بني أمية ، ثم غلب عليه نوعٌ من البله والجَذْب فكان له نوادرُ عجيبة ووقائع غريبة ، إذا أردنا ذكرَها يطولُ بنا المقام .

وكانت وفاته في ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثمئة وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير .

★ ★ ★

الشيخ سعيد البرهاني

أخبرنا عنه حفيده وسميه قال : هو سعيد بن مصطفى بن محمد الشهير بالبرهاني الحنفي الدمشقي . كان عالماً فقيهاً ، له معرفةٌ في التفسير والحديث والعربية . نشأ في حجر والده ، وقرأ عليه وعلى الشيخ عبد الرحمن الحفار ، والشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني ، وأخذ الحديث عن محدِّث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وحضر دروس ولدِه الشيخ أحمد مسلم الكزبري . وكان خطيباً وإماماً حنفياً في جامع التوبة ، ودرَّس فيه وفي داره دروساً عامَّةً وخاصَّة ، وانتفع به جماعةٌ كثيرون ، من أفضلهم الشيخ سليم أفندي البخاري مفتي الألاي العثماني ، والشيخ صبري أفندي شيخ مولوية دمشق ، والشيخ سليم المُسوتي المشهور ، والشيخ محيي الدين مطر ، وكان كثيرَ الورع شديدَ الحرص على النوافل ، عمدةً في الفقه الحنفي ، مرجعاً فيه .

وكانت وفاته عام اثنين وثلاثمئة وألف عن نحو ثمانين عاماً رحمه الله تعالى والمسلمين .

ملا طه المزوري الكردي

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال : هو طه بن يحيى المزوري العمادي الكردي الشافعي نزيل دمشق . العالم العابد والعامل الزاهد ، ولد في العامودية (كذا) من بلاد الموصل سنة ١٢٥٠ وأخذ عن والده الشهير وعن غيره من شيوخ الموصل والعمادية والسليمانية ، ونهج منهج السلف ، وفي سنة ١٢٨٤ قدم دمشق وأقام في حارة الأكراد ملازماً المدرسة الركنية ، وكان لا يخرجُ منها إلا لصلاة العصر في الجامع الأموي مع الجماعة الأولى كلَّ يوم ، وحجَّ البيتَ الحرام من دمشق مرَّتين ، قال : وكان بيني وبينه محبَّةٌ قويَّة ، ومذاكرات علمية ومناصحات صوفية ، وكان تقياً زاهداً ورِعاً خاشعاً متنبِّهاً متيقِّظاً ، قليلَ الكلام فيما لا فائدة به ، وكان من أشراف طوائف الأكراد .

توفي سنة اثنتين وثلاثمئة وألف ، ودفن بسفح قاسيون قرب المغارة الجوعية رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٠٣

الشيخ أحمد المنير

ترجمه السيد الفاضل محمد أديب أفندي تقي الدين في تاريخه المطبوع سنة ١٣٥٦ قال ما خلاصته : هو أحمد بن سعيد بن محمد أمين بن سعيد بن عبد الحليم ابن أسعد بن إسحاق بن محمد بن علي الشهير بالمنير الشافعي الدمشقي ، السيد الشريف ، العلامة الفقيه ، العابد التقي .

ولد بدمشق ، وتوفي والده وهو صغير فتربَّى في حجر والدته . وطلب العلم فتلقَّى الفقه عن الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والحديث عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والنحو والصرف عن الشيخ سعيد الحلبي ، والفرائض والحساب عن الشيخ حسن الشطي ، ورحل إلى مصر ، فأخذ عن الشيخ الباجوري ، والشيخ القويسني ، واشتهر بالفقه الشافعي حتى لقب بالشافعي الصغير ، وأقام في مكة المكرمة أربعَ حجج ، وقرأ بها دروساً ، ودرس في جامع بني أمية بين العشاءين ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ من سائر الأقطار ، واشتغل بالطريق والذكر ، وأمَّ كوالده في محراب الشافعية من الجامع المقدَّم ذكره بالظهر والعصر ، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى ، ويحفظ الشاطِبيَّة في القراءات ، وفي سنة ١٢٨١ استخلص المدرسة الإخنائية شمالي الجامع الأموي من مختلسها ، فأعادها سيرتَها الأولى ودرَّس بها ، وكان ملازماً على التدريس والإفادة ، متعبداً متنسكاً ، لم يقدحْ فيه قادح ، ولم يزل على حالته الحسنى حتى توفي .

وكانت وفاته في سادسَ عشرَ ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمئة وألف ، ودفن في المدرسة المذكورة في قبر منشئها القاضي الإخنائي تغمَّده الله برحمته ، وقد أعقب ولديه العالمين الجليلين الشيخ صالح أفندي (الآتية ترجمته في محله) والشيخ عارف أفندي المتوفى سنة ١٣٤٢ . ورثاه الشاعر الهلالي بقصيدة طويلة آخرها قوله :

أرختُ غابَ منير
١٣٠٣

حمدي باشا والي سورية

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه ترجمة مطولة قال ما مختصره : هو أحمد حمدي باشا ابن يحيى بك ابن الوزير أحمد باشا ، ولد في القسطنطينية في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ١٢٤١ فقرأ على بعض المشايخ ما يلزمه من العلوم الدينية والدنيوية ولمعاً من الحكمة الطبيعية ، وأتقن فنَّ الإنشاء علماً وعملاً ، ونبغ في اللغة العربية والتركية والفارسية ، ثم انتظم في سلك كتاب نظارة الداخلية ، ثم نقل إلى ديوان الصدارة العظمى ، وفي سنة ١٢٦٣ نقل إلى الكتابة في مجلس الشورى العسكري ، ثم رُقِّي إلى ديوان السر عسكرية ، وفي سنة ١٢٧٥ رُقِّي إلى رياسة الكُتَّاب في مجلس الشورى المذكور ، وبعد قليل جُعل عضواً فيه علاوة على رياسة الكُتَّاب ، وأنعم عليه السلطان عبد المجيد بالرتبة المتمايزة ، فالأولى من الصنف الثاني ، فالأولى من الصنف الأول ، فأدار أعمال المنصب المذكور سبعَ سنين ، وأحسن إليه بالوسام المجيدي الثالث ، وفي سنة ١٢٨٤ صار من الوزراء وكلاء السلطنة ، ووجِّهت إليه نظارة الأوقاف ، وبعد ثمانية أشهر عين مستشاراً للسر عسكرية المشار إليها ، ونال الوسامَ العثماني الثاني ، وفي سنة ١٢٨٨ عين ناظراً للمالية ، وعلى أثر التبديلات التي طرأت على الوكلاء بوفاة الصدر عالي باشا أحيلت إليه ولاية آيدين (أزمير) ، وفي أثناء ولايته هذه وقع نزاعٌ مزعجٌ بين الروم واليهود في أزمير ، فتوفق المترجَم بحكمته لتسكين جأش القوم فأحسن إليه السلطان عبد العزيز بالوِسام المجيدي من الدرجة الأولى ، ونال من الدول الأجنبية أوسمةً من الدرجة الأولى أيضاً ، وفي سنة ١٢٨٩ وجهت إليه الدولة العثمانية ولاية الطونة ، فوطَّد دعائم العدل والأمن فيها ، ونال من الدولة الروسية وساماً عالياً ، وفي سنة ١٢٩٠ تبوَّأ ثانياً منصب نظارة المالية ، وأحسن إليه بالوسام العثماني الأول ، وفي محرم سنة ١٢٩١ أُعطي ولاية آيدين مرَّةً ثانية فأدارها نحو ١١ شهراً بسياسة جمعت بين الرضا العالي والمنفعة العامة ، ثم في ٢١ ذي الحجة من السنة المذكورة وجهت إليه ولاية سورية ، فقام بما يستغنى عن بيانه ، ولكن انحرافَ صحته أداه إلى الاستقالة والذهاب إلى الآستانة ، ولم يمض قليل حتى صار رئيساً للجنة القوائم ،

فرئيساً للدائرة الملكية في مجلس الشورى ، وذلك في رجب سنة ١٢٩٣ وبعد ١٣ يوماً عيِّن ناظراً للخزينة الخاصة ، وفي ٥ محرم سنة ١٢٩٥ رُقِّي إلى مقام الصدارة العظمى ، وفي ٢ صفر من السنة المذكورة عيِّن والياً على آيدين للمرة الثالثة فأقام فيها ثلاثين شهراً ، ونال وسام التاج الألماني ، وفي رمضان سنة ١٢٩٧ أُنيطت به ولايةُ سورية ثانياً ، فنال من عواطف السلطان عبد الحميد الوسام العثماني المرصَّع ، مكافأةً على آثاره المشكورة في هذه الولاية ، كما أهداه امبراطور النمسا وسام ليوبول الأول . والحاصل أنه منذ انتظم في سلك الكتَّاب حتى التاريخ الأخير لم يبق مجرداً من المنصب سوى ثلاثين يوماً .

وقد تسنّى له على اختلاف الأحوال وتغير السياسات أن يكتسب رضا الدولة وثقتها وثناء الأمة ومحبتها ، وهو مع سكونه بعيدُ الهمة ، نبيلُ القصد ، عفيف النفس ، معتدلُ الرأي ، خالي الغَرض ، يتغلَّب على المصاعب بالثبات والصبر والحِلْم ، والاجتهاد في الإصلاح ، وقد أكثر في الولاية السورية من الآثار الجليلة والأعمال الجميلة . وكان في هذه الولاية فرقةٌ سائبةٌ في الفيافي لسلْب الراحة والأمن ، فلما استلم المترجَم زِمام الأمور أخذ تلك الفرقة بالحِلْم والرفق والحكمة ، فتسنَّى له المطلوب دون أن يُريق قطرةً من دم أو يسلب ذرَّة من مال ، حتى دخل أكثر أولئك في حظيرةِ الطاعة وتمتَّعوا ببركاتِ الوطن ، حيث كانت المدارس تُنشأ لتهذيب الأخلاق ، والأرض تُفلح وتُزرع ، والطرقاتُ تمهَّد وتسلك ، والمعاقل تُبنى وتشاد ، ومن ذلك ما فعله في بلاد النصيرية وجبل الدروز وعربان البادية . . .

ومن الأبنية التي شادها دون أن يُثقل على الخزينة : دائرة حكومة في حاصبيَّا ، وموقف حراسة كبير في ضمير ، وموقفان للحراسة في بيروت ، ومحل بها للجند ، ودائرة حكومة في بلاد النصيرية ، ومثلها في مرجعيون ، وأخرى في جنين ، ومثلها في بانياس ، وفي النبطية ، وفي طرابلس ، وفي بيروت ، ودائرة عدلية في الشام . ومن آثاره النافعة إصلاح طريق العجلات بين كثيرٍ من البلاد ، ومدُّ الأسلاك البرقية إلى جميع الأقضية التي لم يكن فيها سلك برقي ، وإنشاء كثير

من المكاتب الابتدائية للذكور والإناث في دمشق وبيروت وطرابلس واللاذقية وحماه وحوران والبلقا (نابلس) وسائر أنحاء سورية وفلسطين ، وتشييد مدرسة داخلية في بيروت وتجديد دائرة الحكومة في كلٍّ من بيروت وطرابلس ، وقد بنيتا على الأصول الهندسية الحديثة . هذا فضلاً عن عدَّة دوائرَ للحكومة ، ومراكزَ للتلغراف في كثير من الأقضية والنواحي ، وعدد ليس بقليل من الجسور والمعابر أقامها على الأنهار الكبيرة .

وما زال ساهراً على تأليف القلوب وبثِّ العَدْل وإزالة شائبتي الظلم والاستبداد ، وإعطاء كلٍّ فرد حقه المشروع ، إلى أن جرَّعته المنيَّة كأس الحِمام وفُجعت به أقطارُ الشام .

وكانت وفاتُه في مدينة بيروت سنة ثلاث وثلاثمئة وألف ، ودفن بها في مقبرة الباشورة ، وقد أمر السلطان عبد الحميد خان بتعمير زاوية على مدفنه فعمرت وصرف عليها من مال السلطان ٦٤ ألف قرش صاغ رحمه الله تعالى .

الشيخ رشيد العمري

ذكره الفاضل تقي الدين في تاريخه ، كما ذكره غيره . فهو رشيد بن سعدي بن محمد كمال العمري شهرة ونسباً ، الحنفي الدمشقي ، العالم الفقيه الفرَضي ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وتلقَّى الفقه وغيرَه عن والده أمين الفتوى ، وعن العلامة الشيخ عبد الله الحلبي ، وأخذ الفرائض والحساب عن الجد العلامة الشيخ حسن الشطي ، وقرأ على غيرهم ، ثم إنه درَّس في الجامع الأموي ، وانتفع به الناس ،

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثمئة وألف ، وقد أعقب ولده محمد أفندي الذي هاجر إلى الهند وتوفي بها نحو سنة ١٣٥٠ عن أولاد في الهند وفي دمشق رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد الغَبْرَة

ذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه قال : هو سعيد بن عثمان بن عبد الغني الدمشقي الشافعي ، الشهير بالغَبْرَة . نشأ في دمشق ، وطلب العلم وتردَّد على رجاله ، وبالخاصة خاله العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وكان أكثر انتفاعه به ، وقرأ على الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ هاشم التاجي وغيرهم ، وتصدَّر للتدريس والوعظ في الجامع الأموي مُدَّةً طويلة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم ، وكان يحرِص على تعليم العامَّة أمرَ دينهم ، ويشنُّ الغارة على البِدَع المخالفة للشرع وغير المستحبة ، وقد شدَّ الرَّحْلَ مراراً إلى دار السلطنة العثمانية لرفع وإبطال كثير من البدع التي ظهرت في دمشق ، ولاسيما تمثيل الروايات التي أضرت في الأخلاق والأموال ، ولما رُفع الأمر إلى السلطان عبد الحميد رحمه الله صدرتْ إرادته السنيَّةُ بمنعها وإبطالها ، وكان مؤسّسُ هذه الروايات وحاملُ لوائها أبا خليل القباني الدمشقي ، فانتقل من دمشق إلى مصر ، ومثَّل رواياته بها ، فانتشر فنُّ التمثيل هناك ، وبالجملة فقد كان المترجَم من العلماء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وكانت وفاتُه في شوال سنة ثلاث وثلاثمئة وألف ، وأعقب ولدَهُ الشيخ عطاء الله والدَ الدكتور عزت أفندي الموجود الآن . انتهى .

وترجمه العلامة البيطار وقال ما خلاصته : كان طلَبَ العلمَ في أوَّل أمره ، إلى أن صار له ملكة ما ، وكان يغلِبُ عليه الصلاح فأخذ الطريقة الصاوية الدرديرية ، وصار يقيم الذكر في المدرسة الجقمقية ، فاجتمع عليه الناس ، وصار له قبولٌ واحترام إلى أن تولىً على أوقاف المدرسة المرقومة وأقبل على الدنيا ففتر أمره . . وكان يقرأ درسَ وعظٍ في الجامع الأموي يحضره الغرباء غالباً . وكان له جرأةٌ في الأمور ، ويخيل إليه شؤون . . وفي آخر أمره ذهب إلى عكة فأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ علي الترشيحي بعد أن كان مُنْكِراً عليه! .

وكانت وفاته فجأة بعد سنة ألف وثلاثمئة رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٠٤

الشيخ أحمد الحلبي

ترجمه العلامة البيطار والفاضل تقي الدين في تاريخيهما بما خلاصته : هو أحمد بن عبد الله بن سعيد الحلبي الحنفي الدمشقي ، العالم الفاضل الفقيه الكامل . ولد بدمشق سنة ١٢٥٢ ونشأ في حجر والده الشهير ، وعليه تفقَّه وبه انتفع ، وقرأ على غيره من العلماء ، كالشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ محمد السكري ، وبعد أن توفي والده تصدَّر للتدريس في الجامع الأموي وفي حجرة والده وجدِّه شمالي الجامع المذكور ، وتولَّى أمانة الفتوى ثم نيابة المحكمة الشرعية بدمشق مدة ، ثم فصل عنها وولي نظارة الجامع المنوَّه به سنة ١٢٨٨ بعد فصل إسماعيل أفندي ابن رضا أفندي الغزِّي لصغر سنه وقتئذ ، فانتفع الجامعُ في زمانه غايةَ النفع ، وكان محبوباً بين الناس ، مقصوداً في فصل الخصومات ، عاليَ الهمَّة ، حسنَ العبارة ، شريفَ النفس . وصار عضواً في الجمعية الخيرية سنة ١٢٩٨ وعضواً في مجلس الأوقاف سنة ١٣٠٢ واعتمدته الحكومةُ في غير ذلك من المجالس ولم يزل مواظباً على التدريس والنظارة المار ذكرهما إلى أن قصَدَ الحجَّ من طريق البحر ، فلما أدَّى مناسكه مرِض وتوفي بمكة في سابع عشر ذي الحجة سنة أربع وثلاثمئة وألف ، وقد صلى عليه ألوف الناس ودفن في المعلا بجوار قبر الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وهو والد الأخوين الشيخ محمد أفندي متولي الجامع المقدَّم ذكره المتوفى سنة ١٣٣٤ في شعبان ، والشيخ رضا أفندي مفتي دمشق المتوفى سنة ١٣٢٩ في ذي الحجة رحمهم الله تعالى .

عارف أفندي الجابي

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما حاصله : هو عارف بن محمد بن عثمان الشهير بالجابي الدمشقي . نشأ في حجر والده الوجيه الكبير ، ولازم بعض علماء دمشق حتى نبغ في المعارف ، ثم قصد الآستانة العلية ، وسلك طريق

الموالي العلمية المعروف في دار السلطنة العثمانية ، وتولىَّ عضوية مجلس التدقيقات الشرعية ، ثم تولىَّ القضاء الشرعي في طرابلس الغرب وغيرها ، وكان مثال الفضل والفضيلة ، بارعاً في اللغتين العربية والتركية ، وجهت عليه أخيراً رتبة قضاء الحرمين الشريفين ، ثم استقرَّ في دمشق ، وصار من صدورها وأعيانها ، وعلا قدره ونفذ أمره ، وتردَّد إلى مجلسه جماعةٌ من الفضلاء والوجهاء ، وقصده الناس ، وكان يحبُّ قضاء حوائجهم .

وكانت وفاته سنة أربع وثلاثمئة وألف ، انتهى .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال في وصفه : ولما استقرَّ بعد والده في دمشق الشام ، أحبَّه الخاصُّ والعام ، والتفَّت إليه الأعيان والحكام ، وكان له غيرةٌ عربية ، وخصالٌ نبوية ، ولم يكن في مجلسه سوى الفوائد العلمية ، والمذاكرات اللطيفة الأدبية ، بحيث يتمنَّى جليسُه أن لا يفارقه .

وكانت وفاته فجأة بعد أن صلى الظهر وذلك في ثالث جمادى الأولى سنة أربعٍ وثلاثمئة وألف ، ثم أنشد الأستاذ البيطار أبياتاً آخرها :

لئن كنتَ قد أمسيت عنا مغيَّباً فقد ناب عنك الذكرُ والشُكرُ والحمدُ

قلت : المترجَم هو والد الفاضل الكامل عثمان أفندي رئيس الكتاب بمحكمة الميدان ، ثم مدير الأيتام بمحكمة الباب المتوفى سنة ١٣٢١ عن أبناء نجباء منهم كاتب العدل بدمشق عبد الوهاب أفندي الموجود الآن بارك الله فيه .

عثمان بك مردم بك

ترجمه لنا حفيده الأستاذ خليل بك حفظه الله قال ما ملخصه : هو عثمان بك ابن محمد بك ابن عبد الرحمن بك ابن مصطفى بك ابن يحيى بك ابن لالا مصطفى باشا المعروف بمَرْدَمْ بك . ولد بدمشق في حدود سنة ١٢٣٥ وتوفي والده سنة ١٢٥٠ فنشأ في حجر شقيقه علي بك ، وكان يطيعه ويحترمه ، وظلا متفقين طول حياتهما . وقد كان المترجَم في حداثته يميل إلى الفتوة في مسلكه وملبسه ،

فاتفق أنه بينما كان واقفاً ذات يوم في مدخل حيِّه قرب المارستان النُّوري ، إذ رآه العلامة الشيخ هاشم التاجي يتبعه تلامذةٌ له فسلم عليه ثم قال له : يابني لا يجمل بمثلك أن يضيِّعَ أوقاته ويقف مثل هذا الموقف ، فقابلني غداً في دار الشيخ هاشم التاجي . فلما علم المترجَم أن الذي كلمه هو الشيخ نفسه ، بكر إليه وأخذ يتلقى عنه وتزيًّا بزِيِّ طلبة العلم - جبة وعمامة بيضاء - ولازم الشيخ كثيراً حتى تزوج إحدى بناته ، ولم تطل مدتها فتزوج الثانية - وهي أم ولديه الأولين - ثم إنَّ المترجَم دخل المحاكم الشرعيَّة بدمشق وصار من موظفيها ، وانتقل منها إلى محكمة التجارة وبقي فيها مدة ، ثم سافر هو وشقيقُه المقدَّم ذكرُه إلى الآستانة في عهد الحكومة العثمانية ، لإحياء ما اندثر من أوقاف أجدادهما في دمشق وفلسطين ، فنجحا نجاحاً باهراً واستوليا على تلك الأوقاف العظيمة وأصبحا وسائر أسرتهما في سعة من العيش ، وحظي صاحبُ الترجمة عند حكومةٍ دمشق فصارَ عضواً في مجلس إدارة الولاية سنة ١٢٩١ إلى سنة ١٢٩٤ ، وعين متصرِّفاً على حوران سنة ١٢٩٥ ، ومنذ تولى وظائف الحكومة نزع الجبَّة والعِمَّة ولبس الطربوش والبدلة . وبالجملة فقد كان من رجال الجد والعمل ، موصوفاً ببُعْد النظر والجرأةِ والثبات ، وبلغ من الجاه والثروة ما لم يبلغْه غيرُه في عصره .

وكانت وفاته في سابع شوال سنة أربع وثلاثمئة وألف ، ودفن في مدفن بني مردم خارج سوق السنانية ، وأعقب أولادَه الأربعة عبد القادر بك المتوفى في ٢ محرَّم سنة ١٣٢٠ ، وأحمد مختار بك المتوفى سنة ١٣٢٩ ، وراشد باشا المتوفى هذه السنة - ١٣٢٧ - ورضا بك الموجود الآن .

الشيخ عمر السبيعي

ذكره الفاضل تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : هو عمر بن محمد السبيعي الشافعي الصالحي ثم الدمشقي ، نشأ بدمشق واشتغل بالتجارة وطلب العلم فلازم العلامة الشيخ محيي الدين العاني وغيره ، وجد واجتهد ، وكان فقيها ورعاً معتقداً ، حجَّ سنة ١٢٩٧ ودرَّس وانتفع به جماعة .

وكانت وفاته سنة أربع وثلاثمئة وألف ، ورثاه تلميذه الشيخ محمود الموقع بأبيات منها قوله :

أسفي على شيخ الصلاح المعتَبَرْ   في شامنا ذي العِلْم والعمَلِ الأبَرْ

وأعقب المترجَم ولديه هما الشيخ محمد والشيخ عبد الله المتوفيان بعد سنة ١٣٢٠ ، رحمهم الله تعالى جميعاً ، انتهى .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال في وصفه : كان رجلاً من أهل العبادة ، كثيرَ الصيام ، مواظباً على القيام ، له شغفٌ بالتلاوة والأذكار ، لازم على دروس العلم في صغره ، وعلى العمل به إلى آخر عمره .

وكانت وفاته فجأة يوم الأربعاء خامس ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ بينما كان في حانوته بتمام الصحة ، فذهب إلى بيته شاكياً من معدته ، فلما وصل أدركَتْه المنية ، وكانت جنازتُه حافلةً بأصناف البرية ، ودفن من يومه في مقبرة الباب الصغير .

وفيات سنة ١٣٠٥

محمود أفندي حمزة

كتب مولانا المترجَم ترجمةَ نفسه على أرجوزة له في فن الفراسة أهداها إلى الكاتب التركي المشهور كمال بك ، على أثر طلب وتأكيد منه قال رحمه الله :

ناظم هذه الأرجوزة محمود بن نسيب بن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم المعروف كأسلافه بابن حمزة الحسيني ، المتصل نسبهم بالرسول عليه الصلاة والسلام كما ساقه المحبي أمين ، والمرادي خليل ، والغزي كمال الدين في تواريخهم المشهورة ، وقد ترجم الناظم المذكور البستاني في« دائرة المعارف » في حرف الحاء .

وأما مولده فدمشق الشام سنة ١٢٣٦ وقد نشأ في حجر والده ودخل المدرسة

سنة ١٢٤٨ فأخذ الفقه والنحو والصرف والأصول والكلام عن الشيخ سعيد الحلبي ، وتلقى الحديث الشريف والمصطلح والبيان عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والتفسير والتصوف عن الشيخ حامد العطار ، والمعاني والبيان عن الشيخ عمر الآمدي ، والفرائض والحساب والعروض عن الشيخ حسن الشطِّي ، والحكمة والوَضْع والآداب عن الملاَّ أبي بكر الكردي ، وأسانيد الكل مُدرجة في أثباتهم ، وتعاطى المترجَم النيابات الشرعية سنة ١٢٦٠ ، وسافر إلى إسلامبول وأناطولي سنة ١٢٦٨ بعد أن انتظم في سلك الموالي سنة ١٢٦٦ ، وتولى إفتاء دمشق الشام سنة ١٢٨٤ ، وتدرج في الطريق العلمية ، مدرساً مثمناً مخمساً مثنياً ، إلى أن أناخ الراحلة . . في فسطاط إسلامبول - يعني بذلك المدارس الثمانية والبلاد الخمسة والحرمين الشريفين وإستانبول ، وهي رتب معروفة بلغ المترجَم الأخيرة منها - مع ما يتبع ذلك من العلامات الرسمية مثنى وثلاث ورُباع مجيدية وعثمانية - يشير بذلك إلى الثاني والثالث والرابع من الأوسمة المجيدية والعثمانية - لم تر قط عليه ، ولكنها في الصندوق لديه .

وأما آثاره فله تفسير القرآن بالحروف المهملة المسمى بـ« در الأسرار » جلدان ، و« دليل الكمل إلى الكلم المهمل » ، و« الفتاوى النظم » ، و« الفتاوى الحمزاوية » - أو المحمودية - جلدان ضخمان ، ونظم الجامع الصغير للإمام محمد نحو ثلاثة آلاف بيت من البسيط ، ونظم أصول الفقه نحو ذلك ، وهو نظم « مرقاة الأصول »لملا خسرو ، و« القواعد الفقهية » ، و« قواعد الأوقاف » ، و« تحرير المقالة في الحوالة والكفالة » ، على مثال غير مسبوق ، وجدول الأحق بحضانة الولد ، وخلل المحاضر والسجلات و« كشف الستور عن المهايأة في المأجور » ، و« كشف القناع » شرح بديعة والده ، و« غنية الطالب شرح رسالة الصديق لعلي بن أبي طالب » ، و« تنبيه الخواص ، على أن الإمضاء من القضاء في الحدود لا في القِصاص » ، وجزء في الدرهم والمثقال ، و« مصباح الدراية في اصطلاح الهداية » ، و« التفاوض في التناقض » ، و« رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة » ، و« النور اللامع في أصول الجامع » ، و« التحرير في ضمان الآمر والمأمور والأجير » ، و« تصحيح النقول في سماع دعوى المرأة بالمهر بعد

الدخول » ، و« فتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص » ، و« كشف المجّانة عن الغسل في الإجّانة » ، و« الكواكب الزاهرة في الأحاديث المتواترة » ، وشرح صلاة ابن مشيش ، والعقيدة الإسلامية وكتاب ترجيح البينات المسمى بـ« الطريقة الواضحة » ، و« عنوان الأسانيد » ، و« الأجوبة الممضاة في أسئلة القضاة » ، و« مختصر الجرح والتعديل » ، و« صحيح الأخبار عن التنقيح ورد المحتار » ، و« إعلام الناس عن قيمة الماس » ، و« القطوف الدانية في خبث أجر الزانية » . هذا ما في استحضار الحواس بلا التباس .

أما أخلاقه فمنها أن عنده مطالعة الكتاب مقدمة على منادمة الأحباب ، يكره كثرة المخالطة ، ويأنف المشاططة والمغالطة ، لايحبُّ الدخول فيما لايعنيه ، ويكره أكلَ لحم أخيه ، يَفِرُّ إلى الجبال ، كيلا يحضر مجامع الرجال ، ويرجح راحة البال على كثرة المال ، متكاسل في سعي الأقدام إلى منازل الأنام ، عنده مِنَّة الرجال أثقل من الجبال ،متباعد عن قيل وقال ، ومختار للوحدة على كل حال ، يميل إلى السكوت ، كميله إلى ضروري القوت ، والله تعالى أعلم هل ذلك لجبن فيه ، أم لقلة موفيه ، وبهذا القدر كفاية :

كيف تُهدى نقائصي للكمالِ | هل تُساوَى قبائحٌ بالجمال
ليس إلا امتثال أمرك أدى | لارتكابي لديك سوء خصالي

انتهى كلامه .

قال العالم النابغة الشيخ سعيد الباني في بعض كتبه معلقاً على الترجمة السابقة بما خلاصته : كان صاحب الترجمة رحمه الله على جانبٍ عظيم من حِدَّة الذهن ووفرَةِ العقل والأناة والرويَّةِ والهيبَة وحسن السَّمْت وبهاء الطلعة ، وقد نال حظاً وافراً من سعة الجاه ورفعة المكانة ، فكان مبجَّلاً عند العامة والخاصة ، مقبولَ الشفاعة عند أولياء الأمور ، حتى إنَّ السلطان عبد الحميد العثماني ، قد قبل شفاعته بأعيان المدينة المنورة المنفيِّين إلى دمشق وقتئذ ، وصدرت إرادته السلطانية بإعادتهم إلى وطنهم مكرَّمين ، مع التكرم على صاحب الترجمة بالسلام السلطاني ، ولما تبلغ المترجَم ذلك اغرورقَتْ عيناه بالدموع مصرِّحاً لجلسائه بدنو الأجل لبلوغ

نهاية الأمل ، وقد كان ذلك ، فلم يمض قليل حتى توفاه الله تعالى ، فشُيِّعتْ جنازته بمحفلٍ عظيم ، مشى فيه العلماءُ والأشرافُ والأعيانُ والأمراءُ والخاصُّ والعام ، وأسِفَ الناس لفقده أشدَّ الأسف ، ورثاه أهلُ الفضل والأدب . قال : ومن غرائب الرؤيا ما شاع وذاع في دمشق ، وهو أن الشيخ محمد الهلالي الشاعر الشهير ، رأى في منامه صاحب الترجمة بعد وفاته بسنتين يأمره بأن ينظم تاريخ وفاة للشيخ سليم العطار ، فسأله : ما الذي يقوله في التاريخ؟ فأجابه قل : (**فرقد العلم توارى في الحجاب**) فاستيقظ مدهوشاً مذعوراً ، ثم حسب حروف هذه الجملة فإذا عددها ١٣٠٧ ، وهي سنة الرؤيا ، فنظم أبياتاً من بحر هذا التاريخ وقافيته وختمها به تحضيراً لمفاجآت الزمان ، ولم يمض قليلٌ حتى توفي العلامة العطار بالتاريخ المحرَّر ، وكتب على قبره النظمِ المذكور . ثم قال : وبالجملة فقد كان المترجَم من العلماء المتفنِّنين والفقهاء المحقِّقين ، فقد غاص بحرَ المذهب النعماني ، فاستخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، وطبَّق الأحكام على الواقعات مدَّة تقلُّده فتيا دمشق التي بلغت عشرين سنة ، وقد اشتهرت براعتُه بالفتوى في الأمصار ، فكان يُستفتى من أقطار السلطنة العثمانية وغيرها ، حتى من الأقطار الأوربية ، وقد أهداه عاهلُ فرنسة نابليون بندقيةَ صيدٍ محُلاةً بالذهب ، لأنه كان يحبُّ الصيد ويجيد الرمي - وقيل : أهداه إياها مكافأةً على مساعِدته للمسيحيين في حادثة ١٨٦٠ - وكان لفرط براعته يكتبُ سورة الإخلاص على الرزَّة ، وكتب مرة أسماءَ أهل بدر الكرام على ورقةٍ تحتَ فصِّ خاتمٍ من ياقوت وأهداه لوالي الشام وقتئذ . ولولا انصرافُه إلى العلوم الشرعية والعقليَّة لأتى بالعجيب من آثار الصنعة اليدوية ، وكانت مجالسُه مشحونةً بالبحث مع جلسائه في الموضوعات العلمية ، وكان يكره الغِيبة والفضول والسَّمَر بغيرِ مذاكرة العلم ، وقبل وفاته ببضع سنين لزم العُزْلة في داره لأسبابٍ ظاهرة وباطنة ، فلم يكنْ ليخرج إلا لأداء الجمعة في مسجد حيِّه ، وقد زادتْ عزلتُه هذه في رفعة قَدْرِه ، فكان أولياءُ الأمور والأعيان والوجهاء على اختلاف طبقاتهم يؤمون منزله لزيارته وتقبيل يده ، وكانت مقررات مجلس الإدارة تُعرض عليه فيوقع على ما يراهُ منها صواباً ، ويرفض غير ذلك . قال : وسيرة المترجَم لا يفي بها سوى مجموعةٍ خاصةٍ تغمَّده الله برحمته ورضوانه آمين ، انتهى .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال في وصفه ما مختصره : إمامٌ رفع للعلوم راية ، وجمع بين الرواية والدراية ، فأصبح وهو كاسرُ الوسادة ، بين الأئمة والسادة ، يشنِّف المسامعَ بفرائد كلامه ، ويشرح الخواطرَ بمنثور أقلامه ، قد أجمعت العقلاءُ على فضله وأوجبت لذِكْره التخليد ، فالعالِم عرفه بعلمه ، والجاهل اعتقده بالتقليد ، وهو منذ لاح هلالُه في أوجه ، لازال بحرُ فضله آخذاً في موجه ، بزغ من أفق دمشق وبها برع ، وترقَّى إلى أن بلغ ما فوق الطمع . . أحسن القراءة والكتابة وهو ابنُ اثني عشر ، ثم جدَّ في طلب العلم على السادة الغُرَر ، حتى فاقَ أقرانه ، وفضل أترابه وأخدانَه ، وتخرَّج على مشايخ عصره الأفاضل ، حتى احتوى على أنواع الفضائل . . وعلا شأنه في الآداب وفاق ، وطار صيتُه في الأقطار والآفاق ، وعُيِّن في أيام شبابه نائبا في محكمة البزورية ، ثم في محكمة السنانية ، ثم في محكمة الباب الكبرى ، وفي سنة ١٢٦٦ عَقِب وفاة والده صار عُضواً في مجلس أيالة الشام الكبير ، وفي سنة ١٢٦٧ عُيِّن مديراً لأوقاف الشام ، وفي سنة ١٢٦٨ فوضت إليه رياسةُ مجلس الزراعة ، وفي سنة ١٢٦٩ صار ناظراً للويركو ، ولما نقل عارف باشا والي دمشق الأسبق إلى أيالة خربوط ، عُيِّن المترجَم كتخداً له فتوجَّه صحبته إلى الأيالة المذكورة ، ثم عاد إلى دمشق ، وأعيد لعضوية المجلس الكبير ، وفي سنة ١٢٧٣ أضيفت له مع العضوية المذكورة مأمورية الدفتر الخاقاني في أيالة الشام ، وفي سنة ١٢٧٧ عُيِّن في هيئة المجلس الذي ألفه المرحوم فؤاد باشا الشهير في حادثة النصارى المشؤومة . ولما أزمع الوزيرُ المشار إليه على نفي الأعيان وإيقاعهم في حضيض الهوان شهد له الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، وهو يومئذٍ عين الشام وهامُها وسيدُها وهُمامها ، بأنه ممن قاموا بواجب الحماية ، ولم يقصِّروا في حق الرعاية ، فاستثنى المترجَم من التكاليف والنوائب ، ولاحظَتْه عين العناية من كلِّ جانب ، وأدامت الحكومة إجلاله ، ولم يزلْ عضواً في مجلس الأيالة ، واضطرَّه الأمر إلى أن قال في بلده ما لا يقال ، إذ نظم للوزير المشار إليه قصيدة (٤١ بيتاً) مطلعها :

أشرقت بالعدل أنوارُ الشآم مذ فؤاد الملك أولاها نظامْ

وآخرها

بئس مصرٌ قد خلت من حاكمٍ جَـوْرُ سلطـانٍ ولا عَـدْلِ العَـوامْ .

ولولا أنَّ أهل الشام من شيعةَ أهلِ البيت ، لقوبلت تلك القصيدة بكيت وكيت ، وربما يعتذر بأنه جعل ذلك وسيلَة للخلاص ، مما دهى غيره ولات حين مناص . وفي سنة ١٢٨٤ فُصلت فتوى الشام عن أمين أفندي الجندي ، ووُجِّهت إلى صاحب الترجمة ، وفي سنة ١٢٩٩ أضيفت إليه أيضاً مديرية معارف سورية . وكان أول رتبة وُجِّهت إليه باية أزمير المجرَّدة سنة ١٢٧٢ ، وما زال يترقَّى في الرُّتب والأوسمة . . إلى أن وُجِّهت إليه باية استانبول مع الوسام المجيدي من الدرجة الثانية وذلك سنة ١٣٠٠ . فزاد قدره ومقامه ، وشاع ذكره واحترامه . . وألَّف مؤلفاتٍ كثيرة ورسائلَ شهيرة ، وله ديوانُ شعر بديع ، قد جمع فيه أنواع البديع . . وكان كثيرَ المذاكرة ، حسنَ المحاضرة ، ذا نطق فصيح ، وذكاء مليح ، وحافظة جيِّدة ، وتقريراتٍ قيمة ، ولم يَزَلْ صيته ينمو ، وقدْرُه يعظم ويسمو ، إلى أنْ دعاهُ داعي المنون فإنا لله وإنا إليه راجعون . انتهى باختصار .

قلت وبالجملة فقد كان المترجَم بهجةَ عصره ومفخرةَ مصرِه علماً وأدباً وتفنناً في العلوم العقلية والنقلية ، ولاسيما الفقه الحنفي ، كما تدلُّ على ذلك مؤلفاتُه المشتملة على كثير من التحقيقات ، وقد طُبع بعضها وانتفع الناس بها ، كالتفسير المهمل ، والفتاوى النظم ، والقواعد الفقهية ، ورسالة أخذ الأجرة على التلاوة ، ورسالة سماع دعوى المرأة بكامل المهر بعد الدخول ، ورسالة حل ما صيد بالرصاص ، والعقيدة الإسلامية وترجيح البينات ، وغيرها . وشاع فضله في المشارق والمغارب وخضع لعلمه القاصي والداني ، وصار له الحظوةُ التامة عند الدولة العثمانية ، والكلمة النافذة لدى الطبقات المختلفة ، ومن شعره قوله قدس الله روحه :

الناس للخير ما أحلى ظواهرهم وفي بـواطنهـم للشرِّ إخـراجُ
مثل المنارةِ في اعتدال ظاهرها لكـنَّ بـاطنهـا دَوْرٌ وأدراج

وكتب إلى معاصره العلامة الفقيه الشيخ عبد الغني الميداني قوله :

قبَّـةٌ محكمـة أبـوابهـا ليس يدرى ما بها منذ سنينْ
فتـح الله لنـا أقفـالهـا فـادخلـوهـا بسـلام آمنينْ

وكتب على رسمه بخط يده قوله :

أيُّـها النـاظـرُ ظـلَّ صـورتي ذِا أنـا مـن حيـث نفسي ذا أنـا
وإذا لاحظـتَ مـن صـوَّرني فـأنـا بـاقٍ ومـالي مـن فَنَـا

وقد فوَّض أمانةَ الفتوى في عهده إلى الشيخ محمد البيطار ، والشيخ أحمد الحلبي ، والشيخ أحمد عابدين ، ثم ولده الشيخ أبي الخير عابدين ، وطاهر أفندي حمزة ، وجعل أبا الخير أفندي الأسطواني مسوِّداً .

ومازال صاحبُ الترجمة يزدادُ فضلاً ويعلو قدراً إلى أن توفي في اليوم التاسع من الشهر المحرم سنة خمس وثلاثمئة وألف ، ودفن بجوار أسرته في مقبرة الدحداح وأرخ وفاته الشاعر الهلالي بقوله :

قـد دعـا الله إلى دار السـلامْ حُجَّـةَ الإسـلام مـولانـا الهُمـامْ
عـالِمُ العـالَمِ محمـودُ العُلى مـن بنـي حمـزةَ سـاداتِ الأنـامْ
مـذ أتـى ظهـراً إلى روضتِـهِ قـالـتِ الحورُ ادخلـوهـا بسـلامْ
يـوم تـاسـوعـا تـوارَى أرِّخـوا **نجـم مفتـي الشـامِ محمـودُ المقـامْ**
١٣٠٥

سعيد أفندي الأسطواني

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو العلامة الفقيه الأديب المتفنن الصدر المحتشم الورع الكامل سعيد بن محمد أمين بن سعيد بن علي المعروف كأسلافه بالأسطواني الحنفي .

ولد بدمشق سنة ١٢٣٧ وقرأ على علمائها وقتئذ ، كالشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ هاشم التاجي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي وغيرهم ، وجدَّ واجتهد وتفنَّن وفاق أقرانَه . ومهر في الفقه وأصوله والحديث ومصطلحه ، والتفسير والفرائض وغيرها ، حتى ملك

أزِمَّتها واستكمل حَوْزَتها . . وانعقد الإجماع له على مشيخة الحنفية بدمشق ، وتولىً الخطابة في الجامع الأموي ، وإمامة الحنفية به . وكان له خُطَبٌ بديهية ومواعظُ حسنةٌ تؤثِّر في النفوس ، وقد صار عضواً في المجلس الكبير بأيالة الشام ، ونال من الحكومة العثمانية رتبةَ أزمير ، والوسام المجيدي الرابع . ولما صارت التشكيلاتُ الجديدة ، وأُلِّف مجلسان أحدهما مجلس إدارة الولاية ، والثاني مجلس دعاوي دمشق ، عُيِّن عضواً في الأول . ثم نائباً في محكمة الباب ، ثم رئيساً في مجلس الدعاوي ، ثم قاضياً في طرابلس الشام سنة ١٢٨٤ ، ثم ولي القضاء الشرعي بدمشق سنة ١٢٨٦ ، وبقي فيه مدة ثم استقال منه بسبب خلافٍ وقع بينه وبين والي دمشق وقتئذ من أجلِ إقامة الحدِّ على السارق ، فلزم دارَه للتدريس والإفادة ، وكان حسن التقرير ، له في اللغة والأدب اليدُ الطُّولى ، وقد كتب تعليقات على حاشيةِ ابن عابدين والطحطاوي والأشباه والنظائر . وكان كريمَ الأخلاق والسجايا ، واسعَ الصدر ، قوّالاً بالحق ، مُهاباً عند الحكّام ، محبوباً عند الخاص والعام . وبالجملة فقد كان من علماءِ دمشق الأعلام وأعيانها العظام ، وكان مجلسُه مشحوناً بالمذاكرة العلمية والمساجلة الأدبية .

وكانت وفاته سنة ١٣٠٥ وصلى عليه في داره العلامة الشيخ سليم العطار بوصيَّةٍ منه ، ومن وصيَّته أن تُغطَّى جنازتُه بثوب أبيض لا غير ، وأن لا تفعل النساءُ في داره شيئاً من المنكرات والعوائد ، وقد مشت في جنازته خلائق لا تحصى ، ودفن في سفح قاسيون بتربة سيدنا ذي الكفل ، ومن أولاده القضاة الثلاثة ، عبد القادر أفندي وأسعد أفندي المتوفيان في حدود سنة١٣٣٠ ، وأمين أفندي الآتية ترجمته رحمهم الله تعالى .

أحمد مختار بك قاضي دمشق

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته : أحمد مختار خالد بك أفندي القاضي العام بدمشق الشام . هو الإنسان في حَدَقَةِ الزمان ، واللسان المصون عن زلَّة البيان ، دخل دمشقَ قاضياً في أواخر رجب سنة ١٣٠٤ فعامل الناس باللطف والإكرام ، وصار له جلالةٌ ومحبَّة في قلوبِ الخاصِّ والعام ، وكان

مصوناً عن أخذ شيء من المال ، تقياً نقياً حسنَ الخِصال ، ولم يزل ينهجُ منهج العبادة إلى أن دَعتْه المنية إلى دار السعادة ، فلبّى الدعوة مطهراً تطهيراً ، لم يأخذ من الناس قليلاً ولا كثيراً .

وكانت وفاته في عاشر المحرم سنة خمس وثلاثمئة وألف عن نحو سبعين عاماً ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير في قبر والده ، رحمهما الله تعالى .

علي بك مردم بك

ترجمه لنا حفيد أخيه الأستاذ خليل بك قال ما خلاصته : هو علي بك بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بمردم بك القرمشي . ولد سنة ١٢٢٥ تقريباً ونشأ في حجر والده ، وقرأ على بعض الشيوخ ، ودخل في سلك المحكمة الشرعية ، وكان معروفاً بحسن الخلق وسعة الصدر وبعد النظر وحسن التصرف بالأمور ، يجيد اللغة التركية مع معلومات لا بأس بها في الأحكام الشرعية واللغة العربية ، وبراعة في المعاملات الرسميَّة والإدارية .

واستنقذ هو وأخوه عثمان بك ما اندثر من أوقاف جدِّهما الأعلى لالا مصطفى باشا ، فصار لهما ولأسرتهما ثروةٌ كبيرة ، وانتُخب عضواً لمجلس إدارة الولاية مدة طويلة ، ومنها سنة ١٢٩٧ إلى سنة ١٣٠٣ ، وعيِّن عضواً في ديوان التمييز سنة ١٢٩١ إلى سنة ١٢٩٦ برتبة أزمير ثم باية مخرج ، وكان موضعَ ثقة ولاة دمشق ، وقد بلغ بجدِّه ومقدرته غايةً قصوى من الجاه والثروة وما زال يلبس الجبة والعِمَّة إلى آخر حياته .

وكانت وفاته سنة خمس وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مدفن بني مردم بك بسوق السنانية ، وأعقب ولده الوجيه الكبير حكمت باشا المتوفى سنة ١٣٢١ رحمه الله تعالى .

أحمد أفندي السفرجلاني

ذكره الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال : هو أحمد بن عبد الله

ابن خليل السفرجلاني الدمشقي ، الأديب الشاعر ، والموسيقي المتفنِّن ، أحد مؤرِّخي دمشق ، توفي سنة ١٣٠٥ ودُفن في مقبرة الدحداح ، انتهى .

قلت : لم أطلع على تاريخ للمترجَم ، وإنما رأيت له رسالة مطبوعة في فن الموسيقى ويقال : إنه كان من أركان الروايات التي مثَّلها بدمشق أبو خليل القباني الروائي الشهير والله أعلم ، وقد أعقب ولدَه صالح أفندي والد أحمد أفندي المتوفى عقيماً رحمهم الله تعالى .

الشيخ علي شورَى

ذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : قدِم المترجَم دمشق مع والده الشيخ عبده أحد أطباءِ مصر ، وكان لهما مهارةٌ في الطب القديم على قلة الأطباء في زمنهما ، وكانت وفاةُ صاحب الترجمة قبل وفاة والده سنة ١٣٠١* وأعقب المترجَم ولده الطبيب عبد الرحمن أفندي والد الأخوة الثلاثة الدكتور صالح أفندي ، وصاحب المطبعة مصطفى أفندي رحمهم الله ، والصيدلي صادق أفندي الموجود الآن .

وفيات سنة ١٣٠٦

الشيخ علاء الدين عابدين

ترجمه الأستاذ البيطار والسيد تقي الدين في تاريخيهما المعروفين فقالا ما خلاصته : هو علاء الدين ابن العلامة السيد محمد بن السيد عمر عابدين الحسيني الدمشقي الحنفي الخلوتي .

ولد بدمشق الشام في ٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٤ ومنذ تميزه قرأ القرآن الكريم إلى أن أتقنه غايةَ الإتقان ، ثم اشتغل بالطلب إلى أن نالَ منه ما طلب ، فأخذ عن جملةٍ من العلماء دمشقيين ومصريين وحجازيِّين ، ومنهم أستاذ والده الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ حسن الشطِّي ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ هاشم

التاجي ، وشيخ الأزهر الشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ عليش والشيخ السقا ، والشيخ أحمد دَحْلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة ، والشيخ يوسف الغزِّي رئيس المدرِّسين بالمدينة المنورة ، وأخذ عن كثير من الواردين عراقيين وروميين .

وتلقى الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد المهدي نزيل دمشق ، وحج البيت الحرام أربع مرات ، وولي أمانة الفتوى في دمشق بزمن المفتي أمين أفندي الجندي ، ثم رحل معه إلى الآستانة دار السلطنة العثمانية فصارا عضوين في جمعية تأليف المجلة الشرعية وذلك سنة ١٢١١* وبعد ثلاث سنوات استقال المترجَم من وظيفته هذه وحضر إلى دمشق براتب شهري مع باية أزمير المجرَّدة والوسام المجيدي الرابع .

وقد طُلب منه وهو في الآستانة أن يكمل حاشية والده الشهيرة فلما عاد ولي نيابة المحكمة الشرعية وعضوية ديوان التمييز ، وتفرغ لتأليف التكملة فأنجزها وسماها« قرة عيون الأخيار بتكملة رد المحتار على الدر المختار » ثم أرسلها إلى الآستانة فطُبعت على نفقة الحكومة ، ثم أعيد طبعها في مصر وعمَّ نفعها . وألف مؤلفاتٍ أخرى منها « الهدية العلائية » لتلامذة المكاتب الابتدائية . طُبعت في دمشق ، ومنها شرح « نور الإيضاح » في مجلد كبير ، ورسالة فيما أدخلَتْه العوام على اللغة العربية وغير ذلك ، ثم إنه في شوال سنة ١٢٩٢ ولي القضاء الشرعي في طرابلس الشام ، واستمر فيه سنتين ونصف سنة ، وفي سنة ١٢٩١ عُيِّن رئيساً للجمعية الخيرية بدمشق ، وفي سنة ١٣٠٠ صار رئيساً ثانياً في مجلس معارف سورية ، وترقَّى في الرتب العلمية إلى مولوية أدرنه ، فباية بروسه من البلاد الخمسة ،فرتبة الحرمين الشريفين مع الوسام المجيدي الثالث وذلك سنة ١٣٠٤ ، وكان يميل إلى كلام القوم والطرق الصوفية ، وبالجملة فقد كان فقيهاً كثير الفوائد حسن المحاضرة مُحتشماً مُهاباً ، كريمَ الأخلاق ، جمع بين الفضيلة والوجاهة .

ولم يزل يشتغل بالإفادة والعبادة ، ويشتهر ذِكرُه ويعلو قدرُه ، إلى أن مرض أياماً وتوفي يوم الاثنين حادي عشر شوال سنة ست وثلاثمئة وألف ، وحضر جنازته جمٌّ عفير ، حتى غصَّتِ الطرقُ بالناس ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير قريباً من قبر والده ، وكان عقيماً من الذكور رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الطنطاوي

ترجمه تلميذاه الأستاذ الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه المخطوط ، والأديب الشيخ عبد المجيد الخاني في تاريخه المطبوع ، قالا ما خلاصته : هو محمد ابن مصطفى الطنطاوي مولداً ، الدمشقي موطناً ، الشافعي مذهباً .

ولد سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف في بلدة طنطا من أعمال مصر القاهرة ، ونشأ يتيماً في حجر أخيه الأكبر ، وحفظ القرآن المجيد وحصَّل بعضَ العلوم العقلية والنقلية في جامع السيد البدوي ، ثم سافر إلى حلب ، وقرأ على الشيخ أحمد الترمانيني وغيره وأجازوه ، ثم قدم دمشق سنة ١٢٥٥ فأقام بها خمس سنين ، وتلقَّى الطريقة النقشبندية عن الأستاذ الشيخ محمد الخاني الكبير ، وبقي نزيلَهُ هذه المدة . وحضر كثيراً من دروس محدِّث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري والعلامة الشيخ سعيد الحلبي ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي . ثم عاد إلى مصر سنة ١٢٦٠ واشتغل في الجامع الأزهر خمسَ سنين أيضاً ، فقرأ على العلامة الكبير الشيخ إبراهيم الباجوري ، والعلامة الشهير الشيخ إبراهيم السقَّا ، والعلامة الفهَّامة الشيخ محمد الخضري وغيرهم ، وبالأخير كان انتفاعُه في العلوم الغريبة ، ثم رجع إلى دمشق سنة ١٢٦٦ وقد أتقن كافَّة الفنون ، وصار آيةً باهرة في المعقول والمنقول ، فطفق ينشر لواء العلوم ويبث أرواحَ الفهوم ، وانتفع به من الطلبة جمٌّ غفير وعدد كبير ، وكان يجلس في حجرة من جامع سيدي صُهيب الرومي ، ولم يزل على ذلك إلى سنة ١٢٧٨ وفيها انتقل إلى داخل دمشق بأمر السيد الأمير عبد القادر الجزائري ، حيث استأجر له داراً وعين له معاشاً ، وأرسل إليه أولادَه ليقرئهم عنده ، فاتخذ حجرة في المدرسة البادرائية ، فأقرأهم وأقرأ كثيرين غيرهم ، وكان له في كلِّ فنٍّ تدقيقات وآثار ، ومن آثاره أنه لما طرأ خلل على حجر البسيط الذي وضعه العلامة ابن الشاطر في منارة العروس من الجامع الأموي ، وضع المترجَم بسيطاً حسبه على الأفق الحقيقي ، وزاد فيه قوس الباقي للفجر ، ثم أنزل القديم وجعل هذا مكانه في يوم مشهود . قال الخاني : وقد أرخت ذلك بقولي :

رسم البسيط بغاية التأسيس

إلى أن قال في الختام :

ما قال أهل الشام في تاريخه   تم البسيط بنفحة القدوس
١٢٩٣

وللمترجم في حساب البسيط ورسمه وحساب الربع ورسمه ، رسائل تكتب بماء الذهب ، منها « كشف القناع ، عن معرفة الوقت من الارتفاع » ، وله تقريرات على كافة الكتب التي قرأها ، مشتملة على حلِّ مشكلات وإيضاح مبهمات ، أكثرها بخطه ، غير أنَّ دهرَه في آخر أمره عانده ، وعاكسه في مصالحه وما ساعده ، فقابل ذلك بالتسليم والرضى ، لعلمه أنه من القدر والقضا .

وكانتْ وفاته يوم الأربعاء سلخ ربيع الثاني سنة ست وثلاثمئة وألف ، وصليِّ عليه في الجامع الأموي بمشهد عظيم ودفن في مقبرة الباب الصغير ، انتهى .

الشيخ حسن جبينة الدسوقي

ترجمه قريبه أستاذنا الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه قال ما خلاصته : هو حسن بن أحمد بن عبد القادر الشهير بجبينة - كجهينة - الحلبي الأصل ، سِبط العلامة الشيخ محمد الدسوقي الشافعي الدمشقي الخلوتي ، العالم الفقيه النِّحرير . كان إماماً بارعاً مشاركاً في عدَّة فنون ، له استحضار حسن في الفروع الفقهية .

ولد بدمشق سنة ١٢٤١ وسار بسيرةِ أسلافه الدسوقيين في العلوم والطريق ، فقرأ على الشيخ هاشم التاجي بعضَ المبادئ ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، ولقَّنه الذكر ، وألبسه الخرقة وأجازه بأورادها ، وحضر في الفقه على كلٍّ من الشيخ محمد الخاني الكبير والشيخ أحمد البغَّال والشيخ عبد القادر الخطيب ، وقرأ في النحو على الشيخ عبد الرحمن بيازيد ، ولازم الملازمة التامة دروس الأستاذ الشيخ قاسم الحلاق ، فقرأ عليه مُعظم كتب الفقه والحديث وغيرهما ، وأعاد له دروسه في جامع السنانية بين العشاءين ، ثم بعد وفاته لازمَ فريدَ عصره الشيخ سليم العطار ، فسمع منه مجالس من الإحياء والبيضاوي والقسطلاني وغير ذلك .

واستجاز من مشاهير علماء عصره من دمشقيين وغيرهم وجمع ذلك في ثبت ، فمنهم العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري والشيخ إبراهيم السقَّا المصريان ، والشيخ أحمد زيني دَحْلان مفتي مكة ، والمولى محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق ، والأمير السيد عبد القادر الجزائري وغيرهم . وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ مصطفى سلهب حين ورد إلى دمشق ، وأخذ الطريقة البكرية عن السيد حامد التقي الدمشقي ، ولما نُقل الشيخ قاسم المنوَّه به إلى إمامة جامع السنانية صار المترجَم في مكانه إماماً بجامع حسَّان ، وقرأ فيه وفي جامع السنانية دروساً خاصة وعامة ، وانتفع به كثير من الطلبة ، وكان رحمه الله تعالى لطيفاً ظريفاً ، سخيَّ الكف ، متواضع النفس ، يغلب عليه السكون والقناعة ، له منادمةٌ لطيفة ، واطلاعٌ واسع على أخبار المتقدِّمين ، وألَّف رسالة في الأخلاق أخذها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، وله غير ذلك من الرسائل ، وكان لا يخلو من دُعابة ومنها قوله في شرائط السيران :

إنْ ترغبوا ياقومُ في السَّيْرانِ ... فجمِّعوا دراهم الإخوانِ
وبعدُ سيروا بالسرور والهنا ... وأرسِلوا أكلاً لنا يصحَبُنا
وهيئوا هذا الذي ذكرتُه ... ونوع حلوى ليس يخفى نعتُه
واصطحِبوا صوتاً جميلاً حسناً ... ومن يكونُ مطرباً يُضحكُنا
وأبعِدوا عنَّا عذولاً يرقُبُ ... وإن تشاؤوا في الرياض فالعبوا
وانتخبوا لنا مكاناً معتبَرْ ... وأجلسونا حولَ زَهْر ونَهَرْ
لنجتلي ثلاثةً تجلو الحزَنْ ... الماءَ والخضرةَ والشكلَ الحسَنْ

ولم يزل المترجَم على سيرةٍ حميدة إلى أن أصابه مرض الاستسقاء وطال به إلى أن توفي قبيل عصر الثلاثاء ثاني عشر محرم سنة ست وثلاثمئة وألف ، وشهد جنازته جملةٌ من العلماء ، وصلَّى عليه في جامع السنانية ابنُ أخته الشيخ محمد سعيد الحلاق ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير بجوار مقام سيدنا بلال ،رحمه الله تعالى .

أحمد مُؤيَّد باشا العظم

ترجمه لنا أحد أحفادِه الفضلاء ، قال ما خلاصته : هو أحمد مؤيد باشا ، ابن نصوح باشا ، ابن سعد الدين باشا ، ابن إسماعيل باشا ، ابن إبراهيم باشا الجدّ الجامع لآل العظم ، ولد المترجَم في مدينة حماه سنة ١٢٢١ وهو جد الأسرة المعروفة الآن باسم المؤيد ، وقد درج على التكني بهذا الاسم أولادُ صاحب الترجمة وأحفادُه عملاً بوصيته التي أراد بها إحياء ذكره . توفي نصوح باشا المشار إليه وكان ولده المترجَم لا يتجاوز الثامنة من العمر ، فربَّته والدتُه السيدةُ أمُّ الخير الكيلانية ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره حملَتْهُ والدته المنوَّه بها إلى دمشق فأقامت فيها معه ، ولما أتم سنَّ البلوغ زوَّجَتْه ، ثم تزوَّج بأكثرَ من تسع نسوة ، وخلَّف نسلاً من أكثرهن حتى بلغ عددُ أولاده سبعة عشر بين ذكرٍ وأنثى ، ووُلد جميعُ أحفاده في حال حياته ، كما أن كثيراً من أولاد أحفاده ولدوا في حياته أيضاً ، وقد بلغ عدد أولاده وأحفاده إلى يوم وفاته اثنين وثمانين شخصاً ، وكان يعدُّ من أغنى أهل عصره في سورية ، حيث إن جميعَ الثروة المخلفة عن جدِّه وأبيه قد انحصرت فيه وفي أخته خديجة خانم ، وكان يرغب في السكنى بعيداً عن المحلات المأهولة ، فقد سكن داره في جسر الصالحية مع انقطاعها عن دمشق وقتئذ ، ثم بنى داره في رأس بيروت ، فكان يقضي فيها فصل الشتاء ، وهي الآن قسم من مستشفى الكلية الأميركانية ، ثم بنى الدار المعروفة باسمه حتى اليوم في قرية عاريا من أعمال لبنان ، وكان يقضي فيها فصل الصيف . وقد كان رحمه الله بالنسبة لأقرانه متعلماً محباً للعلماء صالحاً تقياً .

وكانت وفاته سنة ست وثلاثمئة وألف عن خمسة وثمانين عاماً ، ودُفن في جامع الجسر بدمشق ، وأرَّخ وفاته الشاعر الهلالي بقوله :

دعـا الأجَـلُ البـاشـا المـؤيَّـدَ أحمـداً … أجلَّ عظيم قد قضى من بني العظمِ
هوى من سماءِ الفضل والجود للثرى … فمـن أجـل هـذا أقسـم الله بـالنجـمِ
سليل الفتى الغازي النصوح الوزير من … أزاح العِـداَ عـن مصر بـالحزم والعـزمِ

وللـروح والـريحـان ثـم مـؤرخـاً   مضى كوكب الإحسان بالمجد والعلمِ
١٣٠٦

السيد عبد القادر سلطان

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه ، وأخبرنا عنه بعض الفضلاء من أحفاده . فهو عبد القادر بن محمد بن محمد شفيع خان المعروف بسلطان الطاغستاني الأصل ، الدمشقي الشافعي . قدم جدُّه المذكور دمشقَ في أوائل القرن الثالث عشر مهاجراً من بلاده ، وكان له بها إمارة ، ثم انتقل إلى مكة ومات بها ، وبقي ابنه محمد والد المترجَم في دمشق وتقدَّمت ترجمتُه في تاريخنا السابق ، وقد ولد صاحب الترجمة بدمشق ، ونشأ بها ملازماً علماءَ عصره ، وصار معيداً لدرس الشيخ أحمد مسلم الكزبري تحت قبة النسر ، ووُجِّهت إليه الخطابة والإمامة في التكية السليمانية ، وتولى وظيفة التوقيت ورياسة المؤذنين في جامع بني أمية ، وهي إحدى النوبات الثلاث في الجامع المذكور ، وسافر المترجَم إلى الآستانة دار السلطنة العثمانية ، ورحل إلى الحجاز ، وصار له الحظوةُ التامَّة عند الشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة ، وكان صاحبُ الترجمة جسوراً مِقداماً ، فصيحَ المقال ، أميراً في مجلسه ، ويقال إن له معرفةً في علم الهيئة ورسالة فيه تبلغ مئة صحيفة .

وكانت وفاته سنة ست وثلاثمئة وألف ، ودُفن على والده في مقبرة الدحداح ، وأعقب أولادَه الثلاثة السيد سليم أفندي رئيس المؤذنين الآن ، والسيد أديب المتوفَّى بعد والده ، والسيد محمد المتوفى قبله عن ولده الشيخ حسن أفندي المتوفى أخيراً رحمهم الله تعالى .

محمد أفندي الإسكندراني

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : هو محمد بن أحمد الإسكندراني ثم الدمشقي ، أحد علماء الطب في دمشق . ألَّف مؤلفاتٍ تدلُّ على فضله ومهارته في فنه ، منها كتاب « كشف الأسرار الربانية (القرآنية) » في ثلاث

مجلدات ، قرَّظه له علماء دمشق سنة ١٢٩٧ ، ومنهم مفتي دمشق محمودأفندي الحمزاوي ، والقاضي مصطفى فائق أفندي ، والشيخ سليم العطار ، وسعيد أفندي الأسطواني ، والشيخ علاء الدين عابدين ، والشيخ بكري العطار ، والشيخ أحمد الشطي ، والشيخ عمر العطار ، ومحمد أفندي المنيني ، وكلُّهم أثنَوْا على كتابه وقالوا : إنه لم يسبقْه أحدٌ لمثله . ومنها « كشف الأسرار الربانية ، في خواص المعادن والنباتات الأرضية » وقد راج هذا عند علماء الغرب وقدَّروه ، وكان المترجَم حكيماً في كلِّ شيء ، قنوعاً فيما يأخذه من المرضى ، يُطبِّبُ الفقراء ويعطيهم العلاج مجاناً . توفي عقيماً سنة ست وثلاثمئة وألف ، ودُفن في الجهة القبلية من مقبرة الدحداح ، وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :

إنَّ المعلـم والطبيـب كـلاهمـا لاينصحـانِ إذا همـا لم يُكْـرَمـا
فاصبرْ لدائك إنْ جَفوْتَ طبيبهُ واقنـعْ بجهلـك إنْ جفَـوْتَ مُعَلِّمـا

قلت : وكان المترجَم طبيباً للحكومة في مستشفى الغرباء ودائرة البلدية مُدَّةً طويلة ، وكان حسنَ السيرة يجتمع عنده بعض العلماء والوجهاء ، فيتذاكرون معه ويستأنسون لحديثِه رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٠٧

الشيخ سليم العطار

ترجمه السيد الفاضل تقي الدِّين في تاريخه المعروف فقال ما خلاصته : هو شيخ الشام ورئيس علمائها الأعلام سليم بن ياسين بن حامد العطار الشافعي الدمشقي .

ولد بدمشق سنة ١٢٣٣ ، ونشأ في حجر والده الصالح وجدِّه العلامة ، وطلب العلم بعد أن جاوز الخمسة عشر ، فشمَّر عن ساعد الجد والاجتهاد ، ولازم الدروس وثابر على الحفظ والقراءة ، وتضلَّع في سائر العلوم وسبق أقرانه ، فعلا قدرُه واشتهر وشاع ذِكرُه وانتشر ، وصار صَدْرَ علماء دمشق وعين أعيانها ،

مقبولَ الشفاعة عند الحكّام ، موقَّراً محترماً لدى الخاصِّ والعام ، أخذ العلم عن جدِّه وبه كان أكثرُ انتفاعه ، واستجاز كثيراً من علماء الأقطار ، ومنهم عالم العراق محمود أفندي الآلوسي . وبالجملة فقد تقدَّم على علماء زمانه بالذكاء وحُسن المحاضرة وسرعة الجواب ، وطلاقة اللسان ، وحسن البيان .

وفي سنة ١٢٦٤ تولىَّ تدريس البخاري مكانَ جدِّه في جامع السلطان سليمان ، أيامِ الخميس من رجب وشعبان ، فكان يتكلم على الحديث من سائر العلوم ، ويمزجُه بشيءٍ من التصوُّف ، ويأتي بالأحاديث المناسبة له ويستخرج منها الأحكام ، ويبين حجة كلِّ مذهب ، ويلمُّ بشيءٍ من الحكم والمواعظ بعبارات شتَّى تبهر العقول وتُشَنِّفُ الأسماع ، إلى أن يذهبَ بلبِّ السامع مهما كان من الفضلاء ، وكانت دمشق تفتخر بدَرْسه على سائر البلاد . وقد انتفع به خلقٌ كثير ، ونبغ عليه علماء أفاضل . وكان يلقي دروس التفسير كلَّ ليلة بين العشاءين في محراب الشافعية ، ويقرأ درسَ الحديث في شهر رمضان في مشهد الحسين من الجامع الأموي ، ويحضره علماء من سائر المذاهب ، ويقع بينهم مناظرات ، ويكون الشيخ هو الحاكمَ بينهم ، وقد كان هذا الدرس أولَ درْس علمي في البلاد الشامية ، وكان يجتمع في داره كلَّ يوم وليلة جماعة من العلماء والطلاب والأعيان والتجّار فيحضرون مجالسَ العلم ويتناقلون الحوادث والأخبار .

وما زال به الحال على هذا المنوال إلى أن توفي في ٦ جمادى الثانية سنة سبعٍ وثلاثمئة وألف ، وتولىَّ درسَي التكية السليمانية والجامع الأموي بعد صاحب الترجمة عمه العلامة الشيخ بكري العطار ، بالوكالة عن ولده القاصر يومئذ أحمد فهمي أفندي ، وقد رثى المترجمَ أفاضلُ الشعراء ، وأرخ وفاته الشاعر الهلالي بأبياتٍ اخرها :

وغـدا التفسيرُ يـدعـو أرخـوا **فرقدُ العلم توارَى في الحجاب**

١٣٠٧

قلت : لاريب أن صاحب الترجمة كان شيخَ العلماء بدمشق وصاحب الكلمة النافذة فيها نحو ثلاثين سنة ، فهو الوحيدُ في الدروس الخاصَّة والعامة ليلاً ونهاراً ، وهو المرجع في المهمات للأفراد والجماعات ، وذلك لما له من الجرأة

والإقدام ، والهيبة والوقار عند الخاصِّ والعام ، حتى الولاة والحكَّام ، وله في ذلك مواقف مشهورة ووقائع مأثورة ، ولاينكر أنه كان ينتفع من بعض القضايا الخاصَّة انتفاعاً كثيراً ، ولكنه لم يبطلْ حقاً ولم يحقَّ باطلاً ، فكان ينفق ما يجنيه من هذا القبيل ومن راتب درس التكية السليمانية ، ومن ريع أراضيه في قرية بيت سوا ، كلُّ ذلك على بيته وزوّاره وقُصَّاده ، فبابُه مفتوح للطلاب والزُّوَّار ، مقصودٌ للقريب والبعيد ، وقد عمَّ نفعُه وشاع ذكره ، وأخذ العلم عنه جمٌّ غفير وعدد كثير ، ولم يخلف بعده مثله في الجمع بين العلم والرياسة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه جنة عالية آمين .

وترجمه الأستاذ البيطار ولم يزد على ما تقدَّم سوى ما خلاصته : أن كلاً من السلطان سليم وولده السلطان سليمان ، كان شرط أن يعظ في تكيته واعظ في أيام مخصوصة ، وله دراهم معلومة ، وأنَّ المدرِّس السابق جدَّ صاحب الترجمة الشيخ حامد العطار ، كان جمع المعاشين بمعاشٍ واحد ، والدرسَين بدرسٍ واحد يقرؤه في التكية السليمانية ، وجعل البخاري الشريف بدلاً من الوعظ ، وصباح الخميس من رجب وشعبان بدلاً من الأيام المخصوصة ، وأنَّ المعاشين قد بلغا في عهده أربعة آلاف قرش صاغ تقريباً من الدراهم ، ومئتين وثمانية وثمانين مداً من الحنطة في السنة ، وأن الشيخ حامد الموما إليه بقي مستمراً في الدرس المذكور على الوجه المسطور إلى وفاته ، فانتقل الدرس من بعده إلى حفيده المترجَم الذي ظل مدرِّساً كذلك إلى آخر حياته رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد الحلواني

ترجمه تلميذه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته : هو السيد أحمد ابن السيد محمد علي ابن السيد محمد الشهير بالحلواني الشافعي . شيخ القراء في الشام ، ومعتَقَدُ الخاص والعام ، نقل عنه بعض تلامذته أنه يتصل نسبه بالسيد سليمان السبسبي المنسوب إلى العارف بالله تعالى السيد أحمد الرفاعي .

ولد في دمشق سنة ١٢٢١ ونشأ في حجر والده ، وغِبَّ التمييز حفِظ القرآن

الشريف عن ظهر قلب من طريق حفص على الشيخ راضي ، ثم أقبل على طلب العلم ، فأخذ في دمشق الشام عن فضلائها الأعلام ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، فإنه حضره في البخاري مراراً وكذا في مسلم . وسمع منه « الأربعين العجلونية » ، ومنهم الشيخ حامد العطار ، فقد حضره أيضاً في الحديث وغيره ، ومنهم الشيخ سعيد الحلبي فقد حضره في كتب النحو حتى « المغني » ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، فقد حضره في عدَّة كتب من فقه الشافعي ، ومنهم الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت فقد حضر عليه جملة من الصرف والبيان ، ثم في سنة ١٢٥٣* رحل إلى مكة المشرَّفة ، فأخذ عن شيخ القراء بها الشيخ أحمد المرزوقي المصري ثم المكي ، وقرأ عليه ختمةً مجودة من طريق حفص ، ثم حفظ عليه الشاطبية وتلقَّى عنه القراءات السبع من طريقها ، ثم حفظ « الدُّرة » وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، ثم حفظ « الطيبة » لشيخ هذا الفن الشيخ محمد بن الجزري ، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة ، ثم أجازه الشيخ بالقراءات العشر وما تجوز له روايته ، وأقام هناك أربع سنوات ، ثم رجع إلى وطنه دمشق سنة ١٢٥٧ فأقبل الناس عليه بالقراءات جمعاً وغيره ، واشتهر أمرُه وارتفع ذكره ، وعم نفعه الخاص والعام ، وانفرد بهذا العلم في جميع بلاد الشام . . . واستمر إلى آخر حياته على هذا الحال من إفادة الناس وتعليمهم ، مع حسن المفاكهة وجميل المحاضرة ، وتأنيس الجليس والسكينة والخشوع ، وتلاوة القرآن في غالب الأحيان ، وألَّف رسالةً في التجويد سماها « المنحة السنية » ثم شرحها شرحاً لطيفاً جمع فيه غالب أحكام التجويد سماه « اللطائف البهية » ، وله نظم في بعض فوائدَ من فنِّ القراءات ، وبالجملة فقد كان فريدَ عصره في فنه ، أنجب تلامذةً فضلاء لهم في فن التجويد اليدُ البيضاء ، بعد أن كاد هذا الفن يعدم من الشام ، قال : وقد حفظت عليه ولله الحمد القرآن ، ثم أخذت تجويده عنه بتمام الإتقان .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثمئة وألف .

أسعد أفندي حمزة

هو السيد أسعد ابن السيد نسيب ابن السيد حسين الشهير بابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي . ولد بدمشق سنة ١٢٣٨ ونشأ في حجر والده ، فقرأ عليه مبادئ العربية والفقه ، ثم حضر على العلامة الشيخ سعيد الحلبي والشيخ هاشم التاجي في الفقه وغيره ، وقرأ على الجَدِّ الكبير الشيخ حسن الشطِّي ، في الفرائض والحساب والجبر والهندسة حتى برع في هذه الفنون ، ووضع شباكاً في الصنف الأول من ذوي الأرحام ضاهى به شباك صاحب السراجية ، وتلقَّى فن التجويد عن الشيخ الحلواني ، ونظم فيه أرجوزةً طبعت له سنة ١٢٩٨ ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ الترشيحي ، وأقام الأذكار في بعض جوامع دمشق ، وكان له معرفة بالأدب ونظم قليل ، وقد تولى بعض الوظائف الحكومية ، وانتخب لبعض اللجان الإدارية في حادثة النصارى سنة ١٢٧٧ فأدارها بما فيه من حنكة وذكاء وحزم ، وصار عضواً لمجلس الدعاوى في لواء دمشق سنة ١٢٨٦ ، ثم رئيساً له سنة ١٢٨٩ ، ثم عضواً لديوان التمييز في ولاية سورية سنة ١٢٩٤ إلى سنة ١٢٩٦ . واستمر عضواً في محاكم الاستئناف الحقوقية والجزائية منذ سنة ١٢٩٧ إلى سنة ١٣٠٦ .

وبالجملة فقد كان من صدور دمشق وأعيانها ، يُرجع إليه ويُعوَّل عليه ، ينتفع من الناس وتنتفع الناسُ منه ، وكان من أرباب البذْخِ والترف جداً ، له خدمٌ وحشم ، وبرَّاني وجُوَّاني ، وعربيتان للرجال والنساء ، وكان حسن الهيئة ، منور الشيبة ، يتعمَّم بالخضراء .

وما زال على حاله من جاهٍ مرفوع ، ومنزل مقصود ، وخير مبذول ، إلى أن توفي في شهر شوال سنة سبع وثلاثمئة وألف ، ودفن في مدفن بني حمزة في مقبرة الدحداح ، وقد أعقب أولادَهُ الأربعة وهم الأستاذ محمد شاكر أفندي المتوفَّى سنة ١٣٢٨ ، والشريف عبد الله أفندي المتوفى سنة ١٣٢١ ، والوجيهان توفيق أفندي المتوفى بعد سنة ١٣٤٠ ، وزين العابدين أفندي الباقي الآن سلمه الله . وقد مدح صاحبَ الترجمة الشاعرُ الهلالي بعدَّة قصائد غرَّاء مدرجة في ديوانه المعروف .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال ما جملته : إنه حضر دروس الشيوخ وكان له في العلوم نصيب ، وإنما برع في الفرائض والحساب ، وقد نشأ على الترفُّع والترفُّه . وحضور مجالس السماع والتنزُّه ، مما لايليق بسيادته وكرامته ، وكان رفيعَ المقام ، نافذَ الكلمة عند الحكام ، تنقَّل في مجالس الحكومة كثيراً ، وقصدته الناس لنفعهم . . . وكان كثيرَ المخالطة لأمورهم ، ولما توفي أخوه محمود أفندي مفتي الشام سنة ١٣٠٥ قام بنصرته العلماء والأعيان ، ليكون مفتياً في مكانه ، فلم يقدر له ذلك ، وكانت وفاته سنة ١٣٠٧ رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الشطِّي

ترجمه ولده سيدي العم مراد أفندي فقال ما خلاصته : هو محمد بن حسن ابن عمر بن معروف الشطي الحنبلي الدمشقي . العالم الفاضل الفقيه الفرَضي الحَيْسوبي الهُمام ، كان من أعيان العلماء سخياً ودوداً حسنَ العشرة .

ولد بدمشق في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٤٨ ونشأ في حجر والده العلامة ، وقرأ القرآن وجوده وحفظه على الشيخ مصطفى التلِّي ، ولازم دروسَ والده توحيداً وفقهاً وفرائض وحساباً ونحواً وصرفاً وغير ذلك ، وبه تخرَّج وانتفع ، واستجاز له والدُه المنوه به من أئمة دمشق وقتئذ الشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، ونزيل دمشق الشيخ محمد التميمي فأجازوه وروى عنهم حديث الأولية ، ولازم بعد وفاة والده سنة ١٢٧٤ الشيخ عبد الله الحلبي ، فحضر عليه طرفاً من الحديث والفقه والنحو ، ولما ورد إلى دمشق الشيخ محمد أكرم الأفغاني ، لازمه مدَّة في علم الفلك وغيره وكتب له إجازة عامة .

وقد عني المترجَم بالتأليف والجمع ، فألف وجمع كتباً ورسائل جمَّة ، منها في الفرائض رسالة « الفتح المبين » ، طُبعت بدمشق سنة ١٣١٣ ثم أعيد طبعها سنة ١٣٥٣ ، وكتاب « صحائف الرائض » وقد جعل في كلِّ صحيفةٍ منه بحثاً خاصاً ، ومنها في الهندسة « بسط الراحة لتناول المساحة » اختصره من كتاب والده ، وذيَّله

بخريطةٍ فيها رسم الأشكال الهندسية مع بيان مساحتها بالأرقام (مطبوعة) وكان أرسلهما إلى الآستانة ، فأصدرت نظارة المعارف أمرَها بطبعهما ومكافأته عليهما ، وذلك سنة ١٢٩٢ ، ومنها في الفقه مقدمة « توفيق المواد النظامية ، لأحكام الشريعة المحمدية » نحو مئتي مادة (طبعت في مصر سنة ١٣٢٥) و« تسهيل الأحكام فيما يحتاج إليه الحكام » نحو ألف مادة ، و « القواعد الحنبلية في التصرُّفات العقارية » (مطبوعة) ، ومنها شرح على الدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وشجرة في النحو على طريقة الإظهار ، واختصر منسك والده ومعراجه (مطبوعان) ، وجمع دفتراً كبيراً في تقسيم مياه دمشق وبيان أسهمها المترية ، وله غير ذلك . وكان يميل إلى إحياء المذاهب المندرسة ونشرها ، وله اطلاع واسع على أقوال المجتهدين ، حتى إنَّ العلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق كان طلبَ منه جمع مسائل الإمام داود الظاهري فجمع رسالة في ذلك قدَّمها إليه في أيام يسيرة (طبعت بدمشق سنة ١٣٣٠) .

وقد وُجِّه إلى صاحب الترجمة رتبة تدريس أدرنة في حياة والده سنة ١٢٧٣ ، وبعد وفاة والده المذكور انتخب عضواً في مجلس المعارف سنة ١٢٨٩ ، ثم في مجلس الأوقاف سنة ١٢٩٣ ، ثم فرضيّاً لدائرة البلدية سنة ١٢٩٦ ، وولي نيابة قضاء راشيَّا سنة ١٢٩٨ ، واستقال منها في آخر مدتها الرسمية ، وولي رياسة الكُتَّاب في محكمة الميدان بدمشق سنة ١٣٠٦ ، وكان عليه وعلى شقيقه العلامة الشيخ أحمد الشطي وظيفة التولية والتدريس في المدرسة البادرائية ، وكانا يُعتمدان في الفقه والفرائض والحساب والهندسة ، وإليهما يرجع في المناسخات والمساحات وتقسيم المياه والدور ، وقد أخذ عن المترجَم كثيرون من فضلاء دمشق وغيرها .

وما زال على علمه وعمله إلى أن توفي بعد عصر الخميس وشيعت جنازته صباح الجمعة خامس رمضان سنة سبع وثلاثمئة وألف ودفن في مقبرة الذهبية بمشهد عظيم ، انتهى .

وقد ترجمه الأستاذ القاسمي في تاريخه المخطوط ، والسيد تقي الدين في تاريخه المطبوع رحمه الله تعالى وجزاه عنا خيراً ، وأعقب صاحبُ الترجمة أولادَه

الأربعة : والدي العالم الفرضي عمر أفندي المتوفى سنة ١٣٣٧ ، والتقي معروف أفندي المتوفى سنة ١٣١٧ ، والمتفنِّن مراد أفندي المتوفى سنة ١٣١٤ ، والقاضي المتقاعد الشيخ حسن أفندي الباقي الآن سلمه الله .

الشيخ أحمد عابدين

ترجمه الفاضل محمد أديب أفندي نقيب الأشراف السابق في تاريخه المعروف . قال ما خلاصته : أحمد بن عبد الغني بن عمر الشهير بعابدين الحنفي الدمشقي .

ولد سنة ١٢٣٩ ، وكان عالماً بالفقه الحنفي مطلعاً على نصوصه ، حافظاً للسانه ، مقتصداً في ملبسه ومعاشه ، لايخرج من بيته إلا لضرورة ، أدرك عمَّه صاحب الحاشية المشهورة ، وحضر عليه طرفاً من الفقه ، ثم حضر على شيخه العلامة الشيخ سعيد الحلبي في الكتب الستة وغيرها ، واشتغل بالتصوُّف على الملا أبي بكر الكردي الكلالي ، وأجازه الشيخ يوسف المغربي نظماً وسمع منه حديث الأولية ، وقد تولى المترجَم إمامة جامع الورد وخطابته ، وصار مفتياً في قطنا وإقليم البلان مدة طويلة ، ثم استقال منها ، وتولى أمانة الفتوى عند محمود أفندي حمزة مفتي دمشق السابق ثمان سنوات ، وله مؤلفات تربو على عشرين مؤلفاً ، منها كتاب في الطهارة والأنجاس ، وشرح على علم الحال الذي عرَّبه أمين أفندي الجندي مفتي دمشق الأسبق ، وشرْح على العقيدة الإسلامية للمفتي الحمزاوي المقدَّم ذكره ، وشرح على مولد ابن حجر ، ورسالة في الجزء الاختياري ، ورسالة في جواز إهداء ثواب الأعمال للنبي عليه السلام ، ردَّ بها على من قال بمنع ذلك ، وشرح على حديث ابن عباس « احفظ الله يحفظك » الخ ، ورسالة في تبرئة الشيخ الأكبر من القول بالاتحاد والحلول ، وكان يميل إلى التصوُّف وكلام القوم ، قال : ولي به معرفة خاصة لأنه من أصدقاء والدي .

وكانت وفاتُه يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ . ودُفن في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر عمه المنوَّه به ، وقد أعقب ولديه هما الشيخ راغب أفندي المتوفى سنة ١٣٢٣ ، والشيخ أبو الخير أفندي مفتي دمشق

سابقاً المتوفى سنة ١٣٤٤ رحمهم الله تعالى .

الشيخ محمد العطار

ترجمه السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه قال : هو محمد بن ياسين ابن العلامة حامد ابن الشهاب أحمد العطار الشافعي الدمشقي ، شقيق العلامة الشهير الشيخ سليم العطار . ولد بدمشق ونشأ في حجر والده وجده وانتفع بشقيقه المنوَّه به ، وأخذ عن بعض علماء دمشق كالشيخ الجوخدار ، والشيخ أحمد المنير ، إلى أن برع في الفقه والنحو والصرف وغيرها ، وصار يقرئ الدروس ويفيد الطلبة في المدرسة السُّمَيْصاتية محل إقامته وسكنه ، وكان يعيشُ من أجرة بعض العقود التي يكتبها للناس ، ومن إعانة أخيه المقدَّم ذكره ، وبالجملة فقد كان عالماً فاضلاً مثال الصلاح والتقوى والصبر على البلوى ، كريمَ الأخلاق والصفات ، انتفع به خلق كثير ، قال :

وهو أحد أساتذتي جزاه الله عني خيراً ، توفي عقيماً قبل وفاة أخيه المشار إليه سنة سبع وثلاثمئة وألف رحمهما الله تعالى ، انتهى .

قلت : يظهر أن المترجَم كان زميلاً لعمِّه العلامة الشيخ بكري العطار في السن والقراءة على الطبقة العالية من الشيوخ كالملا أبي بكر الكردي ، والجد الكبير الشيخ حسن الشطي ، حتى إني اطلعتُ على إجازة له من الجدِّ المذكور ، شهد له فيها بالذكاء والتحصيل ، وقد انتفع بصاحب الترجمة عددٌ كبيرٌ من طلبة العلم في النحو والصرف والمنطق كما أخبرني بذلك كثيرٌ منهم ، وكان المترجَم عزباً له علة في ظهره لا يستطيع معها الاضطجاع ، وكان يعيد درس التكية لأخيه المنوَّه به ، وهو أحد الخمسة الأقمار علماء بني العطار الذين اجتمعوا بدمشق في وقتٍ واحد ، وهم المترجَم وأخوه المذكوران ، والشيخ بكري ، والشيخ عمر ، والشيخ إبراهيم ، أحفاد الشهاب العطار عليهم رحمة العزيز الغفار آمين .



محمد بك البارودي

ترجمه السيد الشريف تقي الدين في تاريخه قال : هو محمد بك ابن حسن آغا البارودي ، كان والد المترجَم قدم دمشق من مصر وصار (كتخدا) عند عبد الله بك العظم ، وجمع ثروة عظيمة ، ولما مات آلت هذه الثروة إلى ولده صاحب الترجمة ، فقصدَتْه الناس للاستقراض منه ، وصار من وجهاء دمشق وأعيانها ، وتولى رياسةَ البلدية ، ثم عضوية الإدارة مرَّات ، وبنى داراً في حي القنوات جاءت بهجةً للناظرين - وهي المحكمة الشرعية الآن - ثم اقتنى كثيراً من المزارع والقرى ، وجرَتْ مصاهرةٌ بينه وبين آلِ البكري بدمشق ، وكان شديدَ الذكاء ، قويَّ الحافظة ، طرأَ على دماغه مرضٌ خفيفٌ ذهب إلى الآستانة لمداواته ، ثم ذهب إليها مرة ثانية لحلِّ النزاع بينه وبين أهالي حلبون - غرمائه الذين كانوا رهَنوا أراضيَهم عنده - وقد أحسن إليه إذْ ذاك بالرتبة الأولى ، وكان محلَّ إكرام وزرائها .

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثمئة وألف ، انتهى .

قلت : ومن مداح صاحب الترجمة الشاعر الهلالي ، قال يمدحه حين قدم حماه سنة ١٢٩٢ بهذه القصيدة :

وردت أماني البِشر بالأحبابِ ... فشدَتْ بلابلُ ألسنِ التَّرْحابِ
وأدارها الساقي على نُدَمائهِ ... كاساتِ أنسٍ لا كؤوس شرابِ
بجمال طلعةِ كوكبٍ بقدومهِ ... صُبْحُ السرور محا دُجَى الأوصابِ

ومنها :

لله باروديٌّ عزم صادرٌ ... عن بحرِ حلم بالوفاء عُبابِ
حكَمٌ لديه تنوَّعَتْ نِقماً على ... أعدائه نعماً على الأصحابِ

ومنها :

غوث إذا استنجدته لملمَّةٍ ... غيث إذا استجديته لثوابِ

متحــــدِّثٌ أبـــداً بنعمـــة ربِّـــه   متـــواضـــعٌ لمـــواهـــبِ الـــوهَّـــابِ

إلى أن قال :

يا من دمشق تولهتْ شوقاً له   حتـى يـؤوبَ لهـا بحســنِ مـآبِ
فاسلم لنا ولها ودُمْ ما أشرقتْ   شمـسُ النهـار على رؤوس هضـابِ
أومـا الهـلالي قـال في تـاريخـه   وردَتْ أمـــاني البشر بـــالأحبـــابِ

وفيات سنة ١٣٠٨

الشيخ عمر العطار

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما مختصره : هو عمر بن طه ابن الشهاب أحمد بن عبيد الله بن عسكر الحمصي الأصل الدمشقي الشافعي المشهور بالعطار . عـالم متفنِّـن بعلـومـه ، يفـوقُ على أقـرانـه بمنطـوق العلـم ومفهـومـه ، ألَّـف وصنَّف ،وقرَّط المسامع وشنَّف ، دخل الأمصار ، وذاكر العلماء الكبار ، جعلَتْه العلوم العقلية لمفرِقها تاجاً ، وأطلعَتْه البلادُ الشاميَّةُ سراجاً وهاجاً ، وتبسَّم به ثغرُ التصوُّف والحقيقة ، فكان لذوي المعارف حديقةً وأيُّ حديقة ، مع أخلاقٍ لو مُزجت بالبحر لزادت في عذوبته ، وهمم كادتْ أن تتناول البدرَ الوضَّاح في طلعته ، وكان ولوعاً بالمحادثة والمذاكرة ، مطبوعاً على شغل المجالس بالمحاضرة ، كثيرَ السياحة والجوَلان في الأقطار والبلدان ، وقد أخذ عن عدَّةٍ أفاضل من دمشقيين ومصريين ، ومدنيين ومكيين ، وغيرهم ، من فُرس وأغوان ، وترك وداغستان! وكلُّهم أجازوه ، وأثنَوْا عليه وقرَّظوه ، غير أن عبارته كانتْ أحسنَ مـن كتـابتـه ، وإن كـان كـلٌّ منهمـا دالاً على فضيلتـه ، ولـه عـدَّةُ تصـانيـفَ ورسائل . . . وكان حسنَ الصورة والكلام ، لايمَلُّه جليسُه على مدى الأيام ، وله شجاعة مشهورة ، وفصاحة مأثورة ، وقد لازمه المرض في آخر عمره ، ولم يزل به حتى نزل في قبره وذلك سنة ١٣٠٨ .

وترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه المعروف بما ملخصه : ولد بدمشق

ونشأ بها وطلب العلم ، فأخذ عن عمه الشيخ حامد العطار ، والشيخ حسن الشطي ، وقرأ « المختصر » و « المطول » و « جمع الجوامع » على الملا أبي بكر الكُرْدي ، ورحل إلى مصر أربع مرات ، وأخذ عن علمائها ، ومنهم العلامة المبلط ، والشيخ الباجوري وغيرهما ، وكان عندهم محلَّ إكرام ، وقد تفرَّد المترجَم بعلمي النحو والمنطق ، وبرع في الحديث ومصطلحه والفقه وأصوله ، حتى اشتهر فضلُه بين الأنام ، وعمَّ نفعه الخاص والعام . وكان جسوراً نطوقاً يصدع بالحق .

وقد ألَّف مؤلفاتٍ كثيرة ، منها شرحه على « فصوص الحكم » وشرحه على « الصلوات الكبرى » للشيخ الأكبر ، وشرح على « الإظهار » في النحو ، وشرح على « إيساغوجي » في المنطق ، وله رد على السعد التفتازاني والملا علي القاري انتصاراً للشيخ الأكبر قدَّس الله سره ، وله رسالة نفيسة في الموجهات من علم المنطق ، ورسائل شتى في علوم أخرى .

وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثمئة وألف ، عن نحو سبعين عاماً ، ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

قلت : ونوه بذكر صاحب الترجمة العلامة الشيخ يوسف المغربي في قصيدته المعروفة حيث قال :

ونجل طه الذكي أعني به عمراً فالله بالعلم والتوفيق يُعليهِ

أعقب المترجَم ولدَه العالم الفاضل الشيخ أحمد أفندي ، وكان بينه وبين والده سوء تفاهم . توفي سنة ١٣٤٣ عفا الله عنا وعنه آمين .

الشيخ أبو الخير الخطيب

ترجمه السيد الشريف تقي الدين في تاريخه قال ما ملخصه : هو أبو الخير بن عبد القادر بن صالح الخطيب الشافعي الدمشقي .

ولد بدمشق سنة ١٢٤٧ ونشأ في حجر والده وأخذ عنه ، وبه كان أكثر انتفاعه ، وقرأ على غيره بعضَ العلوم والفنون . وكان صوفيَّ المشرب ، زاهداً ، له

مواعظ حسنة ، اشتهر فضله بين الأنام ، واعتقده الخاص والعام ، تصدَّر للتدريس والإفادة في مدرسة القلبقجية ، وسعى في عمارتها سعياً مشكوراً ، ودرَّس أيضاً في الجامع الأموي بين العشاءين ، وتولى الخطابة فيه بعد وفاة رشيد أفندي المحاسني سنة ١٢٨٧ بمناوبة بني المنيني وبني الأسطواني .

وما زال يخطب ويفيد إلى أن توفي سنة ثمانٍ وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مرج الدحداح بمشهدٍ عظيم ، ومن أولاده العالم النابغة الشيخ جمال أفندي المتوفى سنة ١٣٢٩ والمحامي الفاضل زكي بك أحد نواب سورية ووزرائها حالاً ، بارك الله فيه .

أمين أفندي الأسطواني

ترجمه لنا أحد أبناء عمه الأعلام ، فهو أمين بن سعيد بن أمين بن سعيد الأسطواني الحنفي الدمشقي ، الأديب الفاضل الشاعر البارع ، سليلُ بيت العلم والمجد ، ولد سنة ١٢٧٢ وحضر دروس والده وقرأ على العلامة الشيخ بكري العطار حتى صار نابغة ، واشتغل بنظم الشعر حتى اشتهر به ، ثم تولى قضاء وادي العجم وغيره من أعمال دمشق .

وتوفي وهو في عُنفوان شبابه سنة ثمان وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى .

أنيس أفندي قصاب حسن

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه قال ما مختصره : هو الفاضل الوجيه والأديب النبيه ، ولد سنة ١٢٣٩ ونشأ في حجر والده على نعمةٍ ورفاهية ، وثروةٍ وافية ، غير أن المترجَم المرقوم قد عاكسه الحظُّ المشؤوم ، فكان يخدم الحكومة العثمانية في الأمور الجزائية ، ومن شعره قوله :

غافرُ الذنب وعلاّمُ الغيوب ... قابلُ التوبِ وستّارُ العيوب
راحمُ الخلقِ وغوثُ المذنبين ... أرتجي من فضله غفرَ الذنوب

وللمترجَم ديوانٌ طويل عريض ، نظم فيه أنواعَ القريض ، جمعه له ولده الشاعر سليم أفندي ، وكانت وفاته سنة ثمانٍ وثلاثمئة وألف رحمه الله وأحسن مثواه .

وفيات سنة ١٣٠٩

الشيخ عبد الله النابلسي

هو عبد الله بن عمر بن مصطفى بن إسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي ، العالم الفقيه الجسور الوقور ، ولد في صالحية دمشق في حدود سنة ١٢٣٥ وتوفي والده وهو صغير ، فنشأ يتيماً موفقاً في حجر أخيه الشيخ محمد رشيد ، وحفظ القرآن وطلب العلم ملازماً علماء دمشق إذ ذاك كالشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ حامد العطار ، والجد الشيخ حسن الشطي ، ثم تعاطى أمور الناس بما لَهُ من الكفاءة والجرأة ، وعُني بالمحاماة ووكالة الدعاوى لدى المحاكم الشرعية وغيرها ، على قِلَّة من يتعاطى المحاماة وقتئذ ، فجمع ثروةً كبيرة ، واشترى الدار المنسوبة إليه في محلَّة العمارة وعقاراتٍ أخرى في الشاغور ، وفي الصالحية ، فأوقف ذلك كلَّه على أولاده سنة ١٢٩٧ وكان له جُرأةٌ على الحكام وغيرهم ، يصدع بقول الحق ، ولا يخشى لومةَ لائم ، وقد تزوَّج في آخر أمره زيجة أتعبتْه في حياته ، وفرَّقت أولاده بعد وفاته ، وكان لا يفترُ لسانه من التلاوة ، ويحفظ كثيراً من الحوادث التاريخية ، وهو حسَنُ المحاضرة والمذاكرة .

ولم يزل على حاله وقاله إلى أن توفي بالوباء سنة تسع وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة الدحداح ، وهو والد الوجيه الفاضل الأستاذ إبراهيم أفندي المتوفى سنة ١٣٥٦ رحمهما الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٠

عمر بهجت أفندي قاضي دمشق

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : ولد في حلب سنة ١٢٤٦ وكان والده من قضاة العساكر ، فسار به إلى الآستانة سنة ١٢٤٧ فلما بلغ المترجَم سن التمييز قرأ القرآن العزيز ، وجوَّده وأتقنه وطلبَ العلم بهمَّةٍ عالية ، ثم في

سنة ١٢٦٠ توجَّه بمعية والده إلى خربوط ، فقرأ بها النحوَ والصرف والفقه ، وتعلَّم اللغة الفارسية . وفي سنة ١٢٧٣ توفي والده بمصر وهو متوجِّهٌ إلى الحجاز ، ودُفن في جوار السيدة زينب ، وذهب المترجَم إلى حلب ، فتولى نِقابة أشرافها ،وفي سنة ١٢٨٠ رجع إلى الآستانة فصار قاضياً في كرسول ، فطرابزون ، فكوزلي حصار ،فبيروت ، وبقي بها أربعَ سنوات ونصفاً ، وفي سنة ١٢٨٩ عُيِّن قاضياً لطرابلس الغرب ، وفي سنة ١٢٩١ عُين قاضياً لمدينة أزمير ، ونُقل منها إلى رياسة ديوان التمييز بولاية قسطموني ، ثم إلى مثلها بولاية حلب ، وفي سنة ١٢٩٤ عين قاضياً لمدينة حلب ، وفي سنة ١٢٩٦ ولي تفتيش العدلية في بغداد ، ثم في طرابزون ، ثم في أزمير ، ثم ألغيت تلك الوظيفة فولي القضاء في جزائر بحر سفيد ، وفي سنة ١٣٠٧ ولي قضاء الشام ، فلما أنهى مدته الرسمية بها رحل إلى الآستانة .

ولم يمض قليل حتى اخترمته المنية في حدود سنة عشر وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى .

صالح أفندي تقي الدين

ترجمه ابن أخيه محمد أديب أفندي نقيب أشراف دمشق سابقاً ، في تاريخه المعروف نقلاً عن عكاظ الأدب للعلامة السلاوي ، قال ما خلاصته : هو السيد الهُمام والجِهْبِذ المقدام ، نابغة الأقران ، ونادرة الزمان ، بضعة الشرف المسلسل ، وسلالة المجد المؤثل ، الحسيب النسيب السيد صالح بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد بن السيد حسن بن السيد مصطفى الشهير بابن تقي الدين الحِصْني الحنفي .

ولد بدمشق سنة ١٢١٦ - وقيل ١٣ - ونشأ في حجر والده ، ولازم دروس العلماء ، فقرأ مقدِّمات العلوم ، وتدرَّج في التحصيل ، فوصل في العربية إلى ابن عقيل الألفية ، وفي الفقه إلى « الدر المختار » وفي التفسير إلى « الجلالين » مع مطالعة غيره من التفاسير والحواشي ، وفي الحديث إلى « صحيح البخاري »

و « الجامع الصغير » و « الشفا » ، وفي المنطق إلى « شرح الشمسية » و « حاشية القطب » إلى غير ذلك ، وقد أجازه بالعلوم النقلية والعقلية علماءُ دمشق الأعلام كالشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ علاء الدين بن عابدين ، والمفتي طاهر أفندي الآمدي ، ومحمد أفندي الجابي ، والشيخ أحمد مسلم الكزبري ، والشيخ بكري العطار ، ومن أكابر الآستانة شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي .

وأخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ حسن وادي الصيادي ، وأجازه وأقامه خليفةً عنه . ثم إنه رحل إلى الآستانة سنة ١٢٨٩ ووجهت عليه ثمة نِقابة الأشراف في القدس مع رتبة البلاد الخمس ، وقد حجَّ المترجَم بيت الله الحرام وزار النبيَّ عليه السلام ، فكان محل إكرام أشراف البلدين ، وعاد إلى وطنه دمشق فأقام بها مُدَّةً مبجلاً محترماً ، ثم رحل ثانياً إلى الآستانة سنة ١٢٩٢ فأقام بها مدةً طويلة وتعرَّف إلى كثيرٍ من رجالاتها وأعيانها ، وشهدوا له بالديانة والأمانة وأنا معهم من الشاهدين ، انتهى كلام السلاوي .

ثم قال الأديب ابن أخي المترجَم : وفي سنة ١٣٠٧ أُحسن إليه وهو في الآستانة بنقابة أشراف دمشق ، فحضر إليها وصار من صدورها المشار إليهم ، واتفق على محبته العلماءُ والأمراءُ وغيرهم ، وفي سنة ١٣١٠ قصد الديار الحجازية ، فتوجَّه أولاً إلى المدينة المنوَّرة ، ثم إلى مكة المكرمة ، وحلَّ ضيفاً كريماً في دار إمارة الشريف عون الرفيق باشا ، وبعد أداء مناسكِ الحج توفي بمكة ودفن في المعلا إلى جانب السيدة آمنة . قال : وكنتُ رفيقاً له وقتئذ - وتوفي على الأثر بدمشق سيدي الوالد ، وكان وكيلَ المترجَم في النقابة ، فأعيد هذا المنصب إلى السادة بني عَجْلان ، انتهى .

قلت وممن كتب على شجرة النسب المحرَّرة باسم صاحب الترجمة الجد الشيخ عبد السلام الشطي حيث قال :

نسبٌ عليه من الصلاح لوائحُ وختامه مسكٌ وعطرٌ فائحُ
نسب شريفٌ طاهر بل ظاهرُ كالشمس في وقت الظهيرة واضحُ
نسبٌ تناهى فضله لمحمدٍ وهو التقيُّ الدين وهو الناصحُ

وفروعه الأمجاد سادات الورى إنَّ الإناءَ بما حواهُ ناضحُ
صلى الإلـه على النبيِّ وآلِـهِ فتقيُّهم ديناً ودنيا صالحُ

وقد ترجم المترجَم العلامة البيطار في تاريخه ، وأثنى عليه رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين .

أسعد أفندي البكري

هو أسعد بن عطاء الله بن خليل بن أسعد بن خليل بن أسعد بن أحمد البكري الصدِّيقي الدمشقي ، أحد أعيان دمشق وأشرافها ، ولد بدمشق ونشأ في حجر والده على العزِّ والكرامة ، وتولىَّ أوقاف أسلافه الخيرية والذرية ، وكان مستغنياً عن الحكومة مشتغلاً بالزراعة في أراضي قرية جرمانا ، وله فيها دارٌ مشهورة ، ولم نقف على سيرته المفصَّلة مع حرصنا عليها ، وبالجملة فقد كان من أعيان دمشق وأبناء البيوت المشهورين ، وكان جدُّه خليل أفندي الأول مفتياً ثم قاضياً في دمشق ثم قاضياً في دار السلطنة العثمانية إستانبول ، وبها توفي سنة ١١٧٣ . وترجمه المرادي في تاريخه كما ترجم جماعةً من أسلافه ، وذكر أنَّ أصلهم من السادة البكرية في مصر ، وأنَّ أول من قدم دمشق منهم هو جدُّهم الأعلى الشيخ بدر الدين .

وكانت وفاة صاحب الترجمة سنة عشر وثلاثمئة وألف ، وأرَّخ وفاته الشاعر الهلالي بقوله :

هذا ابنُ خير خليفةٍ وإمام بعد النبيِّ مؤسس الإسلام
أنعِمْ بأفضلِ نسبةٍ بكريةٍ عند الإله لها أجَلُّ مقام
مذ للسعادة سار منهم كوكبٌ أرخت أسعد حاز حسن ختامِ

وقد أعقب المترجَم ولديه الوجيهين الكبيرين السيد عطا باشا والسيد خليل أفندي . رحمهم الله جميعاً وعفا عنهم آمين .

★ ★ ★

عطا أفندي القاري

هو عطاء الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن المعروف بالقاري الدمشقي ، أحد وجهاء دمشق الذين ورثوا المفاخر كابراً عن كابر .

ولد سنة ١٢٤٥ تقريباً ، ونشأ في حجر والده ، وترجم المرادي جملةً من أقاربه ، وكان للمترجَم وبني عمه أوقافٌ عظيمة عن أجدادهم الشرفي عيسى والشهابي أحمد وغيرهما ، من مسقفات أكثرها في زقاق بني القاري ، ومن بساتين في دمشق وجرمانا هي لهم نظراً واستحقاقاً ، مع ما على بعضها من كدكات وقيم محدثة وغير ذلك . وكان المترجَم يُنتخب عضواً في المجلس البلدي مدة طويلة ، وتحال إليه المشكلات في محلَّته وغيرها فيحلها حلاً حسناً . ولم يزل معتَمَداً في الأمور محبباً للنفوس إلى أن توفي عن أولاد معلومين ، ولم يخلفه منهم أحد مثله .

وكانت وفاته سنة عشر وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير قرب سيدنا بلال الحبشي رحمه الله تعالى .

ومن الاتفاق الغريب أن المترجَم توفي يوم وفاة أسعد أفندي البكري المترجَم قبله ، ولكلٍّ منهما أسلاف أمجاد مترجمون في تاريخ المرادي وغيره ، وكلٌّ منهما كان متولياً على أوقاف أجداده ، وكلاهما يملك أراضي في جرمانا ،وقد سبق للجد البكري أسعد أفندي ابن أحمد أفندي ، وجد المترجَم عبد الرحمن أفندي الأول أنْ نُفيا إلى صيدا سنة ١١١٨ لأسبابٍ سياسية ، ثم عُفي عنهما بعد ثلاثة أشهر ، فعادا إلى وطنهما دمشق كما ذكر ذلك المرادي في تاريخه فتأمل .

موسى أفندي المرادي

نوَّه بذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه قال : هو موسى بن أبي السعود بن حسين أفندي المرادي الحُسيني الدمشقي ، أحدُ أعيانِ دمشق ، كان له اليدُ الطولى في الأدب نظماً ونثراً ، ولو جمع ذلك لبلغ ديواناً ، وكان يميل إلى مجالس الأُنس ، ويُنتخب عضواً في مجلس الإدارة والمجلس البلدي ومجلس

الدعاوي سنة ١٢٨٩ و١٢٩١ و١٢٩٤ إلى١٢٩٦ ، وفي محكمة البداية سنة ١٢٩٨ وسنة ١٣٠٣ وسنة ١٣٠٨ وكان عمه علي أفندي آخرَ المفتين بدمشق من بني المرادي .

توفي المترجَم سنة عشر وثلاثمئة وألف وهو والد مراد أفندي الذي صار مديراً لأوقاف دمشق في عهد الحكومة العثمانية رحمهما الله .

وفيات سنة ١٣١١

الشيخ أبو الفرج الخطيب

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو أبو الفرج بن عبد القادر بن صالح الشهير بالخطيب الشافعي الدمشقي ، ولد بدمشق سنة ١٢٤٤ ونشأ في حجر والده وكان أكثر انتفاعه منه ، وهو أكبر أولاده ، وتلقَّى بعض العلوم عن بعض علماء الحجاز ومصر .

وتصدَّر - في حياة والده وبعد وفاته - للتدريس في الجامع الأموي بين العشاءين ، ولازمه جماعةٌ من الفضلاء ، وانتفع به خلقٌ كثير وله مؤلفات وآثار لم يطبع منها شيء ، منها : تفسير للقرآن الكريم في ثلاثين مجلداً ، و « الفويضات الحسان في نصائح الولدان » في أربع مجلدات ، وحاشية على « القطر » ، وشرحان على الآجُرُّومية ، وتعليقات على مؤلف والده في علم الفراسة ، وتعليقات على ألفية جدِّه لأمه الشيخ خليل الخشّة ، ومختصر مسند الإمام أحمد ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ، ورسالة في فضل زيارات دمشق ، وأخرى في وعيد حرمان الورثة الضعاف ، ومولد ، ومعراج ، وثلاثة دواوين خطب منبرية . وبالجملة فقد كان وحيداً في عصره عالماً شجاعاً ، تهابه الحكام وتنقاد إليه العامة ، وكانت الناس تقصِدُه من كلِّ مكان في المدرسة النورية الصغرى بالعصرونية ، لحلِّ مشاكلهم الزوجية ومسائلهم الدينية . وكان يُفتي بأقوالِ بعض الشافعية والحنابلة في مسائل الطلاق والرجعة ونحوها .

وكانت وفاته في صفر سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة

الدحداح ، وقد خلَّف أربعةَ أبناء من فضلاء دمشق ووجهائها رحمه الله تعالى .

السيد محمد تقي الدين

ترجمه ولده الفاضل أديب أفندي ، نقيب الأشراف سابقاً في تاريخه المعروف قال : هو السيد محمد ابن السيد عبد القادر ابن السيد أحمد ابن السيد حسن تقي الدين - ونقل نسبه الحُسيني عن الروض البسام - الحنفيُّ الدمشقي . حضر كثيراً من مجالس العلم ، ولازم الملا أبا بكر الكردي الكلالي مدرِّس جامع الورد ، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية الخالدية ، وصاهره شيخُه المذكور ، وقد كان المترجَم اشتغل في بداية أمره بتجارةِ مالِ الفاتورة ، ثم ترك التجارة واشتغل بخدمة إمامة الحنفية في جامع بني أمية مدةً تزيدُ على نصف قرن ، وكان يميل إلى التقشف وسلوك مسلك التصوُّف ، وكان مثال الفضيلة والصلاح ، يعتقده الناس وتحترمه .

وكانت وفاته بدمشق سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ بكري البغَّال

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه فقال ما خلاصته : ولد بدمشق سنة ١٢٥٠ تقريباً ونشأ على الصلاح والتقوى ، وحفظ القرآن العظيم وجوَّده ، ثم طلب العلم وحضر على شيوخِ عصره كالشيخ قاسم الشهير بالحلاق ، والشيخ محمد الخاني الكبير ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ المهدي ، وخليفته الشيخ المبارك ، واشتغل بالطريق مدةً طويلة ، واعتزل الناس وقل كلامه وأكثر من الصيام والقيام والخلوة في مدرسة التعديل ، ثم لازم دروس شيخنا الطنطاوي ، فما قرأنا فناً ولا كتاباً إلا وحضره معنا ، ولم يمض عليه مدة إلا وانتقل من حالته الجلالية ، إلى حالته الجمالية ، فصار فيه دعابةٌ ومجون ، وحالة لاتدخل في دائرة الظنون ، مع لطافة تُذهب البوس ، وتُضحك الجامد العبوس ، فألفه الأكابر ، وتعلَّق به الأصاغر . وكان موظفاً بإمامة جامع عزّ الدين وتدريسه وخطابته ، وفي سنة ١٣١٠ ذهب إلى الحجاز ثم عاد إلى دمشق مريضاً ، فلم يزل تزداد آلامه إلى أن

توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف ، رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٢

الشيخ محمد البيطار

لم يترجمه شقيقُه الأستاذ البيطار في تاريخه المعروف ، مع أن المترجَم من كبار علماء دمشق وفقهائها ، وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة ، كما أنه أهمل أناساً من هذه الطبقة لا نعرف للأستاذ عذراً في إهمالهم سامحه الله . أما صاحب الترجمة فقد ذكره الفاضلُ تقي الدين في تاريخه وقال : هو محمد بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار ، الدمشقي الميداني الشافعي ثم الحنفي ، الشيخ المعمَّر ، أمين الفتوى بدمشق .

ولد في حدود سنة ١٢٣٠ ، وقرأ على والده وبه كان أكثرُ انتفاعه ، وأدرك الطبقة العليا من الشيوخ الأعلام ، وأخذ عنهم حتى برع في جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم ، وتولى أمانة الفتوى في دمشق بزمن أمين أفندي الجندي ، والعلامة الحمزاوي ، والسيد المنيني ، وانفرد في الفقه وأصوله ، ونال رتبة أزمير المجرَّدة ، فاشتهر فضله وعمَّ نفعه ، وقصدَتْهُ الناس في أمر دينهم ودنياهم ، وفي كلِّ اختلاف بينهم ، حتى كانوا يستفتونه وهو سائرٌ في الطريق ، فيقف لهم ويفتيهم ، وقد اشتهر أنه أعلم من بعض المفتين ! وكان يرزقه الله من حيث لا يحتسب .

وكانت وفاته سنة ١٣١٧ ، (صوابه عام اثني عشر وثلاثمئة وألف) انتهى .

قلت وقد أعقب المترجَمُ ولدَه الشيخ محمود البيطار الذي ترجمه عمُّه الأستاذ في تاريخه ! وقال إنه ولد سنة ١٢٥٣ وقرأ على جدِّه ووالده ، ثم على الطنطاوي والخاني وغيرهما ، وتفقه كوالده المترجَم على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وصار كوالده أيضاً من أمناء الفتوى بدمشق أكثر من عشر سنوات ، وكانت وفاته سنة ١٣١٦ ، رحمه الله تعالى .

سعد الدين أفندي اليافي

ترجمه الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال : هو سعد الدين بن محيي الدين بن عبد اللطيف اللُّطفي الشهير باليافي الحنفي ، ولد بدمشق سنة ١٢٤٠ ، وقرأ على علماء عصره ، وأدرك الطبقة العالية منهم ، وكان له في الفنون الغريبة الاطلاع التام ، وقد تولى القضاءَ الشرعي في أكثر أقضية سورية ، وله آثار نفيسة تدلُّ على فضله وسعة اطلاعه ، منها « تنوير الألباب في الأحكام والآداب » و« الرياض المسكية » و« مرجع الرياسة في أحكام السياسة » و« فتوحات الإرشاد لمن أراد الحكم بين العباد » و« نتائج الأحكام للقضاة والحكّام » و« إغاثة الملهوف باصطناع المعروف » و« غاية الضبط في رسم الخط » و« الروضة الزاهرة في السلالة الطاهرة » و« نيل الأجور في إدخال السرور » .

وكانت وفاة صاحب الترجمة سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة الدحداح ، وهو والد الوجيه المعروف فريد باشا اليافي مدير أوقاف دمشق سابقاً رحمهما الله تعالى .

الشيخ علي الحلواني

ترجمه لنا أحد أحفاده فقال ما خلاصته : هو السيد علي ابن السيد محمد علي الشهير بالحلواني الرفاعي الشافعي الدمشقي ، شيخ الطريقة الرفاعية بدمشق . كان عالماً عاملاً ، مرشداً كاملاً ، جِدِّياً في أقواله وأفعاله ، متحقِّقاً بالسنة النبوية في جميع أحواله .

ولد بدمشق سنة ١٢٢٧ ، وأخذ العلومَ عن علماء عصره ، فتلقَّى الحديث عن المحدِّث الشهير الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والفقه الشافعي عن مفتي الشافعية عمر أفندي الغزِّي ، والفقه الحنفي عن الشيخ عبد الله الحلبي ، والآلات عن الشيخ عبد الرحمن الحفار . ورحل إلى مصر فحضر دروس الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر ، ونال منه إجازة بالتدريس العام . وتلقى الطريقة الرفاعية

والقادرية والخلوتية الصاوية عن الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا ، وكان شيخه هذا يتفرَّس فيه النجابة والصفاء ويحترمه ، وقد حاز منه على إجازة عامة وخاصة ، وكان فتوحُه وترقِّيه على يده ، وأخذ الطريقة القادرية أيضاً عن السيد محمد مكرم الكيلاني مفتي حماه ، وأخذ الطريقة الرفاعية أيضاً عن والده المقدم ذكره .

ثم تصدر المترجَم للوعظ والإرشاد في داره ، فأقبل عليه الكثيرون وفيهم العلماء والصلحاء والخاصة والعامة ، وخلف في الطريق كلا من ابن أخته الشيخ عارف أفندي المنيِّر ، وابن أخيه المقرئ الشيخ محمد سليم الحلواني ، وابن شيخه الشيخ أبي السعادات الدجاني ، والأستاذ الشيخ سليم المسوتي ، والشيخ سليم الحجار ، ونجله الفاضل السيد محمد نجا الحلواني ، ويحكى عنه كرامات يحفظها مريدوه .

وكانت وفاته عام اثني عشر وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وفيات سنة ١٣١٣

الشيخ محمد الطيب

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو محمد الطيب بن محمد المبارك الجزائري الدلسي المالكي نزيل دمشق ، العالم الفاضل ، والمرشد الكامل ، ولد سنة ١٢٥٥ ، ونشأ في حجر والده فتعلَّم القرآن الكريم وجوَّده وحفظه وأتقنه ، وأجاد الخط وأحسنه ، وقرأ العلوم على سادةٍ أفاضل ، منهم الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، فكنا نحضر وإياه كتابَ « الفتوحات المكية » وغيرها من كتب السادة الصوفية ، وقرأ فنوناً متعدِّدة على شيخنا الشيخ محمد الطنطاوي ، وقرأ على غيرهما من السادة المالكية ، وأجازوه إجازةً عامة ، وكان له ذكاء وحفظ ، وطلاقة لسان ، وحسن معاشرة ولين جانب ، مع زهادةٍ وقناعة ، وجود وكرم ، ومهابة وقبول ، وفهم جيد في كلام القوم ، ولما شرَّف دمشق شيخنا السيد محمد الفاسي الشاذلي ، أخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وبعد أن اشتغل عليه مدةً أذِن له في الوعظ والإرشاد ، فأرشد الناس ونشر الطريق وأقام الأذكار ، وأكثر من السياحة في هذا

السبيل ، فانتفع منه البعيد والقريب ، وعرف بين الناس ، واشتهر باللطف والإيناس ، وفي سنة ١٢٨٧ أرسله الأمير المشار إليه مع الشيخ الطنطاوي المقدَّم ذكره إلى مدينة قونية لمقابلة « الفتوحات المكية » على نسخة مؤلفها الموجودة هناك ، فقرأها مع الشيخ المذكور مرتين ، ثم عادا فقرأناها جميعها على الأمير المرقوم ، وصحَّحنا نسخنا على النسخة المقابلة المذكورة . هذا ومما نظمه المترجَم وأسمعني إياه من لفظه قوله :

سلوّي عن الأحباب حرَّمه الحب	فإنْ هجروني فالعذابُ بهم عذبُ
وهيهاتَ يوماً أن أميلَ إلى السّوى	وكيف وقلبي مدنفٌ بهم صبُّ
فإن حدَّثوا أروي الحديث بسائري	فنعم الشِّفا ذكرُ الأحبَّة والطبُّ
فلله عيشٌ قد تقضَّى بقربهم	وكأس الهنا صافٍ ومغنى اللقا رحْبُ
سقَوني شرابَ الأُنس صِرفاً مقدساً	عن المزج لما أن تمزَّقتِ الحُجْبُ
فقالت سليمى قرَّ عيناً بما ترى	وطِبْ في الهوى نفساً فقد حصلَ القُرْبُ
ألم تدرِ أن الوصلَ أضحى مقامُه	عزيزاً رفيعاً لا تطاوله الشُّهْبُ
حمانا منيعٌ دونه الحَتْفُ يا فتى	وإن الهوى مَرْقاهُ مستوعرٌ صعبُ
فكم مغرم أضحى معنًّى ولم يَفُزْ	بنظرةِ إسعافٍ بها يسكنُ القلبُ
تؤجّجُ نارُ الوجدِ بين ضلوعِهِ	وأجفانُهُ مثلُ الغمام لها سكبُ
يرى روحَهُ تنحط قدراً بلمحةٍ	وإن عدَّها يوماً فذاك هو الذنبُ
فمن شاء أن يحيا ويحظى بنظرةٍ	فبي فليمتْ وَجْداً وإلاّ فلا يصبو

وكان للمترجَم شغفٌ كثير بالسماع والنساء ، ولو تيسر له لدخل كل ليلة على كاعب عذراء ! وكان يحبُّ التجمُّل في الملبس وغيره ، ويكثر السؤال عن إخوانه .

ولم يزل يعظُم قدره إلى أن توفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة وألف ، ودفن في سهل المزة ، انتهى .

قلت : إن صاحب الترجمة قدِم دمشق مع والده المذكور وجدِّه لأمه الشيخ المهدي مهاجرين من الجزائر في حدود سنة ١٢٦٣ ، فتوفي والده سنة ١٢٦٩ ،

ورباه جدُّه المرقوم على الطريقة الخلوتية إلى أن توفي سنة ١٢٧٨ فقام المترجَم مقامه في المدرسة الخضيرية إلى وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد التَّكْريتي

ذكره المؤرخ الأديب تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : هو محمد بن فارس بن أحمد ابن الشيخ داود الشهير بالتكريتي الشافعي الدمشقي الصالحي . ولد بدمشق ونشأ بها وطلب العلم ملازماً بعضَ علماء دمشق ، كالشيخ محيي الدين العاني والشيخ عبد الله الكردي ، والشيخ سليم العطار ، وأخذ طريق القوم عن الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني وغيره ، وقد درَّس المترجَم في بيته وفي جامع الشيخ الأكبر ، وانتفع به بعض الطلبة ، واشتهر في صالحية دمشق بقضاء حوائج الناس ، فكانوا يرجعون إليه في كلِّ خلاف بينهم فيُحسن حلَّه بمعرفته وإخلاصه ، وهو من بيت قديم ذكرهم السُّبكي والسيوطي والغزِّي في طبقاتهم ، والبربير في رسالة « زهر الغيضة » .

وكانت وفاتُه سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة وألف ، ورثاه العالم الشيخ إبراهيم العطار بأبيات منها :

شمس العلوم محمدٌ ... بحر المزايا والطُّرَفْ
تكْريتُ منشأ أصلِهِ ... والفرع بالأصل اتَّصفْ

انتهى . وأعقب المترجَم أولادَهُ الثلاثة الفضلاء ، الشيخ أمين أفندي وكان على طريقةِ والده ، والشيخ علي أفندي ، المتوفيان في حدود سنة ١٣٦٠ ، والشيخ سليم الباقي الآن .

هولو باشا العابد

هو هولو باشا ابن عمر آغا ابن عبد القادر بن محمد بن قانص آل عابد من قبيلة المشارفة إحدى البطون العربية - كذا في « الروض البسام » - ولم نقفْ للمترجَم على ترجمة واسعة ، وإنما علمنا أنه ولد سنة ١٢٤٠ ، وأنه كان من صدور دمشق

وأعيانها ، هُماماً مقداماً جسوراً مُهاباً ، له سطوةٌ وحُزْمة . وفي سنة ١٢٩٨ انتُخب عضواً في مجلس إدارة سورية ، ثم تكرر انتخابه إلى سنة ١٣٠٩ ، وعُين متصرِّفاً على نابلس مرَّة وعلى حماه مرَّتين ، ونال من الدولة العثمانية أخيراً رتبة روم ايلي والوسامين العثماني والمجيدي من الدرجة الثانية ، وترشَّح لمناصبَ عالية أخرى ولكن لم تتمَّ له ، وأنشأ داراً فخمةً في محلَّة سوق ساروجا ، وفندقاً كبيراً عند جسر الحرية في مرجةِ دمشق ، وهو الذي تداعى أخيراً فهدم .

ولم يزل المترجَم في عزٍّ وإقبال إلى أن توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة باب الله . وهو والد الوزير الشهير أحمد عزت باشا ، والوالي الخطير مصطفى باشا رحمهم الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٤

أحمد أفندي العَجْلاني

هو السيد أحمد ابن السيد أمين ابن السيد حسين العجلاني الحسيني المَنْجَكي الحنفي الدمشقي ، نقيب الأشراف بدمشق الشام ، الفاضل الكامل الجسور الوقور ، ولد بدمشق في حدود سنة ١٢٥٠ ونشأ في حجر والده شيخ المشايخ ، وقرأ على بعض العلماء كالشيخ عبد الله الحلبي ، والجد الشيخ حسن الشطي وغيرهما ، وتولى نِقابة الأشراف ومشيخة المشايخ (مشايخ الطرق والحرف) في حياة عمه المولى درويش أفندي ، واستمرَّ نقيباً إلى أن عُزل بغمِّه الموما إليه ، فلما توفي هذا أعيد المترجَم إلى النقابة ، ولم يزل إلى سنة ١٣٠٧ حيث عُزل بالسيد صالح أفندي تقي الدين الذي ظلَّ نقيباً إلى أن توفي سنة ١٣١٠ ، فأعيد صاحب الترجمة إلى النقابة المذكورة .

وما زال نقيباً إلى وفاته سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف ، وقد أعقب أولاداً أنجبهم صادق أفندي ، أحد نواب الأقضية وموظفي العدلية المتوفى بعد سنة ١٣٥٠ رحمهما الله تعالى .

محمود أفندي النابلسي

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما معناه : هو محمود بن إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين من أحفاد العارف بالله سيدنا الشيخ عبد الغني النابلسي ، الدمشقي الحنفي . ولد بدمشق ونشأ في طلب العلم وملازمة أهله إلى أن تولى القضاء الشرعي في أقضية دمشق وبيروت ، ثم في لواء الحلة ، وأخيراً في القدس الشريف ، وهنَّأه الهلالي الشاعر بقصيدة قال في تاريخها :

وقدومه للمسجد الأقصى أتى   تاريخَ تبريكٍ لبيت المَقْدس
١٣٠٩

وقد كان فقيهاً فاضلاً متقناً لعلم الفرائض ، دَمِثَ الأخلاق ، بهيَّ المنظر ، لطيفَ المعشر ، مثالَ المروءة والكرم ، توفي عام أربعة عشر وثلاثمئة وألف ، وترك ذُرِّيَّةً نجيبةً أرشدُهم إبراهيم أفندي الذي تولىَّ القضاء بعد والدِهِ في عكَّار وغيرها ، رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد القادر الأسطواني

ترجمه المؤرخ الفاضل أديب أفندي تقي الدين وغيره . فهو عبد القادر بن عبد الله بن حسن الأُسطواني الدمشقي الحنفي . الشيخ العالم الفقيه البارع الجامع بين المنقول والمعقول ، ولد سنة ١٢٤٩ ونشأ في حجر والده ، واشتغل بطلب العلم فأخذ عن مشايخَ كثيرين ، منهم العلامة الشيخ عبد الله الحلبي ، والعلامة الشيخ حسن الشطي ، والعلامة عمر أفندي الغزِّي ، والعلامة الشيخ هاشم التاجي وغيرهم ؛ واستجازهم فأجازوه ، ثم لازم القراءة والإقراء ، إلى أن صار في صفوف العلماء ، وبرَع في العربية والحساب والفقه وأصوله والحديث ومصطلحه ، وكان يدرِّس في الفقه بين العشاءين في الجامع الأموي ، وله اطلاعٌ تامٌّ على الطب القديم ، وأحكام النجوم وعلم الأوفاق ، وكان صالحاً كريم الأخلاق على قدم السلف ، ذا هيئة حسنة ، لطيف العشرة ، يميلُ إلى الانفراد ،

بعيداً عن الرُّتَب والمناصب ، ملازماً للمساجد ، مثابراً على إلقاء الدروس . قصَد الحجاز سنة ١٢٩٩ واجتمع بعلماءِ الحرمين ، ومنهم الشيخ رحمة الله الهندي الشهير ، والشيخ أحمد زيني دَحْلان مفتي مكة المكرمة وغيرهما ، وكان عند الجميع مَوْضِعَ إعزاز وإكرام ، ولم يزلْ على حالته الحسنى إلى أن توفي ، وكانت وفاتُه في خامس شوال سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة البابِ الصغير ، رحمه الله تعالى .

الشيخ إبراهيم العطَّار

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه فقال : عالمٌ جليل ، وفاضلٌ نبيل ، شهيرُ الذكر ، كبيرُ القدر ، من بقية المشايخ الأقدمين الناهجين على طراز الصالحين ، له محاضرة لطيفة ، ومذاكرةٌ ظريفة ، وتواضع بَيِّن وجانب لين . ولد بدمشق الشام عام ١٢٣٢ تقريباً ، ونشأ بها وقرأ على مشاهير مشايخها . . . وقد تصدَّر للإقراء والإفادة في جامع بني أمية ، وعكف عليه من الطلبة كثيرون ، وكان ينظِمُ الشعر أحياناً ، ويؤثر الانزواء عن غير محافل الفضلاء ، وما زال على هذا الحال إلى أن توفي في ثامن عشري شعبان سنة أربعَ عشرةَ وثلاثمئة وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح ، تغمَّده الله برحمته ورضوانه ، انتهى .

وترجمه السيد الفاضل أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو إبراهيم بن محمود ابن الشهاب أحمد العطار الشافعي الدمشقي ، نشأ في حجر والده وأخذ عنه وعن عمه العلامة الشيخ حامد ، وبه كان أكثرُ انتفاعه ، وقرأ على غيرهما من علماء دمشق ، ورحل إلى الحجاز ومصر سنة ١٢٧٦ واجتمع بفحول العلماء من القطرين وأخذ عنهم ، وكان إماماً نحريراً عالماً مبارَكاً معمَّراً تعتقدُه الناس ، بعيداً عن الظهور ومخالطةِ الأمراء والحكَّام ، درَّس في الجامع الأموي عند حجرته الغربية ، وفي مسجد الأقصاب ، وانتفع به خلقٌ كثير ، واشتهر فضلُه وصلاحُه ، وله مؤلفات كثيرة . قال - كما أخبرني أحدُ أنجاله الأدباء ولم يطلعْني عليها - : وكان صديقاً لوالدي ، وكنت أتردد عليه معه . وكانت وفاته سنة ١٣١٤ ، انتهى .

قلت : ذكر المترجَم في مختصر ثبته المطبوع بدمشق سنة ١٣٢٠ جملةً من شيوخه في العلم ، فمنهم والده وعمُّه المقدَّم ذكرهما ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عمر أفندي الآمدي ، والجد الشيخ حسن الشطي ، والملا أبو بكر الكردي ، والشيخ محمد أفندي الرومي ، والشيخ هاشم التاجي البعلي ، والشيخ عبد الرحمن الحفار . وذكر من شيوخه في التصوف الشيخ صالح السفرجلاني شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق ، والشيخ إبراهيم الرشيد الأحمدي في مكة المكرمة - وقال : إنه أخذ الطريقة القادرية عن والده الآنف ذكره ، وعن السيد سلمان أفندي نقيب أشراف بغداد وشيخ السَّجّادة القادرية بها ، وروى الفقه الشافعي عن عمه المشار إليه ، والحديث المسلسل بالأولية عن شيخه الطيبي ، والحديث المسلسل بالمصافحة عن والده المذكور ، إلى غير ذلك من رواية الكتب والأذكار والفوائد .

ومن مؤلفاته تكملة تفسير شيخه الملا أبي بكر ، وتعليقات كتبها على حاشية الباجوري على شرح الأنبابي على السلَّم ، وله غير ذلك ، ولما احترق الجامع الأموي سنة ١٣١١ احترقت حجرة المترجَم وفيها جميع كتبه وآثاره . وقد أعقب أولاداً نجباء منهم العالم الشيخ محيي الدين أفندي ، والفاضل الشيخ رضا أفندي ، رحمه الله تعالى .

راغب أفندي الحنبلي

ترجمه لنا شقيقُه الفاضل سعيد أفندي . فهو راغب بن محمد بن مصطفى البرقاوي النابلسي أصلاً ، الحنبلي لقباً ومذهباً الدمشقي ، العالم الفقيه الفرضي النبيه . كان جسوراً مقدَّماً فصيحاً لسِناً ، ولد بدمشق سنة ١٢٦٧ تقريباً ونشأ في حجر والده قاضي الحنابلة بدمشق وأخذ عنه وعن العمِّ الشيخ أحمد الشطي ، وصار كاتباً في محكمة السنانية ، ثم في محكمة العمارة ، ثم في محكمة الباب من محاكم دمشق الشرعية . وبعد وفاة والده سنة ١٢٩٧ صار رئيس الكتاب بمحكمة العمارة المذكورة ، ثم بمحكمة الميدان ، ثم إنه رحل إلى الآستانة ودخل سِلْك

القضاة ، فولي نيابة قضاء صفد فحاصبيا إلى أن صار نائباً في قضاء السليمية ، فمرض أثناء نيابته هذه وحضر إلى دمشق فازداد به المرض وتوفي .

وكانت وفاته في حادي عشر رمضان سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف .

وكان سعيد أفندي المقدَّم ذكره مثل شقيقه المترجَم حالاً وقالاً وكتابةً ونيابةً ، وآخر ما وُلي نيابة البقاع فرغ منها سنة ١٣٢٣ ، وكانت وفاته فجأة يوم الجمعة ختام رمضان سنة ١٣٢٤ . ومن أولاد صاحب الترجمة الفاضل شاكر بك أحد رجال حكومتنا السورية سابقاً ، وهو من النوابغ المنوَّه بهم الآن .

محمد باشا اليوسف

ترجمه بعضُ الفضلاء في تاريخٍ وضعه للأسرة اليوسفية الزركلية فقال ما خلاصته : هو محمد باشا ابن أحمد باشا ابن السيد محمد ابن السيد يوسف ، وإليه تنتمي تلك الأسرة ، ويقال إنَّ نسبهم حسيني ، وأول من قدم منهم دمشق جدُّ المترجَم السيد محمد المذكور ، وقد كان عالماً فاضلاً موصوفاً بالكمالات زاهداً في الإمارة التي كانت لأسلافه في الأصقاع الكُرْدية ، توفي سنة ١٢٥٠ فنشأ من بعده ولده أحمد باشا الذي صار أمير الحاج الشامي مدةَ أربعةَ عشرَ عاماً وتوفي سنة ١٢٨٠ ، وهذا أعقب صاحبَ الترجمة .

كانت ولادته سنة ١٢٥٥ ونشأ في حجر والده على العفاف والتقى ، وتعلَّم اللغتَين التركية والكردية إضافةً إلى العربية ، وتعلم في المدارس ما يلزمه من العلوم والمعارف ، ولما أن شبَّ تولَّى وظيفة الجردة في سفر الحاج الشريف سنة ١٢٧٧ ، ثم صار قائم مقام على حمص ، وحُمدت سيرته . ولما توفي والده ترك المنصب وعاد إلى دمشق يتفقد شؤون إخوته وأسرته ، وفي سنة ١٢٨٣ أحيلت إليه قائمقامية بعلبك والبقاع ، ثم رحل إلى الآستانة سنة ١٢٨٥ ، فحظي بها كلَّ الحظوة ورجع منها متصرِّفاً على لواء عَكّا ، وفي سنة ١٢٨٧ صار متصرِّفاً على حماه ، ثم نُقل منها إلى البلقاء (نابلس) وفي سنة ١٣٠٢ صار متصرِّفاً على طرابلس ، فأنشأ فيها مدرستَين خيريَّتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث ، وعين مديراً لأوقاف

الشام ، فخدم الأوقاف والمدارس ، وأخيراً صار من أعضاء مجلس الإدارة ، ونال أثناء مناصبه في الدولة العثمانية رتبةَ ميرميران ،ثم رتبة روم ايلي ، والوسامَين العثماني والمجيدي من الدرجة الثانية ، وأوسمةً أخرى من الدول الأجنبية ، وتقلَّب المترجَم في مناصب ووظائف كثيرة كان فيها مثالَ حُسن الإدارة ، وسموٍّ الفكر ، وطيِّبِ الأثر ، وكرم النفس ، يحبُّ أهلِ العلم والأدب ويألف الاجتماع بهم ، وقد أثنى عليه الأدباء وأكثر من مدحه الشعراء ومن ذلك أنه لما انتقل منَ حماه إلى نابلس كتب إليه شاعر سورية الشيخ محمد الهلالي الحموي بقصيدة فريدة مطلعها :

سرى فـأثـار نـارَ الشـوق ريَّـا   نسيـم هـبَّ مـن أطـلال ريَّـا
وأدَّى حين أدمـى جُـرحَ قلبـي   رسـائـلَ تصحـبُ المِسْـكَ الـذكيَّـا
عجبت من العليل أتى يداوي   عليـلاً قـد كـواه البَيْـنُ كيَّـا

ومنها :

عسـى مـن ردَّ يعقـوبـاً بصيراً   يـردُّ على حمـاةَ اليـوسفيَّـا
فتـى كـانـتْ حمـاةُ بـه عـروسـاً   مـن الإقبـال تلبـس سُنْـدُسِيَّـا
وكـانـت بُلْبـلاً مـذ سـار منهـا   غـدت لفظـاً مـن المعنـى خليَّـا
تحـوَّل ذو اليـد البيضـاء عنهـا   لِنـابُلُـسٍ فيـا بلقـا هنيَّـا
أجـلُّ الأذكيـاءِ حِجًـى ورأيـاً   بَـديهيّـاً وفكـراً ألمعيَّـا
تـراه على محبِّيـه عطـوفـاً   وجبَّـاراً على الأعـدا عَصِيَّـا
رؤوف ودَّ لـو كَفَـلَ البرايـا   وصيَّـرَ كـلَّ ذي فقـر غنيَّـا
كـأن الله قـال لـه جِهـاراً   على أبنـاءِ آدم كُـنْ وصيَّـا

ومنها :

فيـا روحـي وريحـاني وراحـي   ويـا حلـو الجَنَـى يـا جَنَّتَيَّـا
وحقِّـك مـا ارتيـاحـي غيرَ أني   أرى منـك الجنـابَ الأريحيَّـا
ومـن لي لـو إلى مـرآكَ أسعـى   ومـن ريـحِ الصَّبَـا أعلـو مَطيَّـا

وأنجو من أوام حماةَ أبغي ... حِمى بنداكَ مُخضَلاً نَدِيَّا
لواءٌ فيه ميلادي ومَهْدي ... ومن كِبَرِي بلغتُ به عِتِيَّا
متى يزهو بك استقبالُ حظّي ... ويرجعُ شيخُ إقبالي صبيَّا
أما وسعود أوقاتٍ وعيش ... بظلِّكَ كان مرعيّاً مريَّا
وأيديك التي كم طوَّقَتْ من ... رقابٍ طَوْقَ إحسانٍ سنيَّا
لأنت اليومَ بعد الله حَسْبي ... كفى بك كافلاً مولىً وَليَّا
أعاذك ربُّنا وبنيك ممَّن ... يريد بشأنكم شيئاً رَديَّا

وآخرها :

ولا برِح الثناءُ عليك مني ... يُطيِّبُ وزن شعري والرَّوِيَّا
عليك شذا سلامي كلَّ حينٍ ... يفوح خِتامُه مسكاً ذكيَّا

ولما بنى صاحبُ الترجمة سوق حماة أرخه الهلالي المذكور بأبيات منها قوله :

شكراً لسعي اليوسفيِّ محمدٍ ... أعلى وأجلى من إلى المجد انتمى
عنا جزاه الله من متصرفٍ ... خير الجزاء بما أجاد وأحكما
باليُمْن والإقبال جدّدَ أرّخوا ... **للناس سوقاً قد تشيَّد* في حَما**
١٢٩٥

ونظم الهلالي المقدَّم ذكرُه الأبيات الآتية مهنِّئاً صاحب الترجمة برتبة ميرميران مطرزاً ومؤرِّخاً :

م . مجلى جمال اليُمْن أوحد رتبة ... ب . بحبورها الباهي أتت لليوسفي ١٣٠٠
ح . حسناء جاءت في الدعا تسعى إلى ... ا . أسنى منار سماء بدرٍ أشرفِ ١٣٠٠
م . مولىً غدا بكمال عزٍّ أمجدٍ ... ش . شهماً وأحكم حاكم متصرفٍ ١٣٠٠
د . داعي الصَّفا بعلاه أصبحَ داعياً ... ا . أبشر بعزة نيل مجدٍ آصَفي ١٣٠٠

وقد أكثر الهلالي من مديح صاحب الترجمة في كلِّ مناسبة كما يُرى في ديوانه المطبوع . وبالجملة فقد كان المترجَم من خيرة أعيان دمشق وصدورها ، وقد اعتراه في آخر أمره مرضٌ شديد طال به ، فأشار عليه الأطباء بأن يذهب إلى حُلوان من

بلاد مصر ويستحم بمائها المعدني ، فلما استقرَّ بها وافاه الأجَلُ المحتوم في خامس جمادى الثانية سنة أربعَ عشرةَ وثلاثمئة وألف ، ودفن بمقابر حُلوان رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : ومن كمال المترجَم أنه كان تلقَّى بعض العلوم الشرعية عن الجدِّ العلامة الشيخ محمد الشطي ، واستجازه فكتب له إجازة بذلك . ومن آثاره أنه وقف أملاكه على ذرِّيته عبد الرحمن باشا وإخوته ، وجعل منها خيراتٍ ومبراتٍ معلومة وذلك سنة ١٣١٣ أحسن الله إليه .

السيد إبراهيم القضماني

هو السيد إبراهيم ابن السيد مصطفى ابن السيد عمر المعروف بالقضماني الدمشقي ، كان فاضلاً وجيهاً صالحاً معمَّراً ، أدرك الطبقة الأولى من علماء دمشق ، وكان يتناول من الحكومة مخصَّصاتٍ من أوقاف أسلافه ، ويقيم في داره بجوار السيدة رابعة ليلة القدر من رمضان حفلة ذكرٍ يحضُرها جمعٌ عظيم ، ويتبركون بالآثار الشريفة الموجودة عنده ، وقد يبذُل لهم طعاماً في تلك الليلة .

وكانت وفاته عام أربعة عشرَ وثلاثمئة وألف ، وقد ناهز الثمانين ، ودفن في جامع الشيخ عبد الله المنكلاني رحمه الله تعالى ، وهو والد عبد القادر أفندي القضماني أحد نواب الأقضية سابقاً ، ومن الأساتذة المحامين أخيراً حفظه الله .

مراد أفندي الشطِّي

هو محمد مراد بن محمد بن حسن الشطِّي الدمشقي ، أستاذي ، وعمِّي الأديب الأريب والشاب النجيب ، والآخذ من كلِّ علم بنصيب ، العالم المتفنِّن النبيل النبيه ، نادرةُ زمانِه ، كان ـ رحمه الله ـ أعجوبةً في جمعه بين العلوم الدينية والفنون العصرية ، بحيث أدرك على قِصر عمره ما قد تقصر الشيوخ عن إدراكه .

إنَّ الهلالَ إذا رأيتَ نموَّهُ ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بدراً كاملاً

ولد بدمشق في ٨ رجب سنة ١٢٨٩ ونشأ في حجر والده وقرأ وكتب وهو

دون العشر ، ثم دخل المدرسة الجقمقية ، وهي يومئذ مدرسة ثانوية للحكومة ، ونال منها الشهادة سنة ١٣٠٥ مقرونة بجائزة ثمينة ، ثم لازم بعض دوائر الحكومة ، واستقرَّ في كتابة الطابو بدمشق ، مشتغلاً مع ذلك بالتحصيل والدراسة ، فحضر دروس والده وعمه في الفقه والفرائض والحساب والهندسة وأجازاه ، وحضر في الحديث وغيره على العلامة الشيخ بكري العطار ، والعلامة الشيخ بدر الدين المغربي ، وقرأ المنطق والمعاني والبيان على العلامة الشيخ عمر العطار ، وكتب له إجازة سنة ١٣٠٨ ، وأخذ النحوَ والصرف عن العالمين الشيخ محمد العطار ، والشيخ رشيد سنان ، وتلقى علم الهيئة والربع المجيب عن الحافظ الشيخ حسين موسى نزيل دمشق ، والجبر والمقابلة عن العلامة الشيخ محمد الطِّيبي ، ولازم أخيراً العلامة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري ، وانتفع به كثيراً ، وكان لهذا الأستاذ آمالٌ فيه ، وطالما ذكره بأسفٍ وحسرة ، وقد قرأ عليه « تيسير الوصول » في الحديث وأجازه به وبغيره ، ثم حضر عليه تفسير القاضي البيضاوي ، فاخترمته المنية قبل إتمامه .

وكان عارفاً باللغتين الفارسية والتركية ، وله باعٌ طويلٌ في الخط من نسخ وتعليق وكوفي ، أخذها عن الفاضل ناظم بك ، والمتفنِّن مصطفى أفندي السباعي . ثم كتب بخطه كثيراً من الكتب والرسائل ، وأحسنُ آثاره مُدَبَّجاتُ عبدِ المنعم الأندلسي المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق . وألَّفَ رسائلَ لطيفة منها « كشف المغيب في العمل بالربع المجيب » و« تحفة النُّسَّاك في فضائل السِّواك » و« الكواكب المتقابلة في الجبر والمقابلة » ، ومسوَّدات تاريخية ومكاتبات أدبية ، وكان له شعر قليل فمنه قوله :

خالق الناس بخلقٍ حسَن ... ترتقي أسنى المقام الأحسنِ
واعتبرْ من حال أهل الزمنِ ... وانتبه من غمَرات الوسَنِ
وتيقَّنْ أنَّ زرعَ الإِحَنِ ... موجبٌ حقاً لحصْدِ المحَنِ

وقال مشطراً بيتين مشهورين وأجاد :

(إذا العشرون من شعبان ولَّت) ... فبادر للتُّقى حقَّ البِدار

ولا تسمــغ لغمــرٍ قــال جهــلاً (فــواصـل شُربَ ليلِـكَ بـالنهـار)
(ولاتشرب بـأقــداحٍ صغـارٍ) فليـــس مـــآلُ ذا إلا لنـــارِ
وتُبْ واعبد وفي الطاعات فاسلكْ (فقد ضاقَ الزمانُ عن الصغارِ)

وقال مؤرخاً عزل الوالي عثمان نوري باشا على أثر ثورة الدروز سنة ١٣١٤ :

عـــزلُ الطغـــاة واجـــبٌ قبـــلَ وقـــوعِ الحَشْـــرةِ
فـــالـــوالي أرِّخـــوا عُـــزِلْ بعـــــدَ خـــرابِ البصرةِ

وقال في واقعة حال :

قد عهدْنا سهيل يطلُعُ ليلاً ســامياً في السمــاء أوجَ نجــوم
فعجيـــبٌ أني رأيـــتُ سَنـــاهُ طــالعــاً في النهــار دونَ غُيــوم!

وكان بين العم صاحب الترجمة وبين السيد محمد فاتح الهبراوي من أدباء حلب ، مراسلاتٌ من عجائب المنثور والمنظوم ، تدلُّ على فضلهما بالمنطوق والمفهوم ، وكنت طبعتُ مختارات منها باسم « الرسائل الفاتحية » سنة ١٣٢٣ وهي معروفة ، ومما كتبه إلينا السيد الهبراوي معزياً :

لله خطـــــبٌ عظيـــــمٌ أصـــــاب كـــــلَّ فـــــؤادِ
فيـــه الفضـــائـــلُ أمسَـــتْ تقـــولُ أيـــن مُـــرادي

هذا وقد كان العم المترجَم مرِضَ بالسِّل ، وطال مرضه إلى أن رزئنا بفقده يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة عام أربعة عشر وثلاثمئة وألف ، ودفن بالمقبرة الذهبية في دمشق ، وأرخ وفاته شاعر وقته الشيخ عبد الرحمن القصار بقوله :

خليلي زر ضريحاً فيه أمسى أديــبٌ فقــدُه أضنــى الفــؤادا
أريب من بني الشطيِّ مَنْ قد سمَــوْا علمــاً وفضــلاً واجتهــادا
فيا طـوبـى لـذي خُلـقٍ رضيٍّ غــدت أرضُ الجنــانِ لــه مِهــادا
حبـاه الله بـالإحســان عفـواً وبـالتـاريـخ بلَّغَـهُ المُــرادا
١٣١٤

وقد رثيتُه قديماً بقصيدة منها قولي :

سقـاك الله عنـي يـامـرادُ   وحيـا الله عهـدَك يـامـرادُ
كأنَّك في سماءِ الفكر شمسٌ   وفي بحـر الحِجَـى دُرٌّ مـرادُ
فـوا لهفـي لعيشِـك ربعَ قـرنٍ   ومـوتـك وهـو عـن عُقْـمٍ مُـرادُ
حبـاك الله بـالحسنـى جـزاءً   وأولاك العُلى فضـلاً مَـرادُ

وترجمه العلامة البيطار ، والأستاذ القاسمي ، والشريف تقي الدين في تواريخهم ، وأثنَوْا عليه رحمه الله تعالى وعوَّضنا عنه خيراً .

وفيات سنة ١٣١٥

الدرويش صبري أفندي شيخ المولوية

ذكره السيد الشريف تقي الدين في تاريخه قال : هو الدرويش صبري ابن الدرويش رجب ، الحلبي الأصل ثم الدمشقي ، شيخ المولوية بدمشق ، نشأ في طلب العلم ولازم علماءَ دمشق ، كالعلامة الشيخ سليم العطَّار والشيخ محمد سعيد البرهاني وغيرهما ، وكان في كل يوم خميس من أيام الربيع يقيم الحضرة المعتادة(المقابلة) في تكيتهم المعروفة ، وفي كلِّ سنة يدعو شيخه العطار يوم ختمه لدرس التكية السليمانية إلى مائدةٍ نفيسة يقيمها في تكيته المذكورة ، ويحضرها فريقٌ من الحكام والعلماء والوجهاء . وكان فاضلاً يميلُ إلى المباحثة في العلم والأدب ، ولا يخلو مجلسُه من أفاضل ، وما زال على طريقته المثلى إلى أن مات سنة خمس عشرة وثلاثمئة وألف ، وترك ولده الشيخ أمين أفندي فكان هذا من الأدباء الأفاضل على نسَق والده توفي نحو سنة ١٣٢٥ وأعقب ولديه الطبيبين إبراهيم أفندي ومحمود أفندي الموجودَيْن الآن ، انتهى .

قلت : وانتقلت مشيخة المولوية بعد صاحب الترجمة إلى الشيخ سعيد أفندي ابن الشيخ عطاء الله ابن سلف المترجَم الشيخ سعيد شيخ المولوية الأسبق ، وبعد وفاته انتقلَتْ إلى ولده شمس الدين أفندي الباقي الآن .

الشيخ عبد الغني البيطار

ترجمه شقيقه الأستاذ البيطار قال ما خلاصته : هو عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار الشافعي الدمشقي . العالم العامل ، الفاضل الكامل ، ولد سنة ١٢٤٠ ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وحفِظه مع الشاطبية على شيخ القراء بدمشق الشيخ أحمد الحُلواني بالروايات السبع ، ثم قرأ على والده المذكور عدة كتب في جملة علوم ، وقرأ أيضاً على الشيخ عبد القادر الخطيب ، والشيخ عبد الغني الميداني ، والشيخ سليم العطار وغيرهم ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن السيد محمد الفاسي المغربي ، ودأَبَ على مطالعة كتب القوم حتى إنه طالع « الفتوحات المكية » من ابتدائها إلى انتهائها ، مع الزُّهد في تحصيل الدنيا ، والاشتغال بما ينفع في الأخرى ، يحبُّ العُزْلة ويكره السمعة ، كثيرُ المذاكرة ، جميلُ المحاضرة ، لطيفُ العبارة ، خصوصاً في علم الإشارة. وكانت وفاته في سابع عشر رجب عام خمسة عشر وثلاثمئة وألف ، ودُفن في تربة باب الله .

الشيخ أبو الفتح الخطيب

هو أبو الفتح بن عبد القادر الخطيب الشافعي الدمشقي ، ولد في حدود سنة ١٢٥٠ ونشأ في حجر والده وبه كان أكثرُ انتفاعه ، وقرأ الفقهَ الحنبلي على جدِّنا الشيخ حسن الشطِّي في قصةٍ طويلة ذكرناها في ترجمة والده ، وأخذ عن غيرهما من علماء دمشق ، وتصدَّر للتدريس في الجامع الأموي ، وكان عالماً فقيهاً تقياً ورعاً ، راضياً بما قُسم له ، حسنَ السيرة والسريرة ، يكره مخالطةَ الحكام ، وفي سنة ١٢٩٨ عُيِّن محافظاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وكان يُقرئ فيها بعض الطلبة وقد حضرتُ عليه بعضَ الدروس النحوية ، جزاه الله عني خيراً ، وما زال قائماً بالوظيفة المذكورة إلى أن توفي يوم عاشوراء سنة خمس عشرة وثلاثمئة وألف ، ودفن عند قبور أسرته في مقبرة الدحداح ، وأعقب ولدَهُ صديقَنا القديم الأستاذ محب الدين أفندي صاحب مجلة الفتح والمكتبة السلفية بمصر الآن .

وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وزاد على ما ذكرناه بأنه أقرأ النحو والفقه

في مدرسة الخيَّاطين ، وخطب في المدرسة الأحمدية ، وأمَّ في مسجدٍ برأس الخياطين ، وأنه شرح العوامل والآجُرُّومية ، واختصر تاريخَ ابن عساكر بالنسبة لبعض أجزائه على ما فيها من تحريف ، انتهى .

الشيخ رشيد العطار

ترجمه العلامة البيطار في تاريخه بما خلاصته : هو رشيد بن طه ابن الشيخ أحمد العطَّار الشافعي الدمشقي . طلب العلم صغيراً ، فقرأ على علماء دمشق وقتئذ ومن أجلِّهم عمه الشيخ حامد العطار ، ولما توفي هذا أقبل المترجَم على طلب النيابات الشرعية ، وبذل لها هِمَّةً عليَّة ، ولم يزل يتولى نيابة بعد أخرى إلى آخر حياته ، وكان جسوراً في الكلام ، له في المحاضرة نوعُ إلمام ، يحفظ كثيراً من النوادر ، وحوادث الليالي الغوابر ، فعقدُ ودادِه غير محلول ، وطولُ حديثِه غير مملول ، وهو يُظهر التباعد عن الرذائل ، وأكْل أموال الناس بالباطل ، وكان المسموع خلاف هذا الموضوع ، وقد غلب عليه التشيُّع ، والتضلُّع في كتبه من غير تورُّع . . .

وكانت وفاتُه في قضاءِ عجلون وهو نائب فيه ، وذلك في سنة خمس عشرة وثلاثمئة وألف تقريباً ، ودُفن هناك وقد بلغ من العمر نحو ثمانين عاماً رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٦

محمد أفندي المنيني

ترجمه صديقُه الأستاذ البيطار في تاريخه ترجمةً مطولةً وقال في وصفه ما مختصره : هو السيد محمد ابن السيد أحمد ابن السيد إسماعيل ابن الشهاب أحمد المنيني شهرةً ، الطرابلسي أصلاً ، العثماني الحنفي الدمشقي ، مفتي الحنفية بدمشق المحمية . أطلع في سماء الشام قمر الهداية ، وسوَّر حصونَ الطلاب بالوقاية والنقاية ، وغاص لجج البحر المحيط ، فاستخرج لهم فوائد الدُّرَر ، وكحَّل

عيونهم بإثمد تنوير الأبصار ، فالتقطوا عوائد الغرر ، إذا نثرتْ عقودُ طبعه بين الطلول ، ترنَّحت غصون الدَّوْح وأزرت بالشمائل والشمول .

ياسائلي عنه لما ظَلْتُ أمدحُهُ هذا هو الرجلُ العاري من العارِ
لو زرتَهُ لرأيتَ الناسَ في رجلٍ والدهرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ

ولد في دمشق الشام في شهر رمضان سنة ١٢٥١ ، وبعد أن أتمَّ قراءة القرآن بالتجويد والإتقان ، أقبلَ على العلم بهمَّةٍ علياء ، ولازم دروسَ أفاضلِ العلماء ، ثم خطَبتْه المناصب ، ورفَعَتْهُ إلى أعلى المراتب ، إلى أن أتاه منصِبُ الإفتاء طوعاً ، وقال لسان الحال : هذه بضاعتنا ردَّتْ إلينا ، فرجع الأسد إلى غابه ، وجلس الإمام في محرابه ، وكان ذلك بعد وفاة العلامة السيد محمود أفندي حمزة . وقد حاز المترجَم على ما كان لجدِّه الشهاب من الخطبة في جامع بني أمية ، وإقراء صحيح البخاري بعد صلاة الجمعة من الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر . . . وقد كنتُ مدحتُه بهذه الأبيات ، وإنْ كنَّ بمقامه غير وافيات :

ياعذولي إليك عني فدائي بهوى الغِيد قد غدا متنائي

ومنها :

يا شبيه القناةِ قداً ولينـاً كم أطلتَ الجَفَا تروم شقائي
إنني كنتُ للجمال رقيقاً لستُ أرجو ما دمت منه شفائي
ثم أصبحتُ رقَّ حبِّ إمامٍ ذي كمالٍ ورفعةٍ وبهاءِ
هو حبر الأنام مفتي دمشقَ ثاقبُ الفهم نافذُ الآراءِ
مذ دعَتْهُ الأيام للدِّين تاجاً حسدَ الأرضَ فيه أوْجُ السماءِ
لو أعار الظلامَ أخلاقه الغرَّ ـ لأغنى بها عن الأضواءِ
ذو يراعٍ يُبدي إذا أخذ الطِّر سَ فنوناً جلَّت عن الإحصاء
بمعانٍ تحكي جمال لآلٍ كنجومٍ في الليلةِ الظلماءِ

وختامها :

فعليه السلام ما جنَّ ليلٌ وأنار الصباحُ أفقَ السماءِ

وكانت وفاته ظُهرَ يوم الأربعاء غُرَّةَ شعبان سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في تربة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : إنه ولد سنة ١٢٥٢ ، ونشأ على طلب العلوم والمعارف ، وقرأ على علماء دمشق ، ومنهم الشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ محمد الجوخدار وغيرهما ، ثم تصدَّر لقراءةِ الدروس الدينية والعربية في مدرسة الملك العادل المشروطة لسكناه مع التدريس بها ، كما تولى تدريس البخاري أيام الجمعة من الأشهر الثلاثة مع حصةٍ من الخطابة والإمامة والتربدارية في الجامع الأموي ، وقد اشتهر فضلُه ، وعمَّ نفعُه ، وأسندت إليه عضوية الاستئناف ثم رياسة محكمة الحقوق بدمشق ، نحو خمسة عشر عاماً ؛ ثم انتخب لمنصِب الإفتاء في الشام ، وبقي مثابراً على إلقاء الدروس في المدرسة المذكورة ، وقد باشر الخطابة والإمامة في أول أمره ، وكان جهْوَرِيَّ الصوت ، طلقَ اللسان ، فصيحَ البيان ، لاسيما في درس البخاري ، الذي كانت تجتمعُ فيه العلماء والوجهاء وكثيرٌ من الناس . وبالجملة فقد كان عالماً نِحْريراً ، فقيهاً محدِّثاً ،حسنَ الهيئة ، منوَّرَ الشيبة ، كريمَ الأخلاق ، علا قدرُه بين الأنام ، ونَفَذَ أمرُه بين الخاصِّ والعام ، أحسنَتْ إليه الدولةُ العثمانية أخيراً برتبة الحرمَين الشريفين مع الوِسام المجيدي الثاني ، وتولى رياسة لجنة تعمير الجامع الأموي بعد احتراقه سنة ١٣١١ ، وصار في آخر عمره كثيرَ البكاء لفقد ولده الأكبر أحمد أفندي الذي كان عضواً في المجلس البلدي ثم في محكمة الاستئناف وغيرهما ، وتوفي سنة ١٣١٣ . وكان أمناء الفتوى عنده كلٌّ من الشيخ محمد البيطار ، والشيخ أبي الخير عابدين ، والشيخ أبي الخير الأُسطواني ، والشيخ عبد المحسن الأسطواني ، وكان السيد محمد شكري الأسطواني مسوِّداً ، انتهى .

قلت وأرَّخ وفاته الشاعر سليم أفندي قصَّاب حسن بقوله :

هـــذا ضريـــحُ حلَّـــهُ الشـــهـــمُ المنينـــي الأوحـــدُ
مفتـي الـورى سـامي الـذُّرا ــ المـــولى الهمـــامُ المفـــردُ
أرِّخ سمـــا في جنـــةٍ مفتـــي الـــوجـــودِ محمـــدُ
١٣١٦

سعيد أفندي الكيلاني

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال : هو السيد سعيد ابن السيد صالح ابن السيد محمد ابن السيد صالح ابن السيد عبد القادر ابن السيد إبراهيم ابن السيد شرف الدين ابن السيد أحمد ابن السيد علي الهاشمي ابن السيد أحمد شهاب الدين ابن السيد قاسم شرف الدين ابن السيد يحيى محيي الدين ابن السيد حسن نور الدين ابن السيد علي علاء الدين ابن السيد محمد شمس الدين ابن السيد يحيى سيف الدين وهو أول من نزل حماة واستوطنها ، ابن السيد أحمد ظهير الدين ابن السيد محمد أبي النصر ابن قاضي القضاة السيد عبد الرزاق أبي صالح بن القطب السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره .

ولد المترجَم سنة ١٢٣٧ في دمشق الشام ، ونشأ في الطاعة والتقوى ، وجعل داره مورد المريدين ومأوى القاصدين ، وصار من أعيان دمشق ورؤسائها ، ومنذ شبَّ خطبَتْه المناصب ورفعته إلى أعلى المراتب ، وقد ولي رياسةَ البلدية بدمشق وانتخب عضواً في مجلس إدارةِ سورية ، وهو مع ذلك لطيفٌ متواضع ، ليس على بابه مانع ، كثير الوداد ، يساعد المريد على المراد ، حاتمي الكرم ، علوي الهمم ، سيرته حسنة ، وشمائله مستحسنة ، حسن الهيئة ، منوَّر الشيبة ، مهاب عند الخاصة والعامة ، وكانت وفاتُه سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : ومن مُدَّاح صاحب الترجمة الشاعر الهلالي نزيل دمشق ، قال من قصيدة طويلة يهنئه برياسة بلدية دمشق سنة ١٢٩٩ :

بروحي من بني كيلان بدرٌ ... سما بسماء أقمارِ السعودِ
أجَلْ ذُرِّيةُ الزهراءِ أجلى ... وأولى بالترقِّي والصُّعودِ
فهم روحي وريحاني وراحي ... بهم وجْدي المقيمُ بهم وجودي

ومنها :

حديقةُ زهرِ إحسانٍ غنيٌّ ... بوردِ الفضلِ عن وردِ الخدودِ

طروبٌ بالمكارم والمعالي ... يُرنِّحُ عِطفَهُ صوتُ الوفودِ
محمدٌ السعيدُ أبو العطاءِ الـ ... ـمُساعدُ للقريبِ وللبعيدِ
قصيٌّ الذاتِ سوماً وهو أدنى ... إلى العافينَ من حبلِ الوريدِ
أعزُّ الأكرمينَ حِمًى وجاراً ... وأجدَرُهم أماناً للطريدِ
وأنجزُ أهلِ قولِ الصدقِ وعداً ... وأمطَلُهم بإجراءِ الوعيدِ

ومنها :

إليه من حماةَ أتيتُ أسعى ... حميدَ السيرِ مشكورَ الورودِ
بجنةِ قربِهِ أطفأتُ قلباً ... من الأشواقِ كان على وقودِ

إلى أن قال :

لقد عوَّذْتُ مجدك ياعميدي ... بربِّ الناس من شرِّ الحسودِ
فلا زالتْ رحابك للبرايا ... محطَّ المستمدِّ المستفيدِ
ودُمْ لدمشقَ شمسَ سماءِ فضلٍ ... سَنِيَّ الأمرِ ذا رأيٍ سديدِ

وقال مبارِكاً له ببناء قصر مطرَّزاً باسم (محمد سعيد) وفي كل مصراع تاريخ فريد :

م مذ بناهُ بالهنا البَدْرُ السعيد ... س ساعَدَ الطالعُ في الخيرِ المزيدْ
ح حبَّذا بيتٌ مهابٌ قد حوى ... ع عين عزٍّ الفخرِ بالحزم الحميدْ
م محضُ إقبالٍ وسَعْدٍ وصفا ... ي يمْنُ تشييدٍ به عِقْدٌ فريدْ
د دوحةٌ حازَتْ ببدرٍ أنورٍ ... د دائمِ النعماءِ بالظلِّ المزيدْ

١٢٩٩

الشيخ محمد رشيد النابلسي

أخبرنا عنه ولدُه صديقُنا الأديب إسماعيل حقِّي أفندي ، فهو محمد رشيد بن عمر بن مصطفى بن إسماعيل ابن الأستاذ الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي . ولد في حدود سنة ١٢٣٥ ونشأ في حجر والده ، وقرأ على شيوخ

عصره ، وفي حدود سنة ١٢٦٠ دخل في محاكم دمشق الشرعيَّةِ كاتباً فرئيسَ كُتَّاب ، فنائباً ، ثم قصد الآستانة دارَ السلطنة العثمانية ، وتولَّى نياباتٍ كثيرة بين أقضيةٍ وألوية ، فمن الأقضية بعلبك مرتين ، وغزَّة ، وصيدا ، وحيفا ، والبقاع ثلاث مرات ، ومن الألوية حوران والسليمانية ونابلس ، ونال من الدولة رتبةَ أزمير العلمية ، وكان في نياباته حميدَ السيرة حسنَ الإدارة ، وإذا حضر مجلساً حدَّث بمحفوظاته الكثيرة ، فآنس الحاضرين وأفادهم ، وقد اشترى في آخر أمره الدارَ المعروفة به في زقاق القرماني ، وكانت وفاته بداره المذكورة بعد أن أتم مدَّته الرسمية في قضاء البقاع ، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، ودفن في قبة جدِّه الشيخ إسماعيل من جامع جدِّه الأعلى المشار إليه في صالحية دمشق ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الخاني

ترجمه ولده العالم الأديب الشيخ عبد المجيد الخاني في كتابه « الحدائق الوردية » ، قال ما خلاصته : هو العلامة الصوفي والمرشد المربيِّ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني ، الشافعي الدمشقي النقشبندي الخالدي .

ولد بدمشق في رجب سنة ١٢٤٧ ، وقرأ القرآن الكريم على الشيخ علي الحزوري ، وتلقَّى الطريقةَ النقشبندية عن والده سنة ١٢٥٤ ، ثم حضر دروسَهُ في فنونٍ مختلفة ، وجلس بين يدي محدِّث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، فسمع دروساً من صحيح البخاري في الجامع الأموي ، وأجاز له يوم الختمْ في ٢٦ رمضان سنة ١٢٦٢ ، وسمع حديث الأوَّلية من الشيخ إسماعيل البرزنجي عن الكزبري الكبير ، وتخرَّج في العلوم على يد الأستاذ الكبير الشيخ محمد الطنطاوي فقرأ عليه كتباً كثيرة ، وحج سنة ١٢٦٢ في خدمة والده ، وزار دار السلطنة العثمانية سنة ١٢٧٠ وهو في خدمته أيضاً ، ولما رجعا أدخله والده الخلوة والرياضة مرَّاتٍ عديدة ، وفي سنة ١٢٧٤ حجَّ معه حجةً ثانية ، ثم عكف المترجَم على العلم والطريقة باجتهاد عظيم .

ولما كملت له الأحوال أذِن له والده بالإرشاد العام وخلفه خلافةً مطلقة وذلك سنة ١٢٧٥ ، وقد قرأ عليه كثيراً من كتب الطريق كـ« الإحياء » و« عوارف المعارف » و« الميزان » و« العهود الصغرى والكبرى » للشعراني ، و« تنبيه المغترِّين » و« الزواجر » لابن حجر ، و« الأذكار » النووية و« منهاج العابدين » بشرحهما وغير ذلك .

وفي سنة ١٢٧٨ قصد الديار المصرية ، واجتمع بعلمائها الأعلام ، كالشيخ محمد الخضري ، والشيخ مصطفى المبلط ، والشيخ إبراهيم السقا ، واستجازهم فأجازوه ، وكتبوا له إجازاتٍ بخطوطهم ، ثم عاد إلى وطنه فلم يلبثْ أن مرض والده فأقامه مقامه على سجّادة الإرشاد العام ، فلما توفي سنة ١٢٧٩ نهض المترجَم بأعباء الخلافة العامة فأقام الأذكار وعقَدَ الدروس ، وانضمَّ إليه سائرُ الخلفاء ، وفي سنة ١٢٨٠ ، اتصل بكريمةِ مولانا خالد ، وأعقب منها بنتاً واحدة ، ولما قدم الأمير عبد القادر الجزائري لازَمَهُ صاحبُ الترجمة وحضر عليه كتباً في التصوف ، وسمع منه صحيح البخاري في دار الحديث وأجازه به وبسائر مروياته ، ولم يزلْ مشغوفاً بمزاولةِ كتب القوم حتى صار له في فنِّ التصوُّف ملكةٌ عظيمة فقرأ اصطلاحاتِ القاشاني ثم « فصوص الحكم » وغيرهما ، ومنذ سنة ١٢٩٥ عَقَدَ في جامع السويقة وفي داره دروساً في الحديث من الصحيحَين والسُّنن وغيرها علاوةً على دروسه الأخرى ، ولما توفي الأميرُ المشار إليه أقامه وصياً على أنجاله القاصرين ، فأحسن خدمتهم ، وحفظ أموالهم احتساباً ، وكان كوالده يكتسب من الزراعة ، ولم يخلف سوى جماعات قلائل ، انتهى .

قلت : ولم يزل المترجَم على حالته الحسنى إلى أن توفي في خامس جمادى الأولى سنة ست عشرةَ وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة مولانا خالد في سفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد الشطي

هو أحمد بن حسن بن عمر الشطي الدمشقي . مفتي الحنابلة بدمشق ، وأحد

علمائها الأعلام ، المحدِّث الفقيه الفرَضي الحيْسُوبي ، أستاذي وعمُّ والدي ، ولد في ٢٤ صفر سنة ١٢٥١ ونشأ في حجر والده العلامة على أكمل تربية وأحسن أدب ؛ وقد قرأ القرآن الكريم وجوّده وحفِظَهُ على الشيخ مصطفى التلي ؛ ثم لازم دروسَ والده من حديثٍ وفقهٍ وفرائض وحسابٍ وهندسةٍ ونحوٍ وغير ذلك ؛ وبه انتفع وتخرج ، واستجاز له والده المنوَّه به من علماء دمشق وقتئذ ، الكزبري والعطار والحلبي والطيبي والتميمي نزيل دمشق ، فأجازوه وروى عنهم حديث الرحمة بأوَّليَّةٍ حقيقيَّة ، واستجاز كلاً من الشيخ أحمد البغال والشيخ قاسم الحلاق فأجازاه ، ولازم بعد وفاة والده الشيخ عبد الله الحلبي وحضر دروسه ، ولما توفي والده سنة ١٢٧٤ قُدِّم للتدريس في مكانه ، فدرَّس في محراب الحنابلة من الجامع الأموي في مَحْفِلٍ عظيم ، واستمرَّ يدرس به في رمضان إلى وفاته . وأما دروسه الخاصة في داره فكانت شائقةً جداً بحيث يجتمع عنده كثيرٌ من الطلاب فيقرئهم في الحديث والتوحيد والفقه والفرائض والحساب والنحو ، وكان حلوَ التقرير ، حسنَ التعبير ، طَلْقَ اللسان ، ثابت الجَنان ، ولم يؤلِّف شيئاً ، وإنما كانت له حواشٍ مفيدة على بعض كتب الفقه والفرائض ، وقد انتفع به خلقٌ كثير من دمشق ونابلس ونجد وحوران ودوما وغيرها وفيهم علماء معروفون . وفي سنة ١٢٧٣ وجهت إليه من الدولة العثمانية رتبةُ تدريس أدَرْنة ، وفي صفر سنة ١٢٨٨ وجهت إليه فتوى الحنابلة بدمشق بإذن من مفتي دمشق العام ، فأفتى في حوادث شتى ، وفي سنة ١٢٩٥ ولي نيابة محكمة العمارة بدمشق ، ولما توفي الشيخ محمد البرقاوي قاضي الحنابلة ، ولي القضاء في مكانه واستقال من النيابة ، ولم تطل مدته فيه حيث أُلغي القضاء من أصله يومئذ ، وكان تَرَك له أخوه سيدي الجد فرضية البلدية بدمشق فاستقرَّ بها وبالفتوى إلى وفاته ، وتولى هو والجدُّ الموما إليه نظارة وتدريس المدرسة البادرائية ، وكانا مرجعَ أهلِ دمشق في المناسخات والمساحات وتقسيم المياه والدور ، وبالجملة فقد كان المترجَم حسنةً من حسناتِ الدهر ، وكانت وفاته فجأة عقِب نزوله من بستانٍ قرب الرَّبْوَة ، وذلك ليلة الاثنين ثاني عشري صفر عام ستة عشر وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة الذهبية بمشهدٍ حافلٍ رحمه الله تعالى .

وقد ترجمه الأستاذ القاسمي والشريف تقي الدين في تاريخيهما ، وأثنيا عليه

كثيراً . وأعقب المترجَم أولاده الأربعة : العالم الصوفي الشيخ مصطفى أفندي المتوفى سنة ١٣٤٨ ، والنبيل طاهر أفندي المتوفى ١٣٥٦ ، والذكي سعيد أفندي المتوفى سنة ١٣١٥ رحمهم الله ، والوالي المتقاعد عبد اللطيف أفندي الباقي الآن حفظه الله .

أمين أفندي النابلسي

هو أمين بن رحمة الله بن محيي الدين بن أحمد بن مصطفى بن إسماعيل ابن العارف الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشق ، الفاضل الكامل الأديب البارع الوجيه الكبير ، كان من صدور دمشق وأعيانها ، كريمَ النفس ، سخيَّ اليد ، رحبَ الصدر ، متأنِّقاً متأنِّياً له تُؤدةٌ وحِشْمة . ولد في سنة ١٢٥٧ ونشأ في حجر والده على رفاهيةٍ وبَلهنيَة ، وقرأ على بعض الشيوخ ، وبرع في علم الأدب ، وصار له ولَعٌ بكلام القوم ، وقد تولى القضاءَ الشرعي في البقاع سنة ١٢٩٨ ، فسار سيرةً حسنة ، ثم عُين عضواً ملازماً في محاكم الاستئناف بدمشق ، ثم صار عضواً منتخَباً وتكرَّر انتخابه . وكان من أنصار الحق والعدل مُظهراً للشهامة والمروءة ، أحسنَتْ إليه الدولة العثمانية برتبةِ أزمير المجرَّدة ، وكانت دارُه في دخلة آل الشطي مفتوحةً للزائرين ليلاً ونهاراً ؛ وكان يكرم أصحابه وغيرهم ويحسن ضيافتهم ، وربما كان في مجلسهم مسامراتٌ أدبية وآلاتُ لهو ؛ وقد جمع كتباً قَيِّمة ، فيها كل ما ينسب لجدِّه المشار إليه .

وكانت وفاته في أواخر سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في التربة الذهبية ، وأعقب ولديه الفاضل النزيه رضا أفندي والمتفنِّن البارع إسماعيل أفندي رحمهم الله .

حسن حسني أفندي قاضي دمشق

ترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه قال ما خلاصته : هو السيد حسن حسني بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن درويش بن عبد الله الموصلي مولداً وموطناً ، المدني أصلاً ، وينتهي نسبه إلى النبيِّ ﷺ . القاضي العام بدمشق الشام ، عالم له تآليف

في فنونٍ مختلفة ، وأديبٌ بلغ من الأدب غايته .

ولد سنة ١٢٤٨ ونشأ في حجر والده مُكبّاً على الطلب إلى أن أولاه الله من الفضل ما أولاه ، وتولَّى منصب القضاء الشرعي بدمشق في محرم سنة ١٣٠٤ .

وله من التآليف الحسنة « شرح الرائية في الحضرة الطائية » و« شرح البرهان في المنطق » والتفسير المسمى « فتح الرحمن بتفسير القرآن » كتب فيه مجلدين إلى سورة الأنعام ، وله غير ذلك . قال : وقد أسمعني حفظه الله جملةً من نظمه البديع ، ونثره الرفيع ، فمنه قصيدةٌ كان رفعها إلى الحضرة السلطانية ومنها قوله :

أتيتُك ظل الله شارحَ نسخةٍ ... لبرهانِ ميزانٍ فهان منيعُها
هديَّةَ محتاجٍ لأعتاب حضرةٍ ... بإخلاص نفسٍ تطمئن ضُلوعها
أرَجِّي به فيضاً تعوَّدَهُ الورى ... لأحظى بألطافِ نداكم يُذيعُها!

ومن شعره قوله :

وقائلٍ هل علاك الشيبُ من كبرٍ ... أم من هموم توالت ما لها طِبُّ؟
أجبته من بني ... ما حملَتْ ... نفسي أذى القولِ حتى أسرع الشيبُ

قال : وقلت مرونقاً شعري بمدحه :

مال بي للقلب وجدي حين مالْ ... أهيفٌ قد شبَّ في حجر الدلالْ
ونسيمُ الفجر يثني عطفَه ... لجنوبٍ ويمين وشِمالْ
مفردٌ في الحُسن إلا أنَّه ... من سَنَا صُدْغيهِ قَد ضاءَ الهِلالْ

إلى أن قال في المديح :

فاق كلَّ الناس في الحسن كما ... فاق فضلاً حسَنٌ قطبُ الكمالْ
بحر علمٍ ماله من ساحلٍ ... مَوْجُه يقذفُ دُرّاً ولآل
طاهرٌ من كلِّ عيبٍ سالمٌ ... قد روى حِلْيَةَ أصحابٍ وآلْ
حاكمٌ بالحقِّ لا يلويه عن ... صَدْعِهِ بالحقِّ مالٌ أو مقالْ
دام في عزٍّ إلى يوم اللِّقا ... كاسياً ثوبَ فخارٍ وجمالْ

وقد صار المترجَم أخيراً مفتشاً للأوقاف في الآستانة ، ومات بها في حدود سنة ألف وثلاثمئة وست عشرة ، رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : المشهور عن صاحب الترجمة أنه مع علمه الذي لاينكر ، كان عنده كبر يُستثقل ، وغلظةٌ لا تُتحمل ، طغى بهما على بعض علماء دمشق ، فمن ذلك أنه دخل على المترجَم أحدُ العلماء ، وهو في دار بعض الوجهاء ، فلم يقمْ له في جملة القائمين ، فامتعض الشيخ الداخل ، ثم ابتدره بطلب إعراب بيتٍ من قصيدة البردة ، فأجابه القاضي بقوله : إن ولدي هذا يُعربه لك ، ولكن الولد لم يُعربْه ، وهكذا ظل القاضي معرضاً عن الشيخ والله أعلم .

ثم حدَث أن العلامة سعيد أفندي الأسطواني قاضي دمشق السابق ، وقع له دعوى شرعية على بعض الفلاحين ، وكان جالساً إلى جانب القاضي المترجَم ، فلما حضرت الخصوم أمام القاضي وجلسوا على المقاعد المخصوصة ، أمر القاضي سعيد أفندي بأن يقوم فيجلس بجانبهم ، فأجابه سعيد أفندي بأنه لا يستطيع الجلوس على المقاعد ، وإنما يمكن أن يجلس الخصومُ في مقابلته فتحصل التسوية المطلوبة ، فأصرّ القاضي على رأيه ، فبادره سعيد أفندي بقوله : أنا أعرف الحكم الشرعي ، وإني حكمتُ في هذا المجلس قبلك بعشرين سنة . ثم تركه وانصرف إلى دار العلامة الشيخ سليم العطّار ، وأخبره الخبر ، فثار ثائر الشيخ واستدعى فريقاً من علماء دمشق وأعيانها ، فكتبوا في القاضي عرض محضرٍ رفعوه إلى باب المشيخة الإسلامية طالبين عزله أو نقله ، فلم يمض على ذلك أيام قلائل حتى نُقل القاضي إلى وظيفة مفتش أوقاف في الآستانة . وهكذا رحل المترجَم عن دمشق غير مأسوفٍ عليه ، ولكنه لم يصلْ إليه إعلام منها في قضية وقف إلا ونقضه بسبب وبدون سبب ، فتأمل وتعجّب .

الشيخ أحمد العاني

ترجمه لنا ولده الفاضل عبد القادر أفندي قال ما خلاصته : هو أحمد بن محيي الدين بن محمد عيد الشهير بالعاني الدمشقي الشافعي الحسيني . كان عالماً

تقياً وجيهاً سخياً . ولد بدمشق في حدود ١٢٨٠ ، وتوفي والده العلامة وهو دون البلوغ ، فنشأ يتيماً موفقاً ، وتلقَّى العلومَ العقلية والنقلية عن أكابر علماء عصره كالشيخ سليم العطار ، والشيخ بكري العطار ، وصهره الشيخ بدر الدين المغربي الحسني وغيرهم . ثم اشتغل بالزراعة في قرية حَرسْتا ، وكان بيته في دمشق وحرستا مقصوداً لكلِّ طالب ، وهو كالحمَل لطفاً وكالأسَد قوةً ، حتى كان يَحمل بين يديه خمسة عشر مدّ قمحٍ ، وإذا غضِب لايستطيعُ أحدٌ أن يقابله ، وكان كريمَ النفس يعطِفُ على أصحابهِ وغيرهم ، ولم يزل على حالته إلى أن توفي سنة ست عشرة وثلاثمئة وألف ، ودفن في مقبرة الذهبية إلى جانب قبر والده رحمهما الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٧

الشيخ محمد الطيبي

ترجمه لنا حفيده صديقُنا الأستاذ عمر أفندي قال ما خلاصته : هو محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي الشافعي الدمشقي ، الشيخ العلامة المفنَّن البارع ، الفرَضي الحيسوبي المهندس الرياضي الموقِّت الفلكي ، نادرةُ عصره ونابغةُ مِصره ، ولد بدمشق سنة ١٢٤٦ تقريباً ، ونشأ في حجر والده العالم وجدِّه العلامة ، وتوفي والده وهو دون البلوغ فكفله جدُّه ، وأقرأه في مبادئ العلوم . ولما دُعي إلى الآستانة لحضور الختان السلطاني سنة ١٢٦٣ اصطحب حفيدَه صاحبَ الترجمة ، فأعجب بذكائه شيخ الإسلام إذ ذاك عارف حكمت بك ، فوجَّه إليه رتبة التدريس ، ولكنَّ المترجَم لم يعنَ بها ، ثم إنه رحل إلى مصر وجاورَ في الأزهر نحو سنة ، فقرأ على شيوخ من أجلِّهم الشيخ إبراهيم الباجوري ، ثم عاد إلى دمشق فأتمَّ تحصيله ، وتلقَّى الحديث عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والفقه وغيره من العلوم الشرعية عن جده الموما إليه ، والحساب عن والده المذكور ، والفرائض والجبر والهندسة عن الشيخ حسن الشطي ، والشيخ أكرم الأفغاني نزيل دمشق ، وعلوم العربية عن تلميذ جدِّه الشيخ عبد الرحمن بيازيد ، ثم إنه درَّس وأمَّ في مسجد بني أمية ،

وتولَّ مدرسة عبد الله باشا وغيرها .

وقد برع صاحبُ الترجمة في الفرائض والحساب والهندسة والهيئة وصار من أكبر علماء الرياضيات في زمنه حتى عُين مهندساً لولاية سورية مدة سنة ،وكان كثيرٌ من رجال الجيش وعلماء النصارى يتردَّدون عليه للاستفادة منه ، وكانت المحاكم الشرعية تعتمده في مهمات القضايا ؛ ولما كانت بدمشق حادثة الستين المشؤومة عُهد إليه أن يكونَ في عداد المهندسين الذين عملوا على إعادة بناء الأحياء المسيحية ، كما عُهد إليه غير ذلك من المؤسسات الوقفية .

وفي حدود سنة ١٢٩٠ عيَّنه والي سورية صبحي باشا مفتياً في لواء حَوْران ، فقبِل المنصِب مُكْرَهاً ، واختار قرية طَفَس مركزاً لإقامته ، وكان تعيينُه فاتحةً لإنشاء المدارس في حَوْران ، فقد اعتذر للوالي بقلَّة الراتب ، فأمر الوالي بإنشاء مدرستين رشديتين إحداهما في طَفَس يديرها ولد المترجَم له الشيخ عبد الرحمن ، والأخرى في نوى يديرها ولده الآخر علي أفندي ، ثم أُلغيتا عند تأليف مدارس المعارف الجديدة . وكانت له الكلمةُ النافذةُ عند أولياء الأمور ، حتى أحدثت بمساعيه مناصبُ القضاء والفتوى في بعض أقضيةِ حوران . ولما عين المصلح فوزي باشا متصرِّفاً على حَوْران ، وسعى في تمهيد الطُّرق وإنشاء الجسور والمعابر ، كان صاحبُ الترجمة ساعدَه الأيمن في كلِّ ذلك ، ومن أهم تلك الجسور جسر العلان .

وقد نشر المترجَمُ له علمه وأدبه في بيئةٍ صالحةٍ من موظفي حوران والراحلين إليها ، كالشيخ أحمد الخماش من علماء نابلس ، والصحفي أديب بك نظمي الموظف العدلي وقتئذ ، وحرَمُه السيدة زينب فواز الكاتبة المصرية ، وسجل المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمي زيارته لصاحب الترجمة بمساجلةٍ شعرية وقعت بينهما ذكرها القاسمي في ديوانه .

ومن آثاره العمرانية إنشاء جامع جميل على مقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل بالقرب من قرية الطيبة ، وتنظيم شؤون أوقافه . ومن آثارِه العلمية أنه اختصر رسالتين في الرد على المبشِّرين ، الأولى : « خلاصة الترجيح للدين الصحيح » ، والثانية : « البراهين الجلية » طبعتا في مصر طبعة حجرية سنة

١٢٧٩ ، وكان لهما وقتئذ وقعٌ عظيم ، ثم أعيد طبعُهما مراراً على هامش « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الهندي ، ومن آثاره التي أخنى عليها الزمان تقسيمُه شبكة المياه في دمشق ، وقد كانتْ عمدةً للحكّام والأهلين ، تركها لأخيه ولم تزل عنده إلى أن احترقتْ مع غيرها في حريق العصرونية .

ولما نزل المترجَم له بحَوْران مفتياً راعه أنَّ أكثرَ الزواج يقع هناك شَغاراً أي مبادلة ، وهو ممنوعٌ في الإسلام ، وأن القضاة هناك لايسمعون دعوى المرأة بكامل المهر ، فاجتمع صاحبُ الترجمة بالعلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي الشام الأكبر ، وتذاكرا في القضية ملياً إلى أن تحقَّقا صحّة الدعوى ، فألف السيد الحمزاوي رسالته في ذلك ، وقد طبعت ، ولكن لم يعمل بها ، فلما توفي ردَّ عليها مفتي حمص ، ثم قَيَّضَ الله للمفتي الحمزاوي العالم الفقيه الشيخ راغب السادات ، فردَّ على مفتي حمص برسالةٍ قرَّظها له العلماء ومنهم صاحب الترجمة ، ثم أرسلها إلى باب المشيخة الإسلامية في الآستانة ، وبعد درس طويل صدر أمرُ المشيخة المشار إليها إلى كافَّة القضاة بسماع الدعوى وفقاً للرسالَتين .

وكان للمترجَم له شعرٌ يُعدُّ الآن من شعر الفقهاء ومنه قوله :

إذا سكت البلابلُ في زمانٍ ... به نطق الغرابُ فقل سلاما
ولا تجزَعْ لحادثة الليالي ... وسلِّمْ للغرابِ وإن تسامى

وقد امتدحه جملةٌ من الفضلاء ومنهم الأستاذ الشيخ سعيد الكرمي قال من قصيدة :

فاق الأوائلَ في المكارم والعُلا ... إذْ لقَّبوه لطيبه بالطِّيبي
يروي الفضائل عن أبيه وجدِّه ... بالجِدِّ والترتيبِ والتعقيبِ
فبعلمه يهدي الجهولَ لِرُشْدِهِ ... وبنظمه سحَّار كلِّ أديبِ

وبعدُ فقد كان صاحبُ الترجمة بعيداً عن الحَشْو ، بعيداً عن الغرور ، بعيداً عن المراسيم والتشريفات ، قضى حياتَهُ في خدمة العِلْم ، حتى إنه درَس علوم القراءات على شيخ القُرّاء الحلواني ، وكتَب بعضَ الحواشي على شرح الشاطبية ،

وألَّف رسالةً صغيرة في أغلاط رسم المصحف المحمودي ، ورسالة في المنطق ، وأخرى في الهندسة ، ومنظومةً فيها أيضاً ، وله كتاب في الحساب ، وآخر في الجبر والمقابلة وغير ذلك ، ومن المؤسف أن مؤلفاته لم يطبع منها سوى الرسالتين المقدَّم ذكرهما .

تزوَّج المترجَم له بتسع زوجات ، وترك أربعةَ أولاد : الشيخ عبد الرحمن أفندي المذكور الذي خلَّفه في فتوى حوران واستمرَّ بها إلى أن توفي بدمشق سنة ١٣٦٢ ، والثاني علي أفندي المرقوم الذي اختار التجارة وتولَّى تربدارية وأوقاف سيدنا معاذ المنوَّه به وتوفي بحَوْران ، ورشيد أفندي الذي كان رئيس الكتاب في طولْكَرْم ، ثم صار قاضياً في مَرْجعيون وغيرها وتوفي بدمشق ، وصالح شكري أفندي وكان أديباً تعاطَى التجارة في إفريقية وتوفي بها ، رحمهم الله تعالى جميعاً ، انتهى .

قلت : وبالجملة فقد كان المترجَمُ من أعاظم الرجال ومفاخر سورية علماً وعملاً وتفنُّناً ، وكان طويلَ القامة ، أسمرَ اللَّوْن ، مليءَ الجسم ، مهيبَ المنظر ، حلو الحديث ، لطيفَ النكتة ، عليه سيما السلف الصالح .

وكانت وفاتُه بحوران في ذي القعدة سنة سبعَ عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في قرية نوى . وقد كنت حضرتُ في معية والدي بعض دروس صاحب الترجمة في السنة المذكورة جزاه الله عنا خيراً ، فلما توفِّي تطفلت بنظم تاريخ لوفاته وهو قولي :

ضريحٌ حوى شمسَ علمٍ وفضلٍ ... محمدنا من بكَتْهُ البدورُ
وعلامة الشام مفتي الورى مَنْ ... له في المعارف فضلٌ كبيرُ
ولما دعاهُ لقصر مَشيدٍ ... حباهُ الرِّضا أرَّخوه **الغفورُ**
١٣١٧

وقد ترجم له الأستاذ سركيس في « معجم المطبوعات » والبدوي الملثم في « القافلة المنسية » ، رحمه الله رحمة واسعة آمين .

الشيخ أحمد الخاني

ترجمه ابنُ أخيه الأديب الفاضل الشيخ عبد المجيد الخاني في كتابه « الحدائق الوردية » قال : هو العالم الفاضل والصالح الكامل أحمد بن محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني ثم الدمشقي الشافعي النقشبندي الخالدي ، ولد بدمشق سنة ١٢٥٢ ، ونشأ في حجر والده الأستاذ ، وأخذ عنه وعن العلامة الطنطاوي أكثر العلوم العقلية والنقلية ، ثم تلقَّى الطريقةَ النقشبندية عن والده المومى إليه ، وقد أدخله الرياضة في مقام مولانا خالد في رمضان سنة ١٢٧٣ ، وصار له في السلوك أحوالٌ وجذبات وأطوار ، وأذِن له والده بالإرشاد ، وخلفه خلافةً مطلقة ، فأجاد وأفاد . انتهى بتصرف .

وترجمه العلامة البيطار في تاريخه ، وزاد على ما ذكر بأنه اشتغل بالطريق كثيراً حتى صار فيه روحانيةٌ عظيمة ، وحُسن خُلقٍ ورِقَّةُ طبع ، ومعاشرةٌ لطيفة ، وكان شافعي المذهب ، فلما تولى نيابة القضاء انتقل إلى المذهب الحنفي ضرورةً ، فالتزم العفَّة والحكم بالحق مع التثبُّت في الأحكام ، ثم إنه ترك القضاء تعفُّفاً ، وجنح إلى التكسُّب بالفلاحة والزراعة مع العزلة عن الناس إلا في أمرٍ شرعي ، وقد كان له حسن هيئة ومحبة في القلوب وهيبة ، وكلمة نافذة ونية خالصة ، وكان يهوى الجُود ، ويبذلُ الموجود ، مما دعاه إلى تولي النيابات مرَّة أخرى ، حسبما قدر الله وقضى ، انتهى .

قلت : وكان مما تولّاه المترجَم النيابة في محكمة الميدان بدمشق سنة ١٢٨٩ ، وفي قضاء حيفا سنة ١٢٩١ ، وفي قضاء عجلون سنة ١٣٠٦ .

وكانت وفاةُ صاحب الترجمة سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف ، ودُفن في مقبرة مولانا خالد ، وأعقب ولديه العالم الأديب الشيخ محيي الدين أفندي ، والفاضل الشيخ ياسين أفندي رحمهم الله تعالى .

★ ★ ★

الشيخ محمد سعيد القاسمي

لخصنا ترجمته من تاريخ الفاضل تقي الدين ، ومن تحرير حفيده النابغة ظافر أفندي ، فهو محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الشهير بالحلاق وبالقاسمي الشافعي الدمشقي . كان عالماً يغلب عليه الأدب ، واسع المعرفة ، قوي الحافظة .

ولد بدمشق سنة ١٢٥٩ ، ونشأ في حجر والده العالم الشهير ، وأخذ العلم عنه وعن شيوخ دمشق المعروفين كالعطار والطنطاوي والمنير ، وكان حلوَ النكتة ، بديعَ التقرير ، كريمَ الأخلاق ، عفَّ اليدِ والضمير واللسان ، انتفع به كثيرون ، وأمَّ الناس بعد أبيه في جامع السنانية ، وقرأ فيه دروساً ليلية ونهارية ، وكان يحبُّ الطمأنينة في الصلاة ، ويرى أنها من آكد واجباتها ، وحُبِّب إليه مطالعة الكتب فكان لا يملُّ من ذلك ، وكان لشدة ذكائه يحفظ غُرر ما يطالعه ، واتفق أنه طالع تذكرة داود في الطب ، فحفظ كلِّياتها ومهمات مفرداتها كأنه نشأ في مدرسة طبية . وبالرغم من عهد الانحطاط الذي عاش فيه. فقد ترك ديواناً من الشعر سماه « بيت القصيد » ، إذا قيس إلى شعر أهلِ زمانه كان في طليعة الشعر ، وترك من المؤلفات ما يعدُّ في عصره من الأسفار القيِّمة : منها « سفينة الفرج فيما هبَّ ودبَّ ودَرج » جعله على نمط الكشكول ، ومنها « تنقيح الحوادث اليومية » هذَّب فيه لغةَ يوميات ابنِ بدير ، ومنها « بدائع التُّحَف في الصناعات والحرف » جمع فيه الصناعات والحِرف الدمشقية ، على ترتيب الحروف الهجائية ، فجاء قاموساً لها فريداً في بابه ، وألَّف غير ذلك ، وكان له شدوٌ بالموسيقى وأنغامها ، واطلاع على رموزها وضروبها ، ومن شعره قوله :

إلى متى العلم منحطٌّ ومنخفضُ	والجهل والبغي مرفوعٌ ومعترضُ
والفضل نامَ بلحد الوهن منجدلاً	والنقص قام بساقٍ مابه مرضُ
والشحُّ أقبل من أقطار بلدتنا	والجودُ أمحلَ فيها وهو منقرضُ
كلابُ أسواقِها لحماً لقد شبِعوا	وأسْد آجامِها جوعاً قد انقرضوا

وقوله :

أمـا وعيـونٍ فـاتنـاتٍ فـواتـرِ ... فعَلْـنَ كـأفعـالِ المـواضي البـواتـرِ
وصبـحِ جبينٍ فـوق بَـدْرٍ يـزينُـهُ ... شقـائـقُ وردٍ بين ليـلِ الغـدائـرِ
وعنبرِ خـالٍ حـول ثغـرِ مـدامـةٍ ... حماه ورُوْدَ الرشفِ سيفُ المحاجرِ
وبِلَّـورِ جيـدٍ إن تُنـاوَلْ ريقَـه ... يـريكَ بـريقـاً مـن خـلالِ الحناجرِ
ورقـةِ خَصْـرٍ فـوق طَـوْدٍ كتيبـةٍ ... تميـدُ بمـوجٍ فـوقَ بحـر الجـزائـرِ
وخَطِّـيِّ قَـدٍّ كـم تـرى عنـد هَـزِّهِ ... طـريـحَ غـرامٍ لا جَـريـحَ خنـاجـرِ
وهيكـلِ جسـمٍ إنْ تـراءى لنـاظـرٍ ... فمـا هـو إلاّ قطعـةٌ مـن جـواهـرِ
بأنَّ الهوى مني وإني من الهوى ... وإن هيولى العشقِ سارٍ بخاطري!

وقوله في عام تأخر برد شتائه ومطره مضمناً :

مـا بـال بـردِكَ يـاشتـاءُ تـأخَّـرا ... وبـريـق بَـرْقِـكَ خُلَّـبٌ لـن يُمطِـرا
أقبلتَ يا فصل الشتاءِ ولم نجدْ ... مـن مـاء مُـزْنـك قطـرةً بلَّـتْ ثـرى
ما هكذا قد كنتَ تأتي للوَرى ... (فارحمْ حشاً بلظَى هواكَ تسعَّرا)
(وإذا سـألتُـك أنْ أراك حقيقـةً ... فاسمحْ ولا تجعلْ جوابيَ لن ترى)

وقوله من قصيدة :

قصـور عـزائمـي أبـداً بـواذخْ ... ودور فضـائلي بُنيـت شـوامـخ
ومن وصفي التعفُّف وهو حسبي ... بـه استغنيـتُ مـن بين المشـايـخْ

انتهى ، وترجمه الأستاذ البيطار في تاريخه وقال في وصفه : سلالةُ مجدٍ أشرقَتْ أنواره ، ونُفحت في رياض الأدب أنوارُه ، فصيحٌ ألبسَهُ المولى حُلَّةَ الكمال ، وبليغٌ نسجَ القريضَ على أبدع منوال ، فحاول رقيقَهُ وجَزْلَه ، وأجادَ جِدَّهُ وأحكم هَزْلَه ، بنظرٍ نقَّاد وخاطرٍ وقَّاد ، يترقرقُ فيه ماءُ الطبع ، ويرتفع له حجابُ القلب والسمع ، مع حُسْن محاضرة ولطف مذاكرة .

ولد في دمشق أوائلَ المحرَّم عام ١٢٥٩ ، ونشأ في حجر والده بركة عصره وفقيه مِصره ، فتأدَّبَ بفضائله وتهذَّب ، وكساه من الفنون الرداءَ المذهب ، حتى

نَبُل وشدا ، وبلغ في المعارف المدَى .. وقد أخذ أيضاً عن أساتذة محقِّقين وأفاضل كاملين ، واجتمع بفضلاء الحرمَين وبيت المقدس عام زيارته لهما سنة ١٣٠١ وكان له إقبالٌ على شانه ، وانزواء عن أكابر زمانه ، والقلوب على مودَّته متطابقة ، والألسن بالثناء عليه ناطقة . وله ديوان شعر جمع فيه جملةً من دُرَره ، وشذرةً من محاسن غُررِه ، انتهى مختصراً .

وكانت وفاةُ المترجَم فجأة في ٢٢ شوال عام سبعة عشر وثلاثمئة وألف ، وصُلِّيَ عليه في جامع السنانية بمشهد عظيم ، ودُفن في مقبرة الباب الصغير عند قبر والده ، وخلَّف أولادَه الأربعة : أستاذنا العلامة الشيخ جمال الدين المتوفى سنة ١٣٣٢ ، والوجيه الشيخ محمد عيد المتوفى سنة ١٣٣٥ ، وصديقنا الفاضل الشيخ قاسم أفندي المتوفى سنة١٣٥٨ ، والدكتور صلاح الدين أفندي المتوفى سنة ١٣٣٤ ، تغمدهم الله برحمته ، وعوضنا عنهم خيراً .

الشيخ مصطفى أبو الذهب

ذكره الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو مصطفى بن أحمد الشهير بأبي الذهب الدمشقي ، هاجر أجدادُ صاحب الترجمة من بلاد مصر إلى دمشق ، فولد المترجَم بها ونشأ من بين أهله في طلب العلم وأدرك الطبقةَ العالية من علماء دمشق كالكزبري والعطار والطِّيبي وغيرهم ، وخضر مجالسَهم ونال إجازاتِهم ، وتولَّى قضاءَ الحج الشامي ، ثم القضاء في بعض جهات دمشق ، وكان محبوباً عند العلماء ، يُكثر التردد على الحكام والأمراء ، حسنَ العشرة جداً ، لا يملُّ جليسه من لطف حديثه ، يحفظ كثيراً من سير السلف وأحوالهم ، عاش قرناً كاملاً وربما زاد عليه .

وكانت وفاته سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف ، وهو جد محيي الدين أفندي الذي تولى أخيراً نيابة المحكمة الشرعية بدمشق وتوفي مفصولاً عنها سنة ١٣٤٨ .

الشيخ أمين كيوان

ترجمه الفاضل المذكور في تاريخه المزبور فقال : هو أمين بن حسن بن

مصطفى بك المعروف بابن كيوان الدمشقي الحنفي ، ولد بدمشق ونشأ بها طالباً للعلم مشتغلاً بالتجارة كأسلافه ، وكان فقيهاً ورعاً شديداً في بيعه وشرائه لم يدنِّس تجارته بربا ولاعِينة ، وكان يدرِّس في بيته وفي الجامع الأموي بين العشاءين ، وقد انتفعتْ به العامة . مات سنة ١٣١٠ - صوابه سنة ١٣١٧ تحقيقاً - وأعقب ولده الفاضل الشيخ طه الذي درس في مكانه وتوفي سنة ١٣٢٤ رحمهما الله .

كمال أفندي الشريف

ترجمه الأستاذ تقي الدين في تاريخه قال ما حاصله : هو كمال بن محمد أفندي الشهير بالشريف . قدم والدُ صاحب الترجمة من ولاية ديار بكر ، وتعرَّف إلى أعيان دمشق ، وتولى بعض الوظائف الإدارية بها ؛ وكان له منزلةٌ خاصةٌ عند العلماء والحكام ، وتوفي سنة ١٣١٣ تقريباً ، فنشأ ولده المترجَم مائلاً إلى الأدب مجالساً للعلماء وأهل الفضل حتى فاق أقرانه ، وكان يحسن التكلُّم والكتابة باللغتين العربية والتركية ، وقد تولىَّ جملةَ وظائف في زمن الحكومة العثمانية ، وله آثار كثيرة ، وشعرٌ لطيف ، سلك فيه مسلك الصوفية .

توفي سنة ١٣١٧ ، وأعقب أولاده الثلاثة مختار بك مدير أوقاف دمشق الأسبق رحمه الله ، والطبيب جميل بك ، وصبحي بك الموجودَيْن الآن .

سليم أفندي تقي الدين

ترجمه قريبه الفاضل المقدَّم ذكره في تاريخه قال ما حاصله : هو سليم بهجة ابن راغب بن حسن الشهير بتقي الدين الحصني ، أحد شعراء دمشق ووجهائها ، نشأ في حجر والده ، محباً للعلم وأهله ، مقبلاً على الأدب ورجاله ، فأخذ عنهم علوم العربية من معانٍ وبيان ، وبديعٍ وعَروض ، حتى فاق أقرانه نثراً ونظماً ، فنثرُه من أحسن النثر ، وشعرُه من أجود الشعر ، وقد اشتهر في فنه ، ونظَم كثيراً من المدائح النبوية ، والقصائد الغزلية ، ومن شعره في مدح طرابلس الشام :

قالوا طرابُلُسُ البهيَّةُ جنَّةٌ   تزهو بأكناف الورى سُكانُها

سلَّمت أنَّ الحورَ وسْطَ خيامها مقصـورةٌ فمتـى أرى ولـدانَهَـا

ولما زار مدينة حماة أرسل إلى مفتيها العلامة محمد أفندي الحريري الرفاعي أبياتاً منها قوله :

تـركـتُ شـامـي عـروسـاً وجئـــتُ نحـــو حمـــاةِ

فأجابه المفتي بقصيدة منها قوله :

آنســـتَ أهـــلاً وسهـــلاً يـــاابـــن الكـــرام السراةِ
حمـــاةُ أضحـــتْ عـــروسـاً بكـــم تُبـــاهـــي الجهـــاتِ

وقد سبق للعارف النابلسي مدح حماةَ بهذين البيتين :

حمـاةُ تلـك التـي مـا مثلهـا بلـدٌ لكـلِّ دانٍ مـن الأهلين أو قـاصي
تـرِقُّ قلبـاً لأحـوالِ الغـريـبِ بهـا حتى نواعيرُها تبكي على العاصي

وكتب إلى بعض أصحابه :

الله يعلـم أننـي لـك شـاكـرٌ والحـرُّ للفعـلِ الجميـلِ شكـورُ
لكنْ رأيتُ ببابِ دارِك جفوة فيهـا لصفـو محبتـي تكـديـرُ
ما بالُ دارِك وهي عندي جنةٌ يحمـي حِمـاهـا مُنْكَـرٌ ونكيرُ

وتولى المترجَم رياسة محكمة السويداء في جبل الدُّروز ، ثم صار قائم مقام في قضاء السلمية وغيرها ، وكان دَمِثَ الأخلاق ،كريم الطبع ، محترماً محبوباً .

توفي سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف ودفن في مقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ أكرم الأفغاني

قال عنه الشريف تقي الدين في تاريخه ما خلاصته : أكرم بن عبد الله الأفغاني نزيل دمشق ، كان فاضلاً زاهداً متعبِّداً ، قدم دمشق من بلاد الأفغان ، فاتصل بالسَّرَدار غلام محمد خان نزيل دمشق أيضاً ، وصار يصليِّ به إماماً ،

فعُرف بذلك وظهر فضله ، وحضر دروس العلماء ، وأخذ عنهم ، وكان يصدَعُ بالحق ويغلب عليه الصدق ، حتى إنه كان إذا سئل عن رفيقه السردار يقول : تركته حياً بخير! .

توفي بدمشق سنة سبع عشرة وثلاثمئة وألف ، ودفن بمشهد عظيم رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣١٨

الشيخ عبد المجيد الخاني

ترجمه ابنُ عمه الفاضل الشيخ محيي الدين الخاني في « الحدائق الوردية » قال ما خلاصته : هو عالم الأدباء وأديب العلماء ، عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني الدمشقي الشافعي النقشبندي الخالدي .

ولد في تاسع صفر سنة ١٢٦٣ . ونشأ في حجر والده وجده ، وقرأ القرآن المجيد على الشيخ علي الحزوري النقشبندي ، وأخذ عنه التجويد والإنشاء ، ثم أخذ عن جدِّه طرفاً من النحو والفقه وغيرهما ، ولقنه الذكر . ولازم كوالده دروس الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري ، وسمع منه أكثر « الفتوحات المكية » ، وسمع كوالده من الأمير عبد القادر الجزائري الحسني أكثر « صحيح البخاري » في مدرسة دار الحديث ، وحضر أكثرَ دروسِ والده ، ولاسيما كتب الحديث الستة بسنده الهندي الخالدي والدمشقي الكزبري ، وكتب التصوُّف كـ« اصطلاحات القاشاني » و« شرح فصوص الحكم » و« مواقف » الأمير المشار إليه . وكان له في فن الأدب اليدُ الطولى والرتبة الأولى ، ولاسيما في نوعي التطريز والتاريخ ، ومن ذلك قصيدته التي أرخ بحروفها المعجمة عام ١٢٨٩ مباركاً للسلطان عبد العزيز خان العثماني ومطلعها :

بـالتهـاني أشرق العـام الجـديـدْ منبِئاً عـن مـوسـم البشرِ السعيـدْ

ومن ذلك قصيدته التي أرَّخ بكل شطر منها إسناد خديوية مصر إلى الخديوي

توفيق باشا ومطلعها :

اللطـف في أرجـاء مصرَ يُشيرُ إني بتــوفيــقِ العــزيــز بشيرُ
١٢٩٦

ومن تطريزه في أوائل الكلمات قوله مادحاً (سعاد تلو حسين حلمي أفندي) رئيس كتاب سورية الأسبق :

سلامٌ على أقمارِ دهرٍ ترى لَهُمْ وضـاءة حُسـنِ سـاطـعٍ يـومَ نلمـحُ
حرقتُ لهم مستعطفاً يوم أقبلوا فــؤاديَ نَــدّاً دائمــاً يتفــوَّحُ

ومن موشحاته قوله :

سلَّــم الله غــزالاً سلَّمَــا بعيــونٍ كُحِّلَــتْ بــالنَّعَــسِ
وفــمٍ أتقنــه الله فمــا فيـه عيـبٌ غيرَ طِيـبِ اللعَسِ
ربْــرَبٌ رُبِّــيَ في وادي زَرُودْ مـا لَـوَى الجيـدَ إلى مـاء اللِّـوا
لـو رآهُ البـدرُ يهـوي للسجـودْ وهو لا يعلمُ ما معنى الهَوى
ذو مُحيًّا خـالُـه فـوق الخـدودْ مَلِكُ الزنْجِ على العرشِ استوى
كـلُّ مـن علَّمـه منـعَ اللَّمـى جـاهـلٌ قَـدْرَ حيـاةِ الأنفُـسِ
مـالـه مـن مشبـهٍ نفسي ومـا لي فـدا ذاك الـرضـابِ الأنْفَـسِ

ومن نثره سبع مقامات أسند روايتها إلى سعد بن بشير ، ونشأتها إلى أبي حفص المصري ، ومن مؤلفاته كتاب « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » المطبوع في مصر سنة ١٣٠٨ وقد جعل اسمه تاريخاً لتأليفه سنة ١٣٠٦ ، انتهى .

قلت إن كتاب « الحدائق الودية » المشار إليه يمثل أدبَ المترجَم وفضلَه أحسن تمثيل ، وقد اشتهر رحمه الله تعالى بفصاحتِهِ ولباقته وطلاقة لسانه ، وكان حسنَ الهيئة منوَّر الشيبة ، قصير القامة ، لم يتجاوز الخمسة والخمسين من العمر ، وبالجملة فقد كان صاحبُ الترجمة هو وأستاذنا الشيخ محمد المبارك نابغتَيْ دمشق

على رأس هذا القرن في فنون الأدب نظماً ونثراً ، ولما توفي والد المترجَم سنة ١٣١٦ وانحلت عنه مشيخة الطريقة النقشبندية في جامع المرادية بالسويقة ، تعرَّض لها أخوه عم صاحب الترجمة الشيخ أحمد الخاني ، وأخيراً تصالحا على المناصفة ، ثم توفي هذا سنة ١٣١٧ ، فعارض المترجَم في المشيخة عمه الآخر الشيخ عبد الله الخاني ، على أنَّ أصلها لوالده الكبير ، وتم له توجيه المشيخة المذكورة ، وعندها رحل صاحب الترجمة إلى الآستانة ، ولم يزل يعقب هذه القضية حتى أدركته المنية دون بلوغ الأُمنيَّة .

وكانت وفاته سنة ثمان عشر وثلاثمئة وألف .

وقد ترجمه العلامة البيطار في تاريخه ، وأثنى على أدبه ونقل كثيراً من شعره رحمه الله وعوضه الجنة .

الشيخ عبد المجيد السَّقَطي

ذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو عبد المجيد بن عبد الرزاق الشهير بالسَّقَطي الشافعي الدمشقي الصالحي . كان فاضلاً وجيهاً يرجع إليه أهلُ محلته وغيرهم في حل المشكلات وتصريف الحادثات . ومن أشياخه الشيخ سليم العطار ، وقريبه السيد علي السقطي ، ومحمد أفندي المنيني مفتي دمشق ، وقد جعله هذا وكيلاً عنه في نظارة المدرسة العُمَرية وأوقافها في صالحية دمشق .

وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وثلاثمئة وألف عن ولديه عبد الرزاق أفندي محاسب الأوقاف بدمشق سابقاً ، وعبد الله أفندي أمين صندوق السكة الحجازية حالاً ، انتهى .

قلت : إن المترجَم من بيتٍ معروف بالعلم والوجاهة ، وقد ترجمنا في تاريخنا السابق جماعةً من أسلافه ، وكانتِ الحكومةُ تعتمده في كثيرٍ من دوائرها ، فقد كان

من أعضاء المجلس البلدي سنة ١٢٩١ ومن أعضاء الجمعية الخيرية سنة ١٢٩٧ ، وعضواً في قومسيون المهاجرين من ١٢٩٦ إلى ١٣٠٠ ، رحمه الله تعالى .

سعيد باشا شَمْدين

ذكره الفاضل تقي الدين في تاريخه كما ذكره غيره ، فهو سعيد باشا ابن شَمْدين آغا الكردي الداقوري الدمشقي . كان والد المترجَم المذكور زعيماً في قومه وله ثروةٌ كبيرة ، ومواقف شريفة في المدافعة عن دمشق أيام احتلالها من قبل إبراهيم باشا المصري . توفي في حادثة النصارى سنة ١٢٧٦هـ وأعقب أولاداً وجهاء معروفين ، وهم عبد الله آغا ، وخالد آغا ، ورجب آغا ، وحسن آغا ، وصاحب الترجمة ، فسلك هذا في خدمة الحكومة العثمانية ، وتولَّى وظائفَ كثيرة ومناصب كبيرة ، آخرُها إمارة الحجِّ الشامي - أو محافظته - وقد استمرَّ فيها نحو عشرين عاماً ، ونالَ أخيراً رتبة روم ايلي وأوسمةً مختلفة ، وانتخب عضواً في مجلس الإدارة الكبير غيرَ مرَّة ، وصار من صدور دمشق وأعيانها ، مقصوداً في المهمات والملمات ، معروفاً بالصدقات والمبرَّات ، وفي سنة ١٣١٠ أوقف دارَهُ العامرة في محلَّةِ سوق ساروجا وسائر ما يملكه من قرًى ومزارع وبساتين على سبطيه عبد الرحمن باشا أمير الحج بعد جدِّه المترجَم ، وأمينة خانم ، ولدي محمد باشا اليوسف . وفي آخر أمره أصيب بفالج أقعده في داره سنوات إلى أن توفي في شهر ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاثمئة وألف ، رحمه الله تعالى .

ومن مُدَّاح صاحب الترجمة الشاعر الشهير الشيخ محمد الهلالي الحموي نزيل دمشق ، قال مؤرخاً قدومه من الحجاز :

هنيئاً لابنِ شَمْدين هنيئاً ... بما أولاهُ مولاهُ الحميدُ
أميرٌ قد حَوى ديناً ودنيا ... وحظاً زانه رأيٌ سديدُ
فيا لله كم في كلِّ عامٍ ... مع الحجَّاج أدركَ ما يريدُ
وسار لخدمةِ الحرمَين حُبّاً ... بمن كلُّ الملوكِ له عبيدُ
وللشام الشريفة عادَ أرِّخْ ... **وشُرِّفَ بالصَّفا الباشا السعيدُ**
١٣٠٠

وقال يمدحه ويهنِّئه بزفاف سبطه المشار إليه :

راحَ يجلو الراحَ وقت السَّحَرِ ... بَـدْرُ تـمٍّ تحـت ليـلِ الشَّعَـرِ
ودواعـي الأنـسِ تـدعـو أهلَـهُ ... للتهـاني ببلـوغِ الـوَطَـرِ

إلى أن قال :

السعيـد الحـازم الشهـمُ الـذي ... فيـه للسلطـان حُسْـنُ النظَـرِ
قـائـد الحـج ذهـابـاً وإيـا ... بـاً بِعَـوْنِ القـادرِ المقتـدرِ
مَـنْ لـه في كـلِّ عـام زَوْرَةٌ ... لـرسـولِ الله خيرِ البشرِ

والتاريخ هو قوله (**زُفَّتِ الشمسُ لأبهى قمَرِ**) ١٣٠٦

وفيات سنة ١٣١٩

السَّرَدار غلام محمد خان الأفغاني

ترجمه الفاضل المومى إليه ، رحمة الله عليه ، قال في تاريخه ما ملخصه : هو سَرَدَار طرزي أفغان ، من أبناء الأسرة المالكة في بلاده ،هاجر إلى دمشق بسببِ نفورٍ وقع بينه وبين أبناء عمه ، والتجأ بأسرته إلى السلطان عبد الحميد الثاني ، فخصَّصتْ له الدولة العثمانية راتباً كافياً يتقاضاه شهرياً ما دام في ضيافتها ، وكان عالماً شاعراً متفنِّناً ورعاً ، حسن السيرة ، طيب السريرة ، يحبُّ الصدق ويكره الكذب ، يميل إلى مخالطة العلماء والأمراء ، اشتهر فضلُه وعلا قدرُه ، وكان له في الصنائع اليدوية والفنون الغريبة كمالُ الاطلاع والإتقان ، كالتذهيب ورسم الأشجار والزهور ، مع حسن الخط وتلوين الورق ، وكان ينظِم الشعرَ الحسن ، ويتكلَّم بالعربية والفارسية والأفغانية ، وهو جديرٌ بأن يُدعى الشيرازي الثاني لما له من السليقة الشعرية ، والأساليب الأدبية ، والمعاني اللطيفة . وقد نظم ما يُنيف على سبعين ألف بيت من الشعر الفارسي ، كاد أن يضاهيَ بها المثنوي .

وما زال على حالته الحسنى إلى أن توفي عام تسعة عشرة وثلاثمئة وألف ،

وخرجت له جنازةٌ حافلةٌ بالعلماء والأمراء والوجهاء ، ودُفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى رحمة واسعة . ومن أنجاله الأديب المهذب محمود بك الذي صار وزيراً للخارجية في عاصمة الأفغان والله أعلم .

أبو الخير أفندي المكي

ترجمه السيد الشريف تقيُّ الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو السيد أبو الخير ابن السيد محمد ابن السيد محمود الشهير بالمكي وبالشريف ، قدم جدُّه المذكور من مكة مهاجراً إلى دمشق ، فولد المترجَم بها ، ونشأ في طلب العلم ، ملازماً محكمة البزورية ، ثم محكمة الباب بدمشق ، إذْ كان والده نائباً بهما ، وبعد سنة ١٢٩٠ تولى رياسة الكتاب في محكمة الباب المذكورة مدة طويلة ، ثم فُصل عنها وصار رئيساً للكتاب في محكمة القسَّام ، وقد تضاف إليه مديرية الأيتام ، وأخيراً سُمِّيَ مميزاً للمحاكم الشرعية بدمشق . وكانت رياسة الكتاب دُوَلاً بينه وبين سعيد أفندي الأيوبي منذ سنة ١٣٠١ إلى أن توفي المترجَم ، فاستقلَّ بها الأيوبي ، وكان المترجَم كريم الأخلاق رَزيناً فطيناً ، له وجاهة ومهابة ، يحبُّ قضاء حوائج الناس ويقدِّرُ منازلهم ، نال من الدولة العثمانية رتبة الموالي (أزمير)

وكانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمئة وألف ، وقد أعقب أولاداً نجباء ترك لهم أملاكاً ومزارع ، أرشدُهم محمد أفندي مدير الأيتام بدمشق المتوفى نحو سنة ١٣٥٠ رحمهما الله .

عبد القادر أفندي الميداني

هو عبد القادر بن علي بن عبد القادر الشهير بالميداني الدمشقي ، ولد بدمشق سنة ١٢٤٥ تقريباً ونشأ بها ، وكان والده من تجارها ، وجدُّه من علمائها ، فاشتغل المترجَم بالتجارة في أول أمره ، ثم اتصل بالحكومة فصار قائم مقام في النبك ، ثم (محاسبه جي) مدير أوقاف في بغداد ، ثم نُقل منها إلى دمشق ، فظلَّ مديراً بها نحو عشرين عاماً إلى أن توفي ، وقد كان حسنَ الإدارة ، حسنَ العشرة ، من أعيان دمشق ووجهائها ، غير أنه كان ضعيفاً في الأمور

القلمية .

وفي ذي القعدة عام تسعة عشر وثلاثمئة وألف قصد الحجَّ من طريق البحر فلما قضى مناسكه أصابه مرض فتوفي في ذي الحجة من السنة المذكورة ، وأعقب أولاده الخمسة الوجهاء : رشيد أفندي ، وصادق أفندي ، ورضا أفندي ، وتوفيق أفندي المتوفِّين على الترتيب حتى سنة ١٣٦٠ وأصغرهم فهمي أفندي الباقي الآن ١٣٦٧ . وقد ترك لهم والدهم أملاكاً في دمشق وأراضيَ في الطَّيْبَة والقابون وقُدْسيَّا رحمه الله تعالى .

الشيخ رشيد المَغْصَراني

ذكره الفاضلِ تقي الدين في تاريخه المعروف قال ما خلاصته : هو رشيد بن محمد بن أحمد المَغصَراني أحد علماء دمشق وشعرائها ، ولد بدمشق ونشأ بها ولازم بعض علمائها وأخذ عنهم ، وتردَّد إلى الآستانة ، وتعرف إلى علمائها وأعيانها ، وكانوا يميلونَ إليه ويأنسون بمجالسته لفضله وسليقته في الشعر ، وكان له معرفةٌ تامة في علم الموسيقى بأنواعها ، وقد أحسنتْ إليه الدولة العثمانية برتبة قضاء الحرمين مع الوسام المجيدي الثاني ، ثم استقام في آخر حياته بدمشق محترماً عند علمائها ، عزيزاً لدى أمرائها ، ، وقد عُرف له شعر كثير نظمه في مواقع عديدة ، ولو جُمع لبلغ ديواناً ، وكانت وفاته سنة ١٣٢٠ عقيماً ، انتهى .

قلت : الصواب أنه توفي سنة تسع عشرة وثلاثمئة وألف فجأة على أثر نزاعٍ وقع بينه وبين أحد جيرانه وقد جاوز السبعين ، وكان له راتبٌ من الحكومة باسم مرشد ، ثم بدرت منه غلطة فقُطع عنه . ومن نوادر المترجَم أنه كان نظم قصيدة غزلية مطلعها قوله :

لقـد سقـاني الحبيـبُ كـأسـاً   حتـى لحقـتُ مـعَ الأوائـلْ

ثم أطلع على قصيدته العلامة الأديب الشيخ قاسم الحلاق ، رجاء تشطيرها له ، فشرع الشيخ بالتشطير قائلاً :

(لقد سقاني الحبيب كأساً)   مـن بحـر قفـشٍ بغير طـائـلْ
ركبـتُ جحشـاً وفـتُّ جحشـاً   (حتـى لحقـتُ مـع الأوائـلْ)

فلما سمع المترجَم من الشيخ التشطير المذكور أقسم عليه أن لا يكمل تشطير القصيدة! ثم ودّعه وانصرف ، رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٢٠

الشيخ بكري العطار

ترجمه تلميذُه الخاصُّ العالم النابغة الشيخ سعيد الباني في حاشية كتابه « أحكام الذهب والفضة والحرير » ترجمةً مطوَّلةً في نحو ١٢ صحيفة فلخصنا منها ما يأتي :

هو عالم الشام وشيخ العلماء الأعلام ، المفسر المحدث الفقيه الأصولي النَّحْوي الصَّرْفي المنطقي الزاهد العابد ، أبو بكر ، بكري بن حامد ابن الشهاب أحمدالعطار .

ولد قدَّس الله روحَه سنة ١٢٥١ وتوفي والده العلامة وهو ابن ١٢ عاماً ، فاستظهر بهذا السن كتابَ الله تعالى ، وتلقى عن والده المنوَّه به وعن العلامة المحـدث الشيـخ عبـد الـرحمـن الكـزبـري « الأربعين النـوويـة » و« الأربعين العجلونية » ، وأجازه بهما وبجميع مروياتهما ، وأقبل شيخُنا بعد وفاةِ أبيه على طلب العلم وحفظ المتون ، فلزِم علماءَ الوقت ، وأكثرُهم من تلامذة أبيه ، فأخذ مبادئَ العلوم والتفسير والحديث عن ابن أخيه الشيخ سليم العطار - وكان أكبر منه سناً - وأخذ الصرف والنحو عن الشيخ عبد الرحمن بايزيد ، والمنطق والحكمة والكلام عن منلا أبي بكر الكردي ، وتفقَّه على الشيخ أحمد المنير ، وأخذ علوماً شتى عن علماء أعلام ، كالشيخ حسن الشطي ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ محيي الدين العاني ، والشيخ محمد الجوخدار ، وروى مسلسلات ابن عقيلة عن مفتي الشافعية عمر أفندي الغزي ، وروى الحديث أيضاً عن الشيخ داود البغدادي ، وأجازه بجميع مروياته ، وروى أيضاً عن غيرهم ، ولما قصد الديار الحجازية لقي في مصر كثيراً من علمائها ، ومنهم فقيه المالكية الشيخ محمد عليش

وكان كثيرٌ من علماء الأقطار الإسلامية حينما يفدون على دمشق في ذهابهم إلى الحجاز أو إيابهم منه يزورونه فيروون عنه ويروي عنهم . كما روى عنه واستجاز منه خلائقُ كثيرون ، فعمَّ فضلُه وشمل نفعه . وقد تضلَّع بالعلوم وتوغل بالفنون .

فأما النحو فقد كاد يكونُ معجوناً بحجيراته ، إذْ كان يُلقي أكثر كتب النحو عن ظهر قلبه ، وكلَّما قرَّر قاعدةً نحوية يؤيِّدُها بشاهدٍ من كتاب الله وبيتٍ من شعر العرب العرباء ، ثم يأتي على اختلاف النحاة مع دليل كل منهم وبيان الراجح والمرجوح من أقوالهم .. وكان إماماً في الطريقتين : طريقة المصريين وطريقة الأتراك ، ولاسيما في الطريقة الثانية التي كان منها امتحان طلبة العلوم الدينية واستثناؤهم من الخدمة العسكرية ، فلم يكن أحدٌ من نحاة عصره ولا مناطقته يدانيه بإتقان « الإظهار » و« الكافية » وشروحهما ، وكذا « المقصود » و« العزي » و« المراح » وكذلك « إيساغوجي » وشروحه وحواشيه ، و« الشمسية » وشروحها ، فقد كان يقررها لتلامذته عن ظهر قلبه بتمام التحقيق .

وأما التفسير ، فقد كان يقرأ بين العشاءين في الجامع الأموي تفسير الخطيب الشربيني عن ظهر قلب ، وذلك لحفظه القرآن ومروره على التفسير بزيادةٍ عليه . وأما الحديث الشريف ، فقد كان من كبار الرجالات المحدِّثين في عصره ومِصره ، إذ حفظ المئات من الأحاديث الشريفة وآثارِ الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأتقن أصول الحديث والفرق بين الأحاديث الصحيحة وغيرها ، وحضر المسانيد على شيوخه روايةً ودرايةً وأجازوه ، كما حدَّث بها رواته كذلك وأجازهم ، وقد تولى تدريس البخاري في تكية السلطان سليمان العثماني في أيام الخميس من شهرَيْ رجب وشعبان بعد موت ابنِ أخيه المقدَّم ذكره ، وكان لهذا الدرس شأنٌ عظيم إذ يحضره العلماء والأعيان والخاصَّةُ والعامة ، وخصوصاً يومي البداءة والختام ،

فكان يتلو الحديث بسنده ، ثم يبيِّن نوعَهُ ويذكر وجه مطابقته للترجمة وما قاله الشراح ، ثم ينقل اختلافهم ويبين الراجحَ منه ، ويوفي الحديث حقَّه من الوجهة العربية ،ثم يتوسَّع بموضوعه من فقهٍ أو توحيدٍ أو غير ذلك ، ثم يستطردُ للمواعظ المشتملة على الترغيب والترهيب كل ذلك عن ظهر قلب .

وأما علم التوحيد فكان يدرِّس لتلاميذه كتبه المعروفة صباح يومي الجمعة والثلاثاء ، وكان آخرُ ما قرأه منها مقاصد السعد التفتازاني ، ويشهد لتضلعه بهذا العلم ما كان يقرره في درس التكية من نقل آراء أرباب النِّحَل ، وترجيح مذهب أهل السنة بالتفصيل والتحقيق .

وأما الفقه الشافعي فإنه ما زال يتفقه به طلبة العلم من الشافعية في الشام حتى توفاه الله ، ولا إغراق إذا قلنا : إنَّ مسائل العبادات والأحوال الشخصية كانت نصبَ عينيه .

وأما التصوف فلم يكن يُعنى بأسرار الصوفية الغامضة ، كوحدة الوجود ووحدة الشهود والفناء والبقاء ، بل كان يُجلُّ القوم ويذكرهم بخير ، ويرى أن يكِلَ إليهم شأنهم ، وإنما يُعنى بطبِّ القلوب ومداواة النفوس من التخلِي عن الأخلاق السافلة والتحلي بالأخلاق الفاضلة ؛ فقد كان لله مخلصاً متواضعاً حليماً كريماً عفيفاً شريفاً نزيهاً زاهداً صابراً ، راضياً عن ربه حامداً شاكراً ، ولم يكن لسانه ليفتر عن ذكر الله لا في خلَواته ولا في جلَواته ، فهو إمامٌ من أئمة الورع وقطبٌ من أقطاب العباد ، الذين تتجافى جنوبُهم عن المضاجع ، وقد أُصيب بفقد ولده الوحيد الشيخ أديب أفندي ، فكان من الصابرين الذين إذا أصابَتْهم مصيبةٌ قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وكان في رمضان يتدارسُ القرآن مع الحفَظَة فلا ينامُ حتى يصلي الفجر ، وقد

ظلَّ منذ شبابِه إلى وفاته يتهجَّد ويتلو أوراده ثم يصليِّ الضحى ثم يشرع بإلقاء الدروس على اختلاف أنواعها إلى الظهر ، ومن بعد العصر ، وذلك في داره التي كانت أشبهَ بمدرسة ، وبين العشاءين في الجامع الأموي ، ويصرف بقية يومه وليلته في البحث والمطالعة ، وبالجملة فهو شيخ الشام بحق ، فإنَّ طالب العلم في دمشق وجهاتها إذا لم يكن تلميذه مباشرة فهو من تلاميذ تلاميذه ، وقد شغله التعليم عن التأليف ولسان حاله يقول :

عاق تدريسي عن التأليف لكنْ ... ياخليلي لستُ منه متأسِّفْ
من تلاميذيَ ألَّفتُ كتاباً ... كلُّ سطرٍ منه في العلم مؤلِّفْ

حليته وتتمة أخلاقه :

كان وجهه أبيضَ مشرباً بحمرة يتلألأُ نوراً وهيبةً ووقاراً ، واسعَ الجبهة ، أسودَ العينين ، كثيفَ اللحية البيضاء ، لاسميناً ولا هزيلاً ، وقامته إلى القِصَر أقرب ، وقد تقوَّس ظهرُه منذ سنِّ الكهولة ، ولعلَّه من الإيغال في القراءة والعبادة . وكان يلبس تاجاً وعِمَّةً من الأغباني ؛ وكان حريصاً على جبر الخاطر ، يصِلُ الرحم ، ويُكرم الجار ، ويَقْري الضَّيف ، ويتصدَّق على قلَّة ذات يده ، كريمَ النفس ، سليم الصدر ، يحبُّ الفقراءَ والمساكين ، وكان عصبيَّ المزاج ، سريعَ الغضب ، سريعَ الرضا ، فإذا أغضبَهُ أحدُ تلامذته بأسئلةٍ غير مناسبة يستشيطُ غضباً منه ، ولكنه سرعان ما يتراجع مطيِّباً خاطره .

وما زال على حالته الحسنى وطريقته المثلى إلى أن اغتالته المنون بغتةً بمرض الوباء ، فلبى دعوة ربه في اليوم الخامس من شهر شوال سنة عشرين وثلاثمئة وألف . وقد شهدت الفيحاء في ذلك اليوم مشهدين عظيمين ، مشهد ابتهاجٍ بموكب الحج قبل الظهر ، ومشهد حزنٍ بجنازة فقيد العلم والفضيلة والتقوى بعد الظهر ، فهُرِع إلى دار الفقيد الكبير خاصَّة الدماشقةِ وعامَّتُهم ، واكتظتْ مقبرة الدحداح بالناس والنعش لايزال في الجامع الأموي ، وقد أحاط به العلماءُ

والأمراء والأعيان وسائرُ الطبقات ، وهم يذرِفون العبرات ، وينفثون الزفرات ، لأن الكارثة كانت مضاعفة باغتياله بغتة . وقد رثاه فضلاء الغرب والشرق بمنظوماتٍ نُشرت في الصحف .

ثم قال : ويجدرُ بنا أن نفرد لسيرته كتاباً على حدة فنلفت نظر أبناء هذا الجيل إلى سيرة هذا العالم الجليل الذي كان من أعلام الشيوخ بدمشق « أولئك أشياخي فجئني بمثلهم » انتهى .

قلت : لاريب أنَّ شيخنا المترجَم كان آخر طبقته علماً وورعاً ودروساً عامةً وخاصة ، وأنه لم يخلُفْه أحدٌ في زمنه ، وقد شملتني بركته ولله الحمد ، فقد كنت أحضر لديه دروس الحديث يومي الثلاثاء والجمعة بمعيَّة والدي رحمه الله تعالى . ثم سمعت منه « الأربعين العجلونية » بتمامها ، وأجازني بها وبغيرها إجازةً عامة ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة ، وجزاه عن المسلمين خيراً كثيراً .

وأرخ وفاته الأديب الشيخ أبو السعود :

فُجِعَ الدينُ بأتقى عالمٍ ... كان في الدنيا ملاذَ المستفيدِ
الإمامُ الشيخ بكري المجتبى ... غَوْثُنا العطار ذو الفضلِ المديدِ
ومضى فالشام قالت : أرِّخوا ... **قد توارى قمَرُ العلمِ المجيدِ**
١٣٢٠

السيد أحمد الجزائري

ترجمه الأستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه « تعطير المشام » قال ما خلاصته : هو السيد أحمد ابن السيد محيي الدين ابن السيد مصطفى الحسني الجزائري ثم الدمشقي المالكي ، إمامٌ لا يُدرك شأوه ، ولا يجارى خطوُه ، ولد رحمه الله في شعبان سنة تسع وأربعين ومئتين وألف ، في القيطنة من ضواحي وَهْران ،وتوفي والده قبل فطامه ، فتربَّى في حجر أخيه السيد محمد السعيد ، ولما بلغ سن التمييز شرع في حفظ القرآن الكريم ، حتى حفظه وهو دون البلوغ ، ثم اشتغل بطلب العلم ، فقرأ على أخيه المقدَّم ذكره شيئاً من الفقه والتفسير ، وحضر

في علم الكلام على أخيه الأمير عبد القادر ، وسمع منه صحيحَيِ البخاري ومسلم ، وحضر في الفقه أيضاً على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي الجزائري ، ولما قدم الأمير إلى بروسة بعد وقائعه المعروفة مع فرنسة ، جاء المترجَم مع إخوته إلى عنابة من أعمال الجزائر فأقاموا بها نحو خمس سنين ثم قدموا دمشق سنة ١٢١٣* ؛ وأخذ المترجَم في تكميلِ التحصيل ، فحضر في التجويد وغيره على الشيخ يوسف المغربي ، وتلقى الحديث وغيرَه عن الشيخ قاسم الحلاق ، وحضر في النحو والكلام والبيان وغيرها على الشيخ محمد الطنطاوي ولازمه سنين ، وولع المترجَم بفن التصوُّف وأدمن النظر فيه ، وتلقَّى ذكر الطريقة القادرية عن السيد علي أفندي الكيلاني وعن أخيه الأمير المشار إليه ، واشتهر فضلُه ونبله ، وأقرأ في داره في فنون متعدِّدة ، وألقى في جامع العنَّابة قرب باب السَّريجة درساً عاماً بين العشاءين مدة ، وكان محافظاً على أوقاته يقسمها على الذكر والتلاوة والمطالعة والتأليف وزيارة الإخوان وصلة الأرحام ، وكان شديدَ المحافظة على الجماعة أول الوقت ، وعلى قيام الليل حضَراً وسفراً ، يُطيل فيه القيام والركوع والسجود ، وكان محترماً عند الخاصة والعامة ، مقصوداً لحلِّ المشكلات سمحاً بجاهه ، مشربه الحديث والعمل به ، أَلُوفاً وَدُوداً متواضعاً ، حسنَ المحاضرة . وله كتابات حسنة في مسائل فقهية وغيرها ، كما أن له رسائل لطيفة يتخلَّلُها شذراتٌ صوفية ، ومنها رسالته المطبوعة في بيان كونِ العلم نقطة ، وجمع أخيراً تاريخاً في سيرة أخيه الأمير .

ولم يزل على طريقته المُثلى إلى أن ألَمَّ به مرضٌ أعيا نُطُسَ الأطباء ، فتوفي صباح الأربعاء في ١٧ ربيع الثاني سنة عشرين وثلاثمئة وألف ، وصُلي عليه في الجامع الأموي في مشهدٍ حافل ، ثم دفن في تربة الباب الصغير ، قريباً من مرقد سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه .

زاهد أفندي الأَلْشي

قال الأستاذ البيطار في تاريخه ما مختصره : هو السيد زاهد ابن السيد محمد نجيب ابن السيد موسى الحسيني المعروف بالألشي . أديبٌ للبديع من القول منسوب ،وأَريبٌ بألفٍ من ذوي المحاسن محسوب ، إنْ تكلَّم أزرى كلامُه بعقود الجُمان ، أو تكمَّل قلت هذا مَلَكٌ في صورة إنسان ، تتستَّر الملاحةُ في غلائله ، وتتقطَّرُ اللطافةُ من شمائله ، صقلَتْ يدُ الصِّبا ديباجةَ وجهه الوسيم ، وتلقَّتِ النفوسُ حُبَّهُ تلقِّيَ النَّشْوان بَرْدَ النسيم ، أحاديثُه قُروط الأسماع ، وغرائبه تتجاوزُ خواطرَ الأطماع ،تفعل بالألباب فعل بناتِ الدِّنان ، وما السِّحْر إلا من ذلك البيان ، لأبكار المعاني مخترِع ، ولبنات الأفكار مفترِع .

ولد في رجب سنة ١٢٤٨ ، ونشأ في حجر والده ، ولما بلغ سن التمييز ، قرأ القرآن العزيز ، وأخذ في تعلُّم الخط والكتابة ، ثم أكبَّ على الطلب والتحصيل ، فلازم الأساتذة ملازمةً تامة ، ومنهم الشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ محمد الطنطاوي وغيرهما .

وكان بيني وبينه من الوفاق ، ما انعقد عليه الاتفاق ، ومن المخاطبات الرقيقة ، والمراجعات الأنيقة ، ما يزري بلطف النسيم ، ويشغل الصَّبَّ عن الوجه الوسيم ، ولا يستغرب ما بيننا من المحبة والوداد ، لأنه موروث عن الآباء والأجداد ، هذا وله نظمٌ رقيق ، ونثرٌ بديعٌ رشيق ، وحافظةٌ محاطةٌ بالصواب ، ولافظة أعذب من عَوْدِ الشيوخ إلى الشباب . .

وقد صار رئيسَ الكتاب في محكمة القِسمة ثم في محكمة البزورية ، ثم تولى النيابة في محكمة السنانية ، ثم في محكمة الميدان من محاكم دمشق الشرعية ، وفي سنة ١٣١٣ توجَّه إلى محروسة الآستانة ، ونزل ضيفاً كريماً على صديقه أحمد عزت بك العابد ، الكاتب الثاني في المابين السلطاني وقتئذ ، فمكث عنده نحو ستة أشهر على الرحب والسعة ، واستحصل له المشارُ إليه على معاشٍ قدره عشر ليراتٍ عثمانية في كلِّ شهر ، وعلى نيابة قضاء دوما ، فعاد المترجَم إلى الشام ، وتسلم النيابة

المذكورة منذ سنة ١٣١٤ وأتمَّ مدتها الرسمية سنتين .

ولم يسمع عنه في مدةِ نيابته ميلٌ إلى باطل ، ولا تفرقةٌ في الحقِّ بين عالمٍ وجاهل ، ولا رِشوةٌ وإن جلَّ قدرُها ، ولا تعصُّبٌ لقضيَّةٍ وإن عظم أهلها ، وكانَ يهوى المصالحة قبل إجراء المرافعة ، فإذا لم يتمكَّنْ بذَل وسعَهُ لإصابة الحق ومجانبة الباطل . . وعلى كل حال فمناقبه كثيرة ، وبدائهه وبدائعه شهيرة ، وبأنواع المديح جديرة ؛ ثم إنه بعد النيابة المذكورة انتخب عضواً في محكمة الاستئناف الجزائية ، وفي أثناء ذلك ذهب إلى الآستانة ، فوجِّهتْ إليه نيابةُ بعلبكّ فتولاها ؛ ولم يمض عليه مدةٌ بها إلا وقد مرض فحضر إلى الشام .

ولم يزل مريضاً إلى أن اخترمَتْه المنية في شعبان سنة عشرين وثلاثمئة وألف ، ودفن في تربة الباب الصغير ، انتهى .

قلت : وقد أعقب صاحب الترجمة رحمه الله تعالى ولديه الوجيهينْ أمين أفندي المتوفى أخيراً ، وجميل بك رئيس الوزراء الأسبق الموجود الآن .

كمال أفندي القدسي

هو كمال أفندي ابن علي أفندي القدسي الدمشقي ، ولد بدمشق ونشأ بها وحضر مجالس العلماء ، كالشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ سليم العطار ، ودخل في وظائف الحكومة ، فصار رئيساً لبلدية دمشق مرتين . وكان محمودَ السيرة ، حلو الحديث ، أميراً في مجلسه وجيهاً محترماً .

وكانت وفاته سنة عشرين وثلاثمئة وألف عن ولديه الوجيه صادق أفندي المتوفى سابقاً ، والفاضل صبحي بك الموجود الآن ، رحمه الله تعالى .

محمد راغب أفندي الدردري

ترجمه السيد الشريف تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو محمد راغب ابن نور الدين بن عبد القادر الشهير بالدردري الحنفي الدمشقي . كان أحدُ أجداده قيماً على جامع أبي الدرداء داخل قلعة دمشق ، ومتولياً على أوقافه ،

ومنها طاحون القلعة المذكورة ، ويقال إنَّ أصلهم من الخليل من أُسرةٍ لم تزل معروفةً هناك .

ولد المترجَم بدمشق وأدرك الطبقة الأولى من علمائها ، وحضر دروسهم ، وصار فقيهاً فاضلاً يحفظُ كثيراً من الفروع الفقهية ، وله في علم الفرائض معرفةٌ تامة ، وقد تولى القضاء الشرعي في كثير من أقضية دمشق ، وفُصل أخيراً من قضاء دوما ، ولما بلغ سنَّ الشيخوخة استقر في دمشق ، ملتزماً بيته في محلَّة القيمرية لا يخرج منه إلا إلى الصلاة .

وكانت وفاته عام عشرين وثلاثمئة وألف ، ومن أولاده الفاضل عطاء الله أفندي ، الذي تولى القضاء بعده في جملةٍ من الأقضية إلى أن توفي بعد سنة ١٣٥٠ وهو قاضي مدينة حمص ، ورضا أفندي أحد موظفي المالية في أقضية دمشق . رحمهم الله تعالى .

الشيخ خليل الموصلي

ذكره الشريف أديب أفندي تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : خليل بن مصطفى الراغب الموصلي أصلاً وشهرة الدمشقي ، العالم الصوفي الورع . قدم دمشق ولزم المدرسة الشابكلية ، وأخذ الطريقة النقشبندية الخالدية عن الشيخ محمود الصاحب ، وصار من خلفائه ، واعتقده الناس ، وكان حسنَ السيرة والسريرة ، محترماً عند العلماء والأمراء ، وكان مجلسه مجمعَ رجال العلم والفضل .

وما زال على حالته الحسنى إلى أن توفي سنة عشرين وثلاثمئة وألف ، انتهى .

قلت : إنَّ المترجَم هو والد الفاضل عز الدين أفندي أمين الفتوى بدمشق المتوفى سنة ١٣٦٥ ، رحمهما الله تعالى آمين .

★ ★ ★

الشيخ عبده الحمصي

قال عنه الفاضل تقي الدين في تاريخه ما حاصله : هو عبد القادر بن سعيد الحمصي منشأً الدمشقي مسكناً ، الشيخ الحافظ البصير ، كان فاضلاً أديباً يقرأ في المآتم ، وله فطنة زائدة ، وذكاء غريب ، صنَّف مولداً نبوياً غريباً ، نحا به مذهبَ الصوفية أوله : « الحمد لله الذي أظهر من باطن خفاءِ عماءِ ليلِ هويَّته الأحديَّة ، مطالعَ أنوار فجرِ صبحِ حضرةِ الحقيقةِ المحمدية » ، وقد اشتهر هذا المولد في دمشق وحفظه بعضهم وقرؤوه في الحفلات والأفراح ، طبعه مؤلفه المترجَم في دمشق سنة ١٣١٤ ، ثم أعيد طبعه بعد وفاته .

وقد توفي في حدود عام عشرين وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ أمين الزهدي

هو الشيخ المعمَّر أحد الخطاطين بدمشق ، وتعرف أُسرته بآل البغدادي ، أخذ الخط وفنونه عن أستاذه في الآستانة شوقي أفندي ، ثم اشتغل بكتابة القطع واللوحات طول حياته ، وكان سوداوياً لا يناقَشُ في رأيه ، ولا تستطاب عشرته ، وقد ساح في كثيرٍ من البلاد ، واجتمع بعظماء الرجال ، وفي أواخر عمره صنع قطعةً عظيمةً جمع فيها فنون الخط وأوصى بها إلى المسجد النبوي الشريف ، ولكنَّ ورثته لم يُنفذوا وصيته ، وقبل وفاته بسنة أوقف دارَه التي كان يسكنها في حي القيمرية قرب الحمام ، على فقراء المدينة المنورة خاصة ، وجعل النظر عليها لنفسه ، ثم إلى السيد عطا أفندي العجلاني . ثم إلى المرحوم والدي عمر أفندي ثم إلى ذريته ، وقد آل النظر أخيراً إلى الفقير جامع هذا الكتاب ، ولم أزل أقوم بهذه الخدمة الشريفة ولله الحمد ، وتلك صدقةٌ جاريةٌ لصاحب الترجمة أثابه الله ، وقد ناهز الثمانين من العمر ، ولم يتزوَّج حتى مات ؛ وكان قصيرَ القامة ، نحيفَ

البنية ، يتعمَّم بالبيضاء .

وكانت وفاته سنة عشرين وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٢١

الشيخ صالح المنيِّر

ترجمه شقيقُه العالم الفاضل الشيخ عارف أفندي قال ما مختصره : هو صالح بن أحمد بن سعيد الشهير بالمنيِّر الشافعي الدمشقي . كان من بيت علم مؤسَّسِ البنيان ومن شجرة حسينية تستنيرُ بها الأكوان .

ولد في دمشق ونشأ في كنف والده ، فربَّاه وأدَّبه ، وعلَّمه القرآن فحفظه ، ثم علَّمه الخط فأحسنه ، ثم شغله بطلب العلم فحفظ ما يلزم حفظُه من المتون ، وقرأ عليه النحوَ والمنطق والفقه والتوحيد والحديثَ وغيرَها ، وقرأ على العلامة الشيخ بكري العطار دروساً في التفسير والحديث والفقه ، وقرأ عند السيد محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق « الكافي في العروض والقوافي » و« الأربعين النووية » في الحديث ، واشتغل بالأدب ونظم الشعر ، وقرأ على العلامة الشهير الشيخ سليم العطار « جمع الجوامع » في الأصول ، وطالع عليه « المختصر » و« المطول » في البلاغة و« شرح القطب على الشمسية في المنطق » ، وقرأ على عبد الرحمن أفندي البوسنه وي رسالة الوضع ، ورسالة الهيئة للجغميني ، والرسالة السمرقندية في الاستعارات ، ومما قرأه على والده في الفقه شرحا ابن القاسم والخطيب الشربيني على أبي شجاع بحاشيتيهما للباجوري والمدابغي ، وشرح التحرير ، وشرح المنهج للقاضي زكريا .

وتأهَّل المترجَم للتدريس في حياة والده وشيوخه ، فأذنوا له في التدريس سنة ١٢٨٧ فدرَّس في الجامع الأموي بين العشاءين وفي الأشهر الثلاثة ، وبعد صلاة الجمعة ، ودرَّس في المدرسة الاخنائية شمالي الجامع المذكور ، واجتمع عليه الطلبة ، فأقرأ النحو والصرف والفقه وغيرها ، وانتفع به جماعةٌ كثيرون ، وكان في

كلِّ عام يصلّي التراويح في الجامع المقدَّم ذكره بختمةٍ كاملة ، وفي سنة ١٢٩٨ انتخب عضواً في الجمعية الخيرية بدمشق ، وكان له يد في تأسيس المكتبة الظاهرية والمدارس الابتدائية ، وعين عضواً في مجلس المعارف مرّات ، وفي سنة ١٢٩٩ قصد الآستانة في حياة والده فوجّه إليه تدريس كتاب « الشفا » في الجامع المنوّه به ، وباشره فعلاً فكان فيه آية باهرة ، ثم تردَّد إلى دار السلطنة المذكورة مرات كثيرة ، واجتمع برجالها ، وحاز أخيراً على رتبة أدرنه والوسام المجيدي الرابع . ولما توفي والده سنة ١٣٠٣ وجهت إليه إمامة الشافعية في الجامع الأموي الآنف ذكره ، فأمَّ به إلى وفاته .

وكان جمع همته لمطالعة التوراة والإنجيل ، حتى صارت له فيهما ملكة يحسن بها المجادلة مع النصارى واليهود ، فكان كثيراً ما يذهب إلى الكنائس والبِيَع ويجادلهم حتى تكون الغلبةُ له عليهم ، ولما وقعت المجادلة بين البروتستانت في جريدتها (النشرة الأسبوعية) وبين اليسوعية في جريدتها (البشير) صار المترجَم حكماً بينهم ، وكتب في ذلك رسالةً طبعَتْها الجريدة المذكورة ، ثم أفردتها وجعلتها رسالةً مستقلة ، وكان كثيراً ما تنشر له الجرائد مقالات من قلمه ، خصوصاً الجوائب في الآستانة ، والجنان في بيروت واشتهر بذلك . ولما سمع صاحب الترجمة أن في مصر والإسكندرية محافلَ للبروتستانت فُتحت للمباحثة مع المسلمين ، توجّه قاصداً المحافل المذكورة في جمعٍ من العلماء ، فجادل القسوس والرهبان ، وتغلّب عليهم علناً ، وبهُت الذي كفر ، ثم آب راجعاً إلى دمشق ، كما باحث باقي الفرق في غير ما مرة ، وكانت الغلبةُ له أيضاً ، ولذلك كثرتْ أعداؤه وحُسَّاده شأن أهل الفضل في كلِّ زمان! وقد ألَّف جملةَ رسائل مفيدة .

وفي رمضان سنة ١٣٢٠ قرأ درس « الشفا » في الجامع الأموي وختمه في ٢٦ منه حسب العادة بحضور جمع من الخاصة والعامة ، ثم توجَّه على الأثر إلى الآستانة لأشغال خصوصية فوصلها في ٢٨ شوال ، وبقي فيها أشهراً وهو معزَّز مكرَّم ، إلى أن شكى من علة البواسير ، فدخل مستشفى سراي (بورنو) على حين غفلة من أهله وأصحابه ، فأُجريت له عملية جراحية ، وكتب خبره إلى بعض

أصحابه ، فلم يدركْه إلا وقد توفي ، وذلك يوم الأحد الثاني عشر من صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة وألف ، فدفن في إحدى مقابر الآستانة ، ولما شاع خبر وفاته عمَّ الأسف كلَّ من عرف فضلَه وقدر قدره ، وقد رثته الشعراء وأثنت عليه العلماء ، انتهى .

قلت : قد اطلعت للمترجَم على منظومةٍ صغيرةٍ مطبوعةٍ سماها « الطلُّ من المجاز المرسل » ، وقرأت بخط الجد الشيخ عبد السلام الشطي ، أنه قرَّظ لصاحب الترجمة على نظم ايساغوجي ، الذي سماه « العقود الغالية في قواعد المنطق العالية » ، فقال الجد بعد الخطبة :

عقـــدٌ نظيـــمٌ غـــالي	درٌّ ثمينٌ عـــــــــــالي
نظــــم عظيــــم وافي	قـــريـــض شعـــرٍ كـــافي
عـــذبٌ فمـــا أحـــلاه	قـــد جـــلَّ مـــن أنشـــاه
أعنـــي (المنيِّـــر) التقـــي	(الصـــالـــحَ) البرَّ النقـــي
مـــولاي فـــاقبـــل كَلِمـــا	في منطـــقٍ قـــد نظمـــا
وانفـــع بـــه الطـــلابـــا	واسلـــك بـــه الصـــوابـــا
يـــاخـــالـــق البروج	(قـــوافي إيســـاغـــوجـــي) ١٢٨٨
وصـــلِّ رب سرمـــدا	على الـــرســـول أحمـــدا
وآلـــه الأخيـــارِ	وصحبـــه الأبـــرارِ
مـــانـــاح أيـــكٌ أو حمـــام	أو فـــاح مســـكٌ في الختـــام

وكان المترجَم في سنة ١٣١٨ تفضَّل عليَّ ببيتين قرظ بهما كتاباً جمعتُه في تراجم بني فرفور قال :

كتابٌ قد حوى أدباً وفضلاً	وضـــمَّ فـــرائـــدَ الـــدُّرِّ الجليـــلِ
حوى أبهى الجمال وليس بِدْعاً	فقـــد جـــاء الجميـــلُ مـــن الجميـــلِ

وقد ترجمه العلامة البيطار في تاريخه وأثنى عليه ثناءً حسناً ، ثم قال : وكان بينه وبين شقيقه جفاءٌ مشهور أوجب خصومةً ودعاوى لدى الحكومة ؛ فما زالت

هذه الخصومة تتفاقم بينهما حتى ذهب المترجَم إلى الآستانة لإتمام تلك الدعاوى ، فأدركته المنية هناك ، رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثواه ،آمين .

الشيخ محمود الموَقِّع

هو محمود بن عبد المحسن بن أسعد بن عبد القادر بن إسماعيل بن نجم الدين المعروف بالموقِّع ، الحُسيني الشافعي الدمشقي القادري المحْيَوي الخلوتي الأشعري (كذا في توقيعه) . العالم الفاضل الأديب الأريب ، العابد الناسك .

ولد بدمشق سنة ١٢٥٧ كما أخبرني ، ونشأ في حجر والده ، ثم طلب العلم فلازم علماء دمشق ، كالشيخ إبراهيم العطار ، والشيخ عمر السبيعي ، والشيخ صالح جعفر ، وكان جل قراءته عليه وأكثر انتفاعه منه ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ أبي رباح الدجاني اليافي ، والطريقة القادرِّية عن السيد محمد مكرم الكيلاني مفتي حماة ، وشيخ السجادة القادريَّة بها .

وقد ولع المترجم بالنظم والنثر ، سالكاً طريقة التسجيع والتجنيس ، ولكن بحيث خرج عن الحدِّ المقبول فيهما ، ويكاد السامع يضحك منهما ، وألَّف شرحاً على « الشمائل النبوية » للترمذي ، سماه « الفتح الأيمن المقبول ، والشرح المُهْدى لأشرف رسول » ، وهو لم يطبع . وكتاباً في مناسك الحج لم يطبع أيضاً ، ومولداً سماه « حصول الفرج وحلول الفرح ، في مولد من أنزل عليه ألم نشرح » قرَّظه له بعضُ علماء دمشق ، ثم طبعه في مصر سنة ١٣٠٨ ، وجمع ديوان شعره ونشره باسم « ديوان الانكسار ، وإيوان النظم السار » طبعه ولده الشيخ أحمد في مصر سنة ١٣٢٦ ، وفيه عجائب وغرائب! وكان رحمه الله تفضَّل عليَّ بتقريظ كتاب لي في تراجم بني فرفور فقال بعد الخطبة :

أما بعد فإن هذا الشاب الشَّهم ، الذي له في قصبات السَّبق أوفى سهم ، من طاب محتِدُه فسما ونما ، ولبني الشطِّي الغُرِّ في العِزِّ انتمى ، شِبْل مُحبِّنا الوجيه الهمام ، نجل أخينا المرحوم العالم الفرضي في الشام ، ابن شيخنا الحنبلي المذهب الحسن الاسم والعلم ، الشهير في التقى والعلم ، والخالص في الاعتقاد والحبِّ

لوالدنا المبرور المرحوم ، لازالت سحائب الرضا تنهلُّ على ضريحيهما وتدوم ، قد أطلعني وهو الولد القلبي الأكمل الأول ، من أشار إليه يراعي في المطلع وما أول ، وهو الفاضل الجميل ، وإنْ صَغُرَ سِنُّه في هذا الجيل ، وأوقفني هذا الموفق على هذه الرسالة الأدبية ، والعُجالة السنية ، وطلب من هذا العاجز تقريظاً لها حلو الإنشاء ، فاستخرتُ ربي تعالى مجدُه ، لأنه إن شاء منع ، وأعطى إن شاء ، وأكَّد علينا أن نُطلق له جواد الجنان ، في غياض سطورها الشهية الشبيهة برياض الجنان ، فامتثل الخاطر وفي بعض عباراتها جال ، وعن حول حماها المَشيد ما حال ، ودخل بانكساره باب حصنها في الحال ، واقتطف طرْفُه طرَفاً من طرف ثمر باكورتها الحال :

رياضٌ زهَتْ والأُنس حلَّ بواديها لأن الجميل الشطي باني معاليها

الخ . . وكان المترجَم كثيرَ الأسفار رحلَ إلى الآستانة مراراً وحاز على رُتَبٍ علمية وأوسمة مجيدية ، آخرها باية الموالي والوسام الثالث المجيدي ، مع راتب من خزينةِ الشام ، وذلك سنة ١٣١٥ ، وأولع بحضور حفلات الحكومة بدمشق ، فكان يلبس الملابس الرسمية ، ويعلِّق عليها الأوسمة البرَّاقة ، وكان من أصحاب السوداء لا يخالط إلا قليلاً من الناس ، ويتصوَّر أن أكثرَهم أعداؤه وحسَّادُه ، ولم يزل على حال إلى أن توفي فجأة في تاسع ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودُفن في المقبرة الذهبية ، عليه رحمة رب البرية .

وفيات سنة ١٣٢٢

حسن بك القُوَّتْلي

نوه بذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه فهو حسن بن محمد بن أسعد

الشهير بالقوتلي ، قدم جدُّه دمشق من بغداد ، وأسَّسَ والده مجدَ هذا البيت ، فقد كان من كبار تجار دمشق في خان أسعد باشا ، ولما توفي أعقب خمسة أبناء نجباء ، الأول سعيد أفندي أحد وجهاء دمشق وصاحب السبيلَين على جانبي باب النوفرة من الجامع الأموي ، توفي سنة ١٢٩١ ، والثاني عبد الغني أفندي المشهور بخيراته ومبراته ، توفي سنة ١٣٠٣ ، والثالث سليم أفندي أحد أعضاء المجلس البلدي ، توفي سنة ١٣٠٨ ، والرابع صاحب الترجمة الآتي ذكره ، والخامس آخرهم موتاً مراد أفندي أحد أعيان سورية ومن أعضاء مجلسها الإداري مدةً طويلة ، توفي سنة ١٣٢٦ .

وأما المترجَم ، فقد نشأ كإخوته على الأخلاق الحسنة ، واشتغل بالتجارة مع الديانة والأمانة ، إلى أن صار رئيساً لغرفتي التجارة والزراعة بدمشق مدةً طويلة ، وعلا قدرُه واشتهر ذكرُه ، ورحل إلى الآستانة وتعرَّف إلى عظمائها ، وأحسنت إليه الدولةُ العثمانية إذْ ذاك بالرتبة الأولى والوسام العالي ، وكان يحفظ بعض الأحاديث النبوية ، وكثيراً من أمثال العرب وكلام الحكماء ونوادر الأدباء ، ويميل إلى مطالعة أسفار التاريخ وسيرة السلف الصالح .

وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة وألف ، ومن أنجاله شفيق بك رئيس غرفة التجارة بعد والده المترجَم ، وعضو مجلس الإدارة بدمشق ، وعضو مجلس الأُمة في دار السلطنة توفي سنة ١٣٤٠ ، ومنهم مختار بك رئيس بلدية دمشق سابقاً الموجود الآن .

وبالجملة فبنو القوَّتلي في دمشق كانوا ولم يزالوا من أعيانها الكرام ورؤسائها العظام ، وقد أصبح رئيس الجمهورية السورية في أيام جمع هذا الكتاب ، هو صاحب الفخامة شكري بك القوتلي نجل الوجيه الكبير محمود أفندي المتوفى سنة ١٣٣٣ ، ابن عبد الغني أفندي المشار إليه ، متع الله الأمة بطول بقائه ودوام علائه .



حسين أفندي الغَزِّي

ترجمه لنا ولده الفاضل عزَّت أفندي قال ما خلاصته : هو السيد حسين ابن السيد إسماعيل ابن السيد عبد الغني ابن السيد محمد شريف الشهير كأسلافه بالغزِّي العامري الشافعي الدمشقي . كان عالماً فاضلاً وجيهاً محترماً ، مؤرِّخاً له اليد الطولى في علم الأنساب وحوادث العالم ، قويَّ الحافظة ، طَلْق اللسان ، حسنَ العشرة ، سخيّاً جواداً . ولد بدمشق سنة ١٢٤٠ تقريباً وتوفي والده وهو صغير فنشأ في حجر أخويه ، وقرأ على عمِّه العلامة عمر أفندي الآجُرُّومية والأزهرية والقطر بشروحها والمُغني والأشموني في النحو ، والغاية وابن قاسم والخطيب في الفقه ، والجلالين والبيضاوي في التفسير ، وأخذ عنه العقائد والبيان والبديع والصرف ، وكتب له إجازة في سنة ١٢٦٥ ؛ وحضر دروس المحدِّث الكبير الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وحرَّر له إجازةً بجميع ما حواه ثَبَتُه وذلك سنة ١٢٦٢ ، ولازم دروس العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، ثم ولده الشيخ عبد الله الحلبي ، وأخذ الطريقة القادرية عن السيد محمد مكرم الكيلاني شيخ السَّجَّادة القادرية بحماة ، وله منه إجازة مؤرَّخة في سنة ١٢٧٩ ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن عمه المقدَّم ذِكرُه عن مولانا خالد قدَّس الله سره ، وأخذ الطريقةَ الشيبانية عن الشيخ عمر التغلبي عن والده الشيخ عمر التغلبي الكبير عن العارف الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد الله بن محمد الكناني الصالحي ، وأجازه وخلفه في سنة ١٢٧٤ ، غير أن المترجَم لم يتقيَّد بإلقاء درسٍ ولا بإقامة ذكر .

ثم دخل المترجَم في سلك الوظائف الحكومية فصار عضواً في مجلس معارف الولاية ، ثم عضواً في قومسيون الأملاك ، ثم نائباً في محكمة الميدان ، وفي سنة ١٢٩٨ نقل إلى محكمة العمارة ، وفي سنة ١٣١٣ نقل إلى محكمة البزورية ، وفي سنة ١٣١٦ نقل إلى محكمة السنانية ولم يزل بها إلى سنة ١٣١٩ حيث مرض والتزم داره .

وكان يحدِّث أصحابه من أهل العلم وغيرهم بأنه رأى النبيَّ ﷺ في المنام فصافحه بيده الشريفة وأجازه بالنُّصح لكلِّ إنسان ، وقد جمع كتاباً في أخبار عائلات دمشق القديمة والحديثة فُقد بعد وفاته .

وكانت وفاته بعد أن أُقعد في داره ثلاثَ سنوات في سادس عشري ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودُفن على والدته في المقبرة الذهبية ، وقد خلف أولاده الفضلاء عبد اللطيف أفندي ، وحافظ أفندي المتوفَّيَين بعد سنة ١٣٤٠ ، وعزَّت أفندي المقدَّم ذكره ، الذي تُوفي أثناء طبع هذا الكتاب رحمهم الله أجمعين .

محمد بك العظمة

هو محمد بن محمد الشهير بالعظمة الدمشقي . ولد بدمشق ونشأ بها وحفظ القرآن ولازم بعض العلماء وصار عضواً في المجلس البلدي مدةً طويلة ، وكان كريمَ الطبع سخيَّ اليد حسنَ السيرة كثيرَ التلاوة . نال من الدولة العثمانية رتبةَ أزمير المجردة .

وكانت وفاته فجأةً وهو في دار الحكومة يحضر حفلةً رسمية وذلك في شعبان عام اثنين وعشرين وثلاثمئة وألف ، وقد بلغ من العمر نحو خمسةٍ وسبعين عاماً ، وأعقب ولده المتقاعد سعيد بك الموجود الآن .

أمين أفندي الغزِّي

ترجمه لنا ابن عمه الفاضل محمد عزت أفندي قال ما زبدته : هو أمين بن محمد بن عمر الغزِّي العامري ، مفتي الشافعية بدمشق وسليل مفاتيهم المحترمين ، كان فاضلاً وجيهاً ، له الخبرة التامة بالفِلاحة والزراعة ، ولد بدمشق سنة ١٢٦٥ ونشأ في حجر والده . وقرأ عليه وعلى ابن عمه الشيخ رضا أفندي ، وبهما كان انتفاعه وتخرُّجه ، وحضر أيضاً دروسَ غيرهما كالشيخ سليم العطار ومَنْ في طبقته ، ومَهَرَ في الفقه الشافعي ، وتولىَّ القضاء في القلمون وغيره ، وصار عضواً

في مجلس المعارف وفي بعض المحاكم العدلية ، ولما توفي والده سنة ١٢٩١ ، وجِّهت إليه فتوى الشافعية ورتبة أزمير من الرتب العلمية ، وفي سنة ١٣١٩ أحسن إليه بالوسام المجيدي من الدرجة الثالثة .

وكانت وفاته فجأةً وهو في حلقة الذكر بدار بني التغلبي ليلة الثلاثاء في سادس شوال عام اثنين وعشرين وثلاثمئة وألف ، وكان لوفاته رَنَّةُ حزن ، فشُيِّع جثمانُه بمشهدٍ حافل ، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأموي صار دفنه في مقبرة الدحداح بجوار أسرته ، ورثاه الفاضل رضا أفندي العطار بقصيدةٍ مطلعها :

ألا يـاعين بـالعبراتِ جـودي على فخر الأفاضل في الوجود

وفيات سنة ١٣٢٣

سليم أفندي العُمَري

ذكره الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما خلاصته : هو سليم بن عبد الهادي بن سليم العُمَري نسباً ولقباً الدمشقي ، كان من أعيان دمشق ووجهائها ، مقبولاً عند العلماء ، محترماً لدى الأمراء ، كريمَ الطبع ، حسنَ الأخلاق جداً . صار عضواً في المجلس البلدي ، وفي الجمعية الخيرية سنة ١٢٩٧ ، ثم انتُخب عضواً في محكمة البداية ثم في محكمة الاستئناف مرات ، وأخيراً صار من أعضاء مجلس الإدارة الكبير ، وقد رحل إلى الآستانة مراراً من أجل أوقاف جدِّه الأعلى سيدي علي بن عليم الكائنة في فلسطين ، وأحسنت إليه الدولة العثمانية إذْ ذاك برتبة أزمير والوسام الرابع .

وكانت وفاته في ثالث شوال سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف ، وأعقب أولاداً نجباء أرشدُهم علي أفندي عضو المجلس البلدي السابق وفريد أفندي متصرِّف لواء حَوْران الأسبق بارك الله فيهم .

أمين أفندي شبيب

ترجمه محمد أديب أفندي تقي الدين في تاريخه المعروف فقال ما خلاصته :
هو أمين بن عمر الشهير بشبيب الدمشقي الحنفي ، نشأ بدمشق من أُسرة معروفة بالتجارة ، وطلب العلم فقرأ على الشيخ عبد القادر المالكي ، والشيخ أبي الخير الخطيب ، ولازم غيرَهما من العلماء ، ثم توجه إلى الآستانة ، فصار نائبَ تزكيةٍ في محكمة القسَّام لدى المشيخة الإسلامية ، ثم ولي القضاء الشرعي في جينين ووادي العجم ودوما وصفد وعكّا واللاذقية ونابلس ، وهي آخر وظائفه ، ووجِّهت إليه رتبة الموالي من الرتب العلمية - باسم قاضي بيروت - وألَّف رسالةً في التوقِّي من الزلزال والحريق - طبعت في مصر وعليها تقاريظ لبعض علمائها - وله شرحٌ على البُرْدة ، وشرحٌ على الأدعية المأثورة ، ومولد نبوي .

وبالجملة فقد كان عالماً أديباً لسِناً جريئاً ، وكانت وفاته بدمشق معزولاً من وظيفته الأخيرة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد الحطابي

ذكره الشريف تقي الدين في تاريخه ، قال ما حاصله : هو محمد الحطابي النابلسي ثم الدمشقي الحنبلي ثم الحنفي ، قدم دمشق صغيراً صحبةَ عمٍّ له ، وقرأ عليه وكان أكثرُ انتفاعه منه ، وهو من بيتٍ قديمٍ في نابلس معروفٍ بالعلم والفضيلة ، وقد تصدر المترجَم للتدريس في جامع دمشق بين العشاءين ، وكان يعلِّم الأطفالَ في مكتبٍ خاصٍّ تجاه سوق الحرير زال أثرُه اليوم ، قال : وكنتُ من تلاميذه في المكتب والدرس ، وله مؤلفاتٌ تدلُّ على فضلِه وعلمه ، منها شرح على الجوهرة في التوحيد ، وشرح على إيساغوجي في المنطق ، وكتب شيئاً على متن التلخيص في المعاني والبيان ، وبالجملة فقد كان صاحب الترجمة عالماً فاضلاً فقيهاً ، له مشاركةٌ في أكثر العلوم والفنون .

توفي في الهند عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة وألف ، انتهى .

قلت : كانت غيبة المترجَم في الهند نحو عشرين سنة ، وكان فيها رفيقاً لتلميذه الفاضل الشيخ حسن اللحَّام (أو العطار)الذي يقال : إنه تقدم على شيخه المترجَم ، وقد عاد اللحَّام إلى دمشق سنة ١٣٢٤ ، وتوفي بها ، رحمهما الله تعالى .

الشيخ سليم توكَّلنا

أخبرنا عنه ولده فهو سليم بن طه بن مصطفى الشهير بتوكَّلنا ، اشتهر بذلك جدُّه المذكور ، لأنه كان من عادته إذا طُلب منه شيء أن يقول : توكَّلنا على الله ، الشافعي الدمشقي ، ولد بدمشق نحو سنة ١٢٤٥ ، ونشأ في حجر والده الكفيف الحافظ ، وطلب العلم فقرأ على علماء وقته ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الحفار ، والشيخ عبد القادر الخطيب وغيرهما ، وتلقى الحديث عنهم ، وتولَّى إمامة جامع السادات الذي يسكنه في محلَّة العمارة الجوانيَّة ، وكان إمامَ المحلة المذكورة ، ثم نُقل منها إلى إمامة العمارة البرانية ، وكانت العامَّةُ تراجعه في مسائلِ الطلاق والرَّجْعة ، فيفتيهم ببعض أقوال الشافعية والحنابلة ، وقد يُرفع عملُهُ إلىَ المحكمة الشرعية فيؤاخذ عليه ، وكان حسن المنظر منوَّر الشيبة .

وكانت وفاتُه فجأةً في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف ، رحمه الله وعفا عنه .

وفيات سنة ١٣٢٤

الشيخ سليم المسوتي

ترجمه العالم الشهير الشيخ يوسف النبهاني في كتابه « جامع كرامات الأولياء » قال ما خلاصته : هو سليم (بن خليل) الشهير بالمسوتي الدمشقي الحنفي الخلوتي - الأرنؤوطي الأصل - العالم العارف صاحب الكرامات والأسرار ، اجتمعتُ به في بيروت سنة ١٣٢٣ فرأيتُ في وجهه من النور ما يقضي بأنه من خيار العلماء العاملين والأولياء العارفين ، واستجزته فأجازني بكلٍّ ما عنده من جهة الشريعة والطريقة ، وكل ما أخذه عن شيوخه من معقول ومنقول . وأخبرني أنه ولد في

دمشق سنة ١٢٤٨ وأنه قرأ بها العلوم العقلية والنقلية على مشايخَ كثيرين من علمائها ، منهم الشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ عبد الغني الميداني ، والشيخ سليم العطار ، والشيخ عبد الرحمن الحفار ، والشيخ أحمد مسلم الكزبري ، والشيخ محمد سعيد البرهاني وغيرهم ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ سعدي التاجي الخلوتي ، والطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي المحاسن القاوقجي الطرابلسي . وأخبرني وهو الصادق أنه يحضر دروسه العلمية جماهيرُ من الملائكة والجنِّ فضلاً عن الإنس ، وأنه ابتدأ في قراءة البخاري وغيره سنة ١٢٦٥ وهو من ذلك التاريخ إلى الآن مداوم على قراءة الدروس ، وأنه ليس له كسب من جهة معلومة ولا مال له ولا عقار ، ومع ذلك هو متزوِّج بأربع زوجات ، كلٌّ واحدةٍ منهن مع أولادها في بيتٍ مستقل ، وله أحفادٌ كثيرون نحو سبعين نفساً ، وهو ينفق عليهم جميعاً ، ولا شكَّ أن ذلك من أعظم الكرامات وخوارق العادات ، وأخبرني أن مددَهُ الأعظم من النبي ﷺ ، انتهى .

قلت : إي نعم ، لقد كان الشيخ المترجَم من أفراد دمشق صلاحاً وزهداً ودعوةً إلى الخير والدين وسيراً على طريقة السلف ، وكان معتَقَداً مباركاً نيِّرَ الوَجْه ، حسنَ المنظر ، جليلَ القدر ، محبَّباً للنفوس ، وكان له درسٌ عام في جامع التَّوْبة بعد طلوع الشمس وبين العشاءين تستفيد منه الخاصَّة والعامَّة ، وإذا وقع خلافٌ أو ظهر مشكلٌ بين جماعةٍ من أهل محلَّته ، حضر بينهم فأزال خلافَهم وحلَّ مشكلهم وأصلح بينهم ، وكان يغلب صلاحُه على علمه ، فقد اشتهر عنه كرامات ونقل عنه حكايات غريبة ، أعظمها ما حكاه الشيخ النبهاني ، من إقامته دائماً على أربع زوجاتٍ ساكناتٍ مع أولادهن في أربع بيوت ، والإنفاق عليهم جميعاً مما يفتح الله له دون أن يكون له مالٌ أو عقارٌ أو كسب ، ومنها أنه كان من عادته أن لا يترك في بيوته نقوداً ، فدعاه مرَّةً أحد التجار الأغنياء إلى طعام في داره ، فلما أراد الشيخ الانصراف ناوله التاجر صرةً فيها عشر ليراتٍ ذهبية ، ثم عقَّبه بأحد أولاده لينظرَ أين يذهبُ بها ، فلما وصل الشيخ إلى أحد الحرَّاس ناوله الصرة وهو لا يدري ما فيها ، ومضى الشيخ في سبيله ، فتركه ولد التاجر وأقبل على الحارس يسأله عن الصرَّة فاعترف له الحارس بالصرَّة وإنه فتحها فوجد فيها عشر ليراتٍ

ذهبية ، وقال له : إنه كان في أشدِّ الحاجة إليها لأنه عقدَ له على امرأةٍ من عهد قريب وهو لايجد مهرها ، وصار يدعو للشيخ ، فتركه الولد ورجع إلى والده فأخبره بما كان . ومنها أنه كان لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ، فاتفق أنه كان طلب منه سائلٌ طعاماً فأعطاه كلَّ ما فضل من طعامه وطعام عائلته ، فقامت له امرأته غاضبة وقالت له : كيف تصدَّقت بطعامنا وليس عندنا للغدِ غيره ، فأعرض عنها ولم تمض تلك الليلة حتى جاء جماعةٌ إلى محلته يحملون مقاديرَ من الطحين والسمن والبرغل يسألون عن دار الشيخ ، فلما أُرشدوا إليها سلَّموا ما معهم إلى أهل الدار وانصرفوا ، فرضيتِ المرأة واستسلمتْ للشيخ قدَّس الله روحه . ومنها أنه كان له ولد فتح دكاناً للسمانة ، فاشترى له الشيخ تنكةً من السمن وأمره أن يبيعَ منها ولا يحسب ، ففعل ، ولما باع منها كثيراً استطال مدَّتها فجعل يحسب ما باع منها وما بقي ، وإذا بها بعد أيام قلائل قد خلَتْ من السمن وانمحقت البركة منها بسبب مخالفة الولد وصيةَ والده ، إلى غير ذلك من الكرامات والنوادر ، وقد رزئ الشيخُ المترجَم قُبيل وفاته بولده العالم الفاضل الشيخ محيي الدين ، فصبر واحتسب .

وكانت وفاة صاحب الترجمة في سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودفن في مقبرة الدحداح الشمالية على جانب الطريق وقبره معروف رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته آمين .

الشيخ أبو النصر الخطيب

هو أبو النصر بن عبد القادر الخطيب الشافعي الدمشقي ، ولد سنة ١٢٥٣ تقريباً ، ونشا في حجر والده ، وبه تخرَّجَ وانتفع ، وهو أصغر إخوته ، ولما جعلهم والدهم على المذاهب الأربعة حضر المترجَم على الشيخ مصطفى التهامي في الفقه المالكي مدة ، ثم أعادهم والدهم المذكور إلى مذهبه الشافعي في قصةٍ معروفة . وقد جدَّ المترجَم واجتهد ودرَّسَ وخطب ، وكان جسوراً فصيحاً بهيَّ الطلعة حُلْوَ الحديث والنكتة جداً ، يهابه الخاصُّ والعام ، وتحترمه الأمراء

والحكّام ، رحل إلى الآستانة مراراً وتولىَّ القضاءَ الشرعي في أقضيةٍ كثيرة ، منها النبك وصور ومنها يافا مرتين ، وهي آخر ولاياته ، ثم استقرَّ في دمشق وقد ناهز السبعين ، فألقى دروساً عامَّةً في الجامع الأموي برمضان ، ودروساً خاصَّة في داره في الحديث والفقه والنحو ، وجمع ثَبتاً في أشياخه ومروياته ، وكان من عادته إذا تولى القضاء في بلدة أن يخطب في جامعها ويدرِّس فيُحسن ويُجيد ، وإذا حضر مجلساً قبض على زمام الحكم فأفاد الحاضرين وآنس السامعين ، وبالجملة فقد كان من نوادر عصره .

وكانت وفاته فجأة في قرية التل ، فحُمل إلى دمشق ، وكانت له جنازة حافلة جداً ، ودُفن بجوار إخوته بمقبرة الدحداح ، وقد أعقب ولديه القاضيَيْن عبد القادر أفندي والشيخ أحمد بدوي رحمهم الله . وترجمه العلامة البيطار في تاريخه وقال : إنه بعد طلب العلم على والده وغيره انتقل بعياله إلى قرية حرَسْتا ، فسار بأهلها سيرةً حسنة ، يصلي بهم ويخطب لهم ويَعِظُهم ، ثم قصد الآستانة ودخل في سلك النيابات وتنقَّل من واحدة إلى أخرى ، وتعرَّض لفتوى الشام بعد وفاة المنيني المفتي سنة ١٣١٦ ولكن لم يُقَدَّرْ له ذلك ، وعلى كلِّ حال فقد كان شهماً جسوراً جميلَ المعاشرة ، يميلُ إلى العفَّة والحماسة رحمه الله تعالى .

وفيات سنة ١٣٢٥

الشيخ أبو الصفا المالكي

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه قال ما ملخصه : هو أبو الصفا بن إبراهيم المالكي الدمشقي . . . أحد شيوخ القرَّاء بدمشق ، أخذ القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة والطيبة عن الشيخ أحمد الحُلواني الشهير ، وعن حافظ باشا الفريق التركي نزيل دمشق ، وقد أقرأ كثيراً من الحفَّاظ والطلاب فعمَّ نفعه واشتهر ذِكرُه ،وكان يقرأُ حصةً من القرآن في مشهد الحسين من الجامع الأموي بعد العصر من شهر رمضان .

وكانت وفاته في ٢٣ ذي الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف ، عن

نيف وستين عاماً ، انتهى .

قلت : وقد ألَّف المترجَم رسالة في التجويد نافعة في بابها طبعت في حياته ، واشتهر بإتقان مخارجِ الحروف حتى انفرد بها في زمانه . وقد أعقب ولديه محمد أفندي وعبد الله أفندي رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً .

الشيخ أمين البيطار

ترجمه الشريف تقي الدين في تاريخه ترجمةً موجزةً على عادته قال ما خلاصته : هو أمين بن عبد الغني الشهير بالبيطار الدمشقي الحنفي . إمام جامع السنانية بدمشق ، الشيخ المعمَّر والفقيه الفاضل ، أدرك الطبقةَ الأولى من علماء عصره وأخذ عنهم ، وقد برَع في الفقه والأصول وكان صالحاً ورِعاً تعتقده الناسُ وتحترمه ، بلغ نحو التسعين من العمر وكانت وفاته سنة ١٣١٠ ، انتهى .

قلت : الصواب أنه توفي في ١٢ ذي القعدة سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف ، ودُفن بمقبرة الباب الصغير ، وأرَّخ وفاته بعضهم بأبيات منها :

مضى قمر الإسلام وهو أمينُنا إمامُ الورى البيطار فردُ أوانِهِ
فهاتفُ جودِ الله نادى مؤرِّخاً توارى ببحْرِ العفوِ بدرُ زمانِهِ
١٣٢٥

الشيخ عبد الباقي الأفغاني

ترجمه الفاضل تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : هو عبد الباقي الأفغاني الكابُلي نزيل دمشق ، الشيخ الجليل والعلامة النبيل ، صاحب المؤلفات العديدة . منها رسالة في الأخذ بخبر البرق لإثبات رمضان وغيره ، قياساً على الأخذ بالساعة والقبلة نامه ، وضرب الطبل ، وتنوير المنارة . ومنها « الحبل الوثيق في نجاة الغريق » وله في الأصولين والمنطق كتبٌ كثيرةٌ مفيدةٌ طبعت في طرابلس الشام ، تدلُّ على سعة علمه وغزارَة فهمه ، وقد أقام في حمصَ وطرابُلُسَ مدَّةً طويلة ، وانتفع به علماء البلدتين .

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف رحمه الله تعالى ، انتهى .

قلت : إن مسألة العمل بخبر البَرْق قد جازت القنطرة ، وأصبحت مفروغاً منها بعد أن ألَّف فيها أُستاذنا القاسمي كتابه « إرشاد الخلْق إلى العمل بخبر البرق » وما أُلحق به من فتاوى كبارِ العلماء جزاهم الله خيراً .

عبد المجيد أفندي الخُردَهْ جِي

ذكره السيد الشريف أديب أفندي تقي الدين في تاريخه فقال ما ملخصه : هو عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد الشهير بالخُردَهْ جي الدمشقي . كان والده من التجار في الآستانة ، ثم انتقل به إلى دمشق ، فنشأ المترجَم بها واشتغل بالتجارة عند والده المذكور ، ثم طلب العلم ولازم العلماء ، ومنهم الشيخ حسن جبينه وغيره إلى أن تولَّى رياسة كتَّاب أوقاف الحرمين بدمشق ، ثم رحل إلى دار السلطنة المذكورة ، وانتمى إلى الأستاذ الشهير السيد أبي الهدى الصيَّادي ، فجعله هذا الأستاذ خليفةً عنه في الطريقة الرفاعية ، وتولَّى المترجَم القضاءَ الشرعي في حمص ، ووُجِّهت إليه رتبة الموالي العلمية ، ثم عُيِّن عضواً في محكمة التمييز ، فمصحِّحاً للكتب العربية في المطبعة الأميرية بالآستانة وبقي بها مدة ، ثم صار قاضياً شرعياً في محكمة طوبخان ، ثم في لواء اللاذقية ، ثم في لواء عكا .

وبعد أن أتمَّ مدَّةَ القضاء به اختار الإقامة في دمشق ومات بها في ٢٧ شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف . وكان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً ، نقل السلاوي في « عكاظ الأدب » بعض قصائده رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد اللبابيدي

ترجمه الفاضل المذكور في كتابه المسطور قال : هو أحمد بن محمد الشهير باللبابيدي الحنفي الدمشقي . نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن كثير من علماء دمشق وكان يقيم في مدرسة نور الدين الشهيد ، ثم دخل في سلك القضاء الشرعي ، ورحل إلى الآستانة مراراً ، وتولَّى القضاء في ملحقات بيروت والشام ،

ومنها راشيا سنة ١٢٩٧ وسنة ١٣٠١ مرتين ، وقد تخرَّج على المترجَم كثيرٌ من رجال العلم وظهر له آثارٌ في الفرائض والأدب واللغة ، وشرحٌ على المجلة في مجلدين غير مطبوع .

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف ، رحمه الله تعالى .

صالح باشا الرِّكابي

ذكره السيد الفاضل تقي الدين في تاريخه فقال ما خلاصته : هو صالح باشا ابن أحمد آغا ابن سليمان آغا الشهير بابن ركاب الدمشقي . كان جدُّه سليمان يشتغل بالزراعة إلى أن توفي وأعقب ولده أحمد ، وهذا أعقب أولادَهُ الثلاثة الأول محمود أفندي أحد موظفي دمشق ومن أعضاء بلديتها ، توفي سنة ١٣١٨ ، والثاني عبد الله أفندي أحد رجال العلم توفي بعد أخيه المذكور ، والثالث صاحب الترجمة ، وقد نشأ هذا في حجر والده ، وتعلَّم القراءة والكتابة وبعضَ الفنون في مدارس الحكومة ، وفي سنة ١٣٠٠ صار عضواً في مجلس المعارف ، وعين قائم مقام في قضاء النبك وغيره ، ثم ولي متصرفية لواء اركلي ، ونال من الدولة العثمانية رتبة مير ميران ، ولم نقف على سيرته في حال وظيفته .

وكانت وفاته عقيماً عام خمسة وعشرين وثلاثمئة وألف .

فارس أفندي الكيلاني

أخبرنا عنه حفيده الأديب برهان الدين أفندي ، فهو السيد فارس ابن السيد أحمد ابن السيد سليم الكيلاني ، أحد وجهاء دمشق وأصحاب الثروة فيها ، ولد بدمشق سنة ١٢٦٩ وقرأ مبادئ العلوم في المدرسة الجقمقية ، وأتقن اللغتين العربية والتركية وفي سنة ١٢٨٨ صار كاتباً في إحدى دوائر الحكومة ، ولم ترقْهُ الوظيفة فتعاطى الزراعة والتجارة ، مع الاحتفاظ بمقامه في الهيئة الاجتماعية ، وكان من المساهمين في تأسيس الخط الحجازي ، وكانت دارُه مطروقةً يؤمُّها بعضُ الوجهاء والفضلاء .

ولم يزل على حالته إلى أن توفي فجأة بينما كان جالساً في أحد مخازن سوق الحميدية ، وذلك يوم الجمعة في ٢٢ جمادى الثانية سنة خمس وعشرين وثلاثمئة وألف . وأرخ وفاته بعضهم بأبيات ختامها قوله :

سرى للعُلى في حالِ بشرٍ فأرّخوا بطيبِ جِنان الخُلْد قد فازَ فارسُ
١٣٢٥

وأعقب المترجَم خمسةَ أبناء أكبرهم الوجيه هائل باشا المتوفى سنة ١٣٥٨ عفا الله عنهما .

تمت بحمد الله تراجم أعيان الربع الأول من هذا القرن ويليها موجز في تراجم رجال الربع الثاني منه إن شاء الله تعالى .

* * *



الأعيان الذين وقعت وفاتهم بين ١٣٢٥ إلى ١٣٥٠ مع سنيّ وفاتهم وخلاصة تراجمهم

الشيخ عبد الحكيم الأفغاني	عالم محقِّق وزاهد من الطراز الأول	١٣٢٦
الشيخ سعيد الحبَّال	عابد . معتقد . بلغ المئة	=
مراد أفندي القوَّتْلي	عضو إدارة حسن السيرة	=
محمد علي أفندي الأيوبي	عضو استئناف ثم عضو إدارة	=
صالح أفندي الغزِّي	فاضل جريء، نائب قضاء ثم مفتي شافعي	=
إسماعيل أفندي الغزِّي	عضو بداية ثم نائب قضاء ، وجيه	=
أحمد أفندي القوَّتْلي	عضو معارف . وجيه	=
الشيخ سليم سماره	عالم مدرِّس صوفي	١٣٢٧
الشيخ أنيس طالو	فقيه مدرِّس	=
الشيخ مصطفى الحلاق	عالم ذكي	=
محمد علي أفندي شيخ الأرض	نائب قضاء فاضل	=
محمود باشا العابد	من أعيان دمشق	=
محمود أفندي الخوجه	رئيس بلدية . وجيه	=
الشيخ نجيب العطار	فاضل . عضو عدلية ثم عضو أوقاف	١٣٢٨
شاكر أفندي حمزة	عضو عدلية فمعارف ونائب محكمة فقضاء	=
الشيخ بهاء الدين البيطار	صوفي أديب . صاحب آثار صوفية	=
علي أفندي الإدلبي	قائم مقام . وجيه	=
الشيخ عبد الله السُّكَّري	فقيه مدرِّس . سوداوي . بلغ المئة	=
الشيخ جمال الخطيب	عالم ذكي . قاضي ولاية	=
أسعد أفندي الأُسطواني	نائب قضاء . وجيه	١٣٢٩
الشيخ رضا الحلبي	نائب محكمة ثم مفتي عام	=
الشيخ كمال الدين الصوفي	من دعاة الطريقة الرفاعية	=
الشيخ أبو الخير الطبَّاع	فاضل ذكي	=

صادق باشا المؤيد	من أمراء الجيش العثماني ومؤسس البرق للمدينة	١٣٢٩
الشيخ عبد الله الحموي	من شيوخ القراء . بلغ المئة	١٣٣٠
الشيخ محمد المبارك	أديب صوفي . صاحب آثار أدبية	=
محمد أفندي العجلاني	عضو عدلية ثم رئيس بلدية ثم مبعوث في الآستانة	=
الشيخ أحمد أبو الفتح	مدرِّس وشيخ محيا عجلوني	=
الشيخ محيي الدين العطار	فاضل مدرِّس	=
أحمد أفندي الدالاتي	وجيه فاضل ومثري مستقيم	=
عبد اللطيف أفندي العمري	عضو عدلية ثم عضو إدارة . وجيه	=
كمال أفندي القضماني	عضو بلدية	=
الشيخ أبو السعادات الدجاني	فاضل ساذج	١٣٣١
أحمد كيوان	تاجر ومدرِّس	=
الشيخ حسن اللحام	فاضل معتقد في الهند	=
الشيخ عبد القادر نبهان	محامي فاضل	=
الشيخ سليم الكزبري	مدرِّس قبة النسر . وجيه	=
سليم أفندي قصاب حسن	شاعر وتاجر	=
الشيخ إسماعيل الميداني	فقيه مدرِّس	١٣٣٢
الشيخ عبد المحسن المرادي	مدرِّس . أمين فتوى	=
الشيخ عيسى الكردي	عالم مرشد نقشبندي	=
الشيخ جمال الدين القاسمي	عالم مؤلف نابغة	١٣٣٢
أحمد باشا الشمعة	أحد صدور الشام المعتدلين	=
أبو السعود أفندي الحسيبي	نقيب دمشق وأحد أعيانها	=
الشيخ راغب السادات	عالم فقيه	١٣٣٣
الشيخ رشيد سنان	عالم مدرِّس شاذلي . .	=
الشيخ محمود الطيبي	فرضي نحو خمسين سنة	=
الشيخ عبد الوهاب الشركة	عالم مدرِّس	=
الأمير نور الدين الجزائري	قاضي لواء ثم نقيب أشراف عام	=

شفيق بك المؤيد	موظف ومبعوث ومن شهداء الحرب العامة	١٣٣٣
رشدي بك الشمعة	عضو إداري = = = = = = = = = = =	=
عبد الوهاب الإنكليزي	موظف إداري ذكي = = = = = = = =	=
شكري بك العسلي	= = = = = = = = = = = = = = = = = =	=
أديب أفندي القباني	عالم مفتي جيش معتدل	=
الشيخ رضا الزعيم	= = =	=
يحيى أفندي الإستانبولي	محامي فاضل	=
محمود أفندي القوَّتْلي	وجيه مثري	=
الشيخ محمد الحلبي	متولي الجامع الأموي	١٣٣٤
الشيخ قاسم مدور	معلم مدرِّس صالح	=
الشيخ محمد الحكيم	معلم مدرِّس أديب	=
عطا باشا البكري	رئيس بلدية ثم عضو إدارة	=
الشيخ عبد الرزاق البيطار	عالم أديب مؤرخ	١٣٣٥
الشيخ صالح قطنا	نائب محكمة ثم مفتي عام . .	=
الشيخ أمين السفرجلاني	عالم مدرِّس صالح	=
محيي الدين باشا الجزائري	أديب فاضل وياوَرْ سلطاني	=
السيد عبد الباقي الجزائري	فاضل وصاحب طريقة قادرية	=
الشيخ عارف المحْمَلجي	أديب فاضل	=
هلال بك العابد	وجيه	=
سعيد أفندي الأيوبي	رئيس كتاب المحاكم الشرعية ٢٥ سنة	=
الشيخ عبد القادر الكزبري	نائب قضاء . فاضل	=
أحمد أفندي النايلي	موظف تركي يضرب المثل بنزاهته	=
طاهر أفندي حمزة	نائب محكمة ثم مفتي قضاء ، ورع	=
الشيخ محمد القاسمي	عالم مدرِّس	=
الشيخ حسن العطار	وجيه . من أصحاب رتبة الحرمين	=
الشيخ أبو الخير الأُسطواني	أمين فتوى	=

درويش أفندي مرتضى	نائب قضاء ومن المحامين الأذكياء	١٣٣٥
الشيخ أبو الخير الكزبري	تاجر . وجيه . ورع	=
يحيى أفندي القلعي	مفتي جيش . صالح	١٣٣٧
خليل أفندي الأيوبي	عضو استئناف . نزيه	=
عبد اللطيف أفندي العجلاني	وجيه مثري مستقيم	=
عمر أفندي الشطي	فرَضي ، رئيس كتاب ثم مفتي قضاء	=
أديب أفندي نظمي	كاتب متفنن وموظف عدلي	=
زاهد باشا الشيخ فضلي	من أطباء الجيش العثماني	=
عبد الرزاق أفندي الدردري	فاضل ، مدير أيتام ثم نائب محكمة	١٣٣٨
الشيخ طاهر الجزائري	عالم مؤلف ، أفرد الباني ترجمته في كتاب خاص	=
يوسف بك العظمة	قائد الجيش العربي الفيصلي وشهيد ميسلون	=
الشيخ توفيق الدرَّا	إمام عسكر متقاعد = =	=
الشيخ عبد القادر كيوان	تاجر أديب = =	=
الشيخ كمال الخطيب	تاجر فاضل = =	=
محمد باشا العظم	من صدور دمشق	=
عبد القادر بك المؤيَّد	من أعيان دمشق وعلماء الفلسفة	=
عطا أفندي الكيلاني	من أعيان دمشق وأعضاء المعارف	=
يحيى بك أغريبوز	من وجهاء دمشق وحكام الأقضية	=
مصطفى أفندي السباعي	خطاط متفنن من موظفي المالية ثم العدلية	=
الشيخ سليم جبري	نائب تزكية . فاضل	=
محمود بك العظمة	وجيه	=
الشيخ أديب التقي	خطيب جامع وإمام محلة	=
سعيد أفندي البنَّا	مميز محاسبة . وجيه مثري . .	١٣٣٩
عبد الرحمن باشا اليوسف	محافظ الحج الشامي وأحد أعيان دمشق	=
الشيخ أسعد الحمصي	فاضل وجيه	١٣٤٠
محمد أفندي المرعشي	معلم ثانوي نحو أربعين سنة	=

مختار بك المؤيَّد	فاضل صاحب آثار		١٣٤٠
شكري باشا الأيوبي	من أمراء الجيش التركي ثم العربي		=
شفيق بك القوَّتْلي	من أعيان دمشق المستقيمين		=
الشيخ سليم البيطار	فاضل وجيه		١٣٤١
الشيخ عبد الله الخاني	فاضل من مشايخ الطريقة النقشبندية		=
الشيخ محمود أبو الشامات	عالم صوفي من مشايخ الطريقة الشاذلية		=
علي أفندي الحسيبي	نقيب أشراف		١٣٤١
أمين أفندي الترزي	عضو إداري نزيه		=
أحمد بك أجليقين	مدير شرطة . وجيه		=
محمود باشا بوظو	قائم مقام . حسن السيرة		=
محمود بك البارودي	مزارع مثري . وجيه		=
الشيخ عارف المنير	عالم . من أصحاب رتبة الحرمين		١٣٤٢
صادق أفندي الميداني	نائب قضاء وجيه		=
خليل أفندي المرادي	مدير أيتام مرات عديدة		=
محمد أفندي المحاسني	رئيس كتاب المحاكم الشرعية ثم قاضي دمشق		١٣٤٣
الشيخ أحمد عمر العطار	عالم ذكَي		١٣٤٣
الشيخ إبراهيم السعدي	وجيه من مشايخ الطريقة السعدية		=
أحمد عزت باشا العابد	كاتب السلطان عبد الحميد		=
عبد الحميد باشا القلطقجي	من أمراء العسكر المستقيمين		=
الشيخ أبو الخير عابدين	أمين فتوى ثم نائب قضاء ثم مفتي عام		١٣٤٤
الشيخ توفيق السيوطي	فقيه فرَضي . مفتي حنبلي		=
خليل أفندي البكري	مزارع مثري . من أعيان دمشق		=
فريد باشا اليافي	مدير شرطة ثم مدير أوقاف . وجيه		=
عبد المجيد بك الشمعة	قائم مقام . وجيه	تقريبا	١٣٤٤
مصطفى باشا القنواتي	قائم مقام ثم متصرف	تقريباً	١٣٤٥
الشيخ سعيد الفرا	فقيه مدرِّس مستقيم		=

عبد الحميد أفندي الأُسطواني	نائب قضاء ثم نائب محكمة		١٣٤٥
الشيخ أحمد دهمان	مقرىء جامع . مستقيم		١٣٤٦
الشيخ محمد القطب	مقرىء جامع . فاضل (بصير)		=
عبد الكريم أفندي حمزة	فقيه ورع		١٣٤٦
أبو الخير أفندي الموَقِّع	عضو بلدية حسن السيرة		=
الشيخ شريف ظبيان	معتقد		=
الشيخ عبد القادر بدران	عالم ، متطرف		=
سليم أفندي البخاري	مفتي جيش ثم رئيس علماء		١٣٤٧
الشيخ أسعد الصاحب	وجيه من دعاة الطريقة النقشبندية		=
الشيخ عارف العظمة	فقيه وإمام محلة		=
مصطفى باشا العابد	والي الموصل ومن أعيان دمشق		=
حسن أفندي الحلبوني	وجيه مثري صاحب خيرات		=
سعدي أفندي المالكي	مزارع . وجيه فاضل		=
زاهد باشا الهبل	من أمراء العسكر	تقريباً	=
علي آغا العسلي	عضو بلدية . وجيه		=
الشيخ مصطفى الشطي	عالم صوفي . مفتي حنبلي		١٣٤٨
عبد الله آغا المهايني	عضو بلدية . وجيه		=
الشيخ حسن الأُسطواني	معلم ابتدائي وخطيب في الجامع الأموي		١٣٤٩
رضا أفندي النابلسي	رئيس كتاب ثم مميز محاسبة . نزيه		=
الشيخ محيي الدين الخاني	معلم ابتدائي صاحب آثار		١٣٥٠
محمد أفندي الشريف المكي	نائب قضاء ثم مدير أيتام	تقريباً	=
خليل أفندي النحلاوي	موظف نزيه	=	=
الشيخ عيد السفرجلاني	معلم أهلي نحو ستين سنة	=	١٣٥٠
جميل بك العظم	فاضل متفنن صاحب آثار	=	=
أحمد بك اليوسف	قائم مقام . وجيه	=	=

★ ★ ★

ترجمة المؤلف (رحمه الله تعالى)

جرى بعض المؤلفين والمؤرخين ، على أن يترجموا أنفسهم في آخر كتبهم صوناً لسيرتهم من التشويه والعبث . وهي فكرة حسنة إذا لم يكن في الترجمة ما ينكره المعاصرون من أرباب العقل والفضل (انظر صحيفة ١٠٩) على أنا لا نكلف أحداً بشهادة أو مجاملة . وإنما نريد ذكر وقائع وحوادث ظهرت للعيان ، وشهد بها الزمان والمكان ، فها نحن نذكر من ذلك ما استحضره الفكر ، وصلح للذكر ، فنقول :

كان مولدي بدمشق في ١٨ صفر سنة ١٣٠٠ ومن الاتفاق الغريب أنها آخر سنة في هذا القرن الذي عنيت بتاريخه ، ونشأت في حجر والدي عمر أفندي رحمه الله ، وقرأت مبادئ العلوم على عمي مراد أفندي ، ثم على الشيخ أبي الفتح الخطيب ، وأخذت الفقه والفرائض عن والدي . ثم عن عمه الشيخ أحمد الشطي ، وتلقيت طرفاً من الحديث عن العلامة الشيخ بكري العطار ، ثم عن العلامة الشيخ بدر الدين المغربي ، وحضرت دروس الأستاذ صاحب التآليف الشيخ جمال الدين القاسمي ، وغيره من علماء دمشق ، واستجزت بعض الشيوخ فأجازوني بما تجوز لهم روايته لفظاً وخطاً جزاهم الله عني خيراً - وقد طالعت بنفسي بعض كتب التفسير والحديث والفقه والفرائض وانتفعت بها ولله الحمد .

وقد ولعت بالأدب والتاريخ وأنا دون الخمسة عشر فنظمت ونثرت ، وكان باكورة أعمالي رسالة في تراجم بني فرفور ، سميتها (الضياء الموفور) جمعتها سنة ١٣١٧ وهي مخطوطة توجد الآن في دار الكتب الظاهرية - وفي سنة ١٣٢٢ طبعت القطعة الأولى من منظوماتي - وفي سنة ١٣٢٣ شرعت بجمع تاريخ القرن الثالث عشر - وفي سنة ١٣٢٩ طبعت القطعة الثانية من منظوماتي ورسالتي الأولى في علم الفرائض - وفي سنة ١٣٣١ ترجمت وطبعت قانون الصلح وغيره من القوانين التركية المعمول بها اليوم - وفي سنة ١٣٣٩ طبعت معجماً كنت جمعته في تراجم علمائنا باسم (مختصر طبقات الحنابلة) - وفي سنة ١٣٤٠ وضعت وطبعت رسالة

في الوهابيين وخصومهم باسم (الوسيط بين الإفراط والتفريط) - وفي سنة ١٣٥٠ كتبت ونشرت رداً على الطائفة القاديانية باسم (السيف الرباني) - وفي سنة ١٣٦٠ كتبت وطبعت رداً على أحد فقهاء المالكية باسم (البرهان على صحة رسم مصحف الحافظ عثمان) - وفي سنة ١٣٦٣ طبعت رسالتي الثانية في الفرائض باسم (الدروس الفرضية) - وفي السنة المذكورة هذبت كتاب السراجية باسم (تنقيح السراجية في فرائض الحنفية) وهو لم يزل مخطوطاً محفوظاً عندي ، مع ديوان شعري الأخير ، وتاريخ سنة ١٣٤٠ - وفي سنة ١٣٦٣ أيضاً أخرجت من تاريخي العام المقدم ذكره هذا التاريخ المقصور على رجال دمشق .

وقد طبعت من مؤلفات آل الشطي وغيرهم شيئاً كثيراً ، فمن ذلك (مختصر عقيدة السفاريني) لجدي الأعلى (مجلد) و(توفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية) ، و(أقوال الإمام داود الظاهري) لجدي الأدنى ، و(أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية) لابن القيم ، و(الرسائل الفاتحية) للهبراوي . وغير ذلك .

وأما ما كتبته في المجلات والصحف فشيء كثير قديم وحديث ، ومن ذلك الرد على شيخ الأزهر المراغي ، في قوله إن وجه المرأة ليس بعورة ، والرد على المحدث الدهلوي في كتابين له ، وكل ذلك منشور في مجلة التمدن الإسلامي .

وأما وظائفي فقد لازمت المحاكم الشرعية بدمشق منذ سنة ١٣١٣ مقيداً في محكمة البزورية فكاتباً في محكمة العمارة ، ثم في محكمة الباب إلى سنة ١٣٢٧ - وفيها عينت في المحاكم العدلية ، كاتباً في دائرة الإجراء ، ثم في محكمة الحقوق ، ثم في محكمة الصلح ، ثم معاوناً لمأمور الإجراء بدمشق ، ثم معاوناً للحاكم المنفرد في دوما ، ثم عضواً في محكمة حماه إلى سنة ١٣٣٧ - ثم عينت نائباً حنبلياً ، ثم رئيس كتاب في محكمة دمشق الشرعية إلى سنة ١٣٤٨ ، وفيها انتخبت مفتياً حنبلياً في مدينتنا دمشق ، وهي الوظيفة التي أقوم بها الآن مع الإمامة الحنبلية في الجامع الأموي منذ سنة ١٣٣٤ والخطبة في المدرسة البادرائية منذ سنة ١٣٥٢ .

وأما البحث عن أخلاقي وأحوالي فهذا ما أتركه لأبناء وطني الأعزاء اعتماداً على إنصافهم ومحبتهم .

وأما شعري الكثير فسأقتصر منه على بيتين كتبتهما إلى نجم الدين أفندي الأتاسي في حمص ، أشكره على تراجم أرسلها إليَّ سنة ١٣٢٤ ، وهما قولي :

مولاي لولا كنت أول فاضل لم تـدر أهـل الفضـل بـالتبيين
فـإذا ضللنـا في أكـابـر ديننـا فبك الهدى إذ أنت نجم الدين

وأختتم هذه الترجمة ببيتين ، رقمتهما على كتاب أهديته إلى أحد أساتذتي الأجلاء سنة ١٣٢٦ ، وهما قولي :

أتى يهدي لك العبد الذليل كتـابـاً أيهـا المـولى الجليـل
إذا هـو لم يكـن أثـراً جميـلاً أليـس يقـال مهـديـه جميـل ؟

* * *

* * *

لقد تم بحمد الله وشكره وبعونه وتوفيقه طبع هذا الكتاب ، الذي أردنا به تخليد ذكر رجالِ وطننا الأعزَّاء وتسجيل تراجمهم ومفاخرهم ، مفصَّلةً ومجملة ، بحسَب اطلاعنا وبقدر استطاعتنا ، فإن كنا قد أحسنًّا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإنْ كنا مخطئين في ناحيةٍ ما ، فالإنسان محلُّ الخطأ والنسيان ، وكان طبعُه وتصحيحه في خلال ثلاثة أشهر آخرها أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ على يد جامعه الفقير محمد جميل الشطي عفا الله عنه ، وبمعاونة ولده حنبل فخري وفقه الله تعالى

* * *

حواش إضافية للكتاب

الصفحة ٨٤ : كذا في الأصل ، ولعل الصواب « من البَلَج » والبَلَجُ : الوضوح .
الصفحة ٢٣٧ : في الأصل المطبوع « ١٢١٩ » والمثبت من « روض البشر » ص٢٠٦ .
الصفحة ٢٣٨ : في الأصل المطبوع « ١٢١٢ » والمثبت من « روض البشر » ص٢٠٧ .
الصفحة ٣٢٧ : كذا في الأصل المطبوع ، وعلى هذا ينبغي أن تنزل هذه الترجمة ضمن وفيات سنة ١٣٠١هـ .
الصفحة ٣٢٨ : كذا في الأصل المطبوع وهو خطأ وفي ترجمته في « حلية البشر » ٣/١٣٣٦ أنه سافر إلى الآستانة ووظف عضواً في الجمعية العلمية سنة ١٢٨٥ ، وانظر الأعلام ٦/ ٢٧٠ .
الصفحة ٣٣٧ : كذا في الأصل المطبوع والمثبت من « حلية البشر » ١/ ٢٥٣ .
الصفحة ٣٦٥ : في الأصل المطبوع « تجدد » وهو خطأ ، والمثبت من ديوان الهلالي ص٤٦ .
الصفحة ٤٠٤ : كذا في الأصل المطبوع ، والصواب (١٢١٧) كما جاء في ترجمة أخيه الأمير عبد القادر ص١٨٠ من هذا الكتاب .

فائدتان

فائدة « ١ » :

تكرر في الكتاب تأريخ وفيات عدد من التراجم ، وبعض الحوادث الهامة بأبيات شعرية اعتمدت حساب الجُمَّل أصلاً لهذا التأريخ .

ورأينا من الفائدة بيان هذا الحساب والطريقة التي يقوم عليها ، لعل فيه نفعاً لبعض القرَّاء .

حساب الجُمَّل : هو طريقة استبدال الأرقام بالحروف الأبجدية المجموعة في « أبجد هوز. . . » ، ويقال له أيضاً : حساب الأبجدية ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية .

وفيما يلي نثبت جدولاً بالأحرف الأبجدية ومقابل كل حرف منها قيمته الرقمية :

آ=١	ح=٨	س=٦٠	ت=٤٠٠
ب=٢	ط=٩	ع=٧٠	ث=٥٠٠
ج=٣	ي=١٠	ف=٨٠	خ=٦٠٠
د=٤	ك=٢٠	ص=٩٠	ذ=٧٠٠
هـ=٥	ل=٣٠	ق=١٠٠	ض=٨٠٠
و=٦	م=٤٠	ر=٢٠٠	ظ=٩٠٠
ز=٧	ن=٥٠	ش=٣٠٠	غ=١٠٠٠

وعلى هذا ، فإننا نأخذ عبارة التأريخ التي تلي قول الشاعر : « أرخوا » ، أو « أرخ » ونقوم بجمع الأرقام التي تقابل كل حرف فيها وفق الجدول السابق فيكون حاصل جمع هذه الأرقام مساوياً لتاريخ الوفاة أو الذكرى أو الحدث الذي أراد الشاعر تأريخه .

فائدة « ٢ » :

كما تكرر في الكتاب أيضاً ذكر حديث « المسلسل بالأولية » ، في عدد من المواضع المختلفة .

والتسلسل : من نعوت الأسانيد ، وهو عبارة عن تتابع رجال الأسناد ، وتواردهم فيه واحداً بعد واحد على صفة أو حالة واحدة . والمسلسل بالأولية نوع من أنواع التسلسل . وفيه يتتابع رجال إسناده ويتواردون بشرط أن يكون أول حديث سمعه رجال السند من شيخ معين من شيوخهم . ويقصد بحديث المسلسل بالأولية حيثما ذكر حديث المصطفى ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجنة من الرحمن ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

والحديث صحيح بشواهده أخرجه أحمد في « مسنده » (٢/ ١٦٠) وأبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٥) والحاكم (٤/ ١٥٩) والبيهقي في « سننه » (٩/ ٤١) والهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ١٨٧) .

فهرس أعيان دمشق مرتبة حسب الأحرف الهجائية

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

حرف الخاء

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

حرف الشين

الاسم	الصفحة
أبو الشامات = محمود	
شبيب = أمين بن عمر	
الشركة = عبد الوهّاب	
الشرواني = محمد رشدي بن إسماعيل	
الشريف = أبو الخير بن محمد المكي	
= كمال بن محمد	
شريف ظبيان	٤٣٢
الشريف المكّي = محمد	
= محمد بن محمود	
الشطّي = أحمد بن حسن	
= حسن بن عمر	
= عبد السلام بن عبد الرحمن	
= عبد اللطيف بن خضر	
= عمر	
= محمد بن حسن	
= محمد مراد بن محمد	
= مصطفى	
= مصطفى بن محمود	
أبو شعر = عبد المجيد بن صلاح الدين	
أبو شعر وشعير = محمد بن عبد الله	
شفيق القُوَّتْلي	٤٣١
شفيق المؤيد	٤٢٩
شكري الأيوبي	٤٣١
شكري العسلي	٤٢٩

الاسم	الصفحة
شمدين = سعيد بن شمدين الكردي الداقوري	
ابن شمس = صالح بن يوسف	
= يوسف بن أحمد	
الشمعة = أحمد	
= رشدي	
= عبد المجيد	
ابن الشمعة = علي بن محمد	
شورَى = علي شورى	
شيخ الأرض = محمد علي	
الشيخ فضلي = زاهد	
شيخ المولوية = صبري بن رجب الحلبي	
حرف الصاد	
الصاحب = أسعد	
= محمود بن أحمد	
صادق بن سعدي العمري	١٥٣
صادق المؤيد	٤٢٨
صادق الميداني	٤٣١
صالح بن إبراهيم الكفيري	١٥٠
صالح بن أحمد الرِّكابي	٤٢٥
صالح بن أحمد المغربي السمعوني	١٥١
صالح بن أحمد المنيرّ	٤٠٩
صالح بن إسماعيل أياس	١٤٦
صالح بن حيدر الكردي	١٥٠

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

حرف الطاء

حرف الظاء

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
عبد الرزَّاق البيطار	٤٢٩	عبد القادر كيوان	٤٣٠
عبد الرزَّاق الدَّردري	٤٣٠	عبد القادر بن محمد سلطان	٣٣٣
عبد السلام بن عبد الرحمن الشطي	١٧٠	الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري	١٧٩
عبد العزيز بن حسن البلباني	١٧٣	عبد القادر المؤيد	٤٣٠
عبد الغني البقاعي	١٧٨	عبد القادر نبهان	٤٢٨
عبد الغني بن حسن البيطار	٣٧٠	عبد القادر بن يحيى الكزبري	١٨٧
عبد الغني بن شاكر السادات	١٧٥	عبد الكريم حمزة	٤٣٢
عبد الغني بن طالب الميداني	١٧٧	عبد اللطيف بن خضر الشطي	١٩٩
عبد الغني بن عبدالقادر السقطي	١٧٤	عبد اللطيف العجلاني	٤٣٠
عبد الغني بن محمد شريف الغزي	١٧٤	عبد اللطيف بن علي ، مفتي بيروت	١٩٨
عبد الفتاح العقري	١٩٧	عبد اللطيف العمري	٤٢٨
عبد القادر بن إبراهيم الخلاصي	١٨٨	عبد المجيد بن إسماعيل الخُرْدَجي	٤٢٤
عبد القادر بن أحمد تقي الدين الحصني	١٨٩	عبد المجيد الشمعة	٤٣١
عبد القادر بن أحمد الصمادي	١٨٨	عبد المجيد بن صلاح الدين أبو شعر	٢٠٢
عبد القادر بن أحمد الميداني	١٨٦	عبد المجيد بن عبدالرزَّاق السَّقَطي	٣٩٤
عبد القادر بدران	٤٣٢	عبد المجيد بن محمد الخاني	٣٩٢
عبد القادر بن درويش حمزة	١٨٣	عبد المحسن بن حمزة العجلاني	٢٠١
عبد القادر بن سعيد الحمصي	٤٠٨	عبد المحسن المرادي	٤٢٨
عبد القادر بن صالح الخطيب	١٨٤	ابن عبد الهادي = محمد بن أحمد العُمَري	
عبد القادر بن عبد الله الأسطواني	٣٦٠	عبد الهادي بن سليم العمري	٢٠١
عبد القادر بن عبد الرحمن السقطي	١٨٥	عبد الوهَّاب الإنكليزي	٤٢٩
عبد القادر بن علي الميداني	٣٩٧	عبد الوهَّاب الشركة	٤٢٨
عبد القادر الكزبري	٤٢٩		

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
العقري = عبد الفتاح		عمر بن عبد القادر التغلبي	٢٢١
العقيلي = محمد بن عثمان		عمر بن محمد السبيعي	٣١٧
علاء الدين بن محمد عابدين	٣٢٧	عمر بن محمد اليافي	٢١٤
علي الإدلبي	٤٢٧	عمر بن مصطفى الآمدي	٢١٩
علي الحسيبي	٤٣١	العُمَري = أحمد بن عبدالقادر	
علي بن حسين السَّقطي	٢١٢	= حسين بن عبد اللطيف	
علي بن حسين المرادي	٢٠٢	= حمود بن سعيد	
علي بن خالد الصفدي	٢١٢	= رشيد بن سعدي	
علي شورَى	٣٢٧	= سعدي بن محمد	
علي بن عبد الرحمن الطيبي	٢١١	= سليم بن عبد الهادي	
علي العسلي	٤٣٢	= صادق بن سعدي	
علي بن محمد حسيب العطار	٢٠٦	= عبد اللطيف	
علي بن محمد الحلواني	٣٥٥	= عبد الهادي بن سليم	
علي بن محمد سعيد السويدي ...	٢٠٦	= محمد بن أحمد	
علي بن محمد الشمعة	٢٠٩	ابن عودة = مصطفى بن محمد	
علي بن محمد مَرْدَم بك	٣٢٦	عيد السفرجلاني	٤٣٢
العمادي = إبراهيم بن محمد		عيسى الكردي	٤٢٨
= عبد الرحمن بن علي		**حرف الغين**	
عمر بن إبراهيم المالكي	٢٢٠	الغَبْرَة = سعيد بن عثمان	
عمر بن أحمد المجتهد	٢١٦	غزال = محمد بن عبد الرحمن طه	
عمر بهجت ، قاضي دمشق	٣٤٧	الغزِّي = إسماعيل	
عمر الشطِّي	٤٣٠	= إسماعيل بن عبد الغني	
عمر بن طه العطَّار	٣٤٤	= أمين بن محمد	
عمر بن عبد الغني الغزي	٢١٧	= حسين بن إسماعيل	

الاسم الصفحة

حرف الكاف

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
محمد بن الديري	٢٦٩	محمد بن عبد الله تلو	٢٣٨
محمد راغب بن نور الدين الدَّرْدَري	٤٠٦	محمد بن عبد الله الخالدي	٢٤٢
محمد رشدي بن إسماعيل الشرواني	١٢٥	محمد بن عبد الله الخاني	٢٤١
محمد رشيد بن عمر النابلسي	٣٧٥	محمد بن عبد الله الخطيب	٢٦٨
محمد الزهري بن عمر اليافي	٢٦٩	محمد بن عبد الله الرُّومي	٢٤٤
محمد سعدي بن مصطفى الرحيباني، الشهير بالسيوطي	١٢٨	محمد بن عبد الله أبو شعر	٢٣٤
محمد سعدي بن هاشم التاجي	١٢٨	محمد بن عبد الرحمن طه غزال	٢٤٩
محمد سعيد بن أحمد الأيوبي	١٣٢	محمد بن عبد الرحمن الكزبري	٢٦٠
محمد سعيد بن قاسم الحلاَّق القاسمي	٣٨٧	محمد بن عبد الرحمن الكفرسوسي	٢٦٣
محمد سعيد بن محيي الدين الجزائري	٢٤٥	محمد بن عبد الرحيم المخلَّلاتي	٢٦٨
محمد بن سعيد المنَيِّر	٢٦٧	محمد بن عبد القادر تقي الدين	٣٥٣
محمد سكر	٢٤٥	محمد بن عثمان الجابي	٢٣٩
محمد بن سليمان الجوخدار	٢٤٠	محمد بن عثمان العقيلي	٢٥٦
محمد بن سنان	٢٤٧	محمد العجلاني	٤٢٨
محمد بن شاكر السكري	٢٤٦	محمد العطَّار	٢٦٥
محمد شاكر بن علي العمري العقَّاد	١٤٣	محمد العظم	٤٣٠
محمد شريف بن محمد الغزِّي	٢٥٨	محمد علي الأيوبي	٤٢٧
محمد الشريف المكِّي	٤٣٢	محمد علي شيخ الأرض	٤٢٧
محمد بن صالح الكيلاني	٢٦٢	محمد بن علي الطِّيبي	٣٨٢
محمد الطيب بن محمد المبارك الجزائري	٣٥٦	محمد بن عمر البره جكلي الصوفي	٢٥٧
محمد ظبيان بن يوسف الكيلاني	١٥٦	محمد بن عمر الغزِّي	٢٥٩
		محمد عيد بن محمد العاني	٢٥٥
		محمد بن فارس التكريتي	٣٥٨
		محمد القاسمي	٤٢٩

حرف النون

* * *

الفهرس

☆ ☆ ☆

أشرف على هذه الطبعة وصحّحها
مأمون الصاغرجي عدنان عبد ربه محمد أديب الجادر

تم التنضيد الضوئي الإلكتروني في:

دار التراث

شارع الفردوس ، بناء واحة الفردوس ، الطابق الخامس ، رقم ٥٠٥
دمشق: ص ب:ـ ٩٢٦٢ . هاتف: ٢١٤٩١٢.



دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كنيسة اللاتين - هاتف ٢٣١٦٦٦٨/ ٩ - ص.ب ٤٩٧١